المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣

الجزء الرابع

كتاب العزلة

و هو الكتاب السادس من ربع العادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الاحياء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد للّه الّذي أعظم النعمة على خيرة خلقه و صفوته بأن صرف هممهم إلى مؤانسته، و أجزل حظّهم من التلّذذ بمشاهدة آلائه و عظمته، و روّح أسرارهم بمناجاته و ملاطفته، و حقّر في قلوبهم النظر إلى متاع فاني زينة الدّنيا و زهرتها حتّى اغتبط بعزلته كلّ من طويت الحجب عن مجاري فكرته، فاستأنس بمطالعة سبحات

وجهه تعالى في خلوته، و استوحش به عن الانس بالأنس و إن كان من أخصّ خاصّته.

و الصلاة على محمّد سيّد أنبياء اللّه و خيرته و على آله و أصحابه سادة الخلق و أئمّته.

أما بعد فإنّ للناس اختلافا كثيرا في العزلة و المخالطة و تفضيل إحداهما على الأخرى مع أنّ كلّ واحدة منهما لا ينفك عن غوائل تنفر عنها و فوائد تدعو إليها و ميل أكثر العبّاد و الزّهاد إلى اختيار العزلة و تفضيلها على المخالطة و ما ذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة و المؤاخاة و المؤانسة يكاد يناقض ما مال إليه الأكثرون من اختيار الاستيحاش و

الخلوة، فكشف الغطاء عن الحقّ من ذلك مهمّ و يحصل ذلك برسم بابين.

الباب الاوّل فى نقل المذاهب و الاقاويل و ذكر حجج الفريقين في ذلك

أمّا المذاهب فقد اختلف النّاس فيها و ظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٤

إلى اختيار العزلة و تفضيلها على المخالطة جماعة منهم، و قال أكثرهم باستحباب المخالطة و استكثار المعارف و الإخوان للتآلف و التحبّب إلى المؤمنين و الاستعانة بهم في الدّين، تعاونا على البرّ و

التقوى، و المأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدّل على الميل إلى أحد الرأيين، و إلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علّة الميل، فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات ليتبيّن المذاهب فيها، و ما هو مقرون بذكر العلّة نورده عند التعرّض للغوائل و الفوائد».

أقول: و لنفتح أوّلا بذكر كلام مولانا الصادق عليه السّلام في هذا الباب ثمّ لنورد ما ذكره أبو حامد.

قال الصّادق عليه السّلام على ما روي عنه في مصباح الشريعة [١]:«صاحب العزلة متحصّن بحصن اللَّه و محترس بحراسته، فيا طوبى لمن تفرّد به سرّا و علانية، و هو يحتاج إلى عشر خصال:

علم الحقّ و الباطل، و تحبّب الفقر، و اختيار الشدّة و الزّهد و اغتنام الخلوة، و النظر في العواقب، و رؤية التقصير في العبادة مع بذل المجهود، و ترك العجب، و كثرة الذّكر بلا غفلة فإنّ الغفلة مصطاد الشيطان و رأس كلّ بليّة و سبب كلّ حجاب، و خلوة البيت عمّا لا يحتاج إليه في الوقت، قال عيسى ابن مريم عليهما السّلام: اخزن لسانك لعمارة قلبك، و ليسعك بيتك، و فرّ من الرّياء و فضول معاشك، و ابك على خطيئتك، و فرّ من الناس كفرارك من الأسد و الأفعى فإنّهم كانوا دواء فصاروا اليوم داء، ثمّ الق اللّه متى شئت.

قال ربيع بن خثيم: إن استطعت أن تكون في موضع لا تعرف و لا تعرف فافعل، و في العزلة صيانة الجوارح، و فراغ القلب، و سلامة العيش، و كسر سلاح الشيطان، و المجانبة من كلّ سوء، و راحة القلب، و ما من نبيّ و لا وصيّ إلا و اختار العزلة في زمانه إمّا في ابتدائه و إمّا في انتهائه».

---

[١] ما عثرت على عنوان «العزلة» فى كتب أحاديث الإمامية الا في المصباح و إرشادة الديلمي و أكثر ما روى في هذا الباب من طريق سفيان الثوري و نظرائه فافهم.

البيضاء ج : ٤ ص : ٥

و عنه عليه السّلام أنّه قال:«فسد الزّمان، و تغيّر الإخوان، و صار الانفراد أسكن للفؤاد».

و روي أنّ معروف الكرخيّ قال له عليه السّلام:أوصني يا ابن رسول اللَّه فقال:

«اقلل معارفك، قال: زدني، قال: أنكر من عرفت منهم».

قال أبو حامد: «قال الفضيل: كفى باللّه محبّا، و بالقرآن مؤنسا، و بالموت واعظا، اتّخذ اللَّه صاحبا، و دع الناس جانبا».

و قال أبو الربيع لداود الطائي: عظني، قال: صم عن الدّنيا و

اجعل فطرك الآخرة، و فرّ من الناس فرارك من الأسد.

و قيل ورد في التوراة: قنع ابن ادم فاستغنى، اعتزل الناس فسلم، ترك الشهوات فصار حرّا، ترك الحسد فظهرت مروّته، صبر قليلا فتمتّع طويلا.

و قال وهيب بن الورد: بلغنا أنّ الحكمة عشرة أجزاء فتسعة منها في الصمت و العاشرة في عزلة الناس.

و قال بعضهم: كنت في سفينة و معنا شابّ من العلويّة فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما، فقلنا له: يا هذا قد جمعنا اللّه و إيّاك منذ سبعة، و لا تزال تخالطنا و لا تكلّمنا، فأنشأ يقول:

قليل الهمّ لا ولد يموت
و لا أمر يحاذر أن يفوت
قضى وطر الصبا و أفاد
علما فغايته التفرّد و
السكوتو قال إبراهيم النخعيّ: تفقّه ثمّ اعتزل، و كذا قال الرّبيع بن خثيم.
و قال الفضيل: إنّي لأجد للرجل عندي يدا إذا لقيته أن لا يسلّم عليّ، و إذا مرضت أن لا يعودني.
و قال أبو سليمان الدارانيّ: بينما الرّبيع بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فصكّ جبهته فشجّه فجعل يمسح الدّم و يقول: لقد وعظت يا ربيع فقام و دخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتّى اخرجت جنازته.

و قال بشر بن عبد اللَّه: أقلّ من معرفة الناس، فإنّك لا تدري ما يكون

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٦

يوم القيامة، فإن تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا.

و دخل بعض الأمراء على حاتم الأصمّ فقال: أ لك حاجة؟ قال: نعم فقال:

ما هي؟ قال: لا أراك و لا تراني.

و قال رجل لسهل: أريد أن اصبحك قال: إذا مات أحدنا فمن يضحب الآخر؟ قال: اللَّه سبحانه، قال: فليصحبه الآن.

و قال الفضيل: من سخافة عقل الرّجل كثرة معارفه.

و قال ابن عباس: أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى و لا ترى.

فهذه أقاويل المائلين إلى العزلة.

ذكر حجج المائلين إلى المخالطة و وجه ضعفها

احتجّ هؤلاء بقوله تعالى:و لا تكونوا كالّذين تفرَّقوا و اختلفوا ٣: ١٠٥و بقوله تعالى:ألّف بين قلوبهم ٨: ٦٣فامتنّ على الناس بالسبب المؤلّف، و هذا ضعيف لأنّ المراد به تفرّق الآراء و اختلاف المذاهب في معاني كتاب اللَّه و أصول الشريعة و المراد بالالفة نزع الغوائل من الصدور، و هي الأسباب المثيرة للفتن، المحرّكة للخصومات، و العزلة لا تنافي ذلك، و احتجّوابقوله

صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«المؤمن ألف مألوف، و لا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف»،
و هذا أيضا ضعيف فإنّه أشار إلى مذمّة سوء الخلق الّذي يمتنع بسببه المؤالفة و لا يدخل تحته الحسن الخلق الّذي إن خالط ألف و الف و لكنّه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه أو طلبا للسلامة من غيره.
و احتجّوابقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«من فارق الجماعة فمات فميتته جاهليّة»

وبقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«من شقّ عصا المسلمين و المسلمون في إسلام دامج فقد خلع ربقة الإسلام»

البيضاء ج : ٤ ص : ٧

و هذا ضعيف لانّ المراد به الجماعة الّتي اتّفقوا على إمام، فليس فيه تعرّض للعزلة.

و احتجّوابنهيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن الهجرة فوق ثلاث إذ قال:«من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النّار»

و قال: صلّى اللّه عليه و آله و سلّم«لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث و السابق بالصلح يدخل الجنّة»

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه».

قالوا: و العزلة هجرة بالكلّيّة، و هذا ضعيف لأنّ المراد به الغضب على الناس و اللّجاج فيه بقطع الكلام و السلام و المخالطة المعتادة، فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب مع أنّ الهجرة فوق ثلاث جائز في موضعين: أحدهما أن يرى فيه استصلاحا للمهجور في الزيارة، و الثاني أن يرى لنفسه سلامة فيه، و النهي و إن كان عامّا فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين بدليل ما روي عن عائشة «أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هجرها ذا الحجّة و المحرّم و بعض صفر» [١]. وروت عائشة أنّ النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«لا يحلّ

لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيّام إلا أن يكون ممّن لا يؤمن بوائقه»

فهذا صريح في التخصيص و على هذا ينزل ما قيل: هجران الأحمق قربة إلى اللَّه تعالى، فإنّ ذلك يدوم إلى الموت إذ الحماقة لا ينتظر علاجها.

احتجّوا بماروي«أنّ رجلا أتى الجبل ليتعبّد فيه فجيء به إلى رسول اللَّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: لا تفعل أنت و لا أحد منكم، لصبر أحدكم في بعض مواطن الإسلام خير من عبادة أحدكم أربعين عامّا»،

و الظاهر أنّ هذا إنّما كان لما فيه من ترك

---

[١] قال العراقي: انما هجر صلّى اللّه عليه و آله و سلم زينب هذه المدة كما رواه ابو داود من حديث عائشة و سكت عليه فهو عنده صالح.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٨

الجهاد مع شدّة وجوبه في ابتداء الإسلام بدليل ماروي عن أبي هريرة أنّه قال:«غزونا على عهد رسول اللَّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فمررنا بشعب فيه عيينة طيّبة الماء فقال: واحد من القوم: لو اعتزلت الناس في هذا الشعب، و لن أفعل

ذلك حتّى أذكر لرسول اللَّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فذكر له فقال: لا تفعل فإنّ مقام أحدكم في سبيل اللَّه خير من صلاته في أهله ستّين عامّا، ألا تحبّون أن يغفر اللَّه لكم و تدخلون الجنّة؟ اغزوا في سبيل اللَّه فانّه من قاتل في سبيل اللَّه فواق ناقة أدخله اللَّه الجنّة».

احتجّوا بماروي عن معاذ بن جبل أنّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم قال:«إنّ الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية و الناحية و الشاردة، إيّاكم و الشعاب و عليكم بالعامّة و الجماعة و المساجد»

و هذا إنّما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم و سيأتي أنّ ذلك منهيّ عنه إلا لضرورة.

ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة

احتجّوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السّلام:و أعتزلكم و ما تدعون من دون اللَّه ١٩: ٤٨ثمّ قال:فلمّا اعتزلهم و ما يعبدون من دون اللَّه وهبنا له إسحاق و يعقوب و كلا جعلنا نبيّا ١٩: ٤٩إشارة إلى أنّ ذلك بركة العزلة، و هذا ضعيف لأنّ مخالطة الكفّار لا فائدة فيها إلا دعوتهم إلى الدّين، و عند توقّع اليأس عن إجابتهم فلا وجه إلا هجرتهم و إنّما الكلام في مخالطة المسلمين و ما فيها من البركة

إذرويأنّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم قيل له: الوضوء من جرّ مخمّر أحبّ إليك أو من هذه المطاهر الّتي يتطهّر منها النّاس؟ فقال: من هذه المطاهر التماسا لبركة أيدي المسلمين»

وروي‌أنّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم: «لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها فإذا التمر المنقع في حياض الأدم قد مغثه الناس بأيديهم، و هم يتناولون منه و يشربون فاستسقى منه

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٩

فقال: اسقوني فقال العبّاس: إنّ هذا النبيذ شراب قد مغث و خيض

بالأيدي أ فلا آتيك بشراب أنظف من هذا في جرّ مخمّر في البيت؟ فقال: اسقوني من هذا الّذي يشرب منه الناس ألتمس بركة أيدي المسلمين. فشرب منه».

فإذن كيف يستدلّ باعتزال الكفّار و الأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم.

و احتجّوا بقول موسى عليه السّلام:«و إن لم تؤمنوا لي فاعتزلون» ٤٤: ٢١فإنّه فزع إلى العزلة بعد اليأس منهم.

و قال أصحاب الكهف:و إذ اعتزلتموهم و ما يعبدون إلا اللَّه فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربّكم من رحمته ١٨: ١٦أمرهم بالعزلة، و قد اعتزل نبيّنا صلّى اللَّه عليه و آله و

سلّم قريشا لمّا آذوه و جفوه و دخل الشعب و أمر أصحابه باعتزالهم و الهجرة إلى أرض الحبشة ثمّ تلاحقوا به في المدينة بعد أن أعلى اللَّه كلمته، و هذا أيضا اعتزال عن الكفّار بعد اليأس منهم فإنّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم لم يعتزل المسلمين و لا من توقّع إسلامه من الكفّار و أهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا و هم مؤمنون، و إنّما اعتزلوا الكفّار، و إنّما النظر في العزلة من المؤمنين.

و احتجّوابقوله صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم:لعبد اللَّه بن عامر الجهني لمّا قال: يا رسول اللَّه ما النجاة؟ قال: «ليسعك بيتك و أمسك عليك دينك، و ابك على خطيئتك».

و رويأنّه قيل لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم: «أيّ الناس أفضل؟ فقال: مؤمن مجاهد بنفسه و ماله في سبيل اللَّه، قيل: ثمّ من؟ قال: رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربّه و يدع الناس من شرّه».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٠

و قال صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم:«إنّ اللَّه يحبّ العبد التقيّ الخفيّ الغنيّ».

و في الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر فأمّا قوله لعبد اللَّه بن عامر لا يمكن تنزيله إلا ما عرفه صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم بنور النبوّة من

حاله، و إنّ لزوم البيت كان أليق به و أسلم من المخالطة فإنّه لم يأمر جميع الصحابة بذلك و ربّ شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت و أن لا يخرج في الجهاد، و ذلك لا يدلّ على أن ترك الجهاد أفضل، و في مخالطة الناس مجاهدة و مقاساة.

و لذلكقال صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم:«الّذي يخالط الناس و يصبر على أذاهم خير من الّذي لا يخالط النّاس و لا يصبر على أذاهم»

و على هذا ينزلقوله صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم:«إنّ اللَّه يحبّ التقيّ الخفيّ»

يريد إيثار الخمول و توقّي الشهرة و ذلك لا يتعلّق بالعزلة فكم من راهب معتزل يعرفه الناس، و كم من مخالط خامل لا ذكر له و لا شهرة، فهذا تعرّض لأمر لا يتعلّق بالعزلة.

و احتجّوا بماروي أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لأصحابه:«ألا أنبّئكم بخير الناس؟ قالوا: بلى فأشار بيده نحو المغرب فقال: رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل اللّه ينتظر أن يغير أو يغار عليه، ألا أنبّئكم بخير الناس بعده؟ و أشار بيده نحو الحجاز و قال: رجل في غنمة يقيم الصّلاة و يؤتي الزكاة و يعلم حقّ اللّه في ماله، اعتزل شرور الناس».

فإذا ظهر أنّ هذه الأدلّة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بدّ من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة، و غوائلها و مقائسة بعضها بالبعض ليتبيّن الحقّ فيها إن شاء اللَّه تعالى.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١١

الباب الثاني فى فوائد العزلة و غوائلها و كشف الحقّ في فضائلها

اعلم أنّ اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح و العزوبة و قد ذكرنا أنّ ذلك يختلف باختلاف الأحوال و الأشخاص بحسب ما فصّلناه من آفات النكاح و فوائده فكذلك القول في ما نحن فيه فلنذكر أوّلا فوائد

العزلة و هي تنقسم إلى فوائد دينيّة و دنيويّة، و الدّينيّة تنقسم إلى تمكّن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة و الفكر و تربية العلم، و إلى تخلّص من ارتكاب المناهي الّتي يتعرّض الإنسان لها بالمخالطة كالرّياء و الغيبة و السّكوت عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و مسارقة الطبع من الأخلاق الرديّة و الأعمال الخبيثة من جلساء السوء و أمّا الدّنيويّة فتنقسم إلى تمكّن من التحصيل بالخلوة كتمكّن المحترف في خلوته، و إلى تخلّص من محذورات يتعرّض لها بالمخالطة، كالنظر إلى زهرة الدّنيا و إقبال الخلق عليها، و طمعه في الناس و

طمع الناس فيه، و انكشاف ستر مروّته بالمخالطة و التأذّي بسوء خلق الجليس في مرائه أو سوء ظنّه أو نميمته أو محاسدته أو التأذّي بثقله و تشويه خلقته، فإلى هذا يرجع

مجامع فوائد العزلة

فلنحصرها في ستّ فوائد.

الفائدة الأولى الفراغ للعبادة،

و الفكر، و الاستيناس بمناجاة اللَّه تعالى عن مناجاة الخلق، و الاشتغال باستكشاف أسرار اللَّه في أمر الدّنيا و الآخرة و ملكوت السماوات و الأرض فإنّ ذلك يستدعي فراغا و لا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة إليه و لهذا قال بعض الحكماء: لا يتمكّن أحد

من الخلوة إلا بالتمسّك بكتاب اللَّه عزّ و جلّ، و المتمسّكون بكتاب اللَّه هم الّذين استراحوا من الدّنيا بذكر اللَّه، و الذاكرون اللَّه باللّه، عاشوا بذكر اللَّه و ماتوا بذكر اللَّه، و لقوا اللّه بذكر اللَّه، و لا شكّ في أنّ هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر و الذكر فالعزلة أولى بهم، و لذلك كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في ابتداء أمره يتبتّل في جبل حراء و ينعزل إليه حتّى قوي فيه نور النبوّة فكان الخلق لا يحجبه عن اللَّه، فكان ببدنه مع الخلق و بقلبه مقبلا على اللَّه، و لن

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٢

يسع للجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا و الإقبال على اللّه سرّا إلا قوّة النبوّة، فلا ينبغي أن يغترّ كلّ ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك و لا يبعد أن ينتهي درجة بعض الأولياء إليه فقد نقل عن الجنيد أنّه قال: أنا اكلّم اللَّه منذ ثلاثين سنة و الناس يظنّون أنّي أكلمهم، و هذا إنّما يتيسّر للمستغرق بحبّ اللَّه استغراقا لا يبقى لغيره فيه متّسع، و ذلك غير منكر، ففي المستهترين بحبّ الخلق من يخالط الناس ببدنه و هو لا يدري ما يقول و ما يقال له لفرط عشقه محبوبه، بل الّذي دهاه ملمّة تشوّش عليه أمرا من أمور دنياه قد يستغرقه الهمّ بحيث يخالط الناس و لا يحسّ بهم و لا يسمع أصواتهم

لشدّة استغراقه، و أمر الآخرة أعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه و لكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة و لذلك قيل لبعض الحكماء: ما الّذي أرادوا بالخلوة و اختيار العزلة؟ فقال: ليستديموا بذلك دوام الفكرة، و تثبّت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيّبة و يذوقوا حلاوة المعرفة.

و قيل لبعض الرّهابين: ما أصبرك على الوحدة؟ فقال: ما أنا وحدي أنا جليس اللَّه إذا شئت أن يناجيني قرأت كتاب اللَّه، و إذا شئت أن أناجيه صلّيت.

و قيل لبعض الحكماء: إلى أيّ شيء أفضى بكم الزّهد و الخلوة؟ فقال: إلى الانس باللّه.

و قال سفيان بن عيينة: لقيت إبراهيم بن أدهم في بلاد الشام فقلت له: يا إبراهيم تركت خراسان فقال: ما تهنّأت بالعيش إلا ههنا أفرّ بديني من شاهق إلى شاهق، فمن رآني يقول: موسوس أو حمّال أو ملاح.

و قيل لغزوان الرّقاشي: هبك لا تضحك فما يمنعك عن مجالسة إخوانك؟ قال: إنّي أصبت راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي.

و قيل: بينما أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيّان فقال له أويس: ما جاء بك؟ قال: جئت لآنس بك، فقال: ما كنت أرى أحدا يعرف ربّه فيأنس بغيره.

و قال الفضيل: إذا رأيت اللّيل مقبلا فرحت به و قلت: أخلو بربّي، و إذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس و أن يجيء من يشغلني عن ربّي.

المحجة البيضاء ج : ٤ ص : ١٣

و قال عبد الواحد بن زيد: طوبى لمن عاش في الدنيا و عاش في الآخرة، فقيل له: و كيف ذلك؟ قال: يناجي اللَّه في الدنيا و يجاوره في الآخرة.

و قال ذو النون المصريّ: سرور المؤمن و لذّته في الخلق بمناجاة ربّه.

و قال مالك بن دينار: من لم يأنس بمحادثة اللَّه عزّ و جلّ عن محادثة

المخلوقين فقد قلّ علمه و عمي قلبه و ضيّع عمره.

و قال ابن المبارك: ما أحسن حال من انقطع إلى اللَّه عزّ و جلّ.

و يروى عن بعض الصالحين أنّه قال: بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال، فلمّا نظر إليّ تنحّى إلى أصل شجرة و تستّر بها فقلت: سبحان اللَّه تبخل عليّ بالنظر إليك؟ فقال: يا هذا إنّي أقمت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا و أهلها فطال في ذلك تعبي و فنى فيه عمري فسألت اللَّه تعالى أن لا يجعل حظّي من أيّامي في مجاهدة قلبي فسكّنه اللَّه عن الاضطراب، و ألفه

الوحدة و الانفراد، فلمّا نظرت إليك خفت أن أوقع في الأمر الأوّل فإليك عنّي فإنّي أعوذ من شرّك بربّ العارفين و حبيب القانتين، ثمّ صاح واغمّاه من طول المكث في الدنيا ثمّ حوّل وجهه عنّي، ثمّ نفض يديه، و قال: إليك عنّي يا دنيا لغيري فتزيّني، و أهلك فغرّي، ثمّ قال: سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذّة الخلوة و حلاوة الانقطاع إليه، ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان، و عن الحور الحسان. فإذن في الخلوة انس بذكر اللّه و استكثار من معرفة اللّه و في ذلك قيل:

و إنّي لأستنعس و ما بي نعسة لعلّ خيالا منك يلقى خياليا

و أخرج من بين الجلوس لعلّني أحدّث نفسي عنك بالسرّ خالياو لذلك قال بعض الحكماء: إنّما يستوحش الإنسان من نفسه لخلوّ ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس، و يطرد الوحشة عن نفسه، فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة و يستخرج العلم و الحكمة.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٤

و قد قيل: الاستيناس بالناس من علامات الإفلاس.

فإذن هذه فائدة جليلة و لكن في حقّ بعض الخواصّ و من تيسّر له بدوام الذكر الانس باللّه أو بدوام الفكر التحقيق في معرفة اللَّه فالتجرّد له أفضل من كلّ ما يتعلّق بالمخالطة فإنّ غاية العبادات و ثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محبّا للّه عارفا باللّه و لا محبّة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر و لا معرفة إلا بدوام الفكر و فراغ القلب شرط كلّ واحد منهما و لا فراغ مع المخالطة.

الفائدة الثانية التخلّص بالعزلة عن المعاصي

الّتي يتعرّض الإنسان لها غالبا بالمخالطة و يسلم منها في الخلوة و هي أربعة: الغيبة، و الرياء، و

السكوت عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و مسارقة الطبع من الأخلاق الرديّة و الأعمال الخبيثة الّتي يوجبها الحرص على الدنيا.

أمّا الغيبة فإذا عرفت في كتاب آفات اللّسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت أن التحرّز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصدّيقون، فإنّ عادة الناس كافّة التمضمض بأعراض الناس و التفكّه بها، و التنقّل بحلاوتها، فهي طعمتهم و لذّتهم، و إليها يستروحون من وحشتهم في الوحشة فإن خالطتهم و وافقت أثمت و تعرّضت لسخط اللّه، و إن سكت كنت شريكا و المستمع أحد

المغتابين، و إن أنكرت أبغضوك و تركوا ذلك المغتاب و اغتابوك فازدادوا غيبة إلى الغيبة، و ربّما زادوا على الغيبة و انتهوا إلى الاستخفاف و الشتم.

و أمّا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فهو من أصول الدّين [و هو واجب] كما سيأتي بيانه في هذا الربع إن شاء اللّه، و من خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات، فإن سكت عصى اللّه به و إن أنكره تعرّض لأنواع من الضرر ربّما يجرّه الخلاص منها إلى معاصي هي أكثر ممّا نهي عنه ابتداء، و في العزلة خلاص من هذا فإنّ الأمر في إهماله شديد و القيام به شاقّ.

فعن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إذا رأي الناس المنكر و لم يغيّروه أو شك أن يعمّهم اللَّه

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٥

بعقاب».

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إنّ اللَّه يسأل العبد حتّى يقول: ما منعك إذا رأيت المنكر في الدنيا أن تنكره فإذا لقّن اللَّه عبدا حجّته قال: يا ربّ رجوتك و خفت الناس»

و هذا إذا خاف من ضرر أو أمر لا يطاق، و معرفة حدود ذلك مشكل و فيه خطر، و في العزلة خلاص، و في الأمر بالمعروف

إثارة للخصومات و تحريك لغوائل الصدور كما قيل شعرا:

و كم سقت في آثاركم من نصيحة و قد يستفيد البغضة المتنصّحو من جرّب الأمر بالمعروف ندم عليه غالبا فإنّه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه، فإذا سقط عليه يقول: يا ليتني تركته مائلا، نعم لو وجد أعوانا أمسكوا الحائط حتّى يحكمه بدعامة لاستقام، و أنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم و انج برأسك.

و أمّا الرياء فهو الدّاء العضال الّذي يعسر على الأوتاد و الأبدال الاحتراز عنه، و كلّ من خالط الناس داراهم و من داراهم راءاهم و

من راءاهم وقع فيما وقعوا و هلك كما هلكوا، و أقلّ ما يلزم فيه النفاق فإنّك إن خالطت متعاديين و لم تلق كلّ واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا إليهما جميعا و إن جاملتهما كنت من شرار الناس ذا الوجهين [١]، و أقلّ ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق و المبالغة فيه، و لا يخلو ذلك عن كذب إمّا في الأصل و إمّا في الزيادة و إظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال.

و كان إذا قيل لعيسى عليه السّلام: كيف أصبحت، قال: أصبحت لا أملك نفع ما

---

[١] في الاحياء هكذا «و ان جاملتهما كنت من شرار الناس. وقال صلى اللّه عليه و آله و سلّم:«تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه و هؤلاء بوجه».

و قال عليه السّلام:«ان من شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه و هؤلاء بوجه و أقل ما يجب الخ».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٦

أرجو، و لا أستطيع دفع ما احاذر، و أصبحت مرتهنا بعملي و الخير كلّه في يد غيري، فلا فقير أفقر منّي.

و كان الربيع بن خثيم إذا قيل له: كيف أصبحت، قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين، نستوفي أرزاقنا و ننتظر آجالنا.

و كان أبو الدّرداء إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بخير إن نجوت من النّار.

فقد كان سؤالهم عن أمور الدّين و أحوال القلب في معاملة اللّه و إن سألوا عن أمور الدّنيا فعن اهتمام و عزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة.

و قال بعضهم: إنّي لأعرف أقواما كانوا يتلاقون و لو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه، و أرى الآن أقواما يتلاقون و يسألون حتّى الدّجاجة في البيت، و

لو انبسط أحدهم لحبّة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا إلا مجرّد الرياء و النفاق؟ و آية ذلك أنّك ترى هذا يقول: كيف أنت؟ و يقول الآخر:

كيف أنت؟ و السائل لا ينتظر الجواب و المسئول يشتغل بالسؤال و لا يجيب، و ذلك لمعرفتهم بأنّ ذلك عن رياء و تكلّف، و لعلّ القلوب لا تخلو عن ضغائن و أحقاد و الألسنة تنطلق بالسؤال و المقصود أنّ الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو عن أنواع من التصنّع و الرياء و النفاق، و كلّ ذلك مذمومات بعضها محظور و بعضها مكروه، و في العزلة الخلاص من ذلك، فإنّ من لقي

الخلق و لم يخالقهم بأخلاقهم مقتّوه و استثقلوه و اغتابوه و تشمرّوا لإيذائه فيذهب دينهم فيه و دينه و دنياه في الانتقام منهم.

و أمّا مسارقة الطبع لما يشاهده من أعمال الناس و أخلاقهم فهو داء دفين قلّما يتنبّه له العقلاء فضلا عن الغافلين، فلا يجالس الإنسان فاسقا مدّة مع كونه منكرا عليه في باطنه إلا و لو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينها تفرقة في النفرة عن الفساد و استثقاله إذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هيّنا على الطبع و يسقط وقعه و استعظامه له، و إنّما الوازع عنه شدّة وقعه في القلب فإذا صار مستصغرا بطول

البيضاء ج : ٤ ص : ١٧

المشاهدة أو شك أن تنحل القوّة الوازعة، و يذعن الطبع للميل إليه أو لما دونه و مهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه، و لذلك يزدري الناظر إلى الأغنياء نعمة اللَّه عليه فيؤثر مجالستهم في أن يستصغر ما عنده، و يؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما اتيح له من النعم، فكذلك النظر إلى المطيعين و العصاة و هذا تأثيره في الطبع، فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة و التابعين في العبادة و التنزّه عن الدّنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار،

و إلى عبادته بعين الاستحقار، و ما دام يرى نفسه مقصّرا، لا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال و استيمالا للاقتداء، و من نظر إلى الأحوال الغالبة على أهل الزّمان و إعراضهم عن اللّه، و إقبالهم على الدّنيا، و اعتيادهم للمعاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه، و ذلك هو الهلاك، و يكفي في تغيير الطبع مجرّد سماع الخير و الشرّ فضلا عن مشاهدته.

و بهذه الدقيقة يعرف سرّقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«عند ذكر الصالحين تنزل الرّحمة»

فإنّما الرّحمة دخول الجنّة و لقاء اللَّه و ليس ينزل عند الذكر عين ذلك و لكن سببه و هو انبعاث الرغبة من القلب و حركة الحرص على الاقتداء بهم و الاستنكاف ممّا هو ملابس له من القصور و التقصير، و مبدء الرحمة فعل الخير، و مبدء فعل الخير الرّغبة، و مبدء الرغبة ذكر أحوال الصالحين، فهذا معنى نزول الرحمة، و المفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من نظمه و هو أنّ عند ذكر الفاسقين تنزل اللّعنة لأنّ كثرة ذكرهم تهوّن على الطبع أمر المعاصي، و اللّعنة هو البعد و مبدء البعد من اللَّه المعاصي و الإعراض عن اللَّه

بالإقبال على الحظوظ العاجلة و الشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع، و مبدء المعاصي سقوط ثقلها و تفاحشها عن القلب، و مبدء سقوط ذلك وقوع الانس بها بكثرة السماع و إذا كان هذا ذكر حال الصالحين و الفاسقين فما ظنّك بمشاهدتهم، بل قد صرّح به رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٨

حيثقال:«مثل الجليس السوء كمثل القين إن لم يحرقك بشرر ناره، علّق بك من ريحه»

فكما أنّ الريح يعبق بالثوب و لا يشعر بها فكذلك يسهل الفساد على القلب و هو لا يشعر به.
و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«مثل الجليس الصّالح مثل صاحب المسك إن لا يهب لك منه تجد ريحه»

و لهذا أقول: من عرف من عالم زلّة حرم عليه حكايتها، لعلّتين إحداهما أنّه غيبة و الثانية – و هي أعظمها – أنّ حكايتها تهوّن على المستمعين أمر تلك الزّلّة و يسقط من قلوبهم استعظامهم للإقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية فإنّه مهما وقع فيها و استنكر ذلك دفع الاستنكار فقال:

كيف يستبعد هذا منّا و كلّنا مضطرّون إلى مثله حتّى العلماء و العبّاد و لو اعتقد أنّ مثل ذلك لا يقدم عليه عالم فلا يتعاطاه مرموق معتبر لشقّ عليه الإقدام، و الطبع اللّئيم يميل إلى اتّباع الهفوات و الإعراض عن الحسنات، بل إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلّل به، و هذا من دقائق مكائد الشيطان و لذلك وصف اللّه تعالى المراغمين للشيطان فيها بقوله تعالى:الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه ٣٩: ١٨.

و ضرب صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لذلك مثلا و قال:«مثل الّذي يجلس يستمع الحكمة ثمّ لا يحمل

منها إلا شرّ ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال: يا راعي أجزر لي شاة من الغنم فقال: اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم».

و ممّا يدلّ على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرّره و مشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر في نهار رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضي اعتقادهم

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٩

إلى كفره و قد يشاهدون من يخرج الصّلوات عن أوقاتها و لا ينفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع أنّ صلاة واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم، و جزّ الرقبة عند

قوم، و ترك الصّوم لا يقتضيه و لا سبب له إلا أنّ الصّلاة تتكرّر و التساهل فيها ممّا يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب، و كذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير أو خاتما من ذهب أو شرب من إناء فضّة استبعده النفوس و اشتدّ إنكارها و قد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلّم إلا بما هو اغتياب النّاس و لا يستبعد منه ذلك، و الغيبة أشد من الزّنا فكيف لا يكون أشدّ من لبس الحرير؟ و لكن كثرة سماع الغيبة و مشاهدة المغتابين أسقط عن القلوب وقعها و هوّن على النفوس أمرها.

فتفطّن لهذه الدّقايق و فرّ من الناس فرارك من الأسد فإنّك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد في حرصك على

الدّنيا و غفلتك عن الآخرة و يهوّن عليك المعصية و يضعف رغبتك في الطاعة، فإن وجدت جليسا يذكّرك اللَّه صورته و سيرته فألزمه و لا تفارقه و اغتنمه و لا تستحقره فإنّها غنيمة العاقل و ضالّة المؤمن، و تحقّق أنّ الجليس الصّالح خير من الوحدة، و أنّ الوحدة خير من الجليس السوء، و مهما فهمت هذه المعاني و لاحظت طبعك و التفتّ إلى من أردت مخالطته لم يخف عليك أنّ الأولى التّباعد عنه بالعزلة أو التقرّب إليه بالخلطة، و إيّاك أن تحكم مطلقا على العزلة و الخلطة بأنّ إحداهما أولى، إذ كلّ مفصّل فإطلاق القول

فيه بلا أو نعم خلف محض، و لا حقّ في المفصّل إلا التفصيل.

الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن و الخصومات

و صيانة الدّين و النفس عن الخوض فيها و التعرّض لأخطارها و قلّما يخلو البلاد عن تعصّبات و فتن و خصومات، فالمعتزل عنهم في سلامة من ذلك.

قال عبد اللَّه بن عمرو بن العاص:لمّا ذكر رسول اللَّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الفتن و وصفها و قال: «إذا رأيت الناس مرجت عهودهم و خفّت أماناتهم، و كانوا هكذا – و شبّك بين أصابعه – فقلت: و ما تأمرني؟ فقال: ألزم

بيتك، و أملك عليك لسانك، و خذ ما

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٠

تعرف، و دع ما تنكر، و عليك بأمر الخاصّة، و ضع عنك أمر العامّة».

و روى أبو سعيد الخدري أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاب الجبال و مواقع القطر، يفرّ بدينه من الفتن».

و روى عبد اللَّه بن مسعود أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«سيأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فرّ بدينه من قرية إلى قرية، و من شاهق إلى

شاهق، و من حجر إلى حجر، كالثعلب الّذي يروغ، قيل: و متى ذلك يا رسول اللّه؟ قال: إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصي اللّه فإذا كان ذلك الزمان حلّت العزوبة، قالوا: و كيف ذلك يا رسول اللّه، و قد أمرتنا بالتّزويج؟ قال: إذا كان ذلك الزّمان كان هلاك الرّجل على يدي أبويه، فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته و ولده، فإن لم يكن فعلى يدي قرابته، قالوا: فكيف ذلك يا رسول اللّه؟ قال: يعيّرونه بضيق اليد فيتكلّف ما لا يطيق حتّى يورده ذلك موارد الهلكة».

و هذا الحديث و إن كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منها إذ لا يستغني المتأهّل عن المعيشة و

المخالطة ثمّ لا ينال المعيشة إلا بمعصية اللَّه، و لست أقول: هذا أوان ذلك فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر.

و قال ابن مسعود:«ذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الفتنة و أيّام الهرج قلت: و ما الهرج؟ قال: حين لا يأمن الرّجل جليسه، قلت: فبم تأمرني إن أدركت ذلك الزّمان؟ قال: كفّ نفسك و يدك و ادخل دارك، قال: قلت: أ رأيت يا رسول اللّه إن دخل على داري؟ قال: فادخل بيتك، قلت: إن دخل على بيتي؟ قال: فادخل

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢١

مسجدك و اصنع هكذا – و قبض على الكوع – و قل: ربّي اللّه حتّى تموت».

و كان في الصّحابة عشرة آلاف فما خفّ أيّام الفتنة أكثر من أربعين رجلا.

و جلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك، فقال: فساد الزّمان و حيف الأئمّة.

و لما بني عروة قصره بالعقيق و لزمه و لم يخرج قيل له: لزمت القصر و تركت مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: رأيت مساجدكم لاهية، و أسواقكم لاغية، و الفاحشة في فجاجكم عالية، و فيما هناك عمّا أنتم فيه عافية.

فإذن الحذر من الخصومات و مثارات الفتن إحدى فوائد العزلة.

الفائدة الرابعة الخلاص من شرّ الناس

فإنّهم يؤذونك مرّة بالغيبة و مرّة بسوء الظنّ و التهمة و مرّة بالاقتراحات و الأطماع الكاذبة الّتي يعسر الوفاء بها و تارة بالنميمة و الكذب، فربما يرون منك من الأعمال و الأقوال ما لا يبلغ عقولهم كنهه فيتّخذون ذلك ذخيرة عندهم يدّخرونها لوقت يظهر فيه فرصة للشرّ فإذا اعتزلتهم استغنيت من التحفّظ عن جميع ذلك، و لذلك قال بعض الحكماء لغيره: أعلّمك بيتين خيرا من عشرة آلاف درهم فقال: ما هما فقال شعرا:

اخفض الصّوت إنّ نطقت بليل و التفت بالنّهار قبل المقال

ليس للقول رجعة حين يبدو بقبيح يكون أو بجمالو لا شكّ أنّ من اختلط الناس و شاركهم في أعمالهم لم ينفكّ من حاسد و عدوّ يسيء الظنّ به و يتوهّم أنّه يستعدّ لمعاداته و لنصب المكيدة عليه و لتدسيس غائلة وراءه، فالناس مهما أشتدّ حرصهم على أمريحسبون كلَّ صيحة عليهم هم العدو، فاحذرهم ٦٣: ٤و قد اشتدّ حرصهم على الدّنيا فلا يظنّون بغيرهم إلا الحرص عليها.

قال المتنبّي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه و صدّق ما يعتاده من توهّم

و عادى محبّيه بقول عداته و أصبح في ليل من الشكّ مظلم

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٢

و قد قيل: معاشرة الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار، و أنواع الشرّ الّذي يلقاه الإنسان من معارفه و من يختلط به كثيرة و لسنا نطول بتفصيلها و فيما ذكرناه إشارة إلى مجامعها و في العزلة خلاص عن جميعها و إلى هذا أشار أكثر من اختار العزلة، فقال أبو الدّرداء: أخبر تقله، و قال الشاعر:

من حمد الناس و لم يبلهم
ثم بلاهم ذمّ من يحمد
و صار بالوحدة مستأنسا
يوحشه الأقرب و الأبعدو قال ابن السماك: كتب صاحب لنا: أمّا بعد فإنّ الناس كانوا دواء يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء لهم، ففرّ منهم فرارك من الأسد.

و كان بعض الأعراب يلازم شجرة و يقول: هو نديم فيه ثلاث خصال: إن سمع منّي لم ينمّ، و إن تفلت في وجهه احتمل، و إن عربدت معه لم يغضب، فسمع الرشيد ذلك فقال: زهّدني في الندماء.

و كان بعضهم قد لزم المقابر و الدّفاتر فقيل له: في ذلك فقال: لم

أر أسلم من الوحدة، و لا أوعظ من قبر، و لا جليسا أمتع من دفتر.

و كان بعضهم يريد الحجّ و أراد آخر مصاحبته، فقال له: دعنا ويحك نتعايش بستر اللَّه إنّي أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه.

و هذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة و هو بقاء الستر على الدّين و المروة و الأخلاق و الفقر و سائر العورات، و قد مدح اللَّه سبحانه المتستّرين فقال:يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفّف ٢: ٢٧٣و قال الشاعر:

و لا عار إن زالت عن الحرّ نعمة و لكنّ عارا أن يزول التجمّلو لا يخلو الإنسان

في دينه و دنياه و أخلاقه و أفعاله عن عورات الأولى في الدّين و الدّنيا سترها و لا تبقى السّلامة مع انكشافها.

و قال أبو الدّرداء: كان الناس ورقا لا شوك فيه و الناس اليوم شوك لا ورق فيه.

و إذا كان هذا حكم زمانه و هو في آخر القرن الأوّل فلا ينبغي أن تشكّ

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٣

في أنّ الأخير شرّ.

و قيل: أقلّ من معرفة الناس فإنّ التخلّص منهم شديد، و لا أحسب أنّي رأيت ما أكره إلا ممّن عرفت.

و قال بعضهم: جئت إلى مالك بن دينار و هو قاعد وحده و إذا كلب

قد وضع حنكه على ركبته فذهبت أطرده فقال لي: دعه يا هذا، هذا لا يضرّ و لا يؤذي و هو خير من الجليس السوء.

و قيل لبعضهم: ما حملك على أن تعتزل الناس؟ قال: خشيت أن أسلب ديني و لا أشعر. و هذا إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرين السوء.

و قال أبو الدّرداء: اتّقوا اللَّه و احذروا الناس فإنّهم ما ركبوا ظهر بعير إلا أدبروه، و لا ظهر جواد إلا عقروه، و لا قلب مؤمن إلا خرّبوه.

و قال بعضهم: اقلل المعارف فإنّه أسلم لدينك و قلبك، و أخفّ لسقوط الحقوق عنك لأنّه كلّما كثرت

المعارف كثرت الحقوق و عسر القيام بالجميع.

و قال بعضهم: أنكر من تعرف و لا تتعرّف إلى من لا تعرف.

الفائدة الخامسة أن ينقطع طمع الناس عنك و ينقطع طمعك عن الناس،

فأمّا انقطاع طمع الناس ففيه كلّ الجدوى فإنّ رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء بإصلاح نفسه أولى، و من أهون الحقوق و أيسرها حضور الجنائز و عيادة المرضى و حضور الولائم و الاملاكات و فيها تضييع الأوقات و التعرّض للآفات، ثمّ قد يعوق عن بعضها عائق و تستقبل فيها معاذير و لا يمكن إظهار كلّ الأعذار فيقولون: قمت

بحقّ فلان و قصّرت في حقّي، و يصير ذلك سبب عداوة، فقد قيل: من لم يعد مريضا في وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله إذا صحّ على تقصيره، و من عمّم الناس كلّهم بالحرمان رضوا عنه كلّهم و لو خصّص استوحشوا، و تعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرّد له طول اللّيل و النّهار، فكيف من له مهمّ يشغله في دين أو دنيا؟ و قد قيل: كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء، و قال ابن الروميّ شعرا:

عدوّك من صديقك مستفاد

فلا تستكثرنّ من الصّحاب

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٤

فإنّ الدّاء أوّل ما تراه يكون من الطعام أو الشرابو قيل: أصل كلّ عداوة اصطناع المعروف إلى اللّئام.

و أمّا انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة فإنّ من نظر إلى زهرة الدّنيا و زينتها تحرّك حرصه، و انبعث بقوّة الحرص طمعه، و لا يرى إلا الخيبة في أكثر الأطماع فيتأذّى به، و مهما اعتزل لم يشاهد، و إذا لم يشاهد لم يشته و لم يطمع و لذلك قال تعالى:و لا تمدَّنَّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجا منهم ١٥: ٨٨.

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«انظروا إلى من هو دونكم و لا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنّه

أجدر أن لا تزدروا نعمة اللَّه عليكم».

و قال عون بن عبد اللّه: كنت اجالس الأغنياء فلم أزل مغموما، كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبي، و دابّة أفره من دابّتي، فجالست الفقراء و استرحت.

و حكي أنّ المزني خرج من باب جامع الفسطاط و قد أقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما رأى من حاله و حسن هيئته فتلا قوله تعالى:و جعلنا بعضكم لبعض فتنة أ تصبرون ۲۵: ۲۰ثمّ قال: بلى أصبر و أرضى – و كان فقيرا مقلا – فالّذي هو في بيته لا يبتلي بمثل هذه الفتنة فإنّ من شاهد زينة الدّنيا فإمّا أن يقوى دينه و يقينه فيصبر

فيحتاج إلى أن يتجرّع مرارة الصبر – و هو أمرّ من الصبر – أو تتبعث رغبته فيحتال في طلب الدّنيا فيهلك هلاكا مؤبّدا أمّا في الدّنيا فبالطّمع الّذي يخيب في أكثر الأوقات، فليس كلّ من يطلب الدّنيا يتيسّر له، و أمّا في الآخرة فبإيثاره متاع الدّنيا على ذكر اللّه تعالى و التقرّب إليه و لذلك قال ابن الأعرابيّ:

إذا كان باب الذّل من جانب الغني سموت إلى العلياء من جانب الفقرأشار إلى أنّ الطمع يوجب في الحال ذلا.

المحجة البيضاء ج : ٤ ص : ٢٥

الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء و الحمقى

و مقاساة حمقهم و أخلاقهم فإنّ رؤية الثقيل هي العمى الأصغر.

و قيل للأعمش: ممّ عمشت؟ قال: من النظر إلى الثقلاء.

و يحكى أنّه دخل عليه أبو حنيفة فقال له: في الخبر «من سلب اللَّه كريمته عوّضه عنهما ما هو خير منهما» فما الّذي عوّضك؟ فقال في معرض المطايبة:

عوّضني عنهما أنّه كفاني رؤية الثقلاء و أنت منهم.

و قال ابن سيرين: سمعت رجلا يقول: نظرت إلى ثقيل مرّة فغشي عليّ.

و قال جالينوس: لكلّ شيء حمّى و حمّى الرّوح النظر إلى الثقلاء. و هذه فوائد ما سوى الأوليين متعلّقة بالمقاصد الدّنيوية الحاضرة، و لكنّها تتعلّق أيضا بالدّين فإنّ الإنسان مهما تأذّى برؤية ثقيل لم يلبث أن يغتابه و أن يستنكر ما هو صنع اللَّه و إذا تأذّى من غيره بغيبة أو سوء ظنّ أو محاسدة أو نميمة أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته و كلّ ذلك يجرّ إلى فساد الدّين و في العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم.

آفات العزلة

اعلم أنّ من المقاصد الدّينيّة و الدّنيويّة ما يستفاد من الاستعانة بالغير و لا يحصل ذلك إلا

بالمخالطة، فكلّ ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة، و فواته من آفات العزلة، فانظر إلى فوائد المخالطة و الدّواعي إليها ما هي؟

و هي التعليم و التعلّم، و النفع و الانتفاع، و التأديب و التّأدّب، و الاستيناس و الإيناس، و إنالة الثواب و نيله في القيام بالحقوق، و اعتياد التواضع، و استفادة التجارب من مشاهدة الأحوال و الاعتبار بها، فلنفصّل ذلك فإنّها من

فوائد المخالطة

و هي سبعة:

الفائدة الأولى التعليم و التعلّم

و قد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم و هما من أعظم العبادات في الدنيا و لا يتصوّر ذلك إلا بالمخالطة إلا

أنّ العلوم كثيرة و عن بعضها مندوحة، و بعضها ضروريّ في الدّنيا، فالمحتاج إلى التعلّم لما هو فرض عليه عاص

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٦

بالعزلة، فإن تعلّم الفرض و كان لا يتأتّى منه الخوض في العلوم و رأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل، و إن كان يقدر على التبحّر في علوم الشرع و العقل، فالعزلة في حقّه قبل التعلّم غاية الخسران، و لهذا قال النخعيّ و غيره: تفقّه ثمّ اعتزل، و من اعتزل قبل التعلّم فهو في الأكثر مضيّع أوقاته بنوم أو فكر في هوس، و غايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها فلا ينفكّ

في أعماله بالبدن و القلب عن أنواع من الغرور يخيب سعيه، و يبطل عمله من حيث لا يدري و لا ينفكّ في اعتقاده في اللَّه تعالى و صفاته عن أوهام يتوهّمها و يأنس بها و عن خواطر فاسدة تعتريه فيها، فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان و هو يرى نفسه من العبّاد فالعلم هو أصل الدّين فلا خير في عزلة العوام و الجهّال، أعني من لا يحسن العبادة في الخلوة و لا يعرف جميع ما يلزمه فيها، فمثال النفس مثال مريض يفتقر إلى طبيب متلطّف ليعالجه، فالمريض الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلّم الطبّ تضاعف ضرره، لا محالة مرضه، فلا تليق العزلة إلا

بالعالم، و أمّا التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحّت نيّة المتعلّم و المعلّم، و مهما كان القصد إقامة الجاه و الاستكثار بالأصحاب و الأتباع فهو هلاك الدّين، و قد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم، و حكم العالم في هذا الزّمان أن يعتزل إن أراد سلامة دينه، فإنّه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب إلا لكلام مزخرف يستمال به العوام في معرض الوعظ أو لجدال معتقد موصل به إلى إفحام الأقران و يتقرّب به إلى السلطان و يستعمل في معرض المنافسة و المباهاة، و أقرب علم مرغوب فيه: المذهب و لا يطلب غالبا إلا للتوصّل إلى التقدّم على الأمثال و تولّى الولايات

و اجتلاب الأموال، و هؤلاء كلّهم يقتضي الدّين و الحزم الاعتزال عنهم، فإن صودف طالب للّه و متقرّب بالعلم إلى اللَّه فأكبر الكبائر الاعتزال عنه و كتمان العلم منه، و هذا لا يصادف في بلد كبير أكثر من واحد أو اثنين أو ثلاثة إن صودف، و لا ينبغي أن يغترّ الإنسان بقول سفيان: تعلّمنا العلم لغير اللَّه، فأبي العلم أن يكون إلا للّه، و إنّ الفقهاء يتعلّمون لغير اللَّه ثمّ يرجعون إلى اللَّه فانظر إلى أواخر أعمار الأكثرين منهم و اعتبرهم أنّهم ماتوا و هم

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٧

هلكى على طلب الدنيا و متكالبين عليها أو راغبين عنها و زاهدين فيها، و ليس الخبر كالمعاينة.

و اعلم أنّ العلم الّذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث و تفسير القرآن و معرفة سير الأنبياء و الصحابة فإنّ فيها التخويف و التحذير و هي سبب لإثارة الخوف من اللَّه فإن لم يؤثّر في الحال أثّر في المال، فأمّا الكلام و الفقه المجرّد الّذي يتعلّق بفتاوي المعاملات و فصل الخصومات لا يردّ الراغب فيه للدّنيا إلى اللَّه بل لا يزال متماديا في حرصه إلى آخر عمره، و لعلّ ما أودعناه هذا الكتاب إن تعلّمه المتعلّم رغبة في الدّنيا فيجوز أن يرخّص فيه إذ يرجى أن

ينزجر به في آخر عمره فإنّه مشحون بالتخويف باللّه و بالترغيب في الآخرة و التحذير من الدّنيا و ذلك ممّا يصادف في الأحاديث و تفسير القرآن و لا يصادف في كلام و لا فقه فلا ينبغي أن يخادع الإنسان نفسه فإنّ المقصّر العالم بتقصيره أسعد حالا من الجاهل المغرور أو المتجاهل المغبون، فكلّ عالم اشتدّ حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه الجاه و القبول، و حظّه تلذّذ النفس في الحال باستشعار الإدلال على الجهّال و التكبّر عليهم، فآفة العلم الخيلاء كما قاله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم [١] و قد نبّهنا على ذلك في كتاب العلم.

و الحزم الاحتراز بالعزلة و ترك الاستكثار من الأصحاب ما أمكن بل الّذي يطلب الدّنيا بتدريسه و تعليمه فالصواب له إن كان عاقلا في هذا الزمان أن يتركه، فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال: دع الرّاغبين في صحبتك و التعلّم منك فليس لك منهم مال و لا جمال، إخوان العلانية أعداء السرّ، إذا لقوك تملّقوك، و إذا غبت عنهم سلقوك، من أتاك كان عليك رقيبا و إذا خرج كان عليك خطيبا، أهل نفاق و نميمة، و غلّ و خديعة، فلا تغترّ باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه و المال، و أن يتّخذوك سلّما إلى أوطارهم، و حمارا في حاجاتهم، إن قصرت في

---

[١] قال العراقي: المعروف ما رواه مطين في مسنده من حديث على بن أبي طالب بسند ضعيف هكذا «آفة العلم النسيان، و آفة الجمال الخيلاء».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٨

غرض من أغراضهم كانوا أشدّ أعدائك ثمّ يعدّون تردّدهم إليك دالّة عليك و يرونه حقّا واجبا لديك، و يفرضون عليك أن تبذل عرضك و جاهك و دينك لهم فتعادي عدوّهم و تنصر قرينهم و خادمهم و وليّهم، و تنتهض لهم سفيها و قد كنت فقيها،

و تكون لهم تابعا خسيسا بعد أن كنت متبوعا رئيسا، و لذلك قيل: اعتزال العامّة مروّة تامّة.

فهذا معنى كلامه و إن خالف بعض ألفاظه و هو حقّ و صدق فإنّك ترى المدرّس في رقّ دائم و تحت حقّ لازم و منّة ثقيلة ممّن يتردّد إليه، فكأنّه يهدى تحفة إليه فيرى حقّه واجبا عليه، و ربّما لا يختلف إليه ما لم يتكفّل برزق له على الإدرار، ثمّ المدرّس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله، فلا يزال يتردّد إلى أبواب السلاطين و يقاسي الذلّ و الشدائد مقاساة الذليل المهين حتّى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام، ثمّ لا يزال العامل يسترقّه و يستخدمه

و يمتهنه و يستذلّه إلى أن يسلّم إليه ما يقدّره نعمة مستأنفة من عنده عليه، ثمّ يبقى في مقاساة القسمة على أصحابه، إن سوى بينهم مقته المبرّزون و نسبوه إلى الحمق و قلّة التمييز و القصور عن درك مصارفات الفضل و القيام في مقادير الحقوق بالعدل، و إن فاوت بينهم سلقه السفهاء بألسنة حداد، و ثاروا عليه ثوران الأساود و الآساد فلا يزال في مقاساتهم في الدّنيا و في مظالم ما يأخذه و يفرّقه في العقبى، و العجب أنّه مع هذا البلاء كلّه تمنّيه نفسه بالأباطيل و تدلّيه بحل الغرور و تقول له: لا تفتر عن صنيعك فإنّما أنت بما تفعله مريد وجه اللَّه، و مذيع شرع رسول

اللَّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و ناشر علم دين اللَّه، و قائم بكفاية طلاب العلم من عباد اللَّه، و أموال السلاطين لا مالك لها و هي مرصدة للمصالح و أيّ مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم، فبهم يظهر الدّين و يتقوّى أهله و لو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٩

تأمّل أنّ فساد الزّمان لا سبب له إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الّذين يأكلون ما يجدون و لا يميّزون بين الحلال و الحرام فتلحظهم أعين الجهّال و يستجرءون على المعاصي باستجرائهم، اقتداء بهم و اقتفاء لآثارهم، و لذلك قيل: ما

فسدت الرّعية إلا بفساد الملوك و ما فسدت الملوك إلا بفساد العلماء، فنعوذ باللّه من الغرور و العمى، فإنّه الدّاء الدّفين الّذي ليس له دواء.

الفائدة الثانية النفع و الانتفاع،

و أمّا الانتفاع بالناس فبالكسب و المعاملة، و ذلك لا يتأتّى إلا بالمخالطة، و المحتاج إليه مضطرّ إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرنا في كتاب الكسب و إن كان معه مال لو اكتفى به قانعا لأقنعه فالعزلة أفضل له إذا انسدّت طرق المكاسب في الأكثر إلا من المعاصي إلا أن يكون غرضه الصدقة بكسبه فإذا اكتسب من وجهه و تصدّق فهو أفضل من

العزلة للاشتغال بالنافلة، و ليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقيق في معرفة اللَّه و معرفة علوم الشرع و لا من الإقبال بكنه الهمّة على اللَّه و التجرّد بها لذكر اللَّه، أعني من حصل له انس بمناجاة اللَّه عن كشف و بصيرة لا عن تعبير أوهام و خيالات فاسدة، و أمّا النفع فهو أن ينفع الناس إمّا بماله أو ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة، ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب و ذلك لا ينال إلا بالمخالطة و من قدر عليه من القيام بحدود الشرع فهو أفضل له من العزلة إن كان لا يشتغل في عزلته إلا بنوافل الصلوات و الأعمال البدنيّة و إن كان ممّن

انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره البتّة.

الفائدة الثالثة التأديب و التّأدّب

و نعني به الارتياض بمقاساة الناس و المجاهدة في تحمّل أذاهم كسرا للنفس، و قهرا للشهوات، و هي من الفوائد الّتي تستفاد بالمخالطة، و هي أفضل من العزلة في حقّ من لم يتهذّب بعد أخلاقه و لم تذعن لحدود الشرع شهواته، و ذلك ممّا يحتاج إليه في بداية الإرادة فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أنّ الدّابّة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد بها أن يتّخذ مركبا يقطع به المراحل، و يطوي

على ظهره الطريق، فالبدن هو مطيّة القلب

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٠

يركبها ليسلك بها طريق الآخرة، و فيها شهوات إن لم يكسرها جمحت به في الطريق، فمن اشتغل طول عمره بالرّياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدّابّة برياضتها و لم يركبها فلا يستفيد بها إلا الخلاص في الحال من عضّها و فرسها و رمحها، و هي لعمري فائدة مقصودة و لكنّ مثلها حاصل من البهيمة الميّتة و الدّابّة تراد لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص عن ألم الشّهوات في الحال يحصل بالنّوم و الموت فلا ينبغي أن يقنع بها

كالرّاهب الّذي قيل له: يا راهب فقال: ما أنا براهب إنّما أنا كلب حبست نفسي حتّى لا أعقر الناس، و هذا حسن بالإضافة إلى من يعقر الناس و لكن ينبغي أن لا يقتصر عليه فإنّ من قتل نفسه أيضا لم يعقر الناس بل ينبغي أن يتشوّق إلى الغاية المقصودة لها، و من فهم ذلك و اهتدى إلى الطريق و قدر على السلوك استبان له أنّ العزلة أعون عليه من المخالطة و الأفضل لمثل هذا الشخص المخالطة أوّلا و العزلة آخرا.

و أمّا التأديب فإنّما نعني به أن يزجر غيره و هو حال المعلّم مع المتعلّم، و يتطرّق إليه من دقائق الآفات و الرّياء ما مرّ ذكره في

كتاب العلم، فينبغي أن يقيس ما يتيسّر له من الخلوة بما يتيسّر له من المخالطة و تهذيب القوم و ليقابل إحداهما بالاخرى و ليؤثر الأفضل، و ذلك يدرك بدقيق الاجتهاد، و يختلف بالأحوال و الأشخاص، فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي و لا إثبات.

الفائدة الرابعة الاستيناس و الإيناس، و هو غرض من يحضر الولائم و الدّعوات و مواضع المعاشرة و الانس و هذا يرجع إلى حظّ النّفس في الحال، و قد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا يجوز مؤانسته أو على وجه مباح و قد يستحبّ ذلك لأمر الدّين، و ذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله و

أقواله في الدّين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى و قد يتعلّق بحظّ النفس و يستحبّ إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة، فإنّ القلوب إذا اكرهت عميت، و مهما كان في الوحدة وحشة و في المجالسة انس يروح القلب فهي أولى إذ الرفق في العبادة من حزم العبّاد و لذلك قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إنّ اللَّه لا يملّ

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣١

حتّى تملّوا» و هذا أمر لا يستغنى عنه فإنّ النّفس لا تألف الحقّ على الدّوام ما لم تروح، و في تكليفها الملازمة تنفير، و من يشادّ هذا

الدّين يغلبه فإنّ الدّين متين و الإيغال فيه برفق دأب المستبصرين و لذلك قال ابن عبّاس: لو لا مخالفة الوسواس لم اجالس الناس، و قال مرّة: لدخلت بلادا لا أنيس بها. و هل يفسد الناس إلا الناس؟ فلا يستغني المعتزل أبدا عن رفيق يستأنس بمشاهدته و محادثته في اليوم و اللّيلة ساعة، فليجتهد في طلب من لا يفسد في ساعته تلك عليه سائر ساعاته فقدقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»

و ليحرص أن يكون حديثه عند اللّقاء في أمور الدّين، و حكاية

أحوال القلب و شكواه و قصوره عن الثبات على الحقّ و الاهتداء إلى الرّشد ففي ذلك متنفّس و مستروح للنفس، و فيه مجال رحب لكلّ مشغول بإصلاح نفسه فإنّه لا ينقطع شكواه و لو عمّر أعمارا طويلة، و الراضي عن نفسه مغرور قطعا، فهذا النوع من الاستيناس في بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة في حقّ بعض الأشخاص فليتفقّد فيه أحوال القلب و أحوال الجليس أوّلا ثمّ ليجالس

الفائدة الخامسة في نيل الثواب و إنالته،

أمّا النيل فبحضور الجنائز، و عيادة المرضى، و حضور العيدين، أمّا حضور الجمعة فلا بدّ منه، و

حضور الجماعة في سائر الصلوات أيضا لا رخصة في تركه إلا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة و يزيد عليه و ذلك لا يتّفق إلا نادرا، و كذلك في حضور الاملاكات و الدّعوات ثواب من حيث إنّه إدخال سرور على قلب مسلم، و أمّا إنالته فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس، أو ليعزّوه في المصائب، أو ليهنّئوه على النعم فإنّهم ينالون بذلك

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٢

ثوابا. و كذلك إذا كان من العلماء و أذن لهم في الزّيارة نالوا ثواب الزّيارة و كان هو بالتمكين سببا فيه فينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطات

بآفاتها الّتي ذكرناها و عند ذلك قد تترجّح العزلة و قد تترجّح المخالطة فقد حكي عن جماعة من السلف ترك إجابة الدّعوات و عيادة المرضى و حضور الجنائز بل كانوا أحلاس بيوتهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور، و بعضهم فارق الأمصار و انحاز إلى قلل الجبال تفرّغا للعبادة و فرارا من الشواغل.

الفائدة السادسة من المخالطة التواضع

فإنّه من أفضل المقامات و لا يقدر عليه في الوحدة و قد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روي في الإسرائيليّات أنّ حكيما من الحكماء صنّف ثلاثمائة و ستّين مصحفا في

الحكمة حتّى ظنّ أنّه قد نال عند اللَّه منزلة، فأوحى اللَّه إلى نبيّ زمانه قل لفلان: إنّك قد ملأت الأرض نفاقا و إنّي لا أقبل من نفاقك شيئا قال: فتخلّى و انفرد في سرب تحت الأرض و قال: الآن بلغت محبّة ربي فأوحى اللَّه تعالى إلى نبيّه قل له إنّك لن تبلغ رضاي حتّى تخالط الناس فتصبر على أذاهم، قال: فدخل الأسواق و خالط العامّة و جالسهم و واكلهم فأكل الطعام بينهم و مشى في الأسواق معهم فأوحى اللَّه إليه قل له: الآن قد بلغت رضائي، فكم من معتزل في بيته و باعثه التكبّر و مانعه عن المحافل أن لا يوقّر أو لا يقدّم، أو يرى الترفّع عن مخالطتهم أرفع

لمحلّه و أبقى لطراوة ذكره بين النّاس و قد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط الناس فلا يعتقد فيه الزّهد و الاشتغال بالعبادة فيتّخذ البيت سترا على مقابحه، إبقاء على اعتقاد الناس في زهده و تعبّده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر أو فكر، و علامة هؤلاء أنّهم يحبّون أن يزاروا و لا يحبّون أن يزوروا و يفرحون بتقرّب العوام و السلاطين إليهم و اجتماعهم على باب أحدهم و طرقهم و تقبيلهم يده على سبيل التبرّك و لو كان الاشتغال بنفسه هو الّذي يبغّض إليه المخالطة و زيارة الناس لبغّض إليه زيارتهم له، فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر

اللَّه فاعتزاله عن الناس سببه شدّة اشتغاله بالناس، لأنّ قلبه متجرّد للالتفات إلى نظرهم إليه بعين الوقار و الاحترام و العزلة بهذا السبب جهل من وجوه:

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٣

أحدها أنّ التواضع و المخالطة لا ينقص من منصب من هو كبير بعلمه أو دينه إذ كان عليّ عليه السّلام يحمل التمر و المالح في ثوبه و يقول:

لا ينقص الكامل من كماله

ما جرّ من نفع إلى عيالهو كان حذيفة و أبيّ و ابن مسعود يحملون حزمة الحطب و جراب الدّقيق و غيرها على أكتافهم.

و كان سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يشتري الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه: أعطني أحمله، فيقول: «صاحب المتاع أحقّ بحمله».

و كان الحسن بن عليّ عليهما السّلام يمرّ بالسوّال و بين أيديهم كسر فيقولون: هلّم إلى الغداء يا ابن رسول اللّه – و هم جلوس على الطريق – فكان ينزل على الطريق و يأكل معهم، و يقول: إنّ اللّه لا يحبّ المستكبرين».

الوجه الثاني أنّ الّذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه و تحسين اعتقادهم فيه مغرور، لأنّه لو عرف حقّ المعرفة علم أنّ الخلق لا يغنون عنه من اللّه شيئا و أنّ ضرره و

نفعه بيد اللَّه، فلا نافع و لا ضارّ إلا اللَّه عزّ و جلّ، و أنّ من طلب رضا الناس و محبّتهم بسخط اللَّه سخط اللَّه عليه و أسخط عليه الناس، بل رضا الناس غاية لا تدرك فرضا اللَّه تعالى أولى بالطلب، و لذلك قيل: ليس إلى السلامة من الناس سبيل فانظر إلى ما يصلحك فافعله و قيل شعرا:

من راقب الناس مات غمّا

و فاز بالرّاحة الجسورو نظر سهل إلى واحد من أصحابه فقال: اعمل كذا و كذا فقال: يا استادي لا أقدر عليه لأجل الناس، فالتفت إلى أصحابه و قال: لا ينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتّى يكون بأحد

وصفين: عبد يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدّنيا إلا

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٤

خالقه و أنّ أحدا لا يقدر أن يضرّه و لا ينفعه، و عبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي بأيّ حال يرونه.

و قال بعضهم: ما من أحد إلا و له محبّ و مبغض، فإذا كان كذلك فكن مع أهل الطاعة.

و قال موسى على نبيّنا و آله و عليه السلام: يا ربّ احبس عنّي ألسنة النّاس، فقال: هذا شيء لم أصطنعه لنفسي فكيف أفعله لك؟.

و أوحى اللَّه تعالى إلى عزير: إن لم تطب نفسا بأن أجعلك علكا في

أفواه الماضغين لم أكتبك عندي من المتواضعين.

فإذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس و أقوالهم فيه فهو في غيّ ظاهر حاضر في الدّنيا«و لعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون»فإذن لا يستحبّ العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربّه ذكرا و فكرا و عبادة و علما بحيث لو خالط الناس لضاعت أوقاته، أو كثرت آفاته، و تشوّشت عليه عباداته، فهذه غوائل خفيّة في اختيار العزلة ينبغي أن يتّقى فإنّها مهلكات في صور منجيات.

الفائدة السابعة التجارب

فإنّها تستفاد من مخالطة الخلق و مجاري أحوالهم و العقل الغريزي

ليس كافيا في تفهّم مصالح الدّين و الدّنيا و إنّما تفيدها التجربة و الممارسة و لا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب، فالصبيّ إذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي أن يشتغل بالتّعلم و يحصل له في مدّة التعلّم ما يحتاج إليه من التجارب و يكفيه ذلك و يحصل بقيّة التّجارب بسماع الأحوال فلا يحتاج إلى المخالطة و من أهمّ التجارب أن يجرّب نفسه و أخلاقه و صفات باطنه و ذلك لا يقدر عليه في الخلوة، فإنّ كلّ مجرّب في الخلاء يسر، و كلّ غضوب أو حسود أو حقود إذا خلا و نفسه لم يترشّح منه خبثه، و هذه الصفات مهلكات في أنفسها فيجب قلعها أو قهرها و لا

يكفي تسكينها بالتباعد عمّا يحرّكها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٥

دمل يمتلي بالقيح و المدّة و قد لا يحسّ صاحبه بألمه ما لم يتحرّك أو يمسّه غيره، فإن لم يكن له يد تمسّه أو عين تبصر صورته و لم يكن معه من يحرّكه ربما يظنّ بنفسه السّلامة و لم يشعر بالدّمل في نفسه و اعتقد فقده، و لكن لو حرّكه محرّك أو أصابه مشرط حجّام انفجر منه القيح و فار فوران الشيء المختنق إذا حبس عن الاسترسال، فكذلك القلب المشحون بالبخل و الحقد و الغضب و الحسد

و سائر الأخلاق الذّميمة إنّما تنفجر منه خبائثه إذا حرّك، و عن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجرّبون أنفسهم، فمن كان يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس، أو حزمة حطب على رأسه و يتردّد في الأسواق ليجرّب به نفسه فإنّ غوائل النفس و مكائد الشيطان خفيّة قلّما يتفطّن لها، و لذلك حكي عن واحد أنّه قال: أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أنّي كنت أصلّيها في الصف الأوّل و لكن تخلّفت يوما لعذر فما وجدت موضعا في الصف الأوّل فوقعت في الصف الثاني فوجدت نفسي يستشعر خجلة من نظر الناس إليّ

و قد سبقت إلى الصف الأوّل فعلمت أنّ جميع صلاتي كانت مشوبة بالرّياء و ممزوجة بلذّة نظر النّاس إليّ و رؤيتهم إيّاي في زمرة السابقين إلى الخير، فالمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج الخبائث و إظهارها، و لذلك قيل: السفر يسفر عن الأخلاق فإنّه نوع من المخالطة الدائمة، و ستأتي غوائل هذه المعاني و دقائقها في ربع المهلكات فإنّ بالجهل بها يحبط العمل الكثير و بالعلم بها يزكو العمل القليل و لو لا ذلك لما فضل العلم على العمل إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة و لا يراد إلا للصّلاة أفضل من الصلاة فإنّا نعلم أنّ ما يراد لغيره فذلك الغير أشرف منه، و قد قضى

الشرع بتفضيل العالم على العابد حتّىقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي»

فمعنى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاثة أوجه: أحدها ما ذكرناه، و الثاني

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٦

عموم نفعه ليتعدّى فائدته، و العمل لا يتعدّى، و الثالث أن يراد به العلم باللّه و بصفاته و أفعاله فذلك أفضل من كلّ عمل، بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتتبعث بعد الانصراف إليه لمعرفته و محبّته، فالعمل و

علم العمل مرادان لهذا العلم، و هذا العلم غاية المريدين، و العمل كالشرط له و إليه الإشارة بقوله تعالى:

إليه يصعد الكَلِم الطيّب و العمل الصّالح يرفعه ٣٥: ١٠فالكلم الطيّب هو هذا العلم، و العمل كالحمّال الرافع له إلى مقصده فيكون المرفوع أفضل من الرّافع و هذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام. فلنرجع إلى المقصود.

فصل

إذا عرفت فوائد العزلة و غوائلها تحقّقت أنّ الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا و إثباتا خطأ، بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص و حاله، و إلى خليطه و حاله، و إلى

الباعث على مخالطته، و إلى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة، و يقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبيّن الحقّ و يتّضح الأفضل.

و فصل الخطاب فيه ما قيل: إنّ الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، و الانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض و المنبسط، فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة و العزلة، و يختلف ذلك بالأحوال و بملاحظة الفوائد و الآفات يتبيّن الأفضل.

هذا هو الحقّ الصريح و كلّ ما ذكر سوى هذا فهو قاصر، و إنّما هو إخبار كلّ واحد عن حالة خاصّة هو فيها فلا يجوز أن يحكم

بها على غيره، المخالف له في الحال، و الفرق بين العالم و الصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا و هو أنّ الصوفي لا يتكلّم إلا عن حاله فلا جرم يختلف أجوبتهم في المسائل و العالم هو الّذي يدرك الحقّ على ما هو عليه و لا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحقّ فيه و ذلك ممّا لا يختلف فيه فإنّ

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٧

الحقّ واحد أبدا، و القاصر عن الحقّ كثير لا يحصى، و لذلك سئل الصوفيّة عن الفقر فما من واحد إلا و أجاب بجواب غير جواب الآخر، و كلّ ذلك حقّ بالإضافة إلى حاله و ليس بحقّ في نفسه إذ الحقّ لا

يكون إلا واحدا أبدا، و لذلك لا ترى اثنين منهم يثبت أحدهما لصاحبه قدما في التصوّف أو يثني عليه، بل كلّ واحد يدّعي أنّه الواصل إلى الحقّ و الواقف عليه، لأنّ أكثر تردّدهم على مقتضي الأحوال الّتي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون إلا بأنفسهم و لا يلتفتون إلى غيرهم، و نور العلم إذا أشرق أحاط بالكلّ و كشف الغطاء و رفع الاختلاف، فهذا ما أردنا أن نذكره في فضيلة العزلة و المخالطة.

فصل

فإن قلت: فمن آثر العزلة و رآها أفضل له و أسلم فما آدابه في العزلة؟ فنقول:

إنّما يطول النظر في آداب المخالطة و قد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة، و أمّا آداب العزلة فلا تطول، فينبغي للمعتزل أن ينوي بعزلته كفّ شرّ نفسه عن الناس أوّلا، ثمّ طلب السلامة من شرّ الأشرار ثانيا، ثمّ الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا، ثمّ التجرّد بكنه الهمّة لعبادة اللَّه رابعا، فهذه آداب نيّته، ثمّ ليكن في خلوته مواظبا على العلم و العمل و الذكر و الفكر ليجتني ثمرة العزلة و ليمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه و زيارته فيتشوّش وقته و ليكفّ عن السؤال عن أخبارهم و عن الإصغاء إلى أراجيف البلد و ما الناس مشغولون به فإنّ كلّ ذلك

ينغرس في القلب حتّى ينبعث في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب، فوقوع الأخبار في السمع كوقوع البذر في الأرض فلا بدّ و أن ينبت و يتفرّع عروقها و أغصانها و يتداعى بعضها إلى بعض و أحد مهمّات العزلة قطع الوساوس الصّارفة عن ذكر اللَّه و الأخبار ينابيع الوساوس و أصولها، و ليقنع باليسير من المعيشة و إلا اضطرّه التوسّع إلى الناس و احتاج إلى مخالطتهم، و ليكن صبورا على ما يلقاه من أذى الجيران، و ليسدّ سمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٨

بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة فإنّ كلّ ذلك يؤثّر في القلب و لو مدّة يسيرة و حال اشتغال القلب به لا بدّ أن يكون واقفا عن سيرة في طريق الآخرة فإنّ السير إمّا بالمواظبة على ورد و ذكر مع حضور القلب، و إمّا بالفكر في صفات اللَّه و جلاله و أفعاله و ملكوت سماواته، و إمّا بالتّأمّل في دقائق الأعمال و مفسدات القلوب و طلب طرق التخلّص منها، و كلّ ذلك يستدعى الفراغ و الإصغاء إلى جميع ذلك ممّا يشوّش القلب في الحال و قد يتجدّد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر، و ليكن له أهل صالحة أو جليس صالح لتستريح نفسه إليه في اليوم ساعة

عن كدّ المواظبة ففيه عون على بقيّة الساعات، و لا يتمّ له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدّنيا و ما الناس منهمكون فيه، و لا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدّر لنفسه عمرا طويلا، بل يصبح على أنّه لا يمسي، و يمسي على أنّه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم، و لا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قد تراخى الأجل، و ليكن كثير الذكر للموت و وحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة، و ليتحقّق أنّ من لم يحصل في قلبه من ذكر اللَّه و معرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت، و إنّ من أنس بذكر اللَّه و معرفته فلا يزيل الموت

انسه إذ لا يهدم الموت محلّ الانس و المعرفة، بل يبقى حيّا بمعرفة اللَّه و انسه فرحا بفضل اللَّه تعالى عليه و رحمته كما قال تعالى في الشهداء:و لا تحسبنَّ الّذين قتلوا في سبيل اللَّه أمواتا بل أحياء عند ربّهم يرزقون. فرحين بما آتاهم اللَّه من فضله ٣: ١٦٩ - ١٧٠و كلّ متجرّد للّه في جهاد نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت«فالمجاهد من جاهد نفسه و هواه»كما صرّح به رسول اللَّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

و الجهاد الأكبر جهاد النفس كماقال لأصحابه:«رجعنا من

الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

هذا آخر كتاب العزلة من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء و يتلوه إن شاء اللَّه كتاب آداب السفر، و الحمد للّه أوّلا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٩

كتاب آداب السفر

و هو الكتاب السابع من ربع العادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء بسم اللَّه الرّحمن الرّحيم الحمد للّه الّذي فتح بصائر أوليائه بالحكم و العبر، و استخلص هممهم لمشاهدة عجائب صنعه في الحضر و السفر، فأصبحوا راضين

بمجاري القدر، منزّهين قلوبهم عن التلفت إلى منتزهات البصر، إلا على سبيل الاعتبار بما يسمح في مسارح النظر و مجاري الفكر، فاستوى عندهم البرّ و البحر، و السهل و الوعر، و البدو و الحضر و الصلاة على محمّد سيّد البشر، و على آله و أصحابه المقتفين لآثاره في الأخلاق و السير.

اما بعد فإنّ السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه، أو الوصول إلى مرغوب فيه، و السفر سفران: سفر بظاهر البدن عن المستقرّ و الوطن إلى الصحاري و الفلوات، و سفر بسير القلب من أسفل السافلين إلى ملكوت السماوات، و أشرف السفرين السفر

الباطن، فإنّ الواقف على الحالة الّتي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقّفه بالتقليد من الآباء و الأجداد لازم درجة القصور و قانع برتبة النقص و مستبدل بمتّسع فضاء«جنّة عرضها السماوات و الأرض»ظلمة السجن و ضيق الحبس.

و لم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمامإلا أنّ هذا السفر لمّا كان مقتحمه في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل و خفير، فاقتضى غموض السبيل و فقد الخفير و الدّليل، و قناعة السالكين عن الحظّ الجزيل بالنصيب النازل القليل

اندراس مسالكه، فانقطع فيه الرفاق و خلا عن

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٤٠

الطائفين منتزهات الأنفس و الملكوت و الآفاق، و إليه دعا اللّه – سبحانه – بقوله:

سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم ٤١: ٥٣و بقوله:و في الأرض آيات للموقنين.

و في أنفسكم أ فلا تبصرون ٥١: ٢٠ – ٢١و على العقود عن هذا السفر وقع الإنكار بقوله تعالى:

و إنّكم لتمرُّون عليهم مصبحين. و باللّيل أ فلا تعقلون ٣٧: ١٣٧ – ١٣٨و بقوله تعالى:

و كأيّن من آية في السماوات و الأرض يمرُّون عليها و هم عنها معرضون ١٢: ١٠٥فمن يسرّ له هذا السفر لم يزل في سفره متنزّها في جنّة عرضها السماوات و الأرض و هو ساكن بالبدن مستقرّ في الوطن، و هو السفر الّذي لا تضيق فيه المناهل و الموارد، و لا يضرّ فيه التزاحم و التوارد، بل يزيد بكثرة المسافرين غنائمه، و تتضاعف ثمراته و فوائده، فغنائمه دائمة غير ممنوعة، و ثمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للمسافر فترة في سفره و وقفة في حركته، فإنَّ اللَّه لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم ١٣: ١١،فلمّا زاغوا أزاغ اللَّه قلوبهم ٦١:

٥،و ما اللَّهبظلام للعبيد ٤١: ٤٦[١] و لكنّهم يظلمون أنفسهم و من لم يؤهّل للجولان في هذا الميدان و التطواف في منتزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدّة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة للدنيا أو ذخيرة للآخرة فإن كان مطلبه العلم و الدّين أو الكفاية على الاستعانة على الدّين كان من سالكي سبيل الآخرة، و كان له في سفره شروط و آداب إن أهملها كان من عمّال الدّنيا و أتباع الشيطان و إن واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمّال الآخرة، و نحن نذكر آدابه و شروطه في ثلاثة أبواب: الباب الأوّل في فوائد السفر و فضله و نيّته.

الباب الثاني في آداب السفر من أوّل النهوض إلى آخر الرّجوع.

الباب الثالث في ما لا بدّ للمسافر من تعلّمه من رخص السفر و أدلّة القبلة و غيرها.

---

[١] اقتباسات من التنزيل و فيه في سورة فصلت: ٤٦ هكذاو ما ربك بظلام للعبيد ٤١: ٤٦.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٤١

الباب الأوّل في فوائد السفر و فضله و نيته

أعلم أنّ السفر نوع حركة و مخالطة و فيه فوائد و له آفات، كما ذكرناه في كتاب آداب الصحبة و العزلة، و الفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب، فإنّ المسافر إمّا أن يكون له مزعج عن مقامه و لولاه لما كان له مقصد يسافر إليه، و إمّا أن يكون له مقصد و مطلب، و المهروب عنه إمّا أمر له نكاية في الأمور الدّنياويّة كالطاعون و الوباء إذا ظهر ببلد، أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء سعر، و هو إمّا عامّ كما ذكرنا أو خاصّ كمن يقصد بأذيّة في بلدة فيهرب منها، و إمّا أمر له نكاية في الدّين كمن ابتلي في بلده بجاه و مال و أتباع

و اتّساع أسباب تصدّه عن التجرّد للّه فيؤثر العزلة و الخمول و يجتنب السعة و الجاه، أو كمن يدعى إلى بدعة قهرا أو إلى ولاية عمل لا يحلّ مباشرته فيطلب الفرار منه، و أمّا المطلوب فهو إمّا دنياويّ كالمال و الجاه أو دينيّ، و الدّينيّ إمّا علم أو عمل، و العلم إمّا علم من العلوم الدّينيّة، و إمّا علم بأخلاقه و صفاته على سبيل التجربة، و إمّا علم بآيات الأرض و عجائبها كسفر ذي القرنين و طوافه في نواحي الأرض، و العمل إمّا عبادة و إمّا زيارة، و العبادة هو الحجّ و الجهاد، و الزّيارة أيضا من القربات و قد يقصد بها مكان كمكّة و المدينة و بيت المقدس و الثغور

فإنّ الرباط بها قربة و قد يقصد به الأولياء و العلماء، و هم إمّا موتى فتزار قبورهم و إمّا أحياء فيتبرّك بمشاهدتهم، و يستفاد من النظر إلى أحوالهم قوّة الرّغبة في الاقتداء بهم، فهذه هي أقسام الأسفار.

و يخرج من هذه القسمة أربعة أقسام:

القسم الأوّل السفر في طلب العلم، و هو إمّا واجب و إمّا نفل و ذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا، و ذلك إمّا علم بامور دينه أو بأخلاق نفسه أو بآيات اللَّه

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٤٢

في أرضه و قد قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «من خرج من بيته

في طلب العلم فهو في سبيل اللَّه حتّى يرجع».

و في خبر آخر: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل اللَّه له طريقا إلى الجنّة».

و كان سعيد بن المسيّب يسافر الأيّام في طلب الحديث الواحد.

و قال الشعبيّ: لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدلّه على هدى أو تردّه عن ردى ما كان سفره ضايعا.

و رحل جابر بن عبد اللَّه من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغه عن عبد اللَّه بن أنيس الأنصاري يحدّث به عن رسول اللَّه

صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى سمعوه».

و قلّ مذكور في العلم محصّل من زمان الصحابة إلى زماننا إلا و حصّل العلم بالسفر، و سافر لأجله، و أمّا علمه بنفسه و أخلاقه فذلك أيضا مهمّ، فإنّ طريق الآخرة لا يمكن سلوكه إلا بتحسين الخلق و تهذيبه، و من لا يطّلع على أسرار باطنه و خبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها، و إنّما السفر هو الّذي يسفر عن الأخلاق و به «يخرج اللَّه الخبء في السماوات و الأرض» و إنّما سمّي السفر سفرا لأنّه يسفر عن الأخلاق و لذلك قيل للّذي يعرف بعض الشهود: هل صحبته في السفر

الّذي يستدلّ به على مكارم الأخلاق؟ فقال: لا، فقال: ما أراك تعرفه.

و كان بشر يقول: يا معاشر القرّاء سيحوا تطيبوا، فإنّ الماء إذا كثر مقامه في موضع تغيّر.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٤٣

و بالجملة فالنفس في الوطن مع مؤاتاة الأسباب لا يظهر أخلاقها لاستيناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة، فإذا حملت وعثاء السفر و صرفت عن مألوفاتها المعتادة، و امتحنت بمشاقّ الغربة انكشف غوائلها و وقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها.

و قد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة، و السفر مخالطة مع زيادة اشتغال و احتمال مشاقّ.

و أمّا آيات اللّه في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر ففيها قطع متجاورات و فيها الجبال و البراري و البحار و أنواع الحيوان و النبات، و ما من شيء منها إلا و هو شاهد للّه بالوحدانيّة و مسبّح له بلسان ذلق لا يدركه إلامن ألقى السمع و هو شهيد ٥٠: ٣٧،و أمّا الجاحدون و الغافلون و المغترّون بلا مع السراب من زهرة الدّنيا فإنّهم لا يبصرون و لا يسمعون، لأنّهمعن السمع لمعزولون ٢٦: ٢١٢،و عن آيات ربّهم محجوبونيعلمون ظاهرا من الحياة

الدّنيا و هم عن الآخرة هم غافلون ٣٠: ٧و ما أريد بالسمع السمع الظاهر – فإنّ الّذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه – و إنّما أريد به السمع الباطن، و لا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات، و سائر الحيوان يشارك الإنسان فيه، فأمّا السمع الباطن فيدرك به لسان الحال و هو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القائل – حكاية لكلام الوتد و الحائط – قال الجدار للوتد: لم تشقّني؟ فقال: سل من يدقّني فلم يتركني، ورائي الحجر الّذي ورائي، و ما من ذرّة في السماوات و الأرض إلا و لها أنواع شهادات للّه سبحانه بالوحدانيّة هي توحيدها و أنواع شهادات لصانعها بالتقديس

هي تسبيحها و لكن لا يفقهون تسبيحهم – لأنّهم لم يسافروا من ضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن و من ركاكة لسان المقال إلى فصاحة لسان الحال – و لو قدر كلّ عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السّلام مختصّا بفهم منطق الطير، و لما كان موسى عليه السّلام مختصّا بسماع كلام اللّه تعالى الّذي يجب المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٤٤

تقديسه عن مشابهة الحروف و الأصوات، و من يسافر ليستقرئ هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهيّة على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل

يستقرّ في موضع، و يفرغ قلبه للتمتّع بسماع نغمات التسبيح من آحاد الذّرات، فما له و للتردّد في الفلوات؟ و له غنية في ملكوت السماوات، و الشمس و القمر و النجوم مسخّرات، و هي إلي أبصار ذوي البصائر مسافرات في الشهر و السنة مرّات، بل هي دائبة في الحركة على توالي الأوقات، فمن العجائب أن يدأب في الطواف بآحاد المساجد من أمرت الكعبة أن تطوف به، و من الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض من يطوف به أقطار السماء، ثمّ ما دام المسافر مفتقرا إلى أن يبصر عالم الملك و الشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الأوّل من منازل

السائرين إلى اللّه و المسافرين إلى حضرته، كأنّه معتكف على باب الوطن لم يفض به السير إلى متّسع الفضاء و لا سبب لطول المقام في هذا المنزل إلا الجبن و القصور، و لذلك قال بعض أرباب القلوب: إنّ الناس ليقولون: افتحوا أعينكم حتّى تبصروا، و أنا أقول: غمّضوا أعينكم حتّى تبصروا، و كلّ واحد من القولين حقّ فالأوّل خبر عن المنزل الأوّل القريب من الوطن، و الثاني خبر عمّا بعده من المنازل البعيدة عن الوطن الّتي لا يطأها إلا مخاطر بنفسه، و المجاوز إليها ربما يتيه فيها سنين و ربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل و الهالكون في التيه هم

الأكثرون من ركّاب هذه الطرق، و لكنّ السائحين السالمين بنور التوفيق فازوا بالنعيم و الملك المقيم، و هم الّذين سبقت لهم منّا الحسني، و اعتبر هذا الملك بملك الدّنيا فإنّه يقلّ بالإضافة إلى كثرة الخلق طلابه، و مهما عظم المطلوب قلّ المساعد، ثمّ الّذين يهلك أكثر من الّذي يملك و لا يتصدّى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر و طول التعب.

و إذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٤٥

و ما أودع اللّه العزّ و الملك في الدّين و الدّنيا إلا في حيّز الخطر و

قد يسمّى الجبان الجبن و القصور باسم الحزم و الحذر.

يرى الجبناء أنّ الجبن حزم و تلك خديعة النفس اللّئيمفهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الأرض فلنرجع إلى الغرض الّذي كنّا نقصده.

القسم الثاني أن يسافر لأجل العبادة إمّا بجهاد أو حجّ و قد ذكرنا فضل ذلك و آدابه و أعماله الظاهرة و الباطنة في كتاب أسرار الحجّ و يدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السّلام و قبور الصّحابة و التابعين و سائر العلماء و الأولياء».

أقول: و أفضل ذلك كلّه و أهمّه بعد زيارة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم زيارة قبور الأئمّة المعصومين عليهم السّلام من أهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقد روى في الفقيه عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام قال: «إنّ لكلّ إمام عهدا في عنق أوليائه و شيعته، و إنّ من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم و تصديقا بما رغبوا فيه كان أئمّتهم شفعاءهم يوم القيامة».

قال الصدوق - رحمه اللّه -: و روي صالح بن عقبة عن زيد الشحّام قال: «قلت لأبي عبد اللّه عليه السّلام: «ما لمن زار واحدا

منكم؟ قال: كان كمن زار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم».

و قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعليّ عليه السّلام: يا عليّ من زارني في حياتي أو بعد موتي أو زارك في حياتك أو بعد موتك أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما ضمنت له يوم القيامة أن اخلّصه من أهوالها و شدائدها حتّى اصيّره معي في درجتي».

و روى إسحاق بن عمّار عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال: «موضع قبر الحسين عليه السّلام منذ يوم دفن فيه روضة من رياض الجنّة».

و قال عليه السّلام: «موضع قبر الحسين عليه السّلام ترعة من ترع الجنّة».

و قال عليه السّلام: «حريم قبر الحسين خمسة فراسخ من أربعة جوانب القبر».

و قال عليه السّلام: «في طين قبر الحسين عليه السّلام شفاء من كلّ داء، و هو الدّواء

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٤٦

الأكبر».

و قال عليه السّلام: إذا أكلته فقل: «اللّهم ربّ التربة المباركة و ربّ الوصيّ الّذي وارته صلّ على محمّد و آل محمّد، و اجعله علما نافعا، و رزقا واسعا، و شفاء من كلّ داء».

و روى إسحاق بن عمّار عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال: «ما بين قبر الحسين عليه السّلام إلى السماء السّابعة مختلف الملائكة».

و روى صالح بن عقبة عن بشير الدّهان قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السّلام: ربما فاتني الحجّ فأعرّف عند قبر الحسين عليه السّلام قال: «أحسنت يا بشير أيّما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السّلام عارفا بحقّه في غير يوم عيد كتبت له عشرون حجّة مبرورات متقبّلات و عشرون غزوة مع نبيّ مرسل أو إمام عادل، و من أتاه في يوم عيد كتبت له ألف حجّة و ألف عمرة مبرورات متقبّلات و ألف غزوة مع نبيّ مرسل أو إمام عادل قال: فقلت

له: و كيف لي بمثل الموقف؟ قال: فنظر إليّ شبه المغضب، ثمّ قال: يا بشير إنّ المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السّلام يوم عرفة عارفا بحقّه فاغتسل بالفرات ثمّ توجّه إليه كتب اللَّه له بكلّ خطوة حجّة بمناسكها – و لا أعلمه إلا قال: و عمرة –».

و قال الصّادق عليه السّلام: «إنّ اللَّه يبدء بالنّظر إلى زوّار قبر الحسين عليه السّلام عشيّة عرفة، قيل له: قبل نظره إلى أهل الموقف؟ قال: نعم، قيل: و كيف ذاك؟ قال: لأنّ في أولئك أولاد زنى و ليس في هؤلاء أولاد زنى».

و قال عليه السّلام: «من زار قبر الحسين عليه السّلام جعل ذنوبه

جسرا على باب داره ثمّ عبرها كما يخلف أحدكم الجسر وراءه إذا عبره».

و روى عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال: «وكّل اللَّه عزّ و جلّ بالحسين صلوات اللَّه عليه سبعين ألف ملك يصلّون عليه كلّ يوم شعثا غبرا يدعون لمن زاره و يقولون: هؤلاء زوّار الحسين عليه السّلام افعل بهم و افعل بهم».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٤٧

و قال عليه السّلام: «من أتى الحسين عليه السّلام عارفا بحقّه كتبه اللَّه تعالى في أعلى علّيّين».

و قال موسى بن جعفر عليهما السّلام: «أدنى ما يثاب به زوّار أبي عبد اللّه عليه السّلام بشطّ الفرات إذا عرف حقّه و حرمته و ولايته أن يغفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر».

و روى الحسن بن عليّ الوشّاء عن أبي أيّوب الخزّاز، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن عليّ عليهما السّلام فإنّ زيارته تدفع الهدم و الغرق و الحرق و أكل السبع، و زيارته مفترضة على من أقرّ للحسين عليه السّلام بالإمامة من اللَّه عزّ و جلّ».

و روى هارون بن خارجة عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال: «إذا كان

النصف من شعبان نادى مناد من الأفق الأعلى: يا زائري قبر الحسين عليه السّلام ارجعوا مغتفرا لكم ثوابكم على ربّكم و محمّد نبيّكم».

و روى الحسين بن محمّد القمّي عن الرّضا عليه السّلام أنّه قال: «من زار قبر أبي عليه السّلام ببغداد كان كمن زار قبر رسول اللَّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قبر أمير المؤمنين عليه السّلام إلا أنّ لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمير المؤمنين عليه السّلام فضلهما».

و عن الحسن بن عليّ الوشّاء عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام قال: «سألته عن زيارة قبر أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام مثل

زيارة الحسين عليه السّلام؟ قال: نعم».

و روى عليّ بن مهزيار عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الثاني عليهما السّلام؟ قال: قلت له:

«جعلت فداك زيارة الرّضا عليه السلام أفضل أم زيارة أبي عبد اللّه الحسين؟ قال: زيارة [قبر] أبي أفضل و ذلك أنّ أبا عبد اللَّه صلوات اللَّه عليه يزوره كلّ الناس و أبي عليه السّلام لا يزوره إلا الخواصّ من الشيعة».

و روى أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي قال: قرأت كتاب أبي الحسن الرّضا عليه السّلام «أبلغ شيعتي أنّ زيارتي تعدل عند اللَّه

ألف حجّة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٤٨

– يعني ابنه –: ألف حجّة؟ قال: إي و اللَّه و ألف ألف حجّة لمن زاره عارفا بحقّه».

و روى الحسين بن زيد عن أبي جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول: «يخرج رجل من ولد موسى اسمه اسم أمير المؤمنين فيدفن في أرض طوس و هي من خراسان يقتل فيها بالسمّ فيدفن فيها غريبا فمن زاره عارفا بحقّه أعطاه اللَّه تعالى أجر من أنفق من قبل الفتح و قاتل».

و روى البزنطيّ عن الرضا عليه السّلام قال: «ما زارني أحد من أوليائي عارفا بحقّي إلا تشفّعت فيه يوم القيامة».

و قال أبو جعفر محمّد بن عليّ الرّضا عليهما السّلام: «إنّ بين جبلي طوس قبضة قبضت من الجنّة، من دخلها كان آمنا يوم القيامة من النّار».

و قال عليه السّلام: «ضمنت لمن زار [قبر] أبي بطوس عارفا بحقّه الجنّة على اللَّه عزّ و جلّ».

و قال رسول اللَّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ستدفن بضعة منّي بخراسان ما زارها مكروب إلا نفّس اللَّه كربته، و لا مذنب إلا غفر اللَّه له ذنوبه».

و روى النعمان بن سعد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام أنّه قال:

«سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسمّ ظلما اسمه كاسمي و اسم أبيه كاسم ابن عمران موسى عليه السّلام، ألا فمن زاره في غربته غفر اللَّه له ذنوبه ما تقدّم منها و ما تأخّر و لو كانت مثل عدد النجوم و قطر الأمطار و ورق الأشجار».

و روى حمدان الدّيوانيّ عن الرّضا عليه السّلام أنّه قال: «من زارني على بعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتّى اخلّصه من أ هوالها: إذا تطايرت الكتب يمينا و

شمالا، و عند الصراط، و عند الميزان».

و روى حمزة بن حمران قال: «قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: يقتل حفدتي بأرض خراسان في مدينة يقال لها: طوس، فمن زاره إليها عارفا بحقّه أخذته بيدي يوم القيامة و أدخلته الجنّة و إن كان من أهل الكبائر، قال: قلت: جعلت فداك و ما

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٤٩

عرفان حقّه؟ قال: يعلم أنّه إمام مفترض الطاعة، غريب شهيد، من زاره عارفا بحقّه أعطاه اللَّه أجر سبعين شهيدا ممّن استشهد بين يدي

رسول اللَّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على حقيقة».

و روى الحسن بن عليّ بن فضّال عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليهما السّلام أنّه قال له رجل من أهل خراسان: «يا ابن رسول اللّه رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في المنام كأنّه يقول لي: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي و استحفظتم وديعتي و غيب في ثراكم نجمي؟ فقال له الرّضا عليه السّلام: أنا المدفون في أرضكم، و أنا بضعة من نبيّكم و أنا الوديعة و النجم، ألا و من زارني و هو يعرف ما أوجب اللَّه تبارك و تعالى من حقّي و طاعتي فأنا و آبائي شفعاؤه يوم

القيامة و من كنّا شفعاؤه نجى لو كان عليه مثل وزر الثقلين الجنّ و الانس، و لقد حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: من رآني في منامه فقد رآني فإنّ الشيّطان لا يتمثّل في صورتي و لا في صورة أحد من أوصيائي، و لا في صورة أحد من شيعتهم و إنّ الرّؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءا من النّبوّة».

و روي عن أبي الصّلت عبد السلام بن صالح الهرويّ قال: سمعت الرّضا عليه السّلام يقول: «و اللَّه ما منّا إلا و مقتول شهيد فقيل له: و من يقتلك يا ابن رسول اللَّه؟ قال: شرّ خلق اللَّه في زماني يقتلني

بالسّم ثمّ يدفنني في دار مضيعة و بلاد غربة ألا فمن زارني في غربتي كتب اللَّه تعالى له أجر مائة ألف شهيد و مائة ألف صدّيق و مائة ألف حاجّ و معتمر و مائة ألف مجاهد و حشر في زمرتنا و جعل في الدّرجات العلى من الجنّة رفيقنا».

و روي الحسن بن عليّ بن فضّال عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام أنّه قال:

«إنّ بخراسان لبقعة يأتي عليها زمان تصير مختلف الملائكة فلا يزال فوج ينزل من السّماء و فوج يصعد إلى أن ينفخ في الصور، فقيل له: يا ابن رسول اللَّه و أيّة بقعة هذه؟ قال: هي بأرض طوس،

فهي و اللَّه روضة من رياض الجنّة، من زارني في تلك البقعة المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٥٠

كان كمن زار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و كتب اللّه له ثواب ألف حجّة مبرورة و ألف عمرة مقبولة، و كنت أنا و آبائي شفعاءه يوم القيامة».

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«ستدفن بضعة منّي بأرض خراسان لا يزورها مؤمن إلا أوجب اللّه له الجنّة و حرّم جسده على النّار».

قال أبو حامد: «و كلّ من يتبرّك بمشاهدته يتبرّك بزيارته بعد وفاته و يجوز شدّ الرّحال بهذا الغرض و لا

يمنع من هذاقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«لا تشدّ الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، و مسجدي هذا، و المسجد الأقصى».

لأنّ ذلك في المساجد و هي متماثلة بعد هذه المساجد الثلاث و إلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء و بين الأولياء و العلماء في أصل الفضل و إن كان يتفاوت في الدّرجات بحسب اختلاف درجاتهم عند اللّه، و بالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات».

أقول: بشرط تساويهم في الرّتبة و إلا فلا بدّ من النظر.

قال: «و الفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدّعاء و بركة النظر إليهم فإنّ النّظر إلى وجوه العلماء و

الصلحاء عبادة و فيه أيضا تحريك الرّغبة في الاقتداء بهم و التخلّق بأخلاقهم و آدابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلميّة المستفادة من أنفاسهم و أفعالهم كيف و مجرّد زيارة الإخوان في اللّه فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحبة، و في التوراة: «سر أربعة أميال زر أخا في اللّه».

و أمّا البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة، و سوى الثغور للرّباط فيها فالحديث ظاهر في أنّه لا تشدّ الرّحال لطلب بركة البقاع إلا إلى المساجد الثلاثة، و قد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحجّ و بيت المقدّس أيضا له فضل كثير، و قد سأل سليمان ربّه جلّ و عزّ

أنّ من قصد هذا المسجد – لا يعنيه إلا للصّلاة فيه – أن لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتّى يخرج منه و أن تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، فأعطاه اللّه ذلك».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٥١

أقول: و قد ذكرت فضل مسجد الكوفة أيضا و الصلاة فيه وقول أمير المؤمنين عليه السّلام في فضله:«لو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض و لو حبوا على الثلج»في كتاب أسرار الحجّ.

قال:

«القسم الثالث أن يكون السفر للهرب من مشوّش للدّين

و ذلك أيضا حسن فالفرار ممّا لا يطاق من سنن المرسلين، و ممّا يجب الهرب منه الولاية و الجاه و كثرة العلائق و الأسباب، فإنّ كلّ ذلك يشوّش فراغ القلب، و الدّين لا يتمّ إلا بقلب فارغ من غير اللّه، فإن لم يتمّ فراغه فبقدر فراغه يتصوّر أن يشتغل بالدّين و لا يتصوّر فراغ القلب في الدّنيا عن مهمّات الدّنيا، و الحاجات الضرورية و لكن يتصوّر تخفيفها و تثقيلها، و قد نجى المخفّون و هلك المثقلون: و الحمد للّه الّذي لم يعلّق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الأوزار و الأعباء، بل قبل المخفّ بفضله و

شمله لسعة رحمته، و المخفّ هو الّذي ليست الدّنيا أكبر همّه و ذلك لا يتيسّر في الوطن لمن اتّسع جاهه و كثرت علائقه، فلا يتمّ مقصوده إلا بالغربة و الخمول و قطع العلائق الّتي لا بدّ عنها حتّى يروّض نفسه مدّة، ثمّ ربّما يمدّه اللّه بمعونته فينعم عليه بما يقوى به نفسه و يطمئنّ به قلبه، فيستوي عنده السفر و الحضر، و يتقارب عنده وجود الأسباب و العلائق و عدمها فلا يضرّ شيء منها عمّا هو بصدده من ذكر اللّه و ذلك ممّا يعزّ وجوده جدّا بل الغالب على القلوب الضعف و القصور عن الاتّساع للخلق و الخالق و إنّما يسعد بهذه القوّة الأنبياء و الأولياء،

و الوصول إليها بالكسب شديد و إن كان للاجتهاد و الكسب فيها مدخل أيضا و مثال تفاوت القوّة الباطنة فيه كتفاوت القوّة الظاهرة في الأعضاء، فربّ رجل قويّ ذي مرّة سويّ، شديد الأعصاب، محكم البنية يستقلّ بحمل ما وزنه ألف رطل مثلا، فلو أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بممارسة الحمل و التدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه و لكن الممارسة و الجهد تزيد في قوّته زيادة ما، و إن كان ذلك لا يبلغه

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٥٢

درجته، فلا ينبغي أن يترك الجهد عند اليأس عن الرّتبة العليا فإنّ ذلك

غاية الجهل و نهاية الضلال، و قد كان من عادة السلف مفارقة الوطن خيفة من الفتن، قال بعضهم: هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف على المشهور، هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلّما عرف في موضع تحوّل إلى غيره.

القسم الرابع السفر هربا ممّا يقدح في البدن كالطاعون،

أو في المال كغلاء السعر، أو ما يجري مجراه و لا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع، و ربما يستحبّ في بعض بحسب وجوب ما يترتّب عليه من الفوائد و استحبابه في ذلك و لكن يستثنى عنه الطاعون فلا ينبغي أن يفرّ منه لورود النهيّ فيه، قال

أسامة ابن زيد:قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إنّ هذا الوجع أو السقم رجز عذّب به بعض الأمم قبلكم ثمّ بقي بعد في الأرض، فيذهب المرّة و يأتي الأخرى، فمن سمع به في أرض فلا يقدمنّ عليه و من وقع بأرض و هو بها فلا يخرجنّه الفرار منه».

و قالت عائشة: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إنّ من فناء امّتي بالطعن و الطاعون، فقلت: هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: غدّة كغدّة البعير تأخدهم في تراقيهم، المسلم الميّت منه شهيد، و المقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل اللّه و الفارّ منه كالفارّ من الزّحف» [١].

و عن مكحول عن أمّ أيمن قالت: أوصى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعض أهله«لا تشرك باللّه شيئا و إن عذّبت بالنّار أو خوّفت و أطع والديك و إن أمراك أن تخرج من كلّ شيء هو لك فاخرج منه، و لا تترك الصلاة عمدا فإنّ من ترك الصلاة عمدا فقد برئت منه ذمّة اللّه، إيّاك و الخمر فإنّها مفتاح كلّ شر، إيّاك و المعصية فإنّها تسخط اللّه، لا تفرّ من الزّحف، و إن أصاب الناس موتان و أنت فيهم

---

[١] أخرجه أحمد في المسند ج ٦ ص ١٤٥ و فيه: «لا يفنى أمتي الا بالطعن و الطاعون الحديث -» و سنده جيد. و لعل النهى عن الفرار من الطاعون لممانعة نقل المرض من بلد إلى بلد آخر و لذا نهى عن القدوم عليه أيضا.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٥٣

فاثبت فيهم، أنفق من طولك على أهل بيتك، و لا ترفع عصاك عنهم أخفهم للّه»

فهذه الأحاديث تدلّ على أنّ الفرار من الطاعون منهيّ عنه، و كذا القدوم عليه.

و سيأتي سرّ ذلك في كتاب التوكّل.

فهذه أقسام الأسفار [١].

و قد خرج منه أنّ السفر ينقسم إلى مذموم و محمود و إلى مباح، و المذموم ينقسم إلى حرام كإباق العبد و سفر العاقّ، و إلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون، و المحمود ينقسم إلى واجب كالحجّ و طلب العلم الّذي هو فريضة على كلّ مسلم، و إلى مندوب إليه كزيارة العلماء و زيارة مشاهدهم، و من هذه الأسباب يتبيّن النيّة في السفر، فإنّ معنى النيّة الانبعاث للسبب الباعث و الانتهاض لاجابة الدّاعية، و لتكن نيّته الآخرة في جميع أسفاره و ذلك ظاهر في الواجب و المندوب و محال في المكروه و المحظور، و أمّا المباح فمهما كان قصده بطلب المال مثلا

التعفّف عن السؤال و رعاية ستر المروءة على الأهل و العيال و التصدّق بما فضل من مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النيّة من أعمال الآخرة، و لو خرج إلى الحجّ و باعثه الرياء و السمعة خرج عن كونه من أعمال الآخرةفقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إنّما الأعمال بالنيّات»

عامّ في الواجبات و المباحات دون المحظورات فإنّ النيّة لا تؤثّر في إخراجها عن كونها محظورة و قد قال بعض السلف: إنّ اللّه قد وكّل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطى كلّ واحد على نحو نيّته، فمن كانت نيّته الدّنيا

أعطي منها، و نقص من آخرته أضعافه، و فرّق عليه همّه، و كثر بالحرص و الرغبة شغله، و من كانت نيّته الآخرة أعطي من البصيرة و الفطنة و فتح له من التذكرة و العبرة بقدر نيّته و جمع له همّه و دعت له الملائكة بالاستغفار.

---

[۱] كأن أبا حامد غفل عن السفر هجرة من بلد الذي لم يتمكن الإنسان عن الإتيان بما يجب عليه في الدين فيه و نسى قوله تعالى:ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا

مستضعفين في الأرض قالوا أ لم تكن أرض اللّه واسعة فتهاجروا فيها ٤: ٩٧.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٥٤

و أمّا النظر في أنّ السفر هو الأفضل أو الإقامة، فيضاهي النظر في أنّ الأفضل هو العزلة أو المخالطة، و قد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة فليفهم هذا منه، فإنّ السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب و مشقّة من تفرّق الهمّ و تشتّت القلب في حقّ الأكثرين، و الأفضل ما هو الأعون على الدّين.

و نهاية ثمرة الدّين في الدّنيا تحصل بدوام الفكر، و من لم يتعلّم طريق الفكر و الذكر لم يتمكّن منهما، و

السفر هو المعين على التعلّم في الابتداء، و الإقامة هي المعينة على العمل بالتعلّم في الانتهاء، فأمّا السياحة في الأرض على الدّوام فمن المشوّشات للقلب إلا في حقّ الأقوياء، فإنّ المسافر و ماله لعلى فلت إلا ما وقى اللّه، فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه و ماله، و تارة بمفارقة ما ألفه و اعتاده في إقامته، و إن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع و الاستشراف إلى الخلق، فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر، و تارة تقوى باستحكام أسباب الطمع.

ثمّ شغل الحطّ و الترحال مشوّش لجميع الأحوال، فلا ينبغي أن

يسافر المريد إلا في طلب علم أو مشاهدة شيخ يقتدي به في سيرته و تستفاد الرّغبة في الخير من مشاهدته، فإن اشتغل بنفسه و استبصر و انفتح له طريق الفكر و العمل فالسكون أولى به إلا أنّ أكثر متصوّفة هذه الأعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار و دقائق الأعمال، و لم يحصل لهم انس باللّه تعالى و بذكره في الخلوة و كانوا بطّالين غير محترفين و لا مشغولين، قد ألفوا البطالة و استثقلوا العمل و استوعروا طريق الكسب و استلانوا جانب السؤال و الكدية و استطابوا الرباطات المبنيّة لهم في البلاد و استسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم، استخفّوا عقولهم

و أديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء و السمعة و انتشار الصيت و اقتناص الأموال بطريق السؤال تعلّلا بكثرة الأتباع، فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ و لا تأديب للمسافرين نافع، و لا حجر عليهم قاهر، فلبسوا المرقّعات، و اتّخذوا من الخانقاهات

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٥٥

منتزهات، و ربّما تلقّفوا ألفاظا مزخرفة من الطامّات فينظرون إلى أنفسهم، و قد تشبّهوا بالقوم في خرقهم و في سياحتهم، و في لفظهم و عبارتهم، و في آداب ظاهرة من سيرتهم، فيظنّون بأنفسهم خيرا، و يحسبون أنّ كلّ سواد تمرة، و

يتوهّمون أنّ المشاركة في الظواهر توجب المسامهة في الحقائق، و هيهات فما أغزر حماقة من لا يميز بين الشحم و الورم، فهؤلاء بغضاء اللّه فإنّ اللّه يبغض الشابّ الفارغ و لم يحملهم على السياحة إلا الشباب و الفراغ، إلا من سافر لحجّ أو عمرة في غير رياء و لا سمعة، أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدي به في علمه و سيرته و قد خلت البلاد عنه الآن، و الأمور الدّينيّة كلّها قد فسدت و ضعفت إلا التصوّف فإنّه قد انمحق بالكليّة و بطل لأنّ العلوم لم تتدرس بعد و العالم و إن كان عالم سوء فإنّما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه و العمل

غير العلم، و أمّا التصوّف فإنّه عبارة عن تجرّد القلب للّه، و استحقار ما سوى اللّه و حاصله يرجع إلى عمل القلب و الجوارح، و مهما فسد العمل فات الأصل و في أسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث إنّه إتعاب نفس بلا فائدة، و قد يقال: إنّ ذلك ممنوع و لكن الصواب عندنا أن نحكم بالاباحة، فإنّ حظوظهم التفرّج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة و هذه الحظوظ و إن كان خسيسة فنفوس المتحركين بهذه الحظوظ أيضا خسيسة و لا بأس بإتعاب حيوان خسيس لحظّ خسيس يليق به و يعود إليه فهو المتأذّي و هو المتلذّذ و الفتوى تقتضي تسييب

العوام في المباحات الّتي لا نفع فيها و لا ضرّ، و السائحون من غير مهمّ في الدّين و الدّنيا بل لمحض التفرّج بالبلاد كالبهائم المتردّدة في الصحاري، فلا بأس بسياحتهم ما كفّوا عن الناس شرّهم، و لم يلبسوا على الخلق حالهم. و لم يأكلوا من الأوقاف الّتي وقفت على الصوفيّة فإنّه حرام عليهم فهذا هو القول في أقسام السفر و نيّة المسافر و فضيلته».

أقول: و في الفقيه روى عمرو بن أبي المقدام عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«في حكمة آل داود عليه السّلام: أنّ على العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا في ثلاث تزوّد

البيضاء ج : ٤ ص : ٥٦

لمعاد، أو مرّمّة لمعاش، أو لذّة في غير محرّم».

و روى السكونيّ بإسناده قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:سافروا تصحّوا، و جاهدوا تغنموا، و حجّوا تستغنوا».

و روى جعفر بن بشير عن إبراهيم بن الفضل عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«إذا سبّب اللّه عزّ و جلّ للعبد الرّزق في أرض جعل له فيها حاجة».

الباب الثاني فى آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه

و هي أحد عشر أدبا

أقول: و أنا أزيد عليها أدبا آخر يشمل جملة من الآداب و هو من وصايا لقمان لابنه فيصير اثني عشر.

«الأول أن يبدأ بردّ المظالم و قضاء الدّيون

و إعداد النفقة لمن تلزمه نفقته و يردّ الودايع إن كانت عنده و لا يأخذ لزاده إلا الطيّب الحلال و ليأخذ قدرا يوسّع به على رفقائه، و لا بدّ في السفر من طيب الكلام و إطعام الطعام و من إظهار مكارم الأخلاق، فإنّ السفر يخرج خبايا الباطن، و من صلح لصحبة السفر صلح لصحبه الحضر، و قد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر، و لذلك قيل: إذا أثنى على

الرّجل معاملوه في الحضر و رفقاؤه في السفر فلا تشكّوا في صلاحه، و السفر من أسباب الضجر و من أحسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق و إلا فعند مساعدة الأمور على وفق الغرض قلّما يظهر سوء الخلق، و قد قيل: ثلاثة لا يلامون على الضجر: الصائم و المريض و المسافر، و تمام خلق المسافر بالإحسان إلى المكاري، و بمعاونة الرّفقة بكلّ ممكن، و بالرّفق بكلّ منقطع بأن لا يجاوزه إلا بإعانة بمركوب أو زاد أو توقّف لأجله و تمام ذلك مع الرّفقاء بمزاح و مطايبة في

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٥٧

بعض الأوقات من غير فحش و معصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر و مشاقّه».

أقول:

و من طريق الخاصّة

ما رواه في الفقيه قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:من شرف الرجل أن يطيب زاده إذا خرج في سفر».

و عن الصادق عليه السّلام قال:«إذا سافرتم فاتّخذوا سفرة و تنوّقوا فيها».

و عن نصر الخادم قال:«نظر العبد الصالح أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام إلى سفرة عليها حلق صفر قال: أنزعوا هذه و اجعلوا

مكانها حديدا، فإنّه لا يقرب شيئا ممّا فيها شيء من الهوامّ».

و عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«زاد المسافر الحداء و الشعر ما كان منه ليس فيه خنى».

و عن أبي الرّبيع الشاميّ قال:كنّا عند أبي عبد اللّه عليه السّلام و البيت غاصّ بأهله قال عليه السّلام: «ليس منّا من لم يحسن صحبة من صحبه، و مرافقة من رافقه، و ممالحة من مالحه، و مخالقة من خالقه».

و عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«من السنّة إذا خرج القوم في سفر أن يخرجوا نفقتهم فإنّ ذلك أطيب لأنفسهم و أحسن لأخلاقهم».

و تذاكر الناس عند الصادق عليه السّلام أمر الفتوّة فقال:«تظنّون أنّ الفتوّة بالفسق و الفجور إنّما الفتوّة و المروّة طعام موضوع، و نائل مبذول، و نشر معروف، و أذى مكفوف، فأمّا تلك فشطارة و فسق، ثم قال: ما المروّة؟ فقال الناس:

لا نعلم، قال: ليس المروّة و اللّه أن يضع الرّجل خوانه بفناء داره، و المروّة مروّتان مروّة في الحضر و مروّة في السفر، فأمّا الّتي في الحضر فتلاوة القرآن و لزوم المساجد و المشي مع الإخوان في الحوائج، و النعمة ترى على الخادم أنّها تسرّ الصديق

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٥٨

و تكبت العدوّ، و أمّا الّتي في السفر فكثرة الزاد و طيبه و بذله لمن كان معك، و كتمانك على القوم أمرهم بعد مفارقتك إيّاهم، و كثرة المزاح في غير ما يسخط اللّه عزّ و جلّ، ثمّ قال عليه السّلام: و الّذي بعث جدّي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالحقّ إنّ اللّه عزّ و جلّ ليرزق العبد على قدر المروّة، فإنّ المعونة تنزل على قدر المئونة، و إنّ الصبر ينزل على قدر شدّة البلاء».

قال أبو حامد:

«الثاني أن يختار رفيقا

فلا يخرج وحده فالرفيق ثمّ الطريق و ليكن رفيقه ممّن يعينه على الدين فيذكّره إذا نسي، و يعينه و يساعده

إذا ذكر فإنّ المرء على دين خليله و لا يعرف الرّجل إلا برفيقهو قد نهى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يسافر الرّجل وحده و قال: «الثلاثة نفر».

و قال:«إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمّروا أحدكم»

«و كانوا يفعلون ذلك و يقولون: هو أمير أمّره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و ليؤمّروا أحسنهم أخلاقا و أرفقهم بالأصحاب و أسرعهم إلى الإيثار و طلب الموافقة» و إنّما يحتاج إلى الأمير لأنّ الآراء تختلف في تعيين المنازل و الطرق و مصالح السفر و لا نظام إلا في الوحدة و لا فساد إلا

من الكثرة، و إنّما انتظم أمر العالم لأنّ مدبّر العالم واحدو لو كان فيهما آلهة إلا اللّه لفسدتا ٢١: ٢٢و مهما كان المدبّر واحدا انتظم التدبير، و إذا كان كثر المدبّر فسدت الأمور في الحضر و السفر إلا أنّ مواطن الإقاته لا تخلو عن أمير عامّ كأمير البلد أو أمير خاصّ كربّ الدار، و أمّا السفر فلا يتعيّن له أمير إلا بالتأمير فلهذا وجب التأمير ليجمع شتات الآراء، ثمّ على الأمير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم و أن يجعل نفسه وقاية لهم كما نقل عن عبد اللّه المروزي أنّه صحبه أبو عليّ

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٥٩

الرّباطيّ فقال: على أن تكون أنت الأمير أم أنا فقال: بل أنت فلم يزل يحمل الزّاد لنفسه و لأبي عليّ على ظهره فأمطرت السماء ذات ليلة فقام عبد اللّه طول اللّيل على رأس رفيقه و في يده كساء منع منه المطر فكلّما قال له: اللّه اللّه لا تفعل يقول: ألم تقل أنّ الإمارة مسلّمة لك فلا تحكم عليّ و لا ترجع عن قولك، حتّى قال أبو عليّ:

وددت أنّي متّ و لم أقل له: أنت الأمير، فهكذا ينبغي أن يكون الأمير، وقد قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«خير الأصحاب أربعة»

و تخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لا بدّ و أن يكون له فائدة و

الّذي ينقدح فيه أنّ المسافر لا يخلو عن رحل يحتاج إلى حفظه، و عن حاجة يحتاج إلى التردّد فيها و لو كانوا ثلاثة لكان المتردّد في الحاجة واحدا فيتردّد بلا رفيق، فلا يخلو عن خطر و عن ضيق قلب لفقد انس الرّفيق و لو تردّد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرّحل وحده فلا يخلو عن الخطر و عن ضيق الصدر فإذن ما دون الأربعة لا يفي بالمقصود و ما فوق الأربعة يزيد فلا يجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم التوافق لأنّ الخامس زيادة بعد الحاجة و من يستغني عنه لا تصرف الهمّة إليه فلا يتمّ المرافقة معه، نعم في كثرة الرّفاق فائدة الأمن من المخاوف و لكن الأربعة

خير للرفاقة الخاصّة لا للرّفاقة العامّة، و كم من رفيق في الطريق عند كثرة الرّفاق لا يتكلّم و لا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه».

أقول:

و من طريق الخاصّة

في هذا الباب مارواه في الفقيه عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:«الرفيق ثمّ السفر».

و عن الصادق عليه السّلام قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:ألا انبّئكم بشرّ الناس؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه، قال: من سافر وحده، و منع رفده، و ضرب عبده».

و عن الكاظم عليه السّلام قال:«في وصيّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعليّ عليه السّلام: لا تخرج في سفر وحدك، فإنّ الشيطان مع الواحد، و هو من الاثنين أبعد، يا عليّ إنّ

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٦٠

الرّجل إذا سافر وحده فهو غاو، و الاثنان غاويان، و الثلاثة نفر. – و روى بعضهم سفر –».

و عنه عليه السّلام قال:«لعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثلاثة: الآكل زاده وحده، و النائم في بيت وحده، و الراكب في الفلاة وحده».

و عن إسماعيل بن جابر قال:«كنت عند أبي عبد اللّه عليه السّلام بمكّة إذ جاءه رجل من المدينة فقال له: من صحبك؟ فقال: ما صحبت أحدا فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام:

أمّا لو كنت تقدّمت إليك لأحسنت أدبك، ثمّ قال: واحد شيطان، و اثنان شيطانان، و ثلاثة صحب، و أربعة رفقاء».

و عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«أحبّ الصحابة إلى اللّه تعالى أربعة و ما زاد قوم على سبعة إلا كثر لغطهم».

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«ما اصطحب اثنان إلا كان

أعظمها أجرا و أحبّهما إلى اللّه عزّ و جلّ أرفقهما لصاحبه».

و عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال:«لا تصحبنّ في سفر من لا يرى لك من الفضل عليه كما ترى له عليك».

و عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«إذا صحبت فاصحب نحوك، و لا تصحبنّ من يكفيك فإنّ ذلك مذلّة للمؤمن».

و عن أبي عبد الله عليه السّلام قال:«اصحب من تتزيّن به و لا تصحب من يتزيّن بك».

و عن شهاب بن عبد ربّه قال:«قلت لأبي عبد اللّه عليه السّلام: قد عرفت حالي و سعة يدي و توسّعي على إخواني

فأصحب النفر منهم في طريق مكّة فاوسّع عليهم

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٦١

قال: لا تفعل يا شهاب إن بسطت و بسطوا أجحفت بهم، و إذا هم أمسكوا أذللتهم فاصحب نظراءك».

و عنه عليه السّلام قال:«حقّ المسافر أن يقيم عليه إخوانه إذا مرض ثلاثا».

و في المكارم عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«سيد القوم خادمهم في السفر».

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إنّه أمر أصحابه بذبح شاة في سفر فقال رجل من القوم: عليّ

ذبحها، و قال الآخر: عليّ سلخها، و قال آخر: عليّ قطعها، و قال آخر: عليّ طبخها فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: عليّ أن ألقط لكم الحطب فقالوا: يا رسول اللّه لا تتعبنّ بآبائنا و امّهاتنا أنت، نحن نكفيك، قال: عرفت أنّكم تكفوني، و لكنّ اللّه عزّ و جلّ يكره من عبده إذا كان مع أصحابه أن ينفرد من بينهم فقام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يلقط الحطب لهم».

قال:

«الثالث أن يودّع رفقاء الحضر و الأهل و الأصدقاء

و ليدع عند الوداع بدعاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم».

أقول: قد مرّ ذلك الدّعاء في كتاب أسرار الحجّ من ربع العبادات فلا حاجة إلى إعادتها.

و من طريق الخاصّة

ما رواه في الفقيه قال:«لما شيّع أمير المؤمنين عليه السّلام أبا ذرّ - رحمة اللّه عليه - و شيّعه الحسن و الحسين عليهما السّلام و عقيل بن أبي طالب و عبد اللّه ابن جعفر و عمّار بن ياسر قال أمير المؤمنين عليه السّلام: و ادّعوا أخاكم فإنّه لا بدّ للشاخص أن يمضي و للمشيّع من أن يرجع، فتكلّم كلّ رجل منهم على حياله فقال الحسن بن عليّ عليهما السّلام: رحمك اللّه يا أبا ذرّ إنّ القوم إنّما امتهنوك بالبلاء لأنّك

منعتهم دينك فمنعوك دنياهم، فما أحوجك غدا إلى ما منعتهم و أغناك عمّا منعوك فقال أبو ذرّ – رحمه اللّه –: رحمكم اللّه من أهل بيت فما لي شجن في الدّنيا غيركم إذا المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٦٢

ذكرتكم ذكرت بكم جدّكم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم».

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إذا ودّع المؤمنين قال: زوّدكم اللّه التقوى، و وجّهكم إلى كلّ خير و قضى لكم كلّ حاجة، و سلّم لكم دينكم و دنياكم، و ردّكم سالمين إلى سالمين».

و في خبر آخر عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«كان رسول اللّه

صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا ودّع مسافرا أخذ بيده ثمّ قال: أحسن اللّه لك الصحابة، و أكمل المعونة، و سهّل لك الحزونة، و قرّب لك البعيد، و كفاك المهمّ، و حفظ لك دينك و أمانتك و خواتيم عملك، و وجّهك لكلّ خير، عليك بتقوى اللّه، أستودع اللّه نفسك، سر على بركة اللّه عزّ و جلّ».

[قال:]

«الرابع أن يصلّي قبل السفر صلاة الاستخارة،

كما وصفناها في كتاب الصلاة و وقت الخروج، يصلّي لأجل السفر».

أقول: روى في الفقيه عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«ما استخلف رجل على أهله

بخلافة أفضل من ركعتين يركعهما إذا أراد الخروج إلى سفر و يقول: «اللّهمّ إنّي أستودعك نفسي و أهلي و مالي و ذرّيّتي و دنياي و آخرتي و أمانتي و خاتمة عملي» فما قال ذلك أحد إلا أعطاه اللّه تعالى ما سأل».

قال:

«الخامس إذا حصل على باب الدّار فليقل».

أقول: قد مرّ الدّعاء في كتاب أسرار الحجّ،و في الفقيه عن صباح الحذّاء قال: «سمعت موسى بن جعفر عليهما السّلام يقول:لو كان الرّجل منكم إذا أراد سفرا قام على باب داره تلقاء الوجه الّذي يتوجّه إليه، فقرأ فاتحة الكتاب أمامه و عن

يمينه و عن شماله، و آية الكرسيّ أمامه و عن يمينه و عن شماله، ثمّ قال: «اللّهمّ احفظني و احفظ ما معي، و سلّمني و سلّم ما معي، و بلّغني و بلّغ ما معي ببلاغك

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٦٣

الحسن»

لحفظه اللّه و لحفظ ما معه، و سلّمه اللّه و سلّم ما معه، و بلّغه اللّه و بلّغ ما معه، قال: ثمّ قال: يا صباح أما رأيت الرّجل يحفظ و لا يحفظ ما معه و يسلم و لا يسلم ما معه و يبلغ و لا يبلغ ما معه؟ قلت: بلى جعلت فداك».

و كان الصادق عليه السّلام إذا أراد سفرا قال:«اللّهمّ خلّ سبيلنا و أحسن مسيرنا و أعظم عافيتنا».

و روى علي بن أسباط عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام قال: قال لي:«إذا خرجت من منزلك في سفر أو حضر فقل: «بسم اللّه آمنت باللّه، و توكّلت على اللّه، ما شاء اللّه، لا حول و لا قوّة إلا باللّه» فتلّقاه الشياطين فتضرب الملائكة وجوهها و تقول: ما سبيلكم عليه و قد سمّى اللّه و آمن به و توكّل على اللّه، و قال: ما شاء اللّه لا حول و لا قوّة إلا باللّه».

و روى أبو بصير، عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«من قال حين يخرج من باب داره: «أعوذ باللّه

ممّا عاذت منه ملائكة اللّه من شرّ هذا اليوم و من شرّ الشيطان و من شرّ من نصب لأولياء اللّه و من شرّ الجنّ و الانس و من شرّ السباع و الهوامّ و من شرّ ركوب المحارم كلّها، اجيز نفسي باللّه من كلّ شيء» غفر اللّه له و تاب عليه و كفاه المهمّ و حجزه عن السوء و عصمه من الشرّ».

و كان الصادق عليه السّلام:«إذا وضع رجله في الرّكاب يقول: «سبحان الّذي سخّر لنا هذا و ما كنّا له مقرنين» و يسبّح اللّه سبعا و يحمد اللّه سبعا، و يهلّل اللّه سبعا».

و في المكارم عن الرّضا عليه السّلام قال: «قال رسول اللّه صلّى

اللّه عليه و آله و سلّم:إذا ركب الرّجل الدّابة فسمّى ردفه ملك يحفظه حتّى ينزل فإن ركب و لم يسمّ ردفه شيطان فيقول له: تغنّ «فإن قال: لا أحسن، قال: تمنّ فلا يزال يتمنّى حتّى ينزل».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٦٤

و قال:«من قال إذا ركب الدّابّة: «بسم اللّه و لا قوّة إلا باللّه و الحمد للّه الّذي سخّر لنا هذا و ما كنّا له مقرنين» حفظت نفسه و دابّته حتّى ينزل».

و في رواية أخرى ما يقال عند الرّكوب:«الحمد للّه الّذي هدانا بالإسلام، و علّمنا القرآن و منّ علينا بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله

و سلّم: سبحان الّذي سخّر لنا هذا و ما كنّا له مقرنين و إنّا إلى ربّنا لمنقلبون و الحمد للّه ربّ العالمين، اللّهمّ أنت الحامل على الظهر و المستعان على الأمر، و أنت الصاحب في السفر و الخليفة في الأهل و المال و الولد، اللّهمّ أنت عضدي و ناصري» و إذا مضت بك راحلتك فقل في طريقك:

«خرجت بحول اللّه و قوّته بغير حول منّي و قوّة و لكن بحول اللّه و قوّته، برئت إليك يا ربّ من الحول و القوّة، اللّهمّ إنّي أسألك بركة سفري هذا و بركة أهلي، اللّهم إنّي أسألك من فضلك الواسع رزقا حلالا طيّبا تسوقه إليّ و أنا خائض في عافية بقوّتك و قدرتك، اللّهمّ إنّي

سرت في سفري هذا بلا ثقة منّي بغيرك و لا رجاء لسواك فارزقني في ذلك شكرك و عافيتك و وفّقني لطاعتك و عبادتك حتّى ترضى و بعد الرّضا».

و عن الباقر عليه السّلام:«لو كان شيء يسبق القدر: لقلت: أنّ قارئ إنّا أنزلناه حين يسافر أو يخرج من منزله سيرجع إليه إن شاء اللّه تعالى».

و في الفقيه عن الكاظم عليه السّلام قال:«من خرج وحده في سفر فليقل: «ما شاء اللّه لا حول و لا قوّة إلا باللّه، اللّهمّ آنس وحشتي و أعنّي على وحدتي و أدّ غيبتي».

و عن الصادق عليه السّلام قال:«كان رسول اللّه صلّى اللّه

عليه و آله و سلّم في سفره إذا هبت سبّح و إذا صعد كبّر»خ

و عن أحدهما عليهما السّلام قال:«إذا كنت في سفر فقل: «اللّهمّ اجعل مسيري عبرا و صمتي تفكّرا و كلامي ذكرا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و الّذي نفس أبي القاسم

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٦٥

بيده ما هلّل مهلّل، و لا كبّر مكبّر على شرف من الأشراف إلا هلّل ما خلفه و كبّر ما بين يديه بتهليله و تكبيره حتّى يبلغ مقطع التراب».

و في المكارم«إذا بلغت جسرا فقل حين تضع قدمك عليه: «بسم اللّه اللّهمّ ادحر عنّي الشيطان الرّجيم».

و في ركوب السفينة بسم اللّه الملك الرّحمنو ما قدروا اللّه حقّ قدرة ٦: ٩١- الآية -بسم اللّه مجريها و مرسيها إنّ ربّي لغفور رحيم ١١: ٤١[١].

قال أبو حامد:

«السادس أن يرحل من المنازل بكرة،

روى جابر«أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رحل يوم الخميس بكرة و هو يريد تبوك و بكّر، و قال: «اللّهمّ بارك لامّتي في بكورها».

و يستحبّ أن يبتدئ بالخروج يوم الخميس فقد روي أنّه «ما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و

سلّم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس».

و لا ينبغي أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة، و اليوم منسوب إليها و كان أوّله من أسباب وجوبها».

أقول: و في الفقيه عن الباقر عليه السّلام قال:«كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يسافر يوم الخميس، و قال: يوم الخميس يحبّه اللّه و رسوله و ملائكته».

و عن الصادق عليه السّلام قال:«من أراد سفرا فليسافر يوم السبت، فلو أنّ حجرا زال عن جبل يوم السبت لردّه الله إلى مكانه».

---

[١] و تمام الآية في سورة الانعام:و ما قدروا اللّه حق قدره و الأرض جميعا قبضته يوم القيمة و السموات مطويات بيمينه سبحانه و تعالى عما يشركون ٦: ٩١

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٦٦

وعنه عليه السّلام قال:«لا تخرج يوم الجمعة في حاجة، فإذا كان يوم السبت و طلعت الشمس فاخرج في حاجتك».

و عنه عليه السّلام قال:«السبت لنا و الأحد لبني أميّة».

و عنه عليه السّلام قال:«من سافر أو تزوّج و القمر في العقرب لم ير الحسني».

و كتب بعض البغداديّين إلى أبي الحسن الثاني عليه السّلام يسأله عن «الخروج يوم الأربعاء لا يدور» فكتب عليه السّلام من خرج يوم الأربعاء لا يدور خلافا على أهل الطيرة وقي من كلّ آفة و عوفي من كلّ عاهة و قضى اللّه له حاجته».

و عن حمّاد بن عثمان قال:«قلت لأبي عبد اللّه عليه السّلام: أ يكره السفر في شيء من الأيّام المكروهة مثل الأربعاء و غيره؟ فقال: افتتح سفرك بالصدقة و اخرج إذا بدا لك و اقرأ آية الكرسيّ و احتجم إذا بدا لك».

و عنه عليه السّلام قال:«تصدّق و اخرج أيّ يوم شئت».

و عن الباقر عليه السّلام قال:«كان عليّ بن الحسين عليهما السّلام إذا أراد الخروج إلى بعض أمواله اشترى السلامة من اللّه تعالى بما تيسّر له و يكون ذلك إذا وضع رجله في الركاب، و إذا سلّمه اللّه تعالى و انصرف حمد اللّه تعالى و شكره و تصدّق بما تيسّر له».

قال أبو حامد: «و التشييع للوداع مستحبّ و هو سنّة،قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«لأن اشيّع مجاهدا في سبيل اللّه فأكنفه على رحله غدوة أو روحة أحبّ إليّ من الدّنيا و ما فيها».

أقول: قد ذكرنا تشييع أمير المؤمنين عليه السّلام و أصحابه لأبي ذرّ – رحمه اللّه – و قد مرّ تشييعه عليه السّلام للذمّي في كتاب آداب الصحبة و المعاشرة.

و روي أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«شيّع جعفر الطيّار لمّا وجّهه إلى الحبشة و زوّده

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٦٧

هذه الكلمات «اللّهمّ ألطف به في تيسير كلّ عسير، فإنّ تيسير العسير عليك يسير و أسألك اليسر و العافية و المعافاة الدّائمة».

و في التهذيب بسند صحيح عن أحدهما عليهما السّلام قال:«إذ شيّع الرّجل أخاه فليقصّر، قلت: أيّهما

أفضل يصوم أو يشيّعه و يفطر؟

قال: يشيّعه لأنّ اللّه قد وضعه عنه إذا شيّعه».

قال:

«السابع أن لا ينزل حتّى يحمى النّهار

فهو السنّة و يكون أكثر سيره في اللّيل،قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«عليكم بالدلجة فإنّ الأرض تطوى باللّيل ما لا تطوى بالنّهار».

و مهما أشرف على المنزل فليقل:»

أقول: قد مرّ الدّعاء في كتاب أسرار الحجّ و كذا دعاء النزول كما ذكره.

و في الفقيه في وصيّة النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعليّ عليه السّلام:يا عليّ إذا وردت مدينة أو

قرية فقل حين تعاينها: «اللّهمّ إنّي أسألك خيرها، و أعوذ بك من شرّها، اللّهمّ حبّبنا إلى أهلها، و حبّب صالحي أهلها إلينا».

و فيه «قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعليّ عليه السّلام:يا عليّ إذا نزلت منزلا فقل: «اللّهمّ أنزلني منزلا مباركا و أنت خير المنزلين» تزرق خيره، و تدفع عنك شرّه».

و في المكارم و في رواية:«أيّدني بما أيّدت به الصالحين، و هب لي السلامة و العافية في كلّ وقت و حين، أعوذ بكلمات اللّه التامّات من شرّ ما خلق و ذرأ و برأ» ثمّ صلّ ركعتين و قل: «اللّهمّ ارزقنا خير هذه البقعة، و أعذنا من شرّها، اللّهمّ أطعمنا من حباها، و أعذنا من

وبائها، و حبّبنا إلى أهلها، و حبّب صالحي أهلها

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٦٨

إلينا» و إذا أردت الرّحيل فصلّ ركعتين و ادع اللّه بالحفظ و الكلاءة و ودّع الموضع و أهله فإنّ لكلّ موضع أهلا من الملائكة، و قل: «السلام على ملائكة اللّه الحافظين السلام علينا و على عباد اللّه الصالحين و رحمة اللّه و بركاته».

و في الفقيه قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«عليكم بالسير باللّيل فإنّ الأرض تطوى باللّيل».

و عن الصادق عليه السّلام:«الأرض تطوى من آخر اللّيل».

قال:

«الثامن أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة

لأنّه ربما يغتال أو ينقطع و يكون باللّيل متحفّظا عند النوم، كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «إذا نام في سفره في ابتداء اللّيل افترش ذراعه، و إن نام في آخر اللّيل نصب ذراعه نصبا و جعل رأسه في كفّه» و الغرض من ذلك أن لا يستثقل من النوم فيطلع الشمس و هو نائم لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل ممّا يطلب بسفره».

و المستحبّ باللّيل أن يتناوب الرّفقاء في الحراسة فإذا نام واحد حرس آخر فهو السنّة، و مهما قصده عدوّ أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسيّ، و شهد اللّه، و الإخلاص، و المعوّذتين، و ليقل:» أقول: قد مرّ الدّعاء في كتاب أسرار الحجّو عن الصادق عليه السّلام قال:«من قرأ آية الكرسيّ في السفر في كلّ ليلة سلم و سلم ما معه و يقول: «اللّهم اجعل مسيري عبرا، و صمتي تفكّرا، و كلامي ذكرا».

و عنه عليه السّلام قال:«أتى أخوان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالا: إنّا نريد الشام في تجارة

فعلّمنا ما نقول، قال: بعد إذ أويتما إلى منزل فصلّيا العشاء الآخرة فإذا وضع

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٦٩

أحدكما جنبه على فراشه بعد الصلاة فليسبّح تسبيح فاطمة ثمّ ليقرأ آية الكرسيّ فإنّه محفوظ من كلّ شيء، فهما و اظباه و إنّ لصوصا تبعوهم حتّى نزلوا فبعثوا غلاما لهم ينظر كيف حالهم ناموا أم هم مستيقظون فانتهى الغلام إليهم و قد وضع أحدهما جنبه إلى فراشه و قرأ آية الكرسيّ و سبّح تسبيح فاطمة عليها السّلام قال: فإذا عليهما حائطان مبنيّان فجاء الغلام فطاف بهما فكلّما دار لم ير

إلا حائطين فرجع إلى أصحابه فقال: لا و اللّه ما رأيت إلا حائطين مبنيّين قالوا: أخزاك اللّه لقد كذبت بل ضعفت و جبنت، فقاموا ينظروا فلم يجدوا إلا حائطين مبنيين فداروا بالحائطين فلم يروا إنسانا فانصرفوا إلى موضعهم فلمّا كان من الغد جاءوا إليهم فقالوا: أين كنتم؟ فقالوا: ما كنّا إلا ههنا ما برحنا، فقالوا: لقد جئنا فما رأينا إلا حائطين مبنيين فحدّثانا ما قصّتكما، فقالا: أتينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فعلّمنا آية الكرسيّ و تسبيح فاطمة عليها السّلام ففعلنا. فقالوا: انطلقوا فو اللّه ما نتبعكم أبدا و لا يقدر عليكم لصّ بعد هذا الكلام».

و في الفقيه عن الصادق عليه السّلام قال:«إذا ضللت عن الطريق فناد: يا صالح – أو يا أبا صالح – أرشدونا إلى الطريق يرحمكم اللّه».

و روي«أنّ البرّ موكّل به صالح، و البحر موكّل به حمزة»خ

و عنه عليه السّلام قال:«إذا تغوّلت لكم الغول فأذّنوا».

و عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إيّاكم و التعريس على ظهر الطريق و بطون الأودية فإنّها مدارج السباع و مأوى الحيّات».

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم«من نزل منزلا يتخوّف منه السبع فقال «أشهد أن لا إله إلا اللّه

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٧٠

وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد بيده الخير، و هو على كلّ شيء قدير، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من شرّ كلّ سبع» إلا أمن من شرّ كلّ السبع حتّى يرحل من ذلك المنزل إن شاء اللّه».

قال:

«التاسع أن يرفق بالدّابّة

إن كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق، و لا يضرب في وجهها فإنّه منهيّ عنه، و لا ينام عليها فإنّه يثقل بالنوم و تتأذّى به الدّابّة».

أقول: قد مرّ تمام بيان هذه الآداب كما ذكره ههنا بعينه في كتاب أسرار الحجّ فلا حاجة إلى إعادته، و أمّا من طريق الخاصّةففي الفقيه روى إسماعيل بن أبي زياد بإسناده

قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:للدّابة على صاحبها خصال: يبدأ بعلفها إذا نزل، و يعرض عليها الماء إذا مرّ به، و لا يضرب وجهها فإنّها تسبّح بحمد ربّها، و لا يقف على ظهرها إلا في سبيل اللّه، و لا يحملها فوق طاقتها، و لا يكلّفها من المشي إلا ما تطيق».

و سأل رجل أبا عبد اللّه عليه السّلام: «متى أضرب دابّتي تحتي؟ قال: إذا لم تمش تحتك كمشيها إلى مذودها».

و روي أنّه قال:«اضربوها على العثار و لا تضربوها على النفار فإنّها ترى ما لا ترون».

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إذا عثرت الدّابّة تحت الرّجل فقال لها: تعست تقول: تعس أعصانا للرّبّ».

و قال عليّ عليه السّلام في الدّوابّ:«لا تضربوها الوجوه، و لا تلعنوها فإنّ اللّه تعالى لعن لاعنها»و في خبر آخر«لا تقبّحوا الوجوه».

و قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إنّ الدّوابّ إذا لعنت لزمتها اللّعنة».

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«لا تتورّكوا على الدّواب، و لا تتّخذوا ظهورها

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٧١

مجالس».

و قال الباقر عليه السّلام:«لكلّ شيء حرمة و حرمة البهائم في وجوهها».

و روي عن أبي ذرّ – رضي اللّه عنه – أنّه قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:«إنّ الدّابّة تقول: اللّهم ارزقني مليك صدق يشبعني و يسقيني و لا يحملني ما لا أطيق».

قال الصادق عليه السّلام:«ما اشترى أحد دابّة إلا قالت: اللّهمّ اجعله بي رحيما».

و روى عنه عبد اللّه بن سنان قال:«اتّخذوا الدّابّة فإنّها زين، و تقضى عليها الحوائج، و رزقها على اللّه تعالى».

و روى السكوني بإسناده قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ اللّه تعالى يحبّ الرّفق و يعين عليه، فإذا ركبتم الدّوابّ العجاف فأنزلوها منازلها فإن كانت الأرض مجدبة فانجوا عليها و إن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها».

و قال عليّ عليه السّلام:«من سافر منكم بدابّة فليبدأ حين ينزل بعلفها و سقيها».

و قال أبو جعفر عليه السّلام:«إذا سرت في أرض خصبة فارفق بالسير، و إذا سرت في أرض مجدبة فعجّل بالسير».

و روى السكوني بإسناده«أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أبصر ناقة معقولة و عليها جهازها فقال:

أين صاحبها مروها فليستعدّ غدا للخصومة».

و في خبر آخر «قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أخّروا الأحمال فإنّ اليدين معلّقة، و الرّجلين موثّقة».

و روى ابن فضّال عن حمّاد اللّحّام قال:«مرّ قطار لأبي عبد اللّه عليه السّلام فرأى زاملة قد مالت فقال: يا غلام اعدل على هذا الجمل فإنّ اللّه تعالى يحبّ العدل»

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٧٢

و روى أيّوب بن أعين قال: سمعت الوليد بن صبيح يقول لأبي عبد اللّه عليه السّلام:«إنّ أبا حنيفة رأى

هلال ذي الحجّة بالقادسيّة و شهد معنا عرفة فقال: ما لهذا صلاة، ما لهذا صلاة».

و حجّ عليّ بن الحسين عليهما السّلام على ناقة أربعين حجّة فما قرعها بسوط.

و قال عليّ عليه السّلام:«إنّ على ذروة كلّ بعير شيطانا فأشبعه و امتهنه».

و نهى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يتخطّى القطار قيل: يا رسول اللّه: و لم؟ قال: «لأنّه ليس من قطار إلا و ما بين البعير إلى البعير شيطان».

و في المكارم عن أبي عبيدة عن أحدهما عليهما السّلام قال:«أيّما دابّة استصعبت على صاحبها من

لجام و نفار فليقرأ في أذنها أو عليها: «أ فغير دين اللّه يبغون و له أسلم من في السموات و الأرض طوعا و كرها و إليه ترجعون».

و عن الرّضا عليه السّلام قال:«في كلّ منخر من الدّواب شيطان فإذا أراد أحدكم أن يلجمها فليسمّ اللّه عزّ و جلّ».

قال أبو حامد: «و ينبغي أن يقرّر مع المكاري ما يحمله شيئا فشيئا، و يعرضه عليه و يستأجر الدّابة بعقد صحيح لئلا يثور بينهما نزاع يؤذي القلب، فليحترز عن كثرة الكلام و اللّجاج مع المكاري، و لا ينبغي أن يحمل فوق المشروط شيئا و إن خفّ فإنّ القليل يجرّ إلى الكثير، و

من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

العاشر ينبغي أن يستصحب ستّة أشياء،

قالت عائشة: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا سافر حمل معه خمسة أشياء: المرآة، و المكحلة، و المدرى، و السواك، و المشط.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٧٣

و قالت أمّ سعد الأنصارية: كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يفارقه في السفر المرآة و المكحلة.

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم«عليكم بالإثمد عند مضجعكم

فإنّه ممّا يزيد في البصر و ينبت الشعر».

و روي أنّه «كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يكتحل ثلاثا ثلاثا» و في رواية «أنّه اكتحل لليمنى ثلاثا و لليسرى ثنتين».

و كان بعض المتوكّلين لا يفارقه أربعة أشياء في السفر و الحضر: الركوة، و الحبل، و الإبرة بخيوطها، و المقراض، و كان يقول: هذه ليست من الدّنيا».

أقول في الفقيه روى سليمان بن داود المنقري عن حمّاد بن عيسى عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال: في وصية لقمان لابنهيا بنيّ سافر بسيفك و خفّك و عمامتك و حبالك و سقائك و خيوطك و مخرزك، و

تزوّد معك من الأدوية ما تنتفع به أنت و من معك و كن لأصحابك موافقا إلا في معصية اللّه عزّ و جلّ، و زاد فيه بعضهم و فرسك.

و فيه قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:من خرج في سفر و معه عصا لو زمّر و تلا هذه الآية:و لمّا توجّه تلقاء مدين ٢٨: ٢٢- إلى قوله -:و اللّه على ما نقول وكيل ٢٨: ٢٨آمنه اللّه عزّ و جل من كلّ سبع ضاري، و من كلّ لصّ عادي، و من كلّ ذات حمة حتّى يرجع إلى أهله و منزله، و كان معه سبعة و سبعون من المعقّبات يستغفرون له حتّى يرجع و يضعها».

و قال: «قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:حمل العصا ينفي الفقر، و لا يجاوره شيطان».

و قال عليه السّلام:«من أراد أن تطوى له الأرض فليتّخذ النقد من العصا – و النقد عصا لوز مرّ – ».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٧٤

و قال عليه السّلام:«تعصّوا فإنّها من سنن إخواني النبيّين، و كانت بنو إسرائيل الصغار و الكبار يمشون على العصا حتّى لا يختالوا في مشيهم».

و قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام:«أنا ضامن لمن خرج يريد سفرا معتمّا تحت حنكه

ثلاثا أن لا يصيبه السرق و الغرق و الحرق».

و في ثواب الأعمال عن الصادق عليه السّلام قال:«ضمنت لمن يخرج من بيته معتمّا أن يرجع إليه سالما».

و عنه عليه السّلاممن خرج في سفر فلم يدر العمامة تحت حنكه فأصابه ألم لا دواء له فلا يلومنّ إلا نفسه».

الحادي عشر و هو الّذي أضفناه مارواه في الفقيه عن سليمان بن داود المنقري عن حمّاد بن عيسي عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«قال لقمان لابنه إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك و أمورهم، و أكثر التبسّم في

وجوههم، و كن كريما على زادك بينهم، إذا دعوك فأجبهم، و إن استعانوا بك فأعنهم، و استعمل طول الصمت و كثرة الصلاة، و سخاء النفس بما معك من دابّة أو ماء أو زاد، و إذا استشهدوك على الحقّ فأشهد لهم و أجهد رأيك لهم إذا استشاروك، ثمّ لا تعزم حتّى تثبت و تنظر، و لا تجب في مشورة حتّى تقوم فيها و تقعد و تنام و تأكل و تصلّي و أنت مستعمل فكرتك و حكمتك في مشورتك فإنّ من لم يمحض النصيحة لمن استشاره سلبه اللّه رأيه و نزع عنه الأمانة، و إذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم و إذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم، و إذا تصدّقوا

و أعطوا قرضا فأعط معهم، و اسمع لمن هو أكبر منك سنّا، و إذا أمروك بأمر و سألوك شيئا فقل: نعم، و لا تقل: لا فإنّ لا عيّ و لؤم، و إذا تحيّرتم في الطريق فانزلوا، و إذا شككتم في القصد فقفوا و تؤامروا، و إذا رأيتم شخصا واحدا فلا تسألوه عن طريقكم و لا تسترشدوه فإنّ الشخص الواحد في المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٧٥

الفلاة مريبّ لعلّه يكون عين اللّصوص أو يكون هو الشيطان الّذي حيّركم، و احذروا الشخصين أيضا إلا أن تروا ما لا أرى فإنّ العاقل إذا أبصر بعينه شيئا عرف الحقّ منه، و الشاهد يرى ما لا يرى

الغائب، يا بنيّ إذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخّرها لشيء صلّها و استرح منها فإنّها دين، و صلّ في جماعة و لو على رأس زجّ، و لا تتامنّ على دابّتك فإنّ ذلك سريع في دبرها و ليس ذلك من فعل الحكماء إلا أن تكون في محمل يمكنك التمدّد لاسترخاء المفاصل، و إذا قربت إلى المنزل فانزل عن دابّتك و ابدأ بعلفها قبل نفسك فإنّها نفسك، و إذا أردتم النزول فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لونا و أليهنا تربة و أكثرها عشبا، فإذا نزلت فصلّ ركعتين قبل أن تجلس، و إذا أردت قضاء حاجتك فابعد المذهب في الأرض، و إذا ارتحلت فصلّ ركعتين، ثمّ ودّع الأرض الّتي

حللت بها و سلّم عليها و على أهلها، فإنّ لكلّ بقعة أهلا من الملائكة و إن استطعت أن لا تأكل طعاما حتّى تبدأ فتصدّق منه فافعل، و عليك بقراءة كتاب اللّه عزّ و جلّ ما دمت راكبا، و عليك بالتسبيح ما دمت عاملا عملا، و عليك بالدّعاء ما دمت خاليا، و إيّاك و السير من أوّل اللّيل و سر في آخره و إيّاك و رفع الصوت في مسيرك».

قال أبو حامد:

«الثاني عشر في آداب الرّجوع من السفر

«كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا قفل من حجّ أو غزو أو غيره

يكبّر على كلّ شرف من الأرض ثلاث تكبيرات و يقول:

لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد، يحيي و يميت، و هو على كلّ شيء قدير، آئبون تائبون عابدون ساجدون لربّنا حامدون، صدق اللّه وعده، و نصر

عبده، و هزم الأحزاب وحده».

أقول: و في المكارم عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال لمّا رجع من خيبر:«آئبون تائبون إن شاء اللّه عابدون راكعون ساجدون لربّنا حامدون، اللّهمّ لك الحمد على حفظك إيّاي في سفري و حضري، اللّهمّ اجعل أوبتي هذه

مباركة ميمونة مقرونة بتوبة نصوح توجب لي بها السعادة يا أرحم الراحمين».

قال أبو حامد: «و إذا أشرف على مدينته فليقل: «اللّهمّ اجعل لنا بها قرارا و رزقا حسنا ثمّ ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره و لا ينبغي أن يطرقهم ليلا فقد ورد النهي عنه.

و كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا قدم دخل المسجد أوّلا و صلّى ركعتين ثمّ دخل البيت و إذا دخل قال: «توبا توبا لربّنا أوبا لا يغادر علينا حوبا».

و ينبغي أن يحمل لأهله و لأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر

إمكانه فهو سنّة، وقد روي أنّه«إن لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجرا».

و كأنّ هذا مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة لأنّ الأعين تمتدّ إلى القادم من السفر و القلوب تفرح به فيتأكّد الاستحباب في تأكيد فرحهم و إظهار التفات القلب في السفر إلى ذكرهم بما يستصحبه في الطريق لهم».

أقول: روى في الفقيه عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال:«نهى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يطرق الرّجل أهله ليلا إذا جاء من الغيبة حتّى يؤذنهم».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٧٧

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«السفر قطعة من العذاب فإذا قضى أحدكم سفره فليسرع الإياب إلى أهله».

و قال الصادق عليه السّلام:«سير المنازل ينفد الزّاد و يسيء الأخلاق و يخلق الثياب و السير ثمانية عشر».

و عنه عليه السّلام قال:«ليس من المروّة أن يحدّث الرّجل بما يلقى في السفر من خير أو شرّ».

و في الكافي عنه عليه السّلام قال:«التواصل بين الاخوان في الحضر التزاور و في السفر التكاتب».

و عنه عليه السّلام قال:«ردّ جواب الكتاب واجب كوجوب ردّ السلام، و

البادي بالسلام أولى باللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم».

فصل قال أبو حامد: «فهذه جملة من الآداب الظاهرة فأمّا الآداب الباطنة

فقد مرّ في الباب الأوّل بيان لجملة منها و جملته أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر، و مهما وجد قلبه متغيّرا إلى نقصان فليقف و لينصرف و لا ينبغي أن يجاوز همّه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه و ينوي في دخول كلّ بلد أن يرى شيوخها و يجتهد أن يستفيد من كلّ واحد أدبا أو حكمة لينتفع بها، لا ليحكي ذلك و يظهر أنّه لقى المشايخ، و لا يقيم ببلد أكثر من أسبوع أو عشرة أيّام إلا أن يأمره

الشيخ المقصود بذلك، و لا يجالس في مدّة الإقامة إلا الفقراء الصادقين، و إن كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيّام فهو حدّ الضيافة إلا إذا شقّ على أخيه مفارقته، و إذا قصد

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٧٨

زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم و ليلة و لا يشتغل بالعشرة فإنّ ذلك يقطع بركة سفره و كلّما يدخل بلدا فلا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله، فإن كان في منزله فلا يدقّ عليه بابه و لا يستأذن إلى أن يخرج فإذا خرج تقدّم بأدب و لا يتكلّم بين يديه إلا أن يسأله فإن سأله أجاب بقدر السؤال،

و لا يسأله عن مسألة ما لم يستأذن أوّلا، و إذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان و أسخيائها و لا أصدقائه فيها، و ليذكر مشايخها و فقراءها، و لا يهمل في سفره زيارة قبور الصّالحين، بل يتفقّد في كلّ قرية أو بلدة، و لا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة و مع من يقدر على إزالتها، و يلازم في الطريق الذّكر و قراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره، و إذا كلّمه إنسان فليترك الذكر و ليجبه ما دام يحدّثه ثمّ ليرجع، فإن تبرّمت نفسه بالسفر أو بالإقامة فليخالفها فإنّ البركة مع مخالفة النفس، و إذا تيسّرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي أن يسافر تبرّما بالخدمة فذلك كفران نعمة، و مهما

وجد نفسه في نقصان عمّا كان في الحضر فليعلم أنّ سفره معلول و ليرجع إذ لو كان بحقّ لظهر أثره.

قال رجل لأبي عثمان المغربي: خرج فلان مسافرا فقال: السفر غربة و الغربة ذلّة و ليس للمؤمن أن يذلّ نفسه. و أشار به إلى من ليس له في السفر زيادة دين، و إلا فعزّ الدّين لا ينال إلا بذلّ الغربة، فليكن سفر المريد من وطن هواه و مراده و طبعه حتّى يعزّ في هذه الغربة و لا يذلّ فإنّ من اتّبع هواه في سفره ذلّ لا محالة إمّا عاجلا و إمّا آجلا.

الباب الثالث فى ما لا بد للمسافر من تعلّمه من رخص السفر و أدلّة القبلة و الأوقات

اعلم أنّ المسافر يحتاج في أوّل سفره إلى أن يتزوّد لدنياه و لآخرته، أمّا زاد الدّنيا فالطعام و الشراب و ما يحتاج إليه من النفقة، فإن خرج متوكّلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره في قافلة أو بين قرى متواصلة و إن ركب البادية

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٧٩

وحده أو تبع قوما لا طعام لهم و لا شراب فإن كان ممّن يصبر على الجوع أسبوعا و عشرة أيّام مثلا و يقدر على أن يجتزي بالحشيش فله ذلك، و إن لم يكن له قوّة الصبر على الجوع و لا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فإنّه ألقى نفسه

بيده إلى التهلكة، و لهذا سرّ سيأتي في كتاب التوكّل و ليس معنى التوكّل التباعد عن الأسباب بالكلّية و لو كان كذلك لبطل التوكّل بطلب الدلو و الحبل و نزح الماء من البئر و لوجب أن يصبر حتّى يسخّر اللّه تعالى ملكا أو شخصا آخر حتّى يصبّ الماء في فيه، فإن كان حفظ الدّلو و الحبل لا يقدح في التوكّل و هو آلة الوصول إلى المشروب فحمل عين المشروب و المطعوم حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه، و سيأتي حقيقة التوكّل في موضعه فإنّه ملتبس إلا على المحقّقين من علماء الدّين.

و أمّا زاد الآخرة فهو العلم الّذي يحتاج إليه في طهارته و صومه و

صلاته و عباداته فلا بدّ و أن يتزوّد منه إذ السفر تارة يخفّف عليه أمورا فيحتاج إلى معرفة القدر الّذي يخفّفه السفر كالقصر و الجمع و الفطر و تارة يشدّد عليه أمورا كان مستغنيا عنها في الحضر، كالعلم بالقبلة و أوقات الصّلوات فإنّه في البلد مكفيّ بغيره من محاريب المساجد و أذان المؤذّنين و في السفر قد يحتاج أن يتعرّف بنفسه فإذن ما يفتقر إلى تعلّمه ينقسم إلى قسمين:».

أقول: الآن فلندع البدع الّتي ذكرها أبو حامد في هذا الباب من تجويزه المسح على الخفّين في السفر، و جعله القصر و الفطر فيه من الرّخص دون العزائم، و تخصيصه

جواز الجمع بين الصلاتين بالسفر، و كذا عدّه جواز التيمّم عند تعذّر الماء من رخصه، إلى غير ذلك من متفرّعات هذه الأحكام على مقتضى الآراء العامّيّة الفاسدة، فإنّ المسح على الخفّين عند أهل البيت عليهم السّلام بدعة شنعاء لا بدعة فوقها.

قال في الفقيه: قال الصادق عليه السّلام:«ثلاثة لا أتّقي فيهنّ أحدا: شرب المسكر، و المسح على الخفّين، و متعة الحجّ».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٨٠

و روت عائشة عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:«أشدّ الناس حسرة يوم القيامة من رأى وضوءه على جلد غيره».

و روي عنها أنّها قالت: لأن أمسح على ظهر عير بالفلاة أحبّ إلىّ من أن أمسح على خفّي.

و لم يعرف للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خفّ إلا خفّ أهداه له النجاشي و كان موضع ظهر القدمين منه مشقوقا، فمسح النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على رجليه و عليه خفّاه فقال الناس: إنّه مسح على خفيّه، و على أنّ الحديث في ذلك غير صحيح الإسناد.

و قال: روى زرارة و محمّد بن مسلم«أنّهما قالا قلنا لأبي جعفر عليه السّلام: ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي و كم هي؟ فقال: إنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:و إذا

ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ٤: ١٠١فصار التقصير في السفر واجبا كوجوب التمام في الحضر، قالا: قلنا: إنّما قال اللّه تعالى:فليس عليكم جناحٌ ٤: ١٠١و لم يقل: افعلوا فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام في الحضر؟ فقال عليه السّلام:

أو ليس قد قال اللّه تعالى في الصّفا و المروة:فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما ٢: ١٥٨ألا ترون أنّ الطواف بهما واجب مفروض لأنّ اللّه عزّ و جلّ ذكره في كتابه و صنعه نبيّه عليه السّلام و كذلك التقصير في السفر شيء صنعه النبيّ صلّى اللّه عليه

و آله و سلّم و ذكره اللّه تعالى في كتابه، قالا: قلنا له: فمن صلّى في السفر أربعا أ يعيد أم لا؟ قال: إن كان قد قرأت عليه آية التقصير و فسّرت له فصلّى أربعا أعاد، و إن لم يكن قرأت عليه و لم يعلمها فلا إعادة عليه، و الصلوات كلّها في السفر الفريضة ركعتان كلّ صلاة إلا المغرب فإنّها ثلاث ليس فيها تقصير تركها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في السفر و الحضر ثلاث ركعات و قد سافر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلي ذي خشب و هي مسيرة يوم من المدينة يكون إليها بريدان أربعة و عشرون ميلا، فقصّر

البيضاء ج : ٤ ص : ٨١

و أفطر، فصارت سنّة، و قد سمّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قوما صاموا حين أفطر: العصاة قال: فهم العصاة إلى يوم القيامة، و إنّا لنعرف أبناءهم و أبناء أبنائهم إلى يومنا هذا».

فلنذكر شرائط القصر و الفطر في السفر و كيفيّة الصلاة على الراحلة و في السفينة و ماشيا على طريقة أهل البيت عليهم السّلام و كيفيّة زيارة ضرائحهم المقدّسة و آدابها ممّن ليس منهم عليهم السّلام بالمدينة المشرّفة فإنّ ذلك ذكرناه في كتاب أسرار الحجّ و لنذكر أيضا أدلّة القبلة و كيفيّة معرفتها من كلام

أبي حامد أمّا أدلّة الأوقات و معرفتها فقد ذكرناها في كتاب أسرار الصلاة فلا حاجة إلى إعادتها كما فعله أبو حامد و كذا بيان الجمع بين الصلاتين و كيفيّة التيمّم و بيان جوازه عند تعذّر الماء مع أنّه لا خصوصيّة لهما بالسفر عندنا فههنا مطالب:

المطلب الاوّل في شرائط القصر و الفطر،

إنّما يجب التقصير و الإفطار في السفر إذا اجتمعت ستّة شرائط:

الأوّل أن يكون السفر ثمانية فراسخ ذهابا فقطّ أو مع الإياب، وقع الإياب في يومه أو لا، ما لم ينقطع سفره بأحد القواطع الثلاثة الّتي نذكره، و قد وقع في أحاديث أهل

البيت عليهم السّلام في هذا المقام اشتباه على أكثر أصحابنا، فلم يفهموا مرادهم عليهم السّلام من كلامهم كما ينبغي، فتارة اشترطوا في أربعة فراسخ الرّجوع ليومه، و تارة قالوا بالتخيير بين القصر و الإتمام فيها، و المعتمد ما ذكرناه كما ذهب إليه شيخنا المتقدّم الحسن بن أبي عقيل العمّاني – رحمه اللّه – و قد أوضحناه في كتابنا المعتصم و الحمد للّه.

الثاني أن يكون المسافر قاصدا لهذه المسافة في ابتداء سفره

و استمرّ قصده إلى انتهاء المسافة، فلو لم يقصدها ابتداء و إن تمادى إليها السير أو قصدها ثمّ رجع عن قصده قبل بلوغها أتمّ و كذا لو تردّد

عزمه في الذّهاب و الإياب و لو كان قد صلّى قصرا قبل الرّجوع أو التردّد فلا يعيد للخبر الصحيح.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٨٢

الثالث أن لا يقطع سفره بنيّة إقامة عشرة أيّام،

أو يمضي ثلاثين يوما عليه متردّدا في نيّته في محلّ واحد، أو بالوصول إلى وطنه، أي منزله الّذي يكون فيه ستّة أشهر، و لو نوى إقامة العشرة ثمّ بدا له رجع إلى التقصير ما لم يصلّ صلاة فريضة و إلا يتمّ حتّى يخرج و كذا لو دخل في الصلاة بنيّة القصر فعنّ له الإقامة أتمّ.

الرابع أن لا يكون السفر عمله،

كالمكاري و البريد و الملاح فإنّهم يتمّون في أسفارهم، و في بعض الأخبار الصحيحة أنّهم إذا جدّ بهم السير قصّروا.

الخامس أن يكون سفره مباحا

فلو كان في معصية كأن يكون عاقّا لوالديه هاربا منهما، أو آبقا من مولاه، أو هاربة من زوجها أو فارّا من الزّحف، أو هاربا من الغريم مع قدرته على الوفاء، أو تاركا للجمعة مع وجوبها عليه، أو متوجّها إلى قطع الطريق، أو قتل إنسان، أو طلب إدرار حرام من سلطان جائر، أو سعي للفساد بين المسلمين، أو نحو ذلك فلا يجوز له التقصير.

و روى عبيد بن زرارة عن الصادق عليه السّلام قال:«سألته عن الرجل

يخرج إلى الصيد أ يقصّر أم يتمّ؟ قال: يتمّ لأنّه ليس بمسير حقّ».

و في مرسلة عمران بن محمّد القمّيّ«إن خرج لقوته و قوت عياله فليفطر و ليقصّر و إن خرج لطلب الفضول فلا و لا كرامة».

و لو قصد المعصية في أثناء السفر المباح أتمّ فلو عاد إلى الطاعة قصّر.

السّادس أن يتوارى عن جدران البلد أو يخفى عليه أذانه

و قيل كلاهما معا، و في اعتبار ذلك في حالة العود من السفر خلاف، و من وصل في سفره إلى مكّة أو المدينة أو جامع الكوفة أو حائر الحسين عليه السّلام تخيّر بين القصر و الإتمام، و الإتمام

أفضل و إن لم يعزم على إقامة عشرة، و قال الصدوق – رحمه اللّه – يقصّر ما لم ينو المقام عشرة و الأفضل أن ينوي المقام ليوقع صلاته تماما.

المطلب الثاني في الصلاة على الرّاحلة

و ماشيا و في السفينة إنّما تجوز الصلاة

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٨٣

على الرّاحلة و ماشيا مع الاختيار في النافلة و أمّا في الفريضة فلا إلا مع الضرورة الشّديدة، و ربما يخصّ في النافلة أيضا بالسفر و الأصحّ الجواز في الحضر أيضا إلا أنّه خلاف الأولى، يدلّ على ذلك كلّه

الأخبار المستفيضة عن أهل البيت عليهم السّلام.

ففي الصحيح عن الحلبيّ قال:«سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن صلاة النافلة على البعير و الدّابّة فقال: نعم حيث كان متوجّها، و كذلك فعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم».

و في الصحيح عن معاوية بن وهب عن الصّادق عليه السّلام قال: «سمعته يقول:كان أبي يدعو بالطهور في السفر و هو في محمله فيؤتى بالتور فيه الماء فيتوضّأ ثمّ يصلّي الثماني و الوتر في محمله فإذا نزل صلّى الركعتين و الصبح».

و في الصحيح عن يعقوب بن شعيب عنه عليه السّلام قال:«سألته عن الصلاة في السفر و أنا أمشي قال: أوم إيماء، و اجعل السجود أخفض من الركوع».

و في الصحيح عن عبد الرّحمن بن أبي نجران عنه عليه السّلام قال:«سألته عن الصلاة باللّيل في السفر في المحمل، قال: إذا كنت على غير القبلة فاستقبل القبلة ثمّ كبّر و صلّ حيث ذهب بك بعيرك».

و في الصحيح عن معاوية بن عمّار عنه عليه السّلام قال:لا بأس بأن يصلّي الرّجل صلاة اللّيل في السفر و هو يمشي، و لا بأس إن فاتته صلاة اللّيل أن يقضيها

بالنهار و هو يمشي يتوجّه إلى القبلة ثمّ يمشي و يقرأ، فإذا أراد أن يركع حوّل وجهه إلى القبلة و ركع و سجد ثمّ مشى».

و في الصحيح عن حمّاد بن عثمان عن الكاظم عليه السّلام«في الرّجل يصلّي النافلة و هو على دابّته في الأمصار قال: لا بأس».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٨٤

و في الصحيح عن عبد الرّحمن بن الحجّاج عنه عليه السّلام قال:«سألته عن صلاة النافلة في الحضر على ظهر الدّابة إذا خرجت قريبا من أبيات الكوفة أو كنت مستعجلا بالكوفة، فقال: إن كنت مستعجلا لا تقدر على النزول

و تخوّفت فوت ذلك إن تركته و أنت راكب فنعم، و إلا فإنّ صلاتك على الأرض أحبّ إليّ».

و في الصحيح عن عبد الرّحمن بن أبي عبد اللّه عن الصّادق عليه السّلام قال:«لا يصلّي على الدّابّة الفريضة إلا مريض يستقبل القبلة و يجزئه فاتحة الكتاب و يضع وجهه في الفريضة على ما أمكنه من شيء و يومي في النافلة إيماء».

و في الصحيح عن جميل بن درّاج عنه عليه السّلام قال: سمعته يقول:«صلّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الفريضة في المحمل يوم وحل و مطر».

و في الموثّق عن عبد اللّه بن سنان عنه عليه السّلام قال:«قلت له: أ

يصلّي الرّجل شيئا من المفروض راكبا؟ قال: لا إلا من ضرورة».

و في الصحيح عن زرارة عن الباقر عليه السّلام قال:«الّذي يخاف اللّصوص و السبع يصلّي صلاة المواقفة إيماء على دابّته، و يجعل السجود أخفض من الرّكوع و لا يدور إلى القبلة و لكن أينما دارت دابّته غير أنّه يستقبل القبلة بأوّل تكبيرة حين يتوجّه».

و المواقفة المحاربة وزنا و معنى مأخوذ من وقوف كلّ من الخصمين لحرب الآخر.

و يجوز الصلاة في السفينة اختيارا فرضا و نفلا عند أكثر أصحابنا، و قيل:

لا يجوز إلا مع الاضطرار.

و في الصحيح عن جميل بن درّاج عن الصّادق عليه السّلام أنّه قال له:«أكون في السفينة قريبة من الحدّ فأخرج و اصلّي قال: صلّ فيها أما ترضى بصلاة

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٨٥

نوح عليه السّلام».

و في الصحيح عن معاوية بن عمّار عنه عليه السّلام قال:«سألته عن السفينة فقال:

تستقبل القبلة بوجهك ثمّ تصلّي، كيف دارت، تصلّي قائما فإن لم تستطع فجالسا يجمع الصلاة فيها إن أراد و يصلّي على القير و القفر و يسجد عليه».

و في الصحيح عن حمّاد بن عثمان عنه عليه السّلام«أنّه سئل عن الصلاة في السفينة فقال: يستقبل القبلة فإذا دارت فاستطاع أن يتوجّه إلى القبلة فليفعل و إلا فليصلّ حيث توجّهت به، قال: فإن أمكنه القيام فليصلّ قائما و إلا فليقعد ثمّ ليصلّ».

المطلب الثالث في أدلّة القبلة و معرفتها.

قال أبو حامد: «أمّا أدلّة القبلة فهي ثلاثة أقسام أرضية كالاستدلال بالجبال و القرى و الأنهار، أو هوائيّة كالاستدلال بالرّياح شمالها و جنوبها و صباها و دبورها، أو سماويّة و هي النجوم، فأمّا الأرضية و الهوائيّة فيختلف بالبلاد

فربّ طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنّه على يمين المستقبل أو شماله أو ورائه أو قدّامه فليعلم ذلك و ليفهمه و كذلك الرّياح قد تدلّ في بعض البلاد فليفهم ذلك و لسنا نقدر على استقصاء ذلك إذ لكلّ بلد و إقليم حكم آخر، و أمّا السماويّة فأدلّتها تنقسم إلى نهاريّة و إلى ليليّة، أمّا النهاريّة فالشمس و لا بدّ أن يراعي قبل الخروج من البلد أنّ الشمس عند الزّوال أين تقع منه أبين الحاجبين؟ أو هي على العين اليمني، أو اليسرى، أو تميل إلى الجبين ميلا أكثر من ذلك، فإنّ الشمس لا تعدو في البلاد الشماليّة هذه المواقع، فإذا حفظ ذلك فمهما عرف الزّوال بدليله الّذي سنذكره

عرف القبلة به، و كذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر فإنّه في هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة، و هذا أيضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه،

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٨٦

و أمّا القبلة وقت المغرب فإنّها تدرك بموضع الغروب و ذلك بأن يحفظ أنّ الشمس تغرب عن يمين المستقبل أو هي مائلة إلى وجهه أو قفاه و بالشفق أيضا تعرف القبلة للعشاء الآخرة و بمشرق الشمس تعرف القبلة لصلاة الصبح فكان الشمس تدلّ على القبلة في الصلوات الخمس لكن يختلف ذلك

بالشتاء و الصيف فإنّ المشارق و المغارب كثيرة و إن كانت محصورة في جهتين فلا بدّ من تعلّم ذلك أيضا و لكن قد يصلّي المغرب و العشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدلّ على القبلة به فعليه أن يراعي موضع القطب و هو الكوكب الّذي يقال له: جدي فإنّه كوكب كالثابت لا يظهر حركته عن موضعه و ذلك إمّا أن يكون على قفاء المستقبل أو على منكبه الأيمن من ظهره أو منكبه الأيسر، في البلاد الشماليّة من مكّة و في البلاد الجنوبيّة كاليمن و ما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فليعلم ذلك و ما عرفه في بلاده فليعوّل عليه في الطريق كلّه إلا إذا طال السفر فإنّ

المسافة إذا بعدت اختلف موقع الشمس و موقع القطب و موقع المشارق و المغارب إلا أن ينتهي في أثناء سفره إلى بلاد فينبغي أن يسأل أهل البصيرة أو يراقب هذه الكواكب و هو مستقبل محراب جامع البلد حتّى يتّضح له ذلك فمهما تعلّم هذه الأدلّة فله أن يعوّل عليها».

أقول: فإن بان له أنّه أخطأ فإن صلّى إلى ما بين المشرق و المغرب في جهتها أجزأته و كذا إذا علم به بعد أن كان الوقت قد خرج و إلا فليعد كذا ورد عن أهل البيت عليهم السّلام في أخبار مستفيضة و القبلة هي عين الكعبة حيث يمكن رؤيتها و إن احتيج إلى

الاستدلال عليها لتعذّر الرّؤية فجهتها لقوله تعالى:و حيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره ٢: ١٤٤و معنى مقابلة العين أن يقف موقفا لو أخرج خطّ مستقيم من بين عينيه إلى جدار الكعبة لا تّصل به و حصل من جانبي الخطّ زاويتان متساويتان و معنى مقابلة الجهة أن يتّصل طرف الخطّ الخارج من بين العينين إلى الكعبة من غير أن يتساوى الزاويتان عن جنبي الخطّ هذا هو التحقيق فيه عند محقّقينا و عند

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٨٧

أبي حامد و لا حاجة إلى تطويل الكلام في هذا المقام كما فعله [١].

المطلب الرابع في آداب زيارة قبور أئمّتنا عليهم السّلام الّتي بعراق و خراسان

و أمّا قبر أمير المؤمنين عليه السّلام بالغريّ

ففي الفقيهإذا أتيت الغري بظهر الكوفة فاغتسل و امش على سكون و وقار حتّى تأتي أمير المؤمنين عليه السّلام فتستقبله بوجهك و تقول:

«السلام عليك يا وليّ اللّه أنت أوّل مظلوم و أوّل من غصب حقّه صبرت و احتسبت حتّى أتاك اليقين و أشهد أنّك لقيت اللّه و أنت شهيد، عذّب اللّه قاتلك بأنواع العذاب و جدّد عليه العذاب، جئتك عارفا بحقّك مستبصرا بشأنك، معاديا

لأعدائك و من ظلمك، ألقى على ذلك ربّي إن شاء اللّه، إنّ لي ذنوبا كثيرة فاشفع لي عند ربّك فإنّ لك عند اللّه تعالى مقاما معلوما و إنّ لك عند اللّه جاها و شفاعة و قد قال اللّه تعالى:و لا يشفعون إلا لمن ارتضى ٢١: ٢٨.

و تقول عند قبر أمير المؤمنين عليه السّلام أيضا: «الحمد للّه الّذي أكرمني بمعرفته و معرفة رسوله و من فرض طاعته، رحمة منه لي و تطوّلا منه عليّ، و منّ عليّ بالإيمان، الحمد للّه الّذي سيّرني في بلاده، و حملني على دوابّه، و طوى لي البعيد، و دفع عنّي المكروه حتّى أدخلني حرم أخي نبيّه و أرانيه في عافية، الحمد للّه الّذي

جعلني من زوّار قبر وصيّ رسوله، الحمد للّه الّذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا اللّه، أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله جاء بالحقّ من عنده، و أشهد أنّ عليّا عبد اللّه و أخو رسوله، اللّهمّ عبدك و زائرك متقرّب إليك بزيارة قبر أخي رسولك، و على كلّ مأتيّ حقّ لمن أتاه و زاره، و أنت خير مأتيّ و أكرم مزور، فأسألك يا اللّه يا رحمن يا رحيم يا جواد يا أحد يا صمد يا –

---

[١] اما اليوم فمع وجود «بوصلة القبلة» التي ابتكرها الزعيم «حسين على رزم آرا» لا نحتاج إلى اعمال هذه القواعد التقريبية و الحق أنه – دام توفيقه – خفف كاهلنا عن معضلة تعيين القبلة باختراعه القيم الفخم، و قد استحسن عمله هذا جل العلماء العظام من الفريقين و زعمائهما و قرضوه بما لا مزيد عليه فجزاه اللّه عنا و عن جميع المسلمين خير جزاء المحسنين، و بوصلته اليوم معروفة مشهورة في جميع البلاد.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٨٨

من لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد، أن تصلّي على محمّد و

أهل بيته و أن تجعل تحفتك إيّاي من زيارتي في موقفي هذا فكاك رقبتي من النّار و اجعلني ممّن يسارع في الخيرات و يدعوك رغبا و رهبا و اجعلني من الخاشعين، اللّهمّ أنت بشّرتني على لسان نبيّك صلواتك عليه و آله فقلت:فبشّر عبادي الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه ۳۹: ۱۷ - ۱۸و قلت:و بشّر الّذين آمنوا أنَّ لهم قدم صدق عند ربّهم ۱۰: ۲اللّهمّ و إنّي بك مؤمن و بجميع أنبيائك فلا تقفني بعد معرفتهم موقفا تفضحني على رءوس الخلائق، بل قفني معهم و توفّني على التصديق بهم فإنّهم عبيدك و أنت خصصتهم بكرامتك و أمرتني باتّباعهم».

ثمّ تدنو من القبر و تقول:

«السلام من اللّه على محمّد أمين اللّه و على رسله و عزائم أمره، و معدن الوحي و التنزيل، الخاتم لما سبق و الفاتح لما استقبل و المهيمن على ذلك كلّه و الشاهد على خلقه و السراج المنير و السلام عليه و رحمة اللّه و بركاته، اللّهمّ صلّ على محمّد و أهل بيته المظلومين أفضل و أرفع و أشرف و أكمل ما صلّيت على أحد من أنبيائك و رسلك و أصفيائك، اللّهمّ صلّ على عليّ أمير المؤمنين عبدك و خير خلقك بعد نبيّك و أخي رسولك و وصيّ رسولك الّذي انتجبته من خلقك، و الدّليل على من بعثته برسالاتك، و ديّان الدّين بعدلك و

فصل قضائك بين خلقك، و السلام عليه و رحمة اللّه و بركاته، اللّهمّ صلّ على الأئمّة من ولده القوّامين بأمرك من بعده، المطهّرين الّذين ارتضيتهم أنصارا لدينك و حفظة لسرّك و شهداء على خلقك و أعلاما لعبادك» و تصلّي عليهم ما استطعت.

فإذا أردت أن تودّعه فقل:

«السلام عليك و رحمة اللّه و بركاته، أستودعك اللّه و أسترعيك و أقرأ عليك السلام آمنّا باللّه و بالرسل و بما جاءت به و دلّت عليه فاكتبنا مع الشاهدين، أشهد في مماتي على ما شهدت عليه في حياتي، و أشهد أنّكم الأئمّة واحدا بعد واحد و أشهد أنّ من قتلكم و

حاربكم مشركون و من ردّ عليكم في أسفل درك من الجحيم أشهد أنّ من حاربكم لنا أعداء و نحن منهم براء، و أنّهم حزب الشيطان، اللّهمّ إنّي أسألك

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٨٩

بعد الصلاة و التسليم أن تصلّي على محمّد و آل محمّد (و تسمّيهم عليهم السّلام) و لا تجعله آخر العهد من زيارته فإن جعلته فاحشرني مع هؤلاء الأئمّة المسلمين، اللّهمّ و ثبّت قلوبنا بالطاعة و المناصحة و المحبّة و حسن المؤازرة و التسليم».

و أما قبر أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام بكربلا

ففي الفقيه قال الصادق عليه السّلام:«إذا أتيت أبا عبد اللّه الحسين عليه السّلام فاغتسل على شاطئ الفرات ثمّ البس ثيابا طاهرة ثمّ امش حافيا فإنّك في حرم من حرم اللّه عزّ و جلّ و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عليك بالتكبير و التهليل و التمجيد و التعظيم للّه عزّ و جلّ كثيرا و الصلاة على محمّد و أهل بيته صلوات اللّه عليهم حتّى تصير إلى باب الحائر، ثمّ تقول:

«السلام عليك يا حجّة اللّه و ابن حجّته، السلام عليكم يا ملائكة اللّه و زوّار قبر ابن نبيّ اللّه» ثمّ اخط عشر خطي ثمّ قف، فكبّر اللّه ثلاثين تكبيرة ثمّ امش إليه حتّى

تأتيه من قبل وجهه و استقبل وجهه بوجهك و اجعل القبلة بين كتفيك ثمّ قل: «السلام عليك يا حجّة اللّه و ابن حجّته، السلام عليك يا ثار اللّه في الأرض و ابن ثاره، السلام عليك يا وتر اللّه الموتور في السماوات و الأرض، أشهد أنّ دمك سكن في الخلد و اقشعرّت له أظلّة العرش، و بكى له جميع الخلائق و بكت له السماوات السبع و الأرضون و ما فيهنّ و ما بينهنّ [و ما تحتهنّ] و من ينقلب في الجنّة و النّار من خلق ربّنا و ما نرى و ما لا نرى، أشهد أنّك حجّة اللّه و ابن حجّته و أشهد أنّك ثار اللّه و ابن ثاره و أشهد أنّك و تر اللّه الموتور في السماوات و الأرض، و أشهد

أنّك بلّغت عن اللّه و نصحت، و وفيت و وافيت، و جاهدت في سبيل ربّك، و مضيت للّذي كنت عليه شهيدا و مستشهدا و شاهدا و مشهودا، أنا عبد اللّه و مولاك و في طاعتك و الوافد إليك ألتمس بذلك كمال المنزلة عند اللّه عزّ و جلّ و ثبات القدم في الهجرة إليك و السبيل الّذي لا يختلج دونك من الدّخول في كفالتك الّتي أمرت بها، من أراد اللّه بدأ بكم، من أراد اللّه بدأ بكم، من أراد اللّه بدأ بكم، بكم يبيّن اللّه الكذب، و بكم يباعد اللّه الزّمان الكلب،

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٩٠

و بكم يفتح اللّه، و بكم يختم اللّه، و بكم يمحو ما يشاء، و بكم يثبت، و بكم يفكّ اللّه الذّلّ من رقابنا، و بكم يدرك اللّه ترة كلّ مؤمن و مؤمنة تطلب، و بكم تنبت الأرض أشجارها، و بكم تخرج الأشجار ثمارها، و بكم تنزل السماء قطرها، و بكم يكشف اللّه الكرب، و بكم ينزّل اللّه الغيث، و بكم تسبّح الأرض الّتي تحمل أبدانكم، لعنت امّة قتلتكم و امّة خالفتكم، و امّة جحدت ولايتكم و امّة ظاهرت عليكم و امّة شهدت و لم تنصركم، الحمد للّه الّذي جعل النّار مأواهم و بئس ورد الواردين، و بئس الورد المورود، و الحمد للّه ربّ العالمين، صلّى اللّه عليك يا أبا عبد اللّه،

صلّى اللّه عليك يا أبا عبد اللّه، صلّى اللّه عليك يا أبا عبد اللّه، أنا إلى اللّه ممّن خالفك بريء، أنا إلى اللّه ممّن خالفك بريء أنا إلى اللّه ممّن خالفك بريء».

ثمّ ائت ابنه عليّا عليهما السّلام و هو عند رجليه و تقول: «السلام عليك يا ابن رسول اللّه، السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين، السلام عليك يا ابن الحسن و الحسين، السلام عليك يا ابن خديجة و فاطمة، صلّى اللّه عليك، صلّى اللّه عليك، صلّى اللّه عليك، لعن اللّه من قتلك، لعن اللّه من قتلك، لعن اللّه من قتلك، أنا إلى اللّه منه بريء، أنا إلى اللّه منه بريء، أنا إلى اللّه منه بريء، السلام عليكم،

السلام عليكم، السلام عليكم، فزتم و اللّه، فزتم و اللّه، فزتم و اللّه، يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزا عظيما».

ثمّ تدور فتجعل قبر أبي عبد اللّه صلوات اللّه عليه بين يديك فتصلّي ستّ ركعات و قد تمّت زيارتك.

فإذا أردت أن تودّعه فقل: «السلام عليك و رحمة اللّه و بركاته نستودعك و نقرأ عليك السلام آمنّا باللّه و بالرسول و بما جاء به و دلّ عليه و اتّبعنا الرّسول يا ربّ فاكتبنا مع الشاهدين، اللّهمّ لا تجعله آخر العهد منّا و منه، اللّهمّ إنّا نسألك أن تنفعنا بحبّه، اللّهمّ ابعثه مقاما محمودا تنصر به دينك و تقتل به عدوّك، و تبير به من نصب حربا

لآل محمّد فإنّك وعدته ذلك و أنت لا تخلف الميعاد، السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته، أشهد أنّكم شهداء و نجباء، جاهدتم في سبيل اللّه و قتلتم على منهاج رسول اللّه و ابن رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كثيرا، و الحمد للّه الّذي صدقكم وعده و أراكم ما تحبّون

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٩١

و صلّى اللّه على محمّد و آل محمّد و عليهم السلام و رحمة اللّه و بركاته، اللّهمّ لا تشغلني في الدّنيا عن شكر نعمتك و لا بإكثار فيها فتلهيني عجائب بهجتها و تفتنني زهرتها، و لا بإقلال يضرّ بعملي ضرّه و يملأ صدري همّه، أعطني

من ذلك غنى عن شرار خلقك و بلاغا أنال به رضاك يا أرحم الراحمين».

فإذا أردت قبور الشهداء فقل: «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار».

و أما قبر أبي الحسن موسى بن جعفر و أبي جعفر محمد بن على عليهما السّلام ببغداد

ففي الفقيه:إذا وردت بغداد إن شاء اللّه فاغتسل و تنظّف و البس ثوبيك الطاهرين و زر قبريهما و قل حين تصير إلى قبر موسى بن جعفر عليهما السّلام: «السلام عليك يا وليّ اللّه، السلام عليك يا حجّة اللّه، السلام عليك يا نور اللّه في ظلمات الأرض أتيتك زائرا عارفا

بحقّك، معاديا لأعدائك مواليا لأوليائك فاشفع لي عند ربّك».

ثمّ سل حاجتك ثمّ تسلّم على أبي جعفر عليه السّلام بهذه الأحرف و النداء.

و إذا أردت زيارته عليه السّلام فاغتسل و تنظّف و البس ثوبيك الطاهرين و قل:

«اللّهمّ صلّ على محمّد بن عليّ الإمام التقيّ النقيّ الرّضيّ المرتضى و حجّتك على من فوق الأرض و من تحت الثرى صلاة كثيرة نامية زاكية مباركة متواترة متواصلة مترادفة كأفضل ما صلّيت على أحد من أوليائك، و السلام عليك يا وليّ اللّه، السلام عليك يا نور اللّه، السلام عليك يا حجّة اللّه، السلام

عليك يا إمام المؤمنين و وارث علم النبيّين و سلالة الوصيّين، السلام عليك يا نور اللّه في ظلمات الأرض أتيتك زائرا عارفا بحقّك معاديا لأعدائك مواليا لأوليائك فاشفع لي عند ربّك» ثمّ سل حاجتك.

ثمّ صلّ في القبّة الّتي فيها محمّد بن عليّ عليهما السّلام أربع ركعات بتسليمتين عند رأسه ركعتين لزيارة موسى و ركعتين لزيارة محمّد بن عليّ و لا تصلّ عند رأس موسى عليه السّلام فإنّه يقابل قبور قريش و لا يجوز اتّخاذها قبلة إن شاء اللّه.

و أما قبر أبي الحسن على بن موسى الرضا عليه السّلام بطوس

فإذا أردت زيارته فاغتسل و البس أطهر ثيابك و امش حافيا و عليك السكينة و الوقار، بالتكبير و التهليل

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٩٢

و التمجيد و قصّر خطاك و قل حين تدخل: «بسم اللّه و باللّه و على ملّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله و أنّ عليا وليّ اللّه» و سر حتّى تقف على قبره و تستقبل وجهه بوجهك و اجعل القبلة بين كتفيك و قل:

«أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمّدا عبده و

رسوله، و أنّه سيّد الأوّلين و الآخرين، و أنّه سيد الأنبياء و المرسلين، اللّهمّ صلّ على محمّد عبدك و رسولك و نبيّك و سيّد خلقك أجمعين، صلاة لا يقوى على إحصائها غيرك، اللّهمّ صلّ على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عبدك و أخي رسولك.... -» إلى آخر الأئمّة المعصومين عليهم السّلام و تسمّيهم بأسمائهم ثمّ تجلس عند رأسه، و تقول: «السلام عليك يا وليّ اللّه، السلام عليك يا حجّة اللّه، السلام عليك يا نور اللّه في ظلمات الأرض، السلام عليك يا عمود الدّين، السلام عليك يا وارث آدم صفوة اللّه، السلام عليك يا وارث نوح نجيّ اللّه، السلام

عليك يا وارث إبراهيم خليل اللّه، السلام عليك يا وارث إسماعيل ذبيح اللّه، السلام عليك يا وارث موسى كليم اللّه، السلام عليك يا وارث عيسى روح اللّه، السلام عليك يا وارث محمّد رسول اللّه، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين وليّ اللّه، السلام عليك يا وارث فاطمة الزّهراء، السلام عليك يا وارث الحسن و الحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، السلام عليك يا وارث عليّ بن الحسين سيد العابدين، السلام عليك يا وارث محمّد بن عليّ باقر علم الأوّلين و الآخرين، السلام عليك يا وارث جعفر بن محمّد الصادق البارّ السلام عليك يا وارث موسى بن جعفر، السلام عليك أيّها

الصدّيق الشهيد، السلام عليك أيّها الوصي البارّ التقيّ، أشهد أنّك قد أقمت الصلاة، و آتيت الزكاة، و أمرت بالمعروف، و نهيت عن المنكر، و عبدت اللّه مخلصا حتّى أتاك اليقين، السلام عليك يا أبا الحسن و رحمة اللّه و بركاته إنّه حميد مجيد».

ثمّ تنكّب على القبر و تقول:

«اللّهمّ إليك صمدت من أرضي و قطعت البلاد رجاء رحمتك فلا تخيّبني و لا تردّني بغير قضاء حاجتي، و ارحم تقلّبي على قبر ابن أخي رسولك صلواتك عليه و آله، بأبي أنت و امّي أتيتك زائرا عارفا بحقّك، وافدا عائذا ممّا جنيت على نفسي

و احتطبت على ظهري، فكن لي شافعا إلى اللّه يوم فقري و فاقتي، فلك عند اللّه مقام محمود، و أنت عنده وجيه» ثمّ ترفع يدك اليمنى و تبسط اليسرى على القبر و تقول:

«اللّهمّ إنّي أتقرّب إليك بحبّهم و ولايتهم أتولّي آخرهم بما تولّيت به أوّلهم و أبرأ من كلّ وليجة دونهم، اللّهمّ العن الّذين بدّلوا نعمتك و اتّهموا نبيّك، و جحدوا بآياتك، و سخروا بإمامك، و حملوا الناس على أكتاف آل محمّد، اللّهمّ إنّي أتقرّب إليك باللّعنة عليهم و البراءة منهم في الدّنيا و الآخرة يا رحمن».

ثمّ تحوّل عند رجليه، و قل: «صلّى اللّه عليك يا أبا الحسن، صلّى اللّه على روحك و بدنك و صبرت و أنت الصادق المصدّق، قتل اللّه من قتلك بالأيدي و الألسن».

ثمّ ابتهل في اللّعنة على قاتل أمير المؤمنين عليه السّلام و على قتلة الحسن و الحسين و على جميع قتلة أهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ثمّ تحوّل عند رأسه من خلفه، و صلّ ركعتين، تقرأ في إحداهما الحمد و يس، و في الأخرى الحمد و الرّحمن، و تجتهد في الدّعاء و التضرّع و أكثر من الدّعاء لنفسك و لوالديك و لجميع إخوانك، و أقم

عند رأسه ما شئت و لتكن صلاتك عند القبر.

فإذا أردت أن تودّعه فقل: «السلام عليك يا مولاي و ابن مولاي و رحمة اللّه و بركاته، أنت لنا جنّة من العذاب و هذا أو ان انصرافنا عنك، غير راغب عنك، و لا مستبدل بك، و لا مؤثر عليك، و لا زاهد في قربك، و قد جدت بنفسي للحدثان، و تركت الأهل و الأوطان و الأولاد، فكن لي شافعا يوم حاجتي و فقري و فاقتي يوم لا يغني عنّي حميمي و لا حبيبي و لا قريبي يوم لا يغني عنّي والديّ و لا ولدي، أسأل اللّه الّذي قدّر رحيلي إليك أن ينفّس بك كربتي، و أسأل اللّه الّذي قدّر عليّ فراق مكانك أن

لا يجعله آخر العهد من رجوعي، و أسأل اللّه الّذي أبكي عليك عينيّ أن يجعله لي سببا و ذخرا و أسأل اللّه الّذي أراني مكانك و هداني للتسليم عليك و زيارتي إيّاك أن يوردني حوضكم و يرزقني مرافقتكم في الجنان» و تقول: «اللّهمّ لا تجعله آخر العهد من زيارتي إيّاه فإن جعلته فاحشرني معه و مع آبائه الماضين، و إن أبقيتني يا ربّ فارزقني

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٩٤

زيارته أبدا ما أبقيتني إنّك على كلّ شيء قدير» و تقول: «أستودك اللّه و أسترعيك و أقرأ عليك السلام، آمنّا باللّه و بما دعوت إليه اللّهمّ

فاكتبنا مع الشاهدين، اللّهمّ ارزقني حبّهم و مودّتهم أبدا ما أبقيتني، السلام على ملائكة اللّه و زوّار قبر ابن نبيّ اللّه منّي أبدا ما بقيت و دائما إذا فنيت، السلام علينا و على عباد اللّه الصالحين».

فإذا خرجت من القبّة فلا تولّ وجهك عنه حتّى تغيب عن بصرك.

و أما قبر أبي الحسن على بن محمد و أبي محمد الحسن بن على عليهم السّلام بسرّ من رأى

ففي الفقيهإذا أردت زيارة قبريهما عليهما السّلام فاغتسل و تنظّف و البس ثوبيك الطاهرين فإن وصلت إلى قبريهما و إلا أومأت من عند الباب الّذي على الشارع إن شاء اللّه و تقول:

السلام عليكما يا وليّي اللّه، السلام عليكما يا حجّتي اللّه، السلام عليكما يا نوري اللّه في ظلمات الأرض أتيتكما عارفا بحقّكما، معاديا لأعدائكما، مواليا لأوليائكما، مؤمنا بما آمنتما به، كافرا بما كفرتما به، محقّقا لما حقّقتما، مبطلا لما أبطلتما، أسأل اللّه ربّي و ربّكما أن يجعل حظّي من زيارتي إيّاكما الصلاة على محمّد و آل محمّد و أن يرزقني مرافقتكما في الجنان مع آبائكما الصالحين، و أسأله أن يعتق رقبتي من النّار، و يرزقني شفاعتكما و مصاحبتكما و لا يفرّق بيني و بينكما و لا يسلبني حبّكما و حبّ آبائكما الصّالحين، و أن لا يجعله آخر العهد من زيارتكما و أن

يجعل محشري معكما في الجنّة برحمته، اللّهمّ ارزقني حبّهما و توفّني على ملّتهما، اللّهمّ العن ظالمي آل محمّد حقّهم و انتقم منهم، اللّهمّ العن الأوّلين منهم و الآخرين، و ضاعف عليهم العذاب الأليم، و بلّغ بهم و بأشياعهم و محبّيهم و شيعتهم أسفل درك من الجحيم إنّك على كلّ شيء قدير، اللّهمّ عجلّ فرج وليّك و ابن وليّك و اجعل فرجنا مع فرجه يا أرحم الراحمين» و تجتهد في الدّعاء لنفسك و لوالديك، و صلّ عندهما لكلّ زيارة ركعتين ركعتين، و إن لم تصلّ إليهما دخلت بعض المساجد، و صلّيت لكلّ إمام لزيارته ركعتين

و ادع اللّه بما أحببت إنّ اللّه تعالى قريب مجيب.

هذا آخر كتاب آداب السفر من ربع العادات من المحجّة البيضاء، و يتلوه كتاب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و الحمد للّه أوّلا و آخرا.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٩٥

كتاب الامر بالمعروف و النهى عن المنكر

و هو الكتاب الثامن من ربع العادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد للّه الّذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده، و لا تستمنح

النعم إلا بواسطة كرمه و مجده و رفده.

و الصلاة على سيّد الأنبياء محمّد رسوله و عبده، و على آله الطيّبين الطاهرين من بعده.

أما بعد فإنّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدّين، و هو المهمّ الّذي بعث اللّه له النبيّين أجمعين، و لو طوي بساطه و أهمل عمله و علمه تعطّلت النبوّة، و اضمحلّت الدّيانة، و عمّت الفترة، و فشت الضلالة، و شاعت الجهالة، و استسرى الفساد، و اتّسع الخرق، و خرب البلاد، و هلك العباد، و إن لم يشعروا بالهلاك إلى يوم التناد، و قد كان الّذي خفنا أن يكون. فإنّا للّه

و إنّا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله و علمه، و انمحى بالكلّيّة حقيقته و رسمه، و استولت على القلوب مداهنة الخلق، و انمحقت عنها مراقبة الخالق و استرسل الناس في اتّباع الهوى و الشهوات استرسال البهائم، و عزّ على بسيط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في اللّه لومة لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة و سدّ هذه الثلمة إمّا متكفّلا بعملها أو متقلّدا لتنفيذها، مجدّدا لهذه السنّة الدّاثرة، ناهضا بأعبائها، و متشمّرا في إحيائها كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنّة أفضى الزمان إلى إماتتها، و مستبدّا بقربة تتضاءل درجات القرب

البيضاء ج : ٤ ص : ٩٦

دون ذروتها، و ها نحن نشرح علم ذلك في أربعة أبواب:

الباب الأوّل في وجوب الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر، و فضيلته.

الباب الثاني في أركانه و شروطه.

الباب الثالث في مجاريه و بيان المنكرات المألوفة في العادات.

الباب الرابع في أمر الأمراء بالمعروف و نهيهم عن المنكر.

الباب الأوّل فى وجوب الامر بالمعروف و فضيلته و النهي عن المنكر و فضيلته

و المذمّة في إهماله. و يدلّ على ذلك بعد إجماع الامّة عليه و

إشارات العقول السليمة إليه الآيات و الأخبار و الآثار.

اما الآيات

فقوله تعالى:و لتكن منكم امّة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون ٣: ١٠٤ففي الآية بيان الإيجاب فإنّ قوله:و لتكن ٣: ١٠٤أمر و ظاهر الأمر الإيجاب، و فيها بيان أنّ الفلاح منوط به إذ حصر و قال:و أولئك هم المفلحون ٣: ١٠٤و فيها بيان أنّه فرض كفاية لا فرض عين فإنّه إذا قام به امّة سقط الفرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلّكم آمرين بالمعروف بل قال:و لتكن منكم امّة يدعون إلى الخير ٣: ١٠٤فإذن

مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين، و اختصّ الفلاح بالقائمين به المباشرين له، و إن تقاعد عنه الخلق أجمعون عمّ الحرج كافّة القادرين عليه لا محالة.

و قال تعالى:ليسوا سواء من أهل الكتاب امّة قائمة يتلون آيات اللّه آناء اللّيل و هم يسجدون. يؤمنون باللّه و اليوم الآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يسارعون في الخيرات و أولئك من الصالحين ٣: ١١٣ - ١١٤فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرّد الإيمان باللّه و اليوم الآخر حتّى أضاف إليه الأمر بالمعروف.

و قال تعالى:و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٩٧

و ينهون عن المنكر و يقيمون الصلاة ٩: ٧١فقد نعت المؤمنين بأنّهم يأمرون بالمعروف فالّذي هجر الأمر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية.

و قال تعالى:لعن الّذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود و عيسى ابن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ٥: ٧٨ – ٧٩.

و هذا غاية التشديد إذ علّل استحقاقهم اللّعنة بتركهم النهي عن المنكر.

و قال تعالى:كنتم خير امّة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر ٣: ١١٠.

و هذا يدلّ على فضيلة الأمر بالمعروف إذ بيّن أنّهم كانوا به خير امّة.

و قال تعالى:فلمّا نسوا ما ذكّروا به أنجينا الّذين ينهون عن السوء و أخذنا الّذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ٧: ١٦٥.

فبيّن أنّهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء و يدلّ ذلك على الوجوب أيضا.

و قال تعالى:الّذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر ٢٢: ٤١.

فقرن ذلك بالصلاة و الزكاة في نعت الصالحين و المؤمنين.

و قال تعالى:تعاونوا على البرّ و التقوى و لا تعاونوا على الإثم و العدوان ٥: ٢.

و هو أمر جزم، و معنى التعاون الحثّ عليه و تسهيل طرق الخير و سدّ سبل الشرّ و العدوان بحسب الإمكان.

و قال تعالى:لو لا ينهاهم الربّانيّون و الأحبار عن قولهم الإثم و أكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون» ٥: ٦٣فبيّن أنّهم أثموا بترك النهي.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٩٨

و قال تعالى:فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقيّة ينهون عن الفساد في الأرض ١١: ١١٦- الآية -.

فبيّن أنّه أهلك جميعهم إلا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد في الأرض.

و قال تعالى:يا أيّها الّذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء للّه و لو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين ٤: ١٣٥و ذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين و الأقربين.

و قال تعالى:لا خير في كثير من نجويهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس و

من يفعل ذلك ابتغاء مرضات اللّه فسوف نؤتيه أجرا عظيما ٤: ١١٤.

و قال تعالى:و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ٤٩: ٩- الآية -.

و الإصلاح نهي عن البغي و إعادة إلى الطاعة فإن لم يفعل فقد أمر اللّه بقتاله.

فقال تعالى:فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيء إلى أمر اللّه ٤٩: ٩.

و ذلك هو النهي عن المنكر.

و أما الاخبار:

فعن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«ما من قوم عملوا بالمعاصي و فيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمّهم اللّه بعذاب من عنده».

و عن أبي ثعلبة الخشنيّأنّه سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن تفسير قوله تعالى:

لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم ٥:

١٠٥فقال: «يا أبا ثعلبة: مر بالمعروف و انه عن المنكر، و إذا رأيت شحّا مطاعا و هوى متّبعا و دنيا مؤثرة و إعجاب كلّ ذي رأي برأيه فعليك بنفسك و دع العوامّ، إنّ من ورائكم فتنا كقطع اللّيل المظلم للمتمسّك فيها بمثل ما أنتم عليه أجر خمسين منكم، قيل: بل منهم يا رسول اللّه؟ قال: بل منكم لأنّكم تجدون على الخير أعوانا و لا يجدون عليه».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٩٩

و سئل ابن مسعود عن تفسير هذه الآية فقال: «إنّ هذا ليس زمانها إنّها في اليوم مقبولة، و لكن قد أوشك أن يأتي زمانها، تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا و كذا، و تقولون فلا يقبل منكم فحينئذ«عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم».

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«لتأمرنّ بالمعروف و لتنهونّ عن المنكر أو ليسلّطنّ اللّه عليكم شراركم ثمّ يدعو خياركم فلا يستجاب لهم».

معناه يسقط مهابتهم عن أعين الأشرار فلا يهابونهم و لا يخافونهم.

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«يا أيّها الناس إنّ اللّه تعالى

يقول: يا أيّها الناس لتأمرُنَّ بالمعروف و لتنهونّ عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم.

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«ما أعمال البرّ عند الجهاد في سبيل اللّه إلا كنفثة في بحر لجّيّ، و ما جميع أعمال البرّ و الجهاد في سبيل اللّه عند الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجّيّ».

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إنّ اللّه تعالى ليسأل العبد: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره، فإذا لقّن اللّه العبد حجّته قال: يا ربّ وثقت بك و فرقت من الناس».

قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إيّاكم و الجلوس على

الطرقات، قالوا: ما لنا بدّ منها إنّما هي مجالسنا نتحدّث فيها، قال: فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقّه، قالوا:

و ما حقّ الطريق؟ قال: غضّ البصر، و كفّ الأذى، و ردّ السلام، و أمر بالمعروف و نهي عن المنكر».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٠٠

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«كلام ابن آدم كلّه عليه لا له إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر و ذكر اللّه».

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إنّ اللّه لا يعذّب الخاصّة بذنوب العامّة حتّى يظهر المنكر

بين أظهرهم و هم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه».

و روى أبو أمامة الباهليّ عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:«كيف أنتم إذا طغى نساؤكم، و فسق شبابكم، و تركتم جهادكم؟ قالوا: و إن ذلك لكائن يا رسول اللّه، قال: نعم، و الّذي نفسي بيده و أشدّ منه سيكون، قالوا: و ما أشدّ منه يا رسول اللّه؟ قال: كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف و لم تنهوا عن منكر؟ قالوا: و كائن ذلك يا رسول اللّه؟ قال: نعم و الّذي نفسي بيده و أشدّ منه، قالوا: و ما أشدّ منه؟ قال: كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرا و المنكر معروفا؟ قالوا: و كائن ذلك يا رسول اللّه؟

قال: نعم و الّذي نفسي بيده و أشدّ منه سيكون؟ قالوا: و ما أشدّ منه يا رسول اللّه؟ قال: كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر و نهيتم عن المعروف؟ قالوا: و كائن ذلك يا رسول اللّه؟ قال: نعم و الّذي نفسي بيده و أشدّ منه سيكون، يقول اللّه تعالى: بي حلفت لاتيحنّ لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران».

و عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:لا تقفنّ عند رجل يقتل مظلوما فإنّ اللّعنة تنزل على من حضر حين لم يدفعه».

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«لا ينبغي لامرء شهد مقاما فيه حقّ إلا تكلّم به

البيضاء ج : ٤ ص : ١٠١

فإنّه لم يقدّم أجله و لن يحرمه رزقا هو له»،

و هذا الحديث يدلّ على أنّه لا يجوز دخول دور الظلمة و الفسقة، و لا حضور المشاهد الّتي يشاهد المنكر فيها و لا يقدر على تغييره فإنّه قال: «اللّعنة تنزل على من حضر» و لا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بأنّه عاجز، و لهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكر في الأسواق و الأعياد و المجامع و عجزهم عن التغيير و هذا يقتضي لزوم الهجرة للخلق.

و قال ابن مسعود: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«ما بعث اللّه نبيّا إلا و له حواريّ فيمكث النبيّ بين أظهرهم ما شاء اللّه، يعمل فيهم بكتاب اللّه و بأمره حتّى إذا قبض اللّه نبيّه مكث الحواريّون يعملون بكتاب اللّه و بأمره و سنّة نبيّهم، فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رءوس المنابر، يقولون ما يعرفون، و يعملون ما ينكرون، فإذا رأيتم ذلك فحقّ على كلّ مؤمن جهادهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع ذلك فبقلبه ليس وراء ذلك إسلام».

و قال ابن مسعود: كان أهل قرية يعملون بالمعاصي و كان فيهم

أربعة نفر ينكرون ما يعملون، فقام أحدهم فقال: إنّكم تعملون كذا و كذا فجعل ينهاهم و يخبرهم بقبيح ما يصنعون، فجعلوا يردّون عليه و لا يرعوون عن أعمالهم، فسبّهم فسبّوه و قاتلهم فغلبوه فاعتزل ثمّ قال: اللّهمّ إنّي قد نهيتهم فلم يطيعوني و سببتهم فسبّوني و قاتلتهم فغلبوني ثمّ ذهب، ثمّ قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبّهم فسبّوه فاعتزل ثمّ قال: اللّهمّ إنّي قد نهيتهم فلم يطيعوني و سببتهم فسبّوني و لو قاتلتهم لغلبوني، ثمّ قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل عنهم، ثمّ قال: اللّهمّ إنّي قد نهيتهم فلم يطيعوني، و لو سببتهم لسبّوني و لو قاتلتهم لغلبوني ثمّ ذهب، ثمّ قام الرابع و قال: اللّهمّ

إنّي لو نهيتهم لعصوني و لو سببتهم لسبّوني و لو قاتلتهم لغلبوني ثمّ ذهب، قال ابن مسعود: كان الرابع أدناهم منزلة و قليل فيكم مثله.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٠٢

و قال ابن عبّاس:«قيل: يا رسول اللّه أ يهلك القرية و فيها الصالحون؟ قال: نعم، قيل: بم يا رسول اللّه؟ قال: بشهادتهم و سكوتهم عن معاصي اللّه عزّ و جلّ».

فصل أقول: و من طريق الخاصّة مارواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«يكون في آخر

الزّمان قوم يتّبع فيهم قوم مراءون يتقرّءون و يتنسّكون،
حدثاء سفهاء، لا يوجبون أمرا بمعروف و لا نهيا عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر، و يطلبون لأنفسهم الرّخص و المعاذير، يتتبّعون زلات العلماء و فساد عملهم، يقبلون على الصلاة و الصيام و ما لا يكلمهم في نفس و لا مال و لو أضرّت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم و أبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض و أشرفها، إنّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض هنالك يتمّ غضب اللّه تعالى عليهم فيعمّهم بعقابه، فيهلك الأبرار في دار الفجّار، و الصغار في دار

الكبار، إنّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر سبيل الأنبياء و منهاج الصلحاء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، و تأمن المذاهب، و تحلّ المكاسب، و تردّ المظالم، و تعمر الأرض، و ينتصف من الأعداء، و يستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم، و الفظوا بألسنتكم، و صكّوا بها جباههم و لا تخافوا في اللّه لومة لائم، فإن اتّعظوا و إلى الحقّ رجعوا فلا سبيل عليهمإنّما السّبيل على الّذين يظلمون الناس و يبغون في الأرض بغير الحقّ أولئك لهم عذاب أليم ٤٢: ٤٢هنا لك فجاهدوا بأبدانكم و أبغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطانا و لا باغين مالا و لا مريدين بالظلم ظفرا

حتّى يفيئوا إلى أمر اللّه و يمضوا على طاعته.

قال: و أوحى اللّه تعالى إلى شعيب النبيّ عليه السّلام أنّي معذّب من قومك مائة ألف،

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٠٣

أربعين ألفا من شرارهم و ستّين ألفا من خيارهم فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى اللّه تعالى إليه داهنوا أهل المعاصي و لم يغضبوا بغضبي».

و عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«ما قدّست امّة لم يؤخذ لضعيفها من قويّها بحقّه غير متعتع».

و عن أبي الحسن عليه السّلام قال:«لتأمرنّ بالمعروف و لتنهنّ عن المنكر أو ليستعملنّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم».

و عن أبي جعفر و أبي عبد اللّه عليهما السّلام:«ويل لقوم لا يدينون اللّه بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر».

و عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«بئس القوم قوما يعيبون الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر».

و عن أمير المؤمنين عليه السّلامأنّه حمد اللّه و أثنى عليه و قال: «أمّا بعد فإنّه إنّما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي و لم ينههم الرّبّانيّون و

الأحبار عن ذلك و إنّهم لمّا تمادوا في المعاصي و لم ينههم الرّبّانيّون و الأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات، فأمروا بالمعروف و انهوا عن المنكر، و اعلموا أنّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لن يقرّبا أجلا و لن يقطعا رزقا، إنّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كلّ نفس بما قدّر اللّه لها من زيادة أو نقصان، فإن أصاب أحدكم مصيبة في أهل أو مال أو نفس أو رأى عند أخيه جفوة في أهل أو مال أو نفس فلا تكونّ عليه فتنة فإنّ المرء المسلم لبريء من الخيانة ما لم

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٠٤

يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت فيغري بها لئام الناس كان كالفالج الياسر [١] الّذي ينتظر أوّل فوزة من قداحه حتّى توجب له المغنم و يدفع بها عنه المغرم و كذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من اللّه تعالى إحدى الحسنيين إمّا داعي اللّه تعالى فما عند اللّه خير له، و إمّا رزق اللّه فإذا هو ذو أهل و مال و معه دينه و حسبه، إنّ المال و البنين حرث الدّنيا و العمل الصالح حرث الآخرة و قد يجمعهما اللّه لأقوام».

و عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«إنّ اللّه تعالى بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلبها على أهلها فلمّا انتهيا إلى المدينة و جدا رجلا يدعو

اللّه و يتضرّع فقال أحد الملكين لصاحبه: أما ترى هذا الدّاعي؟ فقال: قد رأيته و لكن أمضي لما أمر به ربّي فقال: لا، و لكن لا أحدث شيئا حتّى اراجع ربّي فعاد إلى اللّه تعالى فقال: يا ربّ إنّي انتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلانا يدعوك و يتضرّع إليك فقال: امض لما أمرتك به فإنّ ذا رجل لم يتمعّر وجهه غيظا لي قطّ».

و عنه عليه السّلام«إنّ رجلا من خثعم جاء إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: يا رسول اللّه أخبرني ما أفضل الإسلام؟ قال: الإيمان باللّه، قال: ثمّ ما ذا؟ قال: ثمّ صلة الرّحم، قال: ثمّ ما ذا؟ قال: الأمر بالمعروف و النهي عن

المنكر، قال: فقال الرجل: فأيّ الأعمال أبغض إلى اللّه؟ قال: الشرك باللّه، قال: ثمّ ما ذا؟ قال: قطيعة الرّحم، قال: ثمّ ما ذا، قال: الأمر بالمنكر، و النهيّ عن المعروف».

---

[۱] فى النهاية الفالج: الغالب في قماره، و الياسر: المتقامر و هو الذي تساهم قداح الميسر، و قال المؤلف في الوافي «لا تكونن» يعنى لا تكونن ما رأى في أخيه له فتنة تفضى به إلى الحسد لان من لم يواقع لدناءة و قبيح يستحيي من ذكره بين الناس و هتك ستره به

كاللاعب بالقداح المحظوظ منها، و «الغشيان» الإتيان «فيغرى بها» أى يولع بنشرها «كان كالياسر» خبر «ان». «توجب له المغنم الخ» أى تجلب له نفعا و يدفع عنه بها الضر.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٠٥

و عنه عليه السّلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام:أمرنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة».

و عنه عليه السّلام قال:«الأمر بالمعروف و النهيّ عن المنكر خلقان من خلق اللّه فمن نصرهما أعزّه اللّه و من خذلهما خذله اللّه».

و عنه عليه السّلام«أنّه كان إذا مرّ بجماعة يختصمون لا يجوزهم حتّى يقول ثلاثا: اتّقوا اللّه يرفع بها صوته».

و عن أبي الحسن الرضا عليه السّلام قال: «كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:إذا امّتي تواكلت الأمر بالمعروف و النهيّ عن المنكر فليأذنوا بوقاع من اللّه».

و عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال: «قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، و فسق شبابكم، و لم تأمروا بمعروف، و لم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له:

و يكون ذلك يا رسول اللّه؟ فقال: نعم و شرّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر و نهيتم عن المعروف؟ فقيل: يا رسول اللّه و يكون ذلك؟ قال: نعم و شرّ من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا و المنكر معروفا».

و عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله سلّم«أنّ اللّه ليبغض المؤمن الضعيف الّذي لا دين له، فقيل له: و ما المؤمن الّذي لا دين له؟ قال: الّذي لا ينهى عن المنكر».

و في التهذيب عن الصادق عليه السّلام أنّه قال لقوم من أصحابه:«قد حقّ لي أن أخذ البريء منكم بالسقيم و كيف لا يحقّ لي ذلك و أنتم يبلغكم عن

الرّجل منكم القبيح و لا تنكرون عليه و لا تهجرونه و لا تؤذونه حتّى يتركه».

و عن أمير المؤمنين عليه السّلام«من ترك إنكار المنكر بقلبه و يده و لسانه فهو ميّت بين الأحياء – في كلام هذا ختامه –».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٠٦

و نسبه أبو حامد في الآثار

إلى حذيفة وروي فيها عن عليّ عليه السّلام أنّه قال:أوّل ما تغلبون عليه من الجهاد بأيديكم، ثمّ الجهاد بألسنتكم، ثمّ الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب المعروف و لم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله».

[قال أبو حامد:]

الباب الثاني فى أركان الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و شروطه

أقول: لمّا كان كلام أبي حامد في هذا الباب مبنيّا على اصولهم الفاسدة من الرأي و الاستحسان و القياس و الاستدلال بالمتشابهات ممّا يزيد الحيرة و الالتباس، و كان يناقض بعضه بعضا طوينا ذكره و أتينا فيه بمحصّل ما وصل إلينا من أئمّتنا المعصومين سلام اللّه عليهم، ثمّ نذكر بعض ما ورد عنهم عليهم السّلام ممّا يؤيّده و يشيّده إن شاء اللّه.

فنقول – و باللّه التوفيق –: الأمر بالواجب واجب و بالمندوب مندوب، و النهي عن الحرام واجب و لكن

هذا الوجوب و الاستحباب مختصّ بطائفة خاصّة لا يعمّ آحاد الناس كما زعمه أبو حامد، و إنّما يثبت بشروط أربعة: أحدها العلم بكونه واجبا أو مستحبّا أو حراما أعني معروفا أو منكرا ليأمن الغلط فلا يجب في المتشابه، و الثاني تجويز التأثير فلو علم أو غلب على ظنّه أنّه لا يؤثّر لم يجب و لم يستحبّ لعدم الفائدة، و الثالث أن يكون المأمور و المنهيّ مصرّا على الاستمرار فلو ظهر منه أمارة الإقلاع سقط للزوم العبث، و الرابع أن لا يكون فيه مفسدة فلو ظنّ توجّه الضرر إليه أو إلى أحد من المسلمين سقط إذ لا ضرر و لا إضرار في الدّين، و لا يجوز

التجسّس كوضع الاذن و الأنف لإحساس الصوت و الرّيح و طلب إراءة ما تحت الثوب و نحوه، و إذا اجتمعت الشرائط و كان المطّلع منفردا

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٠٧

تعيّن عليه و إن كان معه غيره و شرع أحدهما في الأمر أو النهي فإن ظنّ الآخر أنّ لمشاركته أثرا في تعجيل ترتّب الأثر و رسوخ الانزجار وجب عليه أيضا و إلا فلا، لأنّ الغرض وقوع المعروف و ارتفاع المنكر فمتى حصلا بفعل واحد كان السعي من الآخر عبثا، و هذا معنى ما قيل: إنّ الوجوب كفائيّ و أمّا من قال: إنّه عينيّ

فإنّما أراد به الوجوب على من كان مستجمعا للشرائط فما يصحّ للنزاع ليس إلا سقوطه عن المستجمعين لها بقيام بعضهم به قبل ترتّب الأثر ليس إلا،سئل مولانا الصادق عليه السّلام عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر أ واجب على الامّة جميعا؟ فقال: لا، فقيل: و لم؟ قال: إنّما هو على القويّ المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعفة الّذين لا يهتدون سبيلا إلى أيّ من أيّ – يقول من الحقّ إلى الباطل – و الدّليل على ذلك كتاب اللّه تعالى قوله:و لتكن منكم امّة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ٣:

١٠٤فهذا خاصّ غير عامّ كما قال تعالى:

و من قوم موسى امّة يهدون بالحقّ و به يعدلون ٧: ١٥٩و لم يقل على امّة موسى و لا على كلّ قومه و هم يومئذ أمم مختلفة و الامّة واحدة فصاعدا كما قال اللّه تعالى:

إنّ إبراهيم كان امّة قانتا للّه ١٦: ١٢٠يقول: مطيعا للّه و ليس على من لم يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج إذا كان لا قوّة له و لا عدد و لا طاعة».

ثمّ سئل عليه السّلام عن الحديث النبويّ «أنّ أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر. ما معناه؟ قال: هذا على أن يأمره بعد معرفته و هو مع ذلك يقبل منه».

أشار عليه السّلام إلى أنّ للوجوب شرائط و لا يجب على فاقدها، و قد يضمن الحديث من شرائطها ثلاثة: و أهمل الإصرار و لعلّه لظهوره.

و في حديث آخر عنه عليه السّلام«إنّما يؤمر بالمعروف و ينهى عن المنكر مؤمن

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٠٨

فيتّعظ أو جاهل فيتعلّم فأمّا صاحب سوط أو سيف فلا».

و عنه عليه السّلام«من تعرّض لسلطان جائر فأصابته بليّة لم يوجر عليها و لم يرزق الصبر عليها».

و عنه عليه السّلام قال:«لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه قيل له: و

كيف يذلّ نفسه؟ قال: يتعرّض لما لا يطيق».

و عنه عليه السّلام قال:«إنّ اللّه عزّ و جلّ فوّض إلى المؤمن أموره كلّها و لم يفوّض إليه أن يذلّ نفسه العزيز ألم ير إلى قول اللّه تعالى ههناو للّه العزّة و لرسوله و للمؤمنين ٦٣: ٨و المؤمن ينبغي أن يكون عزيزا و لا يكون ذليلا».

ثمّ للإنكار مراتب اوليها بالقلب و هو أن يبغضه على ارتكاب المعصية و هو مشروط بعلم الناهي و إصرار المنهيّ خاصّة دون الشرطين الآخرين، ثمّ بإظهار الكراهة، فإن ارتدع اكتفى به و إلا أعرض عنه و هجره، و إلا أنكره باللّسان بالوعظ و الرفق في الزجر

مرتّبا الأيسر فالأيسر، و لو لم ينزجر إلا باليد كالضرب و ما شابهه فعل، و لو افتقر إلى الجراح فالكفّ أولى، و البحث عنه قليل الجدوى لأنّ الجامع للشرائط أدرى لما يقتضيه الحال.

و في الحديث«أدنى الإنكار أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة».

و في آخر«حسب المؤمن عزّا إذا رأى منكرا أن يعلم اللّه من قلبه إنكاره».

و عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:من شهد أمرا فكرهه كان كمن غاب عنه و من غاب عن أمر رضيه كان كمن شهده».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٠٩

و في هذه الأخبار كفاية عن تطويل أبي حامد في هذا الباب مع ابتنائه على الأصول العامّيّة و عدم جزمه بالحكم في الأكثر و اختلاف الحكم باختلاف الأزمان و الأحوال، و تفاوت درجات المكروهات الّتي مال إليها بحسب الحسبة ممّا يجوز تحمّله و ما لا يجوز و ذلك في محلّ الاجتهاد و الإنسان على نفسه بصيره.

و قد روى أبو حامد عن عمر أنّه تسلّق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه، فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت قد عصيت اللّه من وجه فأنت قد عصيته من ثلاثة

اوجه، فقال: ما هي؟ فقال: قال اللّه تعالى:و لا تجسّسوا ٤٩: ١٢و قد تجسّست، و قال:«و أتوا البيوت من أبوابها»و قد تسوّرت من السطح، و قال اللّه تعالى:لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتّى تستأنسوا و تسلّموا على أهلها ٢٤: ٢٧و ما سلّمت فتركه عمر و شرط عليه التوبة».

أقول: و صاحب الدار كان أولى بأن يشترط التوبة على عمر لكثرة معاصيه بالنسبة إليه، بل كان أولى بالإمارة منه لأنّه كان أعلم منه و أستر على معصيته منه و كان عمر إمّا جاهلا أو مجترئا هذا مع أنّ أبا حامد ربّما يستند في فتواه إلى قول عمر أو فعله و كان يعتقد

فيه أنّه أفضل الصحابة بعد أبي بكر و يروي عنه هذه الرواية.

و في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السّلام أنّه قال:«من لم يتسلّخ عن هواجسه و لم يتخلّص من آفات نفسه و شهواتها و لم يهزم الشيطان و لم يدخل في كنف اللّه و توحيده و أمان عصمته لا يصلح له الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لأنّه إذا لم يكن بهذه الصفة فكلّما أظهر أمرا كان حجّة عليه و لا ينتفع الناس به قال اللّه عزّ و جلّ:أ تأمرون الناس بالبرّ و تنسون أنفسكم ٢: ٤٤و يقال له: يا خائن أ تطالب خلقي بما خنت به نفسك و أرخيت عنه عنانك، روي أنّ أبا ثعلبة الأسدي سأل

البيضاء ج : ٤ ص : ١١٠

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن هذه الآية:يا أيّها الّذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم ٥: ١٠٥فقال عليه السّلام: و أمر بالمعروف و انه عن المنكر و اصبر على ما أصابك حتّى إذا رأيت شحّا مطاعا و هوى متّبعا و إعجاب كلّ ذي رأي برأيه فعليك بنفسك و دع أمر العامّة. و صاحب الأمر بالمعروف يحتاج إلى أن يكون عالما بالحلال و الحرام، فارغا من خاصّة نفسه ممّا يأمرهم به و ينهاهم عنه، ناصحا للخلق رحيما لهم رفيقا بهم، داعيا لهم باللّطف و حسن البيان، عارفا

بتفاوت أحلامهم لينزل كلا منزلته، بصيرا بمكر النفس و مكائد الشيطان، صابرا على ما يلحقه لا يكافيهم بها، و لا يشكو منهم، و لا يستعمل الحميّة، و لا يغلّظ لنفسه، مجرّدا نيّته للّه مستعينا به و مبتغيا لوجهه، فإن خالفوه و جفوه صبر، و إن وافقوه و قبلوا منه شكر، مفوّضا أمره إلى اللّه ناظرا إلى عيبه».

و في التهذيب في باب من يجب عليه الجهاد في حديث عبد الملك بن عمرو عنه عليه السّلام في كلام طويل ما يؤيّد هذا

و ينفع في هذا المقام إن شاء اللّه تعالى.

و قال أبو حامد في درجات الحسبة: الدّرجة الثالثة النهي بالوعظ و النصح و التخويف باللّه و ذلك فيمن يقدر على الأمر و هو عالم بكونه منكرا أو فيمن أصرّ عليه بعد أن عرف كونه منكرا كالّذي يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجري مجراه فينبغي أن يوعظ و يخوّف باللّه تعالى و يورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك، و يحكى له سيرة السلف و عادة المتّقين، و كلّ ذلك بشفقة و لطف من غير عنف و غضب، بل نظر إليه نظر المترحّم عليه و يرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه إذ المسلمون كنفس واحدة و

ههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقّاها فإنّها مهلكة و هي أنّ العالم يرى عند التعريف عزّ نفسه بالعلم و ذلّ غيره بالجهل فربّما يقصد بالتعريف الإدلال و إظهار التمييز بشرف العلم و إذلال صاحبه بالنسبة إلى خسّة الجهل، فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الّذي يعترض عليه، و مثال هذا المحتسب مثال من يخلّص غيره

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١١١

من النار بإحراق نفسه و هو غاية الجهل و هذه مزلّة عظيمة و غائلة هائلة و غرور للشيطان يتدلّى بحبله كلّ إنسان إلا من عرّفه اللّه عيوب

نفسه و فتح بصيرته بنور هدايته، فإنّ في الاحتكام على الغير لذّة للنفس عظيمة من وجهين:

أحدهما من جهة دالّة العلم، و الآخر من جهة دالّة الاحتكام و السلطنة و ذلك يرجع إلى الرّياء و طلب الجاه و هو الشهوة الخفيّة المتداعية إلى الشرك الخفيّ و له محك و معيار ينبغي أن يمتحن به المحتسب نفسه و هو أن يكون امتناع ذلك الإنسان بنفسه أو باحتساب غيره أحبّ إليه من امتناعه باحتسابه فإن كانت الحسبة شاقّة عليه ثقيلة على نفسه و هو يودّ أن يكفي بغيره فليحتسب فإنّ باعثه هو الدّين و إن كان اتّعاظ ذلك العاصي بوعظه و انزجاره

بزجره أحبّ إليه من اتّعاظه بوعظ غيره فما هو إلا متّبع هوى نفسه و متوسّل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتّق اللّه فيه و ليحتسب أوّلا على نفسه و عند هذا يقال له: قيل لعيسى عليه السّلام: يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتّعظت فعظ غيرك و إلا فاستحي منّي.

و قيل لداود الطائي: أ رأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف و نهاهم عن المنكر فقال: أخاف عليه السوط، فقيل: إنّه يقوى عليه قال: أخاف عليه السيف قيل: إنّه يقوى عليه، قال: أخاف عليه الدّاء الدّفين العجب.

أقول: بل أخاف عليه نار جهنّم لمخالفته للّه سبحانه حيث قال جلّ و عزّ:

و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ٢: ١٩٥و قد مرّ تمام الكلام فيه.

[قال:]

الباب الثالث في المنكرات المألوفة في العادات

نشير إلى جمل منها ليستدلّ بها على أمثالها إذ لا مطمع في حصرها و استقصائها.

أقول: و قد ذكر أبو حامد في هذا الباب منكرات المساجد ثمّ منكرات المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١١٢

الأسواق، ثمّ منكرات الشوارع، ثمّ المنكرات العامّة و أمّا نحن فلا

حاجة بنا إلى ذكر المنكرات لأنّ عندنا أنّه لا يجوز الاحتساب من الجاهل بالمعروف عن المنكر و إنّما يجب على العارف القويّ المطاع الجامع للشرائط المعتبرة فيه، و من كان هذه صفته لا حاجة له إلى تعريفنا إيّاه المنكر على أنّ كلّ ما ذكره فيه أبو حامد ليس مستندا إلى أصل صحيح و إنّما كان يبتني بعضه على اصوله الفاسدة و آرائه الكاسدة فلنطو هذا الباب طيّا، قال:

الباب الرابع فى أمر الأمراء و السلاطين بالمعروف و نهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف و أنّ أوّله التعريف و ثانيه الوعظ و

ثالثه التخشين في القول، و رابعه المنع بالقهر و الحمل على الحقّ بالضرب و العقوبة و الجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرّتبتان الاوليان و هما التعريف و الوعظ، و أمّا المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرّعيّة مع السلطان فإنّ ذلك يحرّك الفتنة و يهيّج الشرّ و يكون ما يتولّد منه من المحذور أكثر، و أمّا التخشين في القول كقولك: يا ظالم، يا من لا يخاف اللّه، و أمثاله و ما يجري مجراه فذلك إن كان يحرّك فتنة يتعدّى شرّها إلى غيره لم يجز و إن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه فلقد كان من عادة السلف التعرّض للاخطار و التصريح بالإنكار من غير مبالاة

بهلاك المهجة و التعرّض لأنواع العذاب لعلمهم بأنّ ذلك الشهادة».

أقول: قد دريت من القرآن و أخبار أهل البيت عليهم السّلام عدم جواز ذلك و نهيهم عليهم السّلام عن أن يذلّ المؤمن نفسه و أن يتعرّض لما لا يطيق، و ما ذكره أبو حامد من الأخبار لم يثبت و ما ثبت منه فهو مأوّل كما مرّ.

قال: «فطريق وعظ السلاطين و أمرهم بالمعروف و نهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف، و قد أوردنا جملة من ذلك في باب الدّخول على السلاطين من كتاب المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١١٣

الحلال و الحرام و نقتصر الآن على حكايات يعرف وجه الوعظ و كيفيّة الإنكار عليهم».

أقول: ما ذكره من الحكايات إنّما هو في حسبة أهل الضلال على الجبابرة طلبا لمزيد الجاه و القبول عند العامّة لشهوة خفيّة كانت فيهم و رعونة كامنة في أنفسهم و منهم من ألقى نفسه في التهلكة و تعرّض لنهي اللّه سبحانه و سخطه سفها منه و حماقة زعما منه أنّه ينال بذلك رتبة الشهادة، مع علمه بأنّه لا يؤثّر وعظه و إنكاره في الارتداع بل يصير سببا لهلاكه فلا فائدة في إيراد أمثال هذه الحكايات مع أنّ مثل هذه الحسبة يختلف حكمه باختلاف الأزمان و الأحوال و

الأشخاص فلنقتصر منها على واحدة ليست عمّن هو من أمثالهم و هي ما رواه عن ابن المهاجر قال: قدم أمير المؤمنين المنصور مكّة و نزل في دار الندوة و كان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر اللّيل يطوف و يصلّي و لا يعلم به، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة و جاء المؤذّنون فسلّموا عليه و أقيمت الصلاة فيخرج فيصلّي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينا هو يطوف إذ سمع رجلا عند الملتزم و هو يقول: اللّهمّ إنّي أشكو إليك ظهور البغي و الفساد في الأرض و ما يحول بين الحقّ و أهله من الظلم و الطمع، فأسرع المنصور في مشيه حتّى ملأ

مسامعه من قوله ثمّ رجع فجلس ناحية من المسجد فأرسل إليه فدعاه و أتاه الرّسول فقال: أجب أمير المؤمنين فصلّى ركعتين و استلم الرّكن، و أقبل مع الرّسول فسلّم عليه، فقال له المنصور: ما هذا الّذي سمعتك تقوله من ظهور البغي و الفساد في الأرض و ما يحول بين الحقّ و أهله من الظلم و الطمع و غيره، فو اللّه لقد حشوت مسامعي ما أمرضني و أقلقني فقال: يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها و إلا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل، فقال له: أنت آمن على نفسك، فقال:

الّذي دخله الطمع حتّى حال بينه و بين الحقّ و إصلاح ما ظهر من البغي و الفساد في الأرض أنت، قال: ويحك و كيف يدخلني الطمع و الصفراء و البيضاء في يدي؟ و الحلو و الحامض في قبضتي؟ قال: و هل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين؟ إنّ اللّه عزّ و جلّ استرعاك أمور المسلمين و أموالهم فأغفلت أمورهم

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١١٤

و اهتممت بجمع أموالهم، و جعلت بينك و بينهم حجابا من الجصّ و الآجر، و أبوابا من الحديد، و حجبة معهم السلاح، ثمّ سجنت نفسك فيها منهم، أتعبت عمّالك

جمع الأموال و جبايتها و اتّخذت وزراء و أعوانا ظلمة إن نسيت لم يذكّروك، و إن أحسنت لم يعينوك، و قوّيتهم على ظلم الناس بالأموال و الكراع و السلاح، و أمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان و فلان نفر سمّيتهم و لم تأمر بإيصال المظلوم و لا الملهوف و لا الجائع و لا العاري و لا الضعيف و لا الفقير و لا أحد إلا و له في هذا المال حقّ، فلمّا رآك هؤلاء النفر الّذين استخلصتهم لنفسك و آثرتهم على رعيّتك و أمرتهم أن لا يحجبوا عنك تجبي الأموال و لا تقسمها فلمّا فعلت ذلك قالوا: هذا قد خان اللّه فما لنا لا نخونه قد سخّر لنا، فأتمروا على أن لا يصل إليك

من علم أخبار الناس إلا ما أرادوا و لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقصّوه حتّى تسقط منزلته و يصغر قدره، فلمّا انتشر ذلك عنك و عنهم أعظمهم الناس و هابوهم فكان أوّل من صانعهم عمّالك بالهدايا و الأموال ليتقوّوا به على ظلم رعيّتك، ثمّ فعل ذلك ذووا القدرة و الثروة من رعيّتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعيّة، فامتلأت بلاد اللّه بالطمع بغيا و فسادا، و صار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك و أنت غافل فإن جاء متظلّم حيل بينه و بين الدّخول، و إن أراد رفع قصّته إليك عند ظهورك وحدك فقد نهيت عن ذلك و وقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم. فإن جاء ذلك

الرّجل فبلغ بطانتك، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته، و إن كانت للمتظلّم به حرمة و إجابة لم يمكنه ما يريد خوفا منهم فلا يزال المتظلّم يختلف إليه و يلوذ به و يشكو و يستغيث و هو يدفعه و يعتلّ عليه، فإذا اجتهد و أخرج و ظهرت أنت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرّحا ليكون نكالا لغيره و أنت تنظر فلا تنكر و لا تعيّر، فما بقاء الإسلام و أهله على هذا؟ و قد كانت بنو أميّة و كانت العرب لا ينتهي إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف، و لقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتّى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا

أهل الإسلام فيبتدرونه مالك؟ مالك؟ فيرفعون ظلامته

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١١٥

إلى سلطانهم فينتصف له، و قد كنت يا أمير المؤمنين اسافر إلى أرض الصين و بها ملك فقدمتها مرّة و قد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه: مالك تبكي لا بكت عيناك؟ قال: أما إنّي لست أبكي على المصيبة الّتي نزلت بي و لكن أبكي لمظلوم بالباب يصرخ فلا أسمع صوته ثمّ قال: أما إن كان ذهب سمعي فلم يذهب بصري نودوا في الناس أن لا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم، فكان يركب في طرفي النهار هل يرى مظلوما

فينصفه، هذا يا أمير المؤمنين مشرك باللّه قد غلبت رأفته بالمشركين و رقّته على شحّ نفسه في ملكه، و أنت مؤمن باللّه و ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، لا تغلبنّك رأفتك بالمسلمين على شحّ نفسك، فإنّك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة

إن قلت:

أجمعها لولدي فقد أراك اللّه عبرا في الطفل الصغير يسقط من بطن أمّه و ماله على الأرض مال و ما من مال إلا و دونه يد شحيحة تحويه، فما يزال اللّه تعالى يلطف لذلك الصبيّ و الطفل حتّى يعظم رغبة الناس إليه و لست الّذي تعطي بل اللّه يعطي من يشاء، و إن قلت:

أجمع مالي لاشيّد سلطاني فقد أراك اللّه عبرا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذّهب و الفضّة و ما أعدّوا من الرجال و السلاح و الكراع و ما ضرّك و ولد أبيك ما كنتم فيه من قلّة الجدة و الضعف حتّى أراد اللّه بكم ما أراد، و إن قلت: أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية الّتي أنت فيها، ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح [١] يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك بأشدّ من القتل؟ قال: لا قال: فكيف تصنع بالملك الّذي خوّلك اللّه و ما أنت فيه من ملك الدنيا و هو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل و لكن يعاقب من عصاه بالخلود في

العذاب الأليم و هو الّذي يرى منك ما عقد عليه قلبك و أضمرته جوارحك فما تقول إذا انتزع الملك الحقّ المبين ملك الدّنيا من يدك، و دعاك إلى الحساب؟ هل يغني عنك عنده شيء ممّا كنت فيه ممّا شححت عليه من ملك الدّنيا؟ فبكي المنصور بكاء شديدا حتّى نحب و ارتفع صوته ثمّ قال: يا ليتني لم

---

[١] «ما فوق» «ما» نافيه و «فوق» ظرف مكان أي لم يكن فوق ما أنت فيه الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح.

البيضاء ج : ٤ ص : ١١٦

اخلق و لم أك شيئا، ثمّ قال: كيف احتيالي فيما خوّلت فيه و لم أر من الناس إلا جانيا قال: يا أمير المؤمنين عليك بالأئمّة الأعلام المرشدين، قال: و من هم؟ قال: العلماء قال: قد فرّوا منّي، قال: هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك و من قبل عمّالك و لكن افتح الأبواب، و سهّل الحجاب، و انتصر للمظلوم من الظالم و امنع الظالم، و خذ الشيء ممّا حلّ و طاب و أقسمه بالعدل و الحقّ و أنا ضامن عمّن هرب عنك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك و رعيّتك فقال

المنصور: اللّهمّ وفّقني أن أعمل بما قال هذا الرجل و جاء المؤذّنون فسلّموا عليه و أقيمت الصلاة فخرج و صلّي بهم ثمّ قال للحرسي: عليك بالرّجل إن لم تأتني به لأضربنّ عنقك و اغتاظ عليه غيظا شديدا إن لم يوجد فخرج الحرسيّ يطلب الرّجل فبينا هو يطوف فإذا هو بالرّجل يصلّي في بعض الشعاب فقعد حتّى صلّى ثمّ قال: يا ذا الرّجل أما تتّقي اللّه؟ قال: بلى، قال: أما تعرفه؟ قال: بلى، قال: فانطلق معي [إلى الأمير] فقد آلى أن يقتلني إن لم آته بك، قال: ليس لي إلى ذلك من سبيل، قال: يقتلني قال: و لا يقتلك، قال: فكيف؟ قال: تحسن تقرأ؟ قال: لا، فأخرج من

مزود كان معه رقّا فيه مكتوب شيئا فقال: خذ و اتركه في جيبك فإنّ فيه دعاء الفرج، قال:

و ما دعاء الفرج؟ قال: لا يرزقه إلا الشّهداء، قلت: رحمك اللّه قد أحسنت إليّ فإن رأيت أن تخبرني ما هذا الدّعاء و ما فضله، قال: من دعا به مساء و صباحا هدمت ذنوبه، و دام سروره و محيت خطاياه، و استجيب دعاؤه، و بسط له في رزقه و أعطي أمله، و أعين على عدوّه، و كتب عند اللّه صدّيقا، و لا يموت إلا شهيدا تقول: «اللّهُمَّ كما لَطُفتَ في عَظَمَتِكَ دُونَ اللُّطَفاءِ، و عَلَوْتَ بِعَظَمَتِكَ عَلَى العُظَماءِ، و عَلِمتَ ما تَحْتَ أَرضَكَ كَعِلْمِكَ بِما فَوْقِ عَرْشِكَ، وَ كانَتْ

وَساوِسُ الصَّدُورِ كَالْعَلانِيَةِ عِنْدَكَ، وَ عَلانِيَةُ القَوْلِ كَالسِّرِّ في عِلمِكَ، وَ انقادَ كُلُّ شَيءٍ لِعَظَمَتِكَ، وَ خَضَعَ كُلُّ ذي سُلْطانٍ لِسُلْطانِكَ، وَ صارَ أَمرُ الدُّنْيا وَ الآخِرَةِ كُلّهُ لَكَ وَ بِيَدِكَ، اجْعَلْ لي مِنْ كُلِّ هَمّ أَمْسَيْتُ فيهِ فَرَجا وَ مَخْرَجا، اللّهُمَّ إنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذُنُوبي وَ تَجاوُزَكَ عَنْ خَطيئَتي

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١١٧

وَ سَتْرَكَ عَلى قَبيحِ عَمَلي أَطْمَعَني أَنْ أَسْأَلَكَ ما لا أَسْتَوْجِبُهُ مِمّا قَصُرتُ فيهِ، أدْعُوكَ آمِنا، وَ أَسْأَلُكَ مُسْتَأنِسا، وَ إنَّكَ المُحْسِنُ إِلَيَّ، وَ إنّي المُسيءُ إِلى نَفْسي فيما بَيْني وَ بَيْنَكَ، تَتَوَدَّدُ إِليَّ وَ أَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ [بِالمعاصي]، لكِنَّ الثِّقَةَ بِكَ حَمَلَتْني

عَلَى الجُرْأةِ عَلَيْكَ فَعُدْ بِفَضْلِكَ وَ إِحْسانِكَ عَلَيّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرّحيمُ».

قال: فأخذته فصيّرته في جيبي ثمّ لم يكن لي همّ غير أمير المؤمنين فدخلت و سلّمت عليه فرفع رأسه فنظر إليّ و تبسّم و قال: ويلك تحسن السحر؟ فقلت:

لا و اللّه يا أمير المؤمنين ثمّ قصصت عليه أمري مع الشيخ فقال: هات الرّق الّذي أعطاك فأعطيته فنظر إليه، ثمّ جعل يبكي و يقول: قد نجوت و أمر بنسخه و أعطاني عشرة آلاف درهم قال: أ تعرفه؟ قلت: لا، قال: يوشك أن يكون ذلك الخضر عليه السّلام.

هذا آخر الكلام في كتاب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء و يتلوه إن شاء اللّه كتاب أخلاق النبوّة و الحمد للّه أوّلا و آخرا.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١١٨

كتاب أخلاق النبوّة و آداب المعيشة

و هو الكتاب التاسع من ربع العادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد للّه الّذي خلق كلّ شيء فأحسن خلقه و ترتيبه، و أدّب نبيّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأحسن تأديبه، و زكّى أوصافه و أخلاقه، ثمّ اتّخذه صفيّه و حبيبه، و وفّق للاقتداء به من أراد تهذيبه،

و حرّض على التخلّق بأخلاقه من أراد تحبيبه.

و صلّي اللّه على محمّد سيّد المرسلين و على آله الطيّبين الطاهرين و سلّم كثيرا.

أما بعد فإنّ آداب الظواهر عنوان آداب البواطن، و حركات الجوارح ثمرات الخواطر، و الأعمال نتيجة الأخلاق، و الأداب رشح المعارف، و سرائر القلوب هي مغارس الأفعال و منابعها، و أنوار السرائر هي الّتي تشرق على الظواهر فتزيّنها و تحلّيها، و تبدّل بالمحاسن مكارهها و مساويها، و من لم يخشع قلبه لم يخشع جوارحه، و من لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهيّة لم يفض على ظاهره جمال الآداب

النبويّة، و لقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشقّ على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ثمّ رأيت كلّ كتاب من ربع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها و إعادتها، فإنّ طلب الإعادة ثقيل و النفوس مجبولة على معاداة المعادات، فرأيت أن أقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أخلاقه المأثورة عنه بالإسناد، فأسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الإسناد ليجتمع فيه مع جمع

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١١٩

الآداب تجديد الإيمان و تأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة الّتي تشهد آحادها على القطع بأنّه أكرم خلق اللّه تعالى، و أعلاهم رتبة، و أجلّهم قدرا، فكيف مجموعها؟ ثمّ أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته، ثمّ ذكر معجزاته الّتي صحّت بها الأخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الأخلاق و الشيم، و منتزعا عن آذان الجاحدين لنبوّته صمام الصّمم، و اللّه تعالى وليّ التوفيق للاقتداء بسيّد المرسلين في الأحوال و الأخلاق و سائر معالم الدّين فإنّه دليل المتحيّرين، و مجيب دعوة المضطرّين.

و لنذكر فيه أوّلا بيان تأديب اللّه إيّاه بالقرآن، ثمّ بيان جوامع من محاسن أخلاقه، ثمّ بيان جملة من آدابه و أخلاقه، ثمّ بيان كلامه و ضحكه، ثمّ بيان آدابه و أخلاقه في الطعام، ثمّ بيان آدابه و أخلاقه في اللّباس، ثمّ بيان عفوه مع القدرة، ثمّ بيان إغضائه عمّا كان يكرهه، ثمّ بيان سخاوته و جوده، ثمّ بيان شجاعته و بأسه، ثمّ بيان تواضعه، ثمّ بيان صورته و خلقته، ثمّ بيان جوامع معجزاته و آياته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم».

أقول: و أنا أزيد فصلا آخر بعد ذكر بيان صورته و خلقته في بيان خلقه و خلقه و سيرته مع جلسائه

برواية الحسن و الحسين عليهما السّلام فيصير أربعة عشر فصلا.

قال:

بيان تأديب اللّه صفيّه و حبيبه محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالقرآن

كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كثير الضراعة و الابتهال إلى اللّه تعالى، دائم السؤال من اللّه تعالى أن يزيّنه بمحاسن الآداب و مكارم الأخلاقفكان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول في دعائه:«اللّهمّ حسّن خلقي و خلقي» و يقول: «اللّهمّ جنّبني منكرات الأخلاق»

فاستجاب اللّه

البيضاء ج : ٤ ص : ١٢٠

تعالى دعاءه وفاء بقوله:ادعوني استجب لكم ٤٠: ٦٠فأنزل عليه القرآن و أدّبه به فكان خلقه القرآن.

قال: سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالت: أمّا تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: كان خلق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم القرآن.

و إنّما أدّبه اللّه تعالى بالقرآن بمثل قوله:خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين ٧: ١٩٩.

و قوله تعالى:إنّ اللّه يأمر بالعدل و الإحسان ١٦: ٩٠- الآية -.

و قوله تعالى:و اصبر و ما صبرك إلا باللّه ١٦: ١٢٧.

و قوله:و اصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور ٣١: ١٧.

و قوله تعالى:لمن صبر و غفر إنّ ذلك لمن عزم الأمور ٤٢: ٤٣.

و قوله تعالى:فاعف عنهم و اصفح إنّ اللّه يحبّ المحسنين ٥: ١٣.

و قوله تعالى:و ليعفوا و ليصفحوا ألا تحبّون أن يغفر اللّه لكم ٢٤: ٢٢.

و قوله تعالى:ادفع بالّتي هي أحسن فإذا الّذي بينك و بينه عداوة كأنّه وليّ حميم ٤١: ٣٤.

و بقوله تعالى:و الكاظمين الغيظ و العافين عن الناس ٣: ١٣٤.

و بقوله تعالى:اجتنبوا كثيرا من الظنّ إنّ بعض الظنّ إثم و لا تجسّسوا

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٢١

و لا يغتب بعضكم بعضا ٤٩:

١٢- الآية -.

و لمّا كسرت رباعيته يوم أحد فجعل الدّم يسيل على وجهه و هو يمسحه و يقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيّهم بالدّم و هو يدعوهم إلى ربّهم» فأنزل اللّه تعالى:ليس لك من الأمر شيء ٣: ١٢٨تأديبا له على ذلك، و أمثال هذا التأديب في القرآن لا تنحصر و هو المقصود الأوّل بالتأديب و التهذيب، ثمّ منه

يشرق النور على كافّة الخلق فإنّه أدّب بالقرآن و أدّب الخلق به و لذلكقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«بعثت لاتمّم مكارم الأخلاق»

ثمّ رغّب الخلق في محاسن الأخلاق بما أوردناه في كتاب رياضة النفس و تهذيب الخلق فلا نعيده، ثمّ لمّا أكمل اللّه تعالى خلقه أثنى عليه فقال:و إنّك لعلى خلق عظيم ٦٨: ٤فسبحانه ما أعظم شأنه و أتمّ امتنانه، انظر إلى عميم لطفه كيف أعطي ثمّ أثنى عليه فهو الّذي زيّنه بالخلق الكريم، ثمّ أضاف إليه ذلك فقال:و إنّك لعلى خلق عظيم ٦٨: ٤بيّن لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الخلق، ثمّإنّ رسول اللّه

صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بيّن للخلق«أنّ اللّه يحبّ مكارم الأخلاق و يبغض سفسافها».

و عن عليّ عليه السّلام:يا عجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا و لا يخشى عقابا لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فإنّها ممّا تدلّ على سبيل النجاة، فقال له رجل: أسمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ فقال: نعم: و ما هو خير منه، لمّا أتى بسبايا طيء وقعت جارية

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٢٢

في السبي فقالت: يا محمّد إن رأيت أن تخلّي عنّي و لا تشمت لي أحياء العرب فإنّي بنت سيّد قومي و إنّ أبي كان يحمي الذمار، و يفكّ العاني، و يشبع الجائع، و يطعم الطعام، و يفشي السلام، و لم يردّ طالب حاجة قطّ أنا ابنة حاتم طيء، فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقّا لو كان أبوك مسلما لترحّمنا عليه خلّوا عنها فإنّ أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق، و إنّ اللّه يحبّ مكارم الأخلاق، فقام أبو بردة بن دينار فقال: يا رسول اللّه اللّه يحبّ مكارم الأخلاق؟ فقال: و الّذي نفسي بيده لا يدخل الجنّة إلا حسن الأخلاق».

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إنّ اللّه تعالى حفّ الإسلام بمكارم الأخلاق و محاسن الأعمال».

و من ذلك حسن المعاشرة، و كرم الصنيعة، و لين الجانب، و بذل المعروف، و إطعام الطعام، و إفشاء السلام، و عيادة المريض المسلم برّا كان أو فاجرا، و تشييع الجنازة للمسلم، و حسن الجوار لمن جاورت مسلما كان أو كافرا، و توقير ذي الشيبة المسلم، و إجابة الدّاعي لدعوة الطعام، و الدّعاء إليه، و العفو و الإصلاح بين الناس و الجود و الكرم و السماحة، و الابتداء بالسلام، و كظم الغيظ و العفو عن الناس، و أذهب الإسلام

اللّهو و الباطل و الغناء و المعازف كلّها و كلّ ذي وتر وكلّ دخل و الكذب و الغيبة و البخل و الشّحّ و الجفاء و المكر و الخديعة و النميمة و سوء ذات البين و قطيعة الأرحام و سوء الخلق و التكبر و الفخر و الاختيال و الاستطالة و المدح و الفحش و الحقد و الحسد و الطيرة و البغي و العدوان و الظلم.

قال أنس: فلم يدع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نصيحة جميلة إلا و قد دعانا إليها و أمرنا بها و لم يدع غشّا أو قال: عيبا و لا شينا إلا حذّرناه و نهانا عنه، و يكفي من ذلك كلّه هذه الآية:إنّ اللّه

يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذي القربى ١٦: ٩٠- الآية -.

و قال معاذ: أوصاني رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال:«يا معاذ أوصيك باتّقاء اللّه، و صدق الحديث، و الوفاء بالعهد، و أداء الأمانة، و ترك الخيانة، و حفظ الجار، و رحمة اليتيم، و لين الكلام، و بذل السلام، و حسن العمل، و قصر الأمل، و لزوم الإيمان

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٢٣

و التفقّه في القرآن، و حبّ الآخرة، و الجزع من الحساب، و خفض الجناح، و إيّاك أن تسبّ حكيما، أو تكذب صادقا، أو تطيع آثما، أو

تعصي إماما عادلا أو تفسد أرضا، و أوصيك باتّقاء اللّه عند كلّ حجر و شجر و مدر و أن تحدث لكلّ ذنب توبة السرّ بالسرّ، و العلانية بالعلانية».

فهكذا أدّب عباد اللّه و دعاهم إلى مكارم الأخلاق و محاسن الآداب.

بيان جملة من محاسن اخلاقه (الّتي جمعها بعض العلماء و الفقهاء و التقطها من الأخبار).

فقال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أحلم الناس و أشجع الناس و أعدل الناس و أعفّ النّاس، لم تمسّ قطّ يده يد امرأة لا يملك رقّها أو عصمة نكاحها أو لا تكون ذات رحم محرم منه و كان أسخى النّاس لا يبيت عنده دينار و

لا درهم و إن فضل و لم يجد من يعطيه و فجأه اللّيل لم يأو إلى منزله حتّى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه لا يأخذ ممّا آتاه اللّه إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر و الشعير و يضع سائر ذلك في سبيل اللّه لا يسأل منه أحد شيئا إلا أعطاه، ثمّ يعود إلى قوت عامه فيؤثر

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٢٤

منه حتّى أنّه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء و كان يخصف النعل و يرقّع الثوب، و يخدم في مهنة أهله و يقطع اللّحم معهنّ أشدّ الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد و يجيب

دعوة الحرّ و العبد و يقبل الهديّة و لو أنّها جرعة لبن، و يكافي عليها، و لا يأكل الصدقة و لا يستكبر عن إجابة الأمة و المسكين يغضب لربّه عزّ و جلّ و لا يغضب لنفسه، و ينفذ الحقّ و إن عاد ذلك بالضرر عليه أو على أصحابه، عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين و هو في قلّة و حاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال:«لا أستنصر بمشرك»

و وجد من فضلاء أصحابه و خيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم و لا زاد على مرّ الحقّ بل وداه بمائة ناقة و إنّ بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوّون به و

كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع و مرّة يأكل ما حضر، لا يسأل و لا يردّ ما وجد و لا يتورّع من مطعم حلال، إن وجد تمرا دون خبز أكله، و إن وجد شواء أكله، و إن وجد خبز برّ أو شعير أكله، و إن وجد حلوا، أو عسلا أكله، و إن وجد لبنا

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٢٥

دون خبز أكتفى به، و إن وجد بطّيخا أو رطبا أكله، لا يأكل متّكئا و لا على خوان، منديله باطن قدميه [١] لم يشبع من خبز برّ ثلاثة أيّام متوالية حتّى لقي اللّه تعالى إيثارا على نفسه لا فقرا و لا بخلا يجيب الوليمة و يعود المرضى

و يشهد الجنائز و يمشي بين أعدائه وحده بلا حارس [٢] أشدّ الناس تواضعا و أسكتهم في غير كبر و أبلغهم من غير تطويل [٣] و أحسنهم بشرا [٤]، لا يهوله شيء من أمور الدّنيا و يلبس ما وجد فمرّة شملة و مرّة برد حبرة يمانيا، و مرّة جبّة صوف ما وجد من

---

[١] ما عثرت على مستند له، و قال العراقي: لا أعرفه من فعله و انما المعروف فيه ما رواه ابن ماجة من حديث جابر كنا زمان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم

قليلا ما نجد الطعام فإذا وجدناه لم يكن لنا مناديل الا أكفنا و سواعدنا.

[٢] راجع المواهب اللدنية ج ١ ص ٣٠٢ و اخرج الحاكم ج ٣ ص ٣١٣ عن عائشة قالت كان النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يحرس حتى نزلت هذه الآيةاللّه يعصمك من الناس ٥: ٦٧فأخرج النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رأسه من القبة فقال لهم: أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى اللّه.

[٣] فى صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٣١ و سنن أبي داود «كان صلّى اللّه عليه و آله يحدث حديثا لو عده المعاد لاحصاه» و اسناده صحيح و في حديث هند بن أبي هالة هكذا «يتكلم بجوامع الكلم فصل لا

فضول و لا تقصير» المعاني للصدوق ص ٨١ و الشمائل للترمذي ص ١٥.

[٤] أخرج الترمذي في الشمائل ص ١٦ من حديث عبد اللّه بن جزء «ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٢٦

المباح لبس و خاتمه فضّة يلبسه في خنصره الأيمن و الأيسر يردف خلفه عبدا و غيره، يركب ما أمكنه مرّة فرسا، و مرّة بعيرا، و مرّة بغلة شهباء، و مرّة حمارا، و مرّة يمشي راجلا حافيا بلا رداء و لا عمامة و لا قلنسوة، يعود المرضى في أقصى المدينة [١] يحبّ الطيب، و يكره

الرّوايح الرديّة [٢] و يجالس الفقراء، و يؤاكل المساكين [٣] و يكرم أهل الفضل في أخلاقهم و يتآلف أهل الشرف بالبرّ

---

[١] «ركوبه فرسا» لمسلم ج ٣ ص ٦٠ من حديث جابر بن سمرة ركوبه الفرس عريا حين انصرف من جنازة ابن الدحداح و أيضا له من حديث سهل بن سعد و كان للنبي صلى اللّه عليه و آله و سلّم فرس يقال له: اللحيف.و له من حديث ابن عباس«طاف النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم في حجة الوداع على بعير»

و له ج ٥ ص ١٦٧ من حديث البراء «رأيت النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على بغلته البيضاء يوم حنين» و له من حديث أسامة «أنه صلى اللّه عليه و آله و سلّم ركب على حمار و تحته اكاف» و له من حديث ابن عمر «كان يأتي قباء راكبا و ماشيا» و له أيضا ج ٣ ص ٤٠ من حديثه في عيادته صلّى اللّه عليه و آله لسعد بن عبادة «فقام و قمنا معه و نحن بضعة عشر ما علينا نعال و لا خفاف و لا قلانس و لا قمص نمشى في السباخ».

[٢] خبر «حبب إلى النساء و الطيب» معروف رواه النسائي و

أبو داود و قد مر، و روى ابن عدى عن عائشة «أنه صلّى اللّه عليه و آله كان يكره أن يوجد منه الا ريح طيبة» و كراهته عن ريح الثوم أيضا معروف رواه الشيخين في احكام المساجد و للبخاري ج ٧ ص ٢١١ من حديث أنس «كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لا يرد الطيب». و في مسند الطيالسي ص ٢١٨ تحت رقم ١٥٥٩ باسناده عن عائشة قالت: صنعت لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بردة سوداء من صوف فلبسها فاعجبه فلما عرق فيها فوجد ريح النمرة قذفها.

و فيه في ص ٢٧٧ تحت رقم ٢٠٨١ عن أنس قال: ما رأيت

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم عرض عليه الطيب قط فرده.

[٣] مؤاكلته للمساكين أخرجه البخاري ج ٨ ص ١٢٠ من حديث أبي هريرة قال «و أهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل و لا مال و لا على أحد، اذا أتته صدقة بعث بها اليهم و لم يتناول منها و إذا أتته هدية أرسل إليهم و أصاب منها و أشركهم فيها – الحديث –.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٢٧

لهم يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم

[١] لا يجفو على أحد يقبل معذرة

المعتذر إليه يمزح و لا يقول إلا حقا يضحك من غير قهقهة [٢] يرى اللّعب المباح فلا ينكره [٣] و ترفع الأصوات عليه فيصبر [٤] و كان له لقاح و غنم يتقوّت هو و أهله من ألبانها و كان له عبيد و إماء لا يرتفع

---

[١] فى مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢٤ من حديث ابن عباس «كان يجل العباس إجلال الولد والده» و له من حديث سعد بن أبي وقاص «انه اخرج عمه العباس و غيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا و نحن عصبتك و عمومتك و تسكن

عليا؟ فقال ما أنا أخرجكم و اسكنه... الحديث».

[٢] أخرج البخاري ج ٦ ص ١٦٧ من حديث عائشة قالت: ما رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم. و في حديث هند بن أبي هالة المروى في الشمائل للترمذي ص ١٦ هكذا «جل ضحكه التبسم».

[٣] هذا الموضوع صحيح في نفسه و في مسند الطيالسي ص ٢١٧ ما يدل عليه، لكن العراقي أومأ إلى قصة لعب الحبشة بين يدي رسول اللّه و قوله صلى اللّه عليه و آله «دونكم يا بني أرفدة» و هي قصة خرافية افتراء على الرسول صلّى

اللّه عليه و آله و اجتراء على اللّه سبحانه مذكورة في صحيح مسلم ج ٣ ص ٢٢، و صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٠، و سنن النسائي ج ٣ ص ١٩٥ باب اللعب في المسجد.

[٤] أخرج البخاري ج ٦ ص ١٧١. و ابن المنذر و الطبراني عن ابن أبي مليكة قال:

كاد الخيران أن يهلكا أبا بكر و عمر رفعا أصواتهما عند النبي صلّى اللّه عليه و آله حين قدم عليه ركب بنى تميم فأشار أحدهما بالاقرع بن حابس و أشار الاخر برجل آخر فقال أبو بكر لعمر:

ما أردت الا خلافى قال: ما أردت خلافك فارتفعت اصواتهما في ذلك فانزل اللّه تعالىيا أيها الذين آمنوا

لا ترفعوا أصواتكم ٤٩: ٢- الآية - راجع الدر المنثور ج ٦ ص ٨٤.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٢٨

عليهم في مأكل و لا ملبس [١] و لا يمضي له وقت في غير عمل للّه تعالى أو فيما لا بدّ له من صلاح نفسه [٢] يخرج إلى بساتين أصحابه [٣] لا يحقّر مسكينا لفقره و زمانته، و لا يهاب ملكا لملكه، يدعو هذا و هذا إلى اللّه دعاء واحدا [٤].

قد جمع اللّه له السيرة الفاضلة و السياسة التامّة و هو امّي لا يكتب و لا يقرأ نشأ في بلاد الجبل و الصحاريّ في قفر [٥] و في رعاية الغنم يتيما لا أب له و لا أمّ، فعلّمه

اللّه جميع محاسن الأخلاق و الطرق الحميدة و أخبار الأوّلين و الآخرين و ما فيه النجاة و الفوز في الآخرة و الغبطة و الخلاص في الدّنيا، و لزوم الواجب و ترك الفضول، وفّقنا اللّه لطاعته في أمره و التأسّي به في فعله آمين ربّ العالمين.

بيان جملة الفضول من آدابه و أخلاقه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ممّا رواه أبو البحترى

قالوا: ما شتم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أحدا من المؤمنين بشتيمة إلا جعل له كفّارة

---

[١] أخرج الترمذي في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف «كان صلّى اللّه عليه و آله يأكل مع خادمه». و في الطبقات من حديث السلمي و غيره ما يدل على ذلك.

[٢] اخرج الترمذي في الشمائل ص ٢٤ عن الحسن بن على عليهما السلام ما يدل على ذلك و الصدوق في المعاني ص ٨١ أيضا.

[٣] أخرجه الترمذي في السنن في قصة مجيئه عليه السّلام مع جماعة من الصحابة منزل أبي الهيثم ابن التيهان و أبي أيوب و رواه مسلم أيضا و أخرج البخاري ج ٨ ص ٢٦ عن أنس «أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم زار أهل بيت

في الأنصار فطعم عندهم طعاما – الحديث».

[٤]أخرج البخاري ج ٧ ص ٩ من حديث سهل بن سعد: قالمر رجل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: ما تقولون في هذه؟ قالوا حرى ان خطب أن ينكح و ان شفع أن يشفع و ان قال أن يستمع، قال: ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال:

ما تقولون في هذا؟ قالوا حرى ان خطب أن لا ينكح و ان شفع أن لا يشفع و ان قال أن لا يستمع، فقال رسول اللّه عليه السّلام هذا خير من ملء الأرض مثل هذا.

و أما عدم خوفه فكتبه إلى السلاطين و الأمراء و إلى كل جبار من دون اى خوف فمعروف راجع صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٦ و جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٣٢ إلى ٧٢.

[٥] فى الاحياء و بعض نسخ الكتاب «بلاد الجهل و الصحارى في فقره».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٢٩

و رحمة و ما لعن امرأة و لا خادما بلعنة [١] وقيل له و هو في القتال: لو لعنتهم يا رسول اللّه؟ فقال: إنّما بعثت رحمة مهداة لم أبعث لعّانا

و كان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عامّ أو خاصّ عدل

عن الدّعاء عليه و دعا له [٢] و ما ضرب بيده أحدا إلا أن يضرب بها في سبيل اللّه تعالى، و ما انتقم من شيء صنع إليه قطّ إلا أن تنتهك حرمة اللّه تعالى، و ما خيّر بين أمرين قطّ إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك [٣] و ما يأتيه أحد حرّا كان أو عبدا أو أمة إلا قام معه في حاجته [٤].

و قال أنس:و الّذي بعثه بالحقّ ما قال لي في شيء كرهه: لم فعلته؟ و لا لامني أحد من أهله إلا قال: «دعوه إنّما كان هذا بكتاب و قدر».

قالوا: و ما عاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مضجعا، إن فرشوا له اضطجع و إن لم يفرش

---

[۱] أخرجه مسلم ج ۷ ص ۸۰ بلفظ «ما ضرب» مكان «ما لعن» من حديث عائشة و للطيالسي ص ۲۱٤ عنها قالت: «لم يكن فاحشا و لا متفحشا و لا صخابا في الأسواق الحديث».

[۲]أخرجه البخاري ج ٥ ص ۲۲۰ من حديث أبي هريرةقالوا: «يا رسول اللّه ان دوسا قد هلكت و عصت و أبت فادع اللّه عليهم

فقال: «اللهم اهد دوسا و ائت بهم».

[٣] أخرج البخاري ج ٤ ص ٢٣٠ من حديث عائشة قالت: ما خير صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بين امرين الا أخذ أيسرهما ما لم يكن اثما، فان كان اثما كان أبعد الناس منه، و ما انتقم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لنفسه الا أن تنتهك حرمة اللّه فينتقم للّه بها. و أخرجه مسلم ج ٧ ص ٨٠ أيضا.

[٤] أخرجه البخاري تعليقا من حديث أنس: ان كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فتنطلق به حيث شاءت. و وصله ابن ماجه و

قال: فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها، و قد تقدم، و تقدم أيضا من حديث ابن أبي اوفى: و لا يأنف و لا يستكبر أن يمشى مع الارملة و المسكين حتى يقضى لهما حاجتهما أخرجه الدارمي ج ١ ص ٣٥.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٣٠

له اضطجع على الأرض [١] و قد وصفه اللّه تعالى في التوراة قبل أن يبعثه في السفر الأوّل فقال: محمّد رسول اللّه عبدي المختار لا فظّ و لا غليظ و لا صخّاب في الأسواق و لا يجزي بالسيّئة السيّئة و لكن يعفو و يصفح، مولده بمكّة، و

هجرته بطابة، و ملكه بالشام، يأتزر على وسطه هو و من معه، وعاة للقرآن و العلم، يتوضّأ على أطرافه و كذلك نعته في الإنجيل.

و كان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام و من فاوضه الحاجة صابره حتّى يكون هو المنصرف و ما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتّى يرسلها الآخر و كان إذا لقي أحدا من الصحابة بدأه بالمصافحة ثمّ أخذ بيده فشابكه ثمّ شدّ قبضته و كان لا يقوم و لا يجلس إلا على ذكر اللّه تعالى و كان لا يجلس إليه أحد و هو يصلّي إلا خفّف صلاته و أقبل عليه، فقال: أ لك حاجة؟ فإذا

---

[١] أخرج البخاري ج ٣ ص ١٦٦ في حديث طويل انه اضطجع على رمال حصير ليس بينه و بينه فراش قد أثر الرمال على جنبهو أخرج الطيالسي في مسنده ص ٣٦ عن ابن مسعود قال:«اضطجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على حصير فاثر الحصير بجلده فجعلت أمسحه عنه و أقول: بأبي أنت و امى يا رسول اللّه ألا أذنتنا نبسط لك شيئا يقيك منه تنام عليه؟ فقال: مالى و للدنيا ما أنا و الدنيا انما أنا و الدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح و تركها».

البيضاء ج : ٤ ص : ١٣١

فرغ من حاجته عاد إلى صلاته و كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا و يمسك بيديه عليهما شبه الحبوة و لم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنّه حيث ما انتهى به المجلس جلس [١] و ما رئي قطّ مادّا رجليه بين أصحابه حتّى يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعا لا ضيق فيه [٢] و كان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة [٣] و كان يكرم من يدخل عليه حتّى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه و بينه قرابة و لا رضاع يجلسه عليه [٤].

و كان يؤثر الدّاخل عليه بالوسادة الّتي تكون تحته فإن أبي أن يقبلها عزم عليه حتّى يفعل و ما استصفاه أحد إلا ظنّ أنّه أكرم الناس عليه حتّى يعطي كلّ من جلس إليه نصيبه من وجهه، حتّى كان مجلسه و سمعه و حديثه و لطيف مجلسه و توجّهه للجالس إليه و مجلسه مع ذلك مجلس حياء و تواضع و أمانة قال اللّه تعالى:فبما رحمة من اللّه لنت لهم و لو كنت فظّا غليظ القلب لانفضّوا من حولك ۳: ۱۵۹

---

[۱] أخرج أبو داود ج ۲ ص ۵۲۷ من حديث أبي هريرة و أبي ذر

قالا: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يجلس بين ظهرانى أصحابه فيجيء الغريب فلا يدرى ايّهم هو حتى يسأل... الحديث و روى الترمذي في الشمائل ما يدل على ذلك.

[٢] أخرجه الدار قطنى، و للترمذي و ابن ماجة هكذا «و لم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له. و زاد ابن ماجه «قط» و سنده ضعيف كما في المغني و رواه الطبرسي في المكارم مرسلا و الصدوق في المعاني ص ٨٠ مسندا من حديث هند بن أبي هالة.

[٣] نقله الطبرسي في المكارم ص ٢٥ من كتاب المحاسن لابي عبد اللّه البرقي و في مستدرك الحاكم ج

٤ ص ٢٧٠ عنه صلّى اللّه عليه و آله قال: أشرف المجالس ما استقبل به القبلة.

[٤] أخرج الحاكم ج ٤ ص ٢٩٢ و صحح اسناده من حديث جابر «دخل جرير بن عبد اللّه على النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم – و فيه – فاخذ رداءه فألقاه إليه – الحديث –».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٣٢

و لقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراما لهم و استمالة لقلوبهم [١] و يكنّي من ليس له كنية، فكان يدعى بما كنّاه به [٢] و كان يكنّي أيضا النساء اللّاتي لهنّ الأولاد و اللاتي لم يلدن يبتدي لهنّ الكنى و كان

يكنّي الصبيان فيستلين به قلوبهم [٣] و كان أبعد الناس غضبا و أسرعهم رضاء، و كان أرأف الناس و خير الناس للناس، و أنفع الناس للناس، و لم يكن ترفع في مجلسه الأصواتو كان إذا قام من مجلسه قال: «سبحانك اللّهمّ و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك» ثمّ يقول: علّمنيهنّ جبرئيل عليه السّلام [٤].

بيان كلامه و ضحكه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أفصح الناس منطقا [٥] و أحلاهم كلاما، و يقول: أنا أفصح العرب [٦]

---

[١] قال في حديث الغار لابي بكر يا أبا بكر، و لعمر يا أبا حفص كما ذكره الحاكم من حديث ابن عباس، و قال لعلى عليه السّلام يا أبا تراب كما هو المعروف.

[٢] أخرجه الترمذي في السنن ج ١٣ ص ٢٢٤ من كلام أنس قال: كنّانى النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ببقلة كنت أجتنيها - يعنى أبا حمزة - قال: حديث غريب، و ابن ماجة تحت رقم ٣٧٣٨ أن عمر قال لصهيب: ما لك تكنى و ليس لك ولد؟ قال: كنانى النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأبي

يحيى، و للطبراني من كلام أبي بكرة: تدليت ببكرة من الطائف فقال لي النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فأنت أبو بكرة.

[٣] أخرج الطيالسي في مسنده ص ٢٨٠ تحت رقم ٢٠٨٨ عن أنس «كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ليخالطنا حتى يقول لاخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النغير» و أخرجه البخاري ج ٨ ص ٣٧ و ٥٥ أيضا.

[٤] أخرجه النسائي في عمل اليوم و الليلة و الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٥٣٧.

[٥] قال العراقي: أخرجه أبو الحسن ابن ضحاك في كتاب الشمائل و ابن الجوزي في الوفاء باسناد

ضعيف من كلام بريدة: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من افصح العرب و كان يتكلم بالكلام لا يدرون ما هو حتى يخبرهم.

[٦] أخرجه ابن سعد في الطبقات عن يحيى بن يزيد السعدى مرسلا بسند صحيح هكذا «أنا أعربكم من قريش» كما في الجامع الصغير، و راجع الموضوعات الكبير ص ٤٠ للمولى على القارئ.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٣٣

و أنّ أهل الجنّة يتكلّمون فيها بلغه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم [١] و كان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار، و كان

كلامه كخرزات النظم [٢] قالت عائشة: كان لا يسرد الكلام كسرد كم هذا، كان كلامه نزرا، و أنتم تنثرون الكلام نثرا.

و قالوا: و كان أوجز الناس كلاما و بذاك جاءه جبرئيل عليه السّلام، و كان مع الايجاز يجمع كلّ ما أراد، و كان يتكلّم بجوامع الكلم لا فضول و لا تقصير، كلام يتبع بعضه بعضا، بين كلاميه توقّف يحفظه سامعه و يعيه و كان جهير الصوت أحسن الناس نغمة.

و كان طويل السكوت لا يتكلّم في غير حاجة و لا يقول المنكر، و لا يقول في الغضب و الرضا إلا الحقّ [٣] و يعرض عمّن تكلّم بغير جميل و يكني عمّا

---

[١] اخرج الطبراني و أبو الشيخ و الحاكم في المستدرك و ابن مردوية و البيهقي في الشعب من كلام ابن عباس هكذا «كلام أهل الجنة عربي» راجع الدر المنثور ج ٤ ص ٢.

[٢] و صفته أم معبد هكذا في حديث هجرة النبي إلى المدينة راجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٩، تاريخ الطبرى، تاريخ الخميس و غيره. و قوله: نزر الكلام اى القليل، و المهذار كثير الكلام يعنى ليس بقليل الكلام حتى يدل على عى و لا بكثير حتى يكون فاسدا.

[٣]أخرج الحاكم في المستدرك ج ١ ص ١٠٥ و أبو داود في السنن ج ٢ ص ٢٨٦ عن عبد اللّه بن عمر قال:كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أريد حفظه فنهتنى قريش و قالوا: تكتب كل شيء و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بشر يتكلم فى الغضب و الرضا، فامسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك له فأومأ باصبعه إلى فيه و قال:

«اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه الا حق».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٣٤

اضطرّه الكلام إليه ممّا يكره [١] و كان إذا سكت تكلّم جلساؤه، و لا يتنازع عنده في الحديث و يعظ بالجدّ و النصيحة [٢] و يقول: «لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فإنّه انزل على وجوه» [٣].

و كان أكثر الناس تبسّما و ضحكا في وجوه أصحابه، و تعجّبا ممّا تحدّثوا به، و خلطا لنفسه بهم [٤] و لربّما ضحك حتّى تبدو نواجذه و كان ضحك أصحابه عنده التبسّم اقتداء به و توقيرا له.

قالوا: و لقد جاءه أعرابيّ يوما و هو عليه السّلام متغيّر ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا: لا تفعل يا أعرابيّ فإنّا ننكر لونه، فقال: دعوني و الّذي بعثه بالحقّ نبيّا لا

أدعه حتّى يتبسّم. فقال: يا رسول اللّه بلغنا أنّ المسيح يعني الدّجال يأتي على ناس بالثريد و قد هلكوا جوعا أفترى لي بأبي أنت و امّي أن أكفّ عن ثريده تعفّفا و تنزّها حتّى أهلك هزلا أم أضرب في ثريده حتّى إذا تضلّعت شبعا آمنت باللّه و كفرت به؟قالوا:فضحك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى بدت نواجده، ثمّ قال:

لا بل يغنيك اللّه بما يغني به المؤمنين.

---

[١] أخرج البخاري في كتاب الطلاق من الصحيح ج ٧ ص ٥٥

قوله عليه السّلام لامرأة رفاعة القرظي «لا حتى تذوق عسيلتك و تذوقى عسيلتها» و هذا كناية عن الجماع.

[٢] أخرج مسلم ج ٣ ص ١١ من حديث جابر: كان النبي صلّى اللّه عليه و آله إذا خطب احمرّت عيناه و علا صوته و اشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم و مساكم. ا هـ».

[٣] أخرجه الطبراني من حديث عبد اللّه بن عمرو باسناد حسن «ان القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض» و في رواية له «أ بهذا أمرتم ان تضربوا كتاب اللّه بعضه ببعض»

[٤] فى الشمائل للترمذي في حديث على عليه السّلام: «يضحك مما تضحكون منه و يتعجب مما تعجبون منه» و روى مسلم ج ٧ ص ٧٨ من حديث جابر بن السمرة: كانوا يتحدثون فيأخذون في امر الجاهلية فيضحكون و يتبسم.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٣٥

قالوا: و كان من أكثر الناس تبسّما و أطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة، و كان إذا سرّ و رضي فهو أحسن الناس رضا و إن وعظ وعظ بجدّ فلم يكن يغضب إلا للّه [١]، لم يقم لغضبه شيء، و كذلك كان في أموره كلّها. و كان

إذا نزل به الأمر فوّض الأمر إلى اللّه و تبرّأ من الحول و القوّةو استنزل الهدى فيقول: «اللّهمّ أرني الحقّ حقّا فأتّبعه و أرني المنكّر منكرا و ارزقني اجتنابه و أعذني من أن يشتبه عليّ فأتّبع هواي بغير هدى منك و اجعل هواي تبعا لطاعتك، و خذ رضا نفسك من نفسي في عافية و اهدني لما اختلف فيه من الحقّ بإذنك إنّك تهدي [من تشاء] إلى صراط مستقيم».

بيان أخلاقه و آدابه صلّى اللّه عليه و آله في الطعام

كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يأكل ما وجد، و كان أحبّ الطعام إليه ما كان على ضفف و الضفف

ما كثرت عليه الأيدي، وكان إذا وضعت المائدة قال:«بسم اللّه الرّحمن الرّحيم اللّهمّ اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنّة» و كان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه و بين قدميه كما يجلس المصلّي إلا أنّ الركبة فوق الرّكبة، و القدم فوق القدم و يقول: إنّما أنا عبد آكل كما يأكل العبد و أجلس كما يجلس العبد.

و كان لا يأكل الحارّ و يقول: إنّه غير ذي بركة و إنّ اللّه لم يطعمنا نارا فأبردوه.

و كان يأكل ممّا يليه و يأكل بأصابعه الثلاث و ربما استعان بالرابعة و لم يكن يأكل بأصبعين و يقول: ذلك أكلة الشّياطين.

و جاءه عثمان بن عفّان بفالوذج فأكل منه فقال: ما هذا يا أبا عبد اللّه؟ قال:

---

[١] للطبراني في المكارم من كلام جابر كان إذا نزل عليه الوحي قال: نذير قوم فإذا سرى عنه فاكثر الناس ضحكا. و لاحمد من كلام على او الزبير كان يخطب فيذكر بايام اللّه حتى يعرف ذلك في وجهه و كانه نذير قوم يصبحهم الامر غدوة. (المغني)

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٣٦

بأبي أنت و امّي نجعل السمن و العسل في البرمة و نضعها على النّار ثمّ نغليهما ثمّ نأخذ مخّ الحنطة إذا طحنت فنلقيه على السمن و العسل، ثمّ نسوطه حتّى ينضج فيأتي كما ترى، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ هذا طعام طيّب.

و كان يأكل خبز الشعير غير منخول و كان يأكل القثّاء بالرطب و الملح و كان أحبّ الفواكه إليه الرّطبة و البطّيخ و العنب و كان يأكل البطّيخ و الخبز و السّكر و ربما أكله بالرّطب و يستعين باليدين جميعا، و أكل يوما رطبا كان في يمينه و كان يحفظ النوى في يساره فمرّت شاة فأشار إليها بالنّوى

فجعلت تأكل ما في كفّه اليسرى و هو يأكل بيمينه حتّى فرغ و انصرفت الشاة [١] و كان ربما أكل العنب خرطا يرى رواله على لحيته كخرز اللّؤلؤ و هو الماء الّذي يتقطّر منه و كان أكثر طعامه الماء و التمر، و كان يتمجّع اللّبن بالتمر و يسمّيهما

---

[١] أقول: نقله الطبرسي في المكارم ص ٢٨ كما في المتن بلفظه. و قال العراقي: اما استعانته بيديه جميعا فرواه أحمد من حديث عبد اللّه بن جعفر قال: آخر ما رأيت من النبي صلّى اللّه عليه و آله في

إحدى يديه رطبات و في الأخرى قثاء يأكل من هذه و يعض من هذه و اما قصته مع الشاة فرويناه في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث انس باسناد ضعيف.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٣٧

الأطيبين [١]و كان أحبّ الطعام إليه اللّحم و يقول: هو يزيد في السّمع، و هو سيّد الطعام في الدّنيا و الآخرة، و لو سألت ربّي أن يطعمنيه كلّ يوم لفعل [٢] و كان يأكل الثريد باللّحم و القرع

و كان يحبّ القرع و يقول: إنّها شجرة أخي يونس عليه السّلام

قالت عائشة: كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:يا عائشة إذا

طبختم قدرا فأكثروا فيه من الدّبّاء فإنّه يسرّ قلب الحزين،
و كان يأكل لحم الطير الّذي يصاد.
و كان لا يتبعه، و لا يصيده، و يحبّ أن يصاد له و يؤتي به فيأكله [٣]، و كان إذا أكل اللّحم لم يطأطئ رأسه إليه و رفعه إلى فيه رفعا ثمّ ينتهشه انتهاشا [٤] و كان

---

[١] المكارم ص ٣٠ و التمجع: أكل التمر اليابس باللبن معا أو أكل التمر و شرب عليه اللبن. و أخرجه أحمد في مسنده من رواية إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال: دخلت

على رجل و هو يجمع لبنا بتمر و قال: ادن فان النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سمّاها الاطيبين راجع مجمع الزوائد ج ٥ ص ٤٠.

[٢] ما عثرت على لفظه الا أن للترمذي في الشمائل ص ١٢ من حديث جابر:

أتانا النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في منزلنا فذبحنا له شاة فقال: «كانهم علموا انا نحب اللحم» و اخرج ابن ماجة تحت رقم ٣٣٠٥ «سيد طعام أهل الدنيا و أهل الجنة اللحم».

[٣] قال العراقي: هذا هو الظاهر من حاله فقد قال: «من اتبع الصيد غفل» رواه ابو داود و النسائي و الترمذي من حديث ابن عباس و

اما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني «قد كانت قبلي للّه رسل كلهم يصطاد و يطلب الصيد» فهو ضعيف جدا أقول: و في مكارم الأخلاق للطبرسي ص ٣٠ كما في المتن.

[٤] نقله الطبرسي في المكارم ص ٣١ بلفظه و في بعض النسخ [ينتهسه انتهاسا] أى أخذه بمقدم أسنانه للاكل. و النهش بالاسنان و الاضراس و النهس بأطراف الاسنان و للترمذي في السنن ج ٨ ص ٣١ من حديث أبي هريرة قال: اتى بلحم فرفع إليه الذراع و كانت تعجبه فنهس منها.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٣٨

يأكل الخبز و السمن، و كان يحبّ من الشاة الذّراع و الكتف و من القدر الدّبّاء، و من الصباغ الخلّ، و من التمر العجوة [١] و دعا في العجوة بالبركة و قال:

هي من الجنّة، و شفاء من السمّ و السّحر [٢]، و كان يحبّ من البقول الهندباء، و الباذروج، و البقلة الحمقاء الّتي يقال لها: الرّجلة [٣] و كان يكره الكليتين لمكانهما من البول [٤] و لا يأكل من الشاة سبعا: الذكر، و الأنثيين، و المثانة، و المرارة، و الغدد، و الحيا، و الدّم، و يكره ذلك [٥] و كان لا يأكل الثوم و لا البصل و لا الكرّاث و ما ذمّ طعاما قطّ لكن إن أعجبه أكله و إن كرهه تركه و إن عافه لم

---

[١] قال العراقي: روى الشيخان من حديث أبي هريرة: قال: وضعت بين يدي النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قصعة من ثريد و لحم فتناول الذراع و كانت أحب الشاة إليه.

و روى أبو الشيخ من حديث ابن عباس «كان أحب اللحم إلى النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الكتف» و اسناده ضعيف، و من حديث أبي هريرة «لم يكن يعجبه من الشاة الا الكتف».

و لابي الشيخ من حديث ابن عباس باسناد ضعيف «كان أحب الصباغ إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

الخل» و له بالاسناد المذكور «كان أحب التمر إليه العجوة».

[٢] أخرجه البخاري ج ٧ ص ١٠٤ من حديث سعد بن أبي وقاص و للنسائي و ابن ماجه و الترمذي «قال: العجوة من الجنة و هي شفاء من السم».

[٣] روى البرقي في المحاسن ص ٥٠٧ اخبارا في الهندباء و كذلك في ص ٥١٣ فى الباذروج، و قال العراقي: روى أبو نعيم من رواية ثوير قال: مر النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالرجلة و في رجله قرحة فداواها بها فبرئت فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: بارك اللّه فيك انبتى حيث شئت فأنت شفاء من سبعين داء أدناه الصداع.

[٤] قال العراقي: رويناه في جزء من كلام أبي بكر محمد بن عبد اللّه بن الشخير من حديث ابن عباس باسناد ضعيف فيه حسن بن العدوى أحد الكذابين.

[٥] رواه ابن عدى و من طريق البيهقي من حديث ابن عباس باسناد ضعيف و رواه البيهقي أيضا من رواية مجاهد مرسلا. (المغني)

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٣٩

يبغضه إلى غيره وكان يلعق الصحفة فيقول: آخر الطعام أكثر بركة

و كان يلعق أصابعه من الطّعام حتّى تحمرّ و لا يمسح بالمنديل حتّى يلعق أصابعه واحدة واحدة و

يقول: إنّه لا يدري في أيّ الطعام البركة،

و إذا فرغ قال:«اللّهمّ لك الحمد أطعمت و أشبعت، و سقيت و أرويت، لك الحمد غير مكفور و لا مودّع و لا مستغنى عنه

و كان إذا أكل الخبز و اللّحم خاصّة غسل يديه غسلا جيّدا ثمّ يمسح بفضل الماء على وجهه» و كان يشرب في ثلاث دفعات، له فيها ثلاث تسميات و في أواخرها ثلاث تحميدات و كان يمصّ الماء مصّا و لا يعبّ عبّا، و ربما كان يشرب في نفس واحد حتّى يفرغ و لا يتنفّس في الإناء بل ينحرف عنهو كان يدفع فضل سؤره إلى من

على يمينه فإن كان من على يساره أجلّ رتبة، قال

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٤٠

للّذي على يمينه: السنّة أن أعطيك فإن أحببت آثرتهم

و أتي بإناء فيه عسل و لبن فأبى أن يشربه و قال: شربتان في شربة و إدامان في إناء واحد، ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«لا احرّمه و لكنّي أكره الفخر و الحساب بفضول الدّنيا غدا و أحبّ التواضع فإنّ من تواضع للّه رفعه اللّه».

و كان في بيته أشدّ حياء من العاتق، لا يسألهم طعاما و لا يتشهّاه عليهم إن أطعموه أكل، و ما

أعطوه قبل، و ما سقوه شرب [١] و كان ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب بنفسه.

بيان أخلاقه و آدابه في اللّباس

كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يلبس من الثياب ما وجد من إزار و رداء أو قميص أو جبّة أو غير ذلك، و كان يعجبه الثياب الخضر،و كان أكثر لباسه البياض و يقول: ألبسوها أحياءكم و كفّنوا فيها موتاكم،

و كان يلبس القباء المحشوّ للحرب و غير المحشوّ، و كان له قباء سندس فيلبسه فيحسن خضرته على بياض لونه [٢].

---

[١] أخرج الشيخان من حديث أبي سعيد «كان أشد الناس حياء من العذراء في خدرها» و اما كونه لا يسألهم طعاما أي طعاما خاصا و إلا روى عائشة انه قال ذات يوم: «يا عائشة هل عندكم شيء – الحديث» و ما جاء في حديث أنه قال: «لو صنعتم لنا من هذا اللحم» فلعله لبيان الحكم لا التشهى و اللّه أعلم. (المغني)

[٢] أخرج البخاري ج ٧ ص ١٩٢ من حديث أبي ذر قال: «أتيت النبي صلّى اللّه عليه و آله و عليه ثوب أبيض و هو نائم... الحديث»

و في ص ١٨٢ من حديث حسين بن على عليهما السلام «أن عليا عليه السّلام قال: فدعا النبي صلى اللّه عليه و آله و سلم بردائه فارتدى به ثم انطلق يمشى... الحديث». و ص ١٨٥ «لما توفى عبد اللّه بن أبي جاء ابنه إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال: يا رسول اللّه اعطنى قميصك اكفّنه فيه و صلّ عليه و استغفر له فأعطاه قميصه... الحديث» و ص ١٨٦ في حديث «فغسل صلّى اللّه عليه و آله وجهه و يديه و عليه جبة من صوف فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة الخبر» و أخرج ابن ماجة تحت رقم ٣٥٥١ من حديث

عائشة «أن له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ازارا غليظا من التي تصنع باليمن و كساء من هذه الاكسية التي تدعى الملبدة و توفى فيها». و فيه تحت رقم ٣٥٥٢ من حديث عبادة بن الصامت «صلى في شملة قد عقد عليها» و فيه تحت رقم ٣٥٥٦ من حديث أنس قال: «لبس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الصوف و احتذى المخصوف و لبس ثوبا خشنا خشنا». و أخرج أبو داود ج ٢ ص ٣٦٦ من حديث ام سلمة قالت: «كان أحب الثياب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم القميص، و في حديث آخر عن المسور بن مخرمة قال: انطلق بنا

رسول اللّه فانطلقت معه قال ادخل فادعه، قال فدعوته فخرج إليه و عليه قباء – الحديث –» و أخرج الحاكم ج ٤ ص ١٨٥ عنه صلى اللّه عليه و آله قال: «البسوا من الثياب البياض و كفنوا فيها موتاكم» و رواه الطبراني و البزار كما في مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٢٨. و فيه ص ١٢٩ روى البزار و الطبراني فى الأوسط عن انس قال: «كان يحب الخضرة أو قال كان أحب الالوان إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم» و أخرج أبو داود ج ٢ ص ٣٧٠ من حديث أنس «ان ملك الروم أهدى إلى النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مستقة من سندس فلبسها فكأنى

أنظر إلى يديه يذبذبان». و المستقة: فراء طوال الاكمام. و له ج ٢ ص ٣٧٤ عن أبي رمثة قال: «انطلقت مع أبي نحو النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فرأيت عليه بردين أخضرين».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٤١

و كانت ثيابه كلّها مشمّرة فوق الكعبين و يكون الإزار فوق ذلك إلى نصف السّاق [١] و كان قميصه مشدود الإزار و ربّما حلّ الإزار في الصّلاة و غيرها [٢] و كانت له ملحفة مصبوغة بالزّعفران و ربّما صلّى بالنّاس فيها وحدها [٣] و ربّما

---

[١] قال العراقي: روى محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبد اللّه ابن يسر: كانت ثياب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ازاره فوق الكعبين و قميصه فوق ذلك و رداؤه فوق ذلك و اسناده ضعيف.

[٢] أخرج الترمذي في الشمائل ص ٥ من رواية معاوية بن قرة بن اياس عن ابيه أتيت النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في رهط من مزينة و بايعناه و ان قميصه لمطلق الازرار، و قال العراقي: و للبيهقي من رواية ابن عمر يصلى محلولة

الازرار فسألته عن ذلك فقال: رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يفعله.

[٣] قال القسطلانى في المواهب ج ١ ص ٣٣٠: و عن يحيى بن عبد اللّه بن مالك قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يصبغ ثيابه بالزعفران قميصه و رداء و عمامته رواهما الدمياطي و عند أبي داود بلفظ يصبغ بالورس و الزعفران ثيابه حتى عمامته و كذا رواه من حديث زيد بن أسلم و أم سلمة و ابن عمر لكن يعارضه ما في الصحيح أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نهى عن التزعفر انتهى.

أقول: راجع صحيح البخاري ج ٧ ص ١٨٧.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٤٢

لبس الكساء وحده ما عليه غيره [١]و كان له كساء ملبّد يلبسه و يقول:«إنّما أنا عبد ألبس كما يلبس العبيد»

و كان له ثوبان لجمعة خاصّة سوى ثيابه في غير الجمعة و ربّما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره يقعد طرفيه بين كتفيه و ربّما أمّ الناس به على الجنائز و ربّما صلّى في بيته في الإزار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه و يكون ذلك الإزار الّذي جامع فيه يومئذ و كان ربما صلّي باللّيل في الإزار و يرتدي ببعض الثوب ممّا يلي هدبه

و يلقي البقيّة على بعض نسائه فيصلّي كذلك و لقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أمّ سلمة: بأبي أنت و امّي ما فعل ذلك الكساء الأسود؟ قال: كسوته، فقالت: ما رأيت شيئا قطّ أحسن من بياضك على سواده [٢]

---

[١] أخرجه الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله فإذا عليه ازاره و ليس عليه غيره، و للبخاري من رواية محمد بن المنكدر صلى بنا جابر في ازاره قد عقده من قبل قفاه و ثيابه موضوعه على المشجب. و في رواية له و هو

يصلى في ثوب ملتحفا به و رداؤه موضوع و فيه: رأيت النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يصلى هكذا، السنن للبيهقي ج ٢ ص ٢٤٠.

[٢] قال العراقي: لم أقف عليه من حديث أم سلمة، و لمسلم من حديث عائشة:

خرج النبي و عليه مرط مرحّل اسود و لابي داود و النسائي صنعت للنبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بردة سوداء من صوف فلبسها. و زاد فيه ابن سعد في الطبقات فذكرت بياض النبي صلّى اللّه عليه و آله و سوادها و رواه الحاكم بلفظ جبة و قال صحيح على شرط الشيخين انتهى.

أقول: و المرط – بكسر الميم و اسكان الراء – كساء من صوف أو خز يؤتزر به، و المرحل بتشديد الحاء المهملة المفتوحة – كمعظم – هو الذي فيه صور الرحال و في القاموس في مادة رحل – كمعظم – برد فيه تصاوير رحل، قال: و تصوير الجوهري إياه بازار خز فيه علم غير جيد انما ذلك تفسير المرجل بالجيم، و قال في مادة رجل – بالمعجمة –: و برد مرجل – كمعظم – فيه صور الرجال. و قال الخطابي: المرجل بالمهملة الذي فيه خطوط.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٤٣

و قال أنس: و ربّما رأيته يصلّي الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها [١] و كان يتختّم و ربّما خرج و في خاتمه خيط مربوط يستذكر به الشيء [٢] و كان يختم به على الكتبو يقول:الخاتم على الكتاب خير من التهمة

و كان يلبس القلانس تحت العمائم و بغير عمامة، و ربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه، ثمّ يصلّي إليها [٣] و ربّما لم يكن العمامة فيشدّ العصابة على رأسه و على جبهتهو كانت له عمامة تسمّى

---

[١] أخرجه البزار و أبو يعلى بلفظ صلى في ثوب واحد و قد خالف بين طرفيه، و للبزار خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديا بثوب قطن فصلى بالناس و اسناده صحيح و ابن ماجه تحت رقم ٣٥٥٢ من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها، و في كامل ابن عدى:

قد عقد عليها هكذا - و أشار سفيان إلى قفاه - و في جزء الغطريف فعقدها في عنقه ما عليه غيرها و اسناده ضعيف كما في المغني و راجع السنن للبيهقي ج ٢ ص ٢٣٨.

[٢] روى ابن عدى في الكامل بسند ضعيف من حديث واثلة بلفظ «كان

صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا أراد حاجة اوثق في خاتمه خيطا» و روى أبو يعلى عن ابن عمر أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «كان إذا أشفق من الحاجة أن ينساها ربط في إصبعه خيطا ليذكرها» و كذا فى رابع الخلعيات لكن فيه سالم بن عبد اللّه الأعلى أبو الفيض رماه ابن حبان بالوضع بل اتهمه أبو حاتم بهذا الحديث. (راجع المواهب اللدنية ج ١ ص ٣٣٦).

[٣] أخرج الطبراني و أبو الشيخ و البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم يلبس قلنسوة بيضاء ذات آذان يلبسها في السفر فربما وضعها بين يديه إذا صلى و

اسنادهما ضعيف (المغني) و لابي داود ج ٢ ص ٣٧٦ و البغوي في المصابيح ج ٢ ص ١١٩ من حديث ركانة «فرق ما بيننا و بين المشركين العمائم على القلانس».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٤٤

السحابة فوهبها من عليّ عليه السّلام فربّما طلع عليّ عليه السّلام فيها فيقول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أتاكم عليّ في السحاب

و كان إذا لبس ثوبا يلبسه من قبل ميامنه و يقول: «الحمد للّه الّذي كساني ما اواري به عورتي و أتجمّل به في الناس»

و إذا نزع ثوبه أخرج من مياسره [١]،و كان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثمّ يقول: «ما من مسلم يكسو مسلما من شمل ثيابه لا يكسوه إلا للّه إلا كان في ضمان اللّه و حرزه و خيره ما واراه حيّا و ميّتا»

و كان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه و عرضه ذراع و شبر أو نحوه [٢] و كانت له عباءة تفرش له حيث ما تنقّل تثني طاقين تحته [٣].

و قد كان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره و كان من خلقه تسمية دوابّه و سلاحه و متاعه:

---

[١] أخرجه أبو الشيخ من حديث ابن عمر «كان إذا لبس شيئا من الثياب بدأ بالايمن و إذا نزع بدأ بيمينه و إذا خلع بدأ بيساره. و هو في الانتقال في الصحيحين من حديث أبي هريرة من قوله لا فعله.

[٢] أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٣٩١ دون ذكر عرضه و طوله. و قال العراقي: و لابي الشيخ من حديث أم سلمة «كان فراشه نحو ما يوضع الإنسان في قبره».

[٣] أخرج الترمذي في الشمائل ص ٢٣ من حديث حفصة «و سئلت ما كان فراشه؟ قالت: مستح نثنيه ثنتين

فينام عليه و قال العراقي: اخرج أبو الشيخ من حديث عائشة و ابن سعد في الطبقات دخلت علىّ امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عباءة مثنية.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٤٥

و كان اسم رايته العقاب، و اسم سيفه الّذي يشهد به الحروب ذو الفقار، و كان له سيف يقال له المخذم، و آخر يقال له الرّسوب، و آخر يقال له القضيب، و كانت قبيعة سيفه محلاة بالفضّة [١] و كان يلبس المنطقة من ادم فيها ثلاث حلق من فضّة، و كان اسم قوسه الكتوم، و جعبته الكافور، و كان اسم ناقته القصواء و هي الّتي

يقال لها العضباء، و اسم بغلته الدّلدل، و اسم حماره يعفور، و اسم شاته الّتي يشرب لبنها عينة، و كان له مطهرة من فخّار يتوضّأ فيها و يشرب منها فيرسل الناس أولادهم الصغار الّذين قد عقلوا فيدخلون على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلا يدفعون عنه فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه و مسحوا على وجوههم و أجسادهم يبتغون بذلك البركة [٢].

بيان عفوه مع القدرة

كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أحلم الناس، و أرغبهم في العفو مع القدرة حتّى أتى بقلائد من ذهب و فضّة فقسّمها بين أصحابه فقام رجل

من أهل البادية فقال: و اللّه يا محمّد لئن

---

[١] أخرج الطبراني من حديث ابن عباس كان لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سيف قائمته من فضة و قبيعته من فضة و يسمى ذو الفقار، و له قوس تسمى السداد، و كانت له كنانة تسمى الجمع، و كانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول، و كانت له له حربة تسمى النبعة، و كان له مجن تسمى الدفن، و كان له ترس أبيض يسمى موجزا.

[۲] فى تاريخ الطبرى ج ۲ ص ٤۲۱ باسناده عن محمد بن سهل بن أبي حثمة عن أبيه قال: اول فرس ملكه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فرس ابتاعه بالمدينة من رجل من بنى فزارة بعشر اواق و كان اسمه عند الأعرابي الفرس فسماه رسول اللّه السكب و كان اول ما غزا عليه أحد ليس مع المسلمين يومئذ فرس غيره و فرس لابي بردة بن دينار يقال له: ملاوح.

و فيه باسناده عن محمد بن عمر قال: سألت ابن أبي حثمة عن المرتجز فقال: هو الفرس الذي اشتراه من الأعرابي الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت و كان الأعرابي من بني مرة. و فيه عن عباس بن

سهل عن أبيه عن جده قال: كان لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثلاثة افراس: لزاز، و الظرب، و اللخيف، فاما لزاز فأهداه له مقوقس، و اما اللخيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء فأثابه عليه فرائض من نعم بني كلاب، و أما الظرب فأهداه له فروة ابن عمرو الجذامى، و أهدى تميم الداري لرسول اللّه فرسا يقال له: الورد فأعطاه عمر فحمل عليه عمر في سبيل اللّه فوجده يباع، و قد زعم بعضهم أنه كان له مع ما ذكرت من الخيل فرس يقال له اليعسوب.

و فيه باسناده عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال: كانت دلدل بغلة النبي صلّى اللّه عليه و آله و

سلّم أول بغلة رئيت في الإسلام أهداها له المقوقس و أهدى له معها حمارا يقال له: عفير فكانت البغلة قد بقيت حتى كان زمن معاوية. و فيه عن الزهري قال: الدلدل أهداها له فروة بن عمرو الجذامى. و فيه عن زامل بن عمرو قال: أهدى فروة ابن عمرو إلى النبي صلّى اللّه عليه و آله بغلة يقال له فضة فوهبها لابي بكر و حماره يعفور فنفق منصرفه من حجة الوداع. و فيه عن موسى بن محمد عن أبيه قالت: كانت القصواء من نعم بني الحريش ابتاعها أبو بكر و أخرى بثمانمائة درهم و أخذها منه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم بأربعمائة فكانت عنده حتى نفقت و

هي التي هاجرت عليها و كانت حين قدم رسول اللّه المدينة رباعية و كان اسمها القصواء و الجدعاء و العضباء. و فيه ص ٤٢٣ عن إبراهيم بن عبد اللّه قال: كانت منائح رسول اللّه سبعا عجوة، و زمزم، و سقيا، و بركة، و ورسة، و أطلال، و أطراف. و فيه ص ٤٣٤ عن مروان بن أبي سعيد قال: أصاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيفا قلعيا، و سيفا يدعى بتارا، و سيفا يدعى الحتف، و كان عنده بعد ذلك المخذم و رسوب، اصابهما من القلس، و قيل انه قدم صلى اللّه عليه و آله المدينة و معه سيفان يقال لاحدهما:

العضب شهد به بدرا و سيفه ذو الفقار غنمه يوم بدر كان لمنبه بن الحجاج. و فيه عنه قال: أصاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من سلاح بني قينقاع درعين درع يقال: لها السعدية و درع يقال لها فضة. و فيه عن محمد بن مسلمة قال: رأيت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوم أحد درعين درعه ذات الفضول و درعه فضة و رأيت عليه يوم خيبر درعين ذات الفضول و السعدية.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٤٦

أمرك اللّه أن تعدل فما أراك تعدل، فقال: ويحك فمن يعدل عليك

بعدي، فلمّا ولّى قال: ردّوه عليّ رويدا.

و روى جابرأنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يقبض للنّاس يوم حنين من فضّة كانت في ثوب بلال فقال له رجل: يا نبيّ اللّه أعدل، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذا و خسرت إن كنت لا أعدل، فقام عمر فقال: ألا أضرب عنقه فإنّه منافق، فقال: معاذ اللّه أن يتحدّث الناس أنّي أقتل أصحابي.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٤٧

و كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في حرب فرأوا من المسلمين غرّة

فجاء رجل حتّى قام على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالسيف فقال: من يمنعك منّي؟ فقال: اللّه قال: فسقط السيف من يده فأخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم السيف و قال: من يمنعك منّي فقال: كن خير آخذ قال: قل أشهد أن لا إله إلا اللّه فقال الأعرابي: لا اقاتلك و لا أكون معك و لا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلّى سبيله فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

و روى أنسأنّ يهوديّة أتت النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فسألها عن ذلك فقالت: أردت قتلك

فقال: ما كان اللّه يسلّطك على ذلك، قالوا: أ فلا تقتلها؟ قال: لا.

و سحره رجل من اليهود فأخبره جبرئيل عليه السّلام بذلك حتّى استخرجه و حلّ عقده، فوجد لذلك خفّة و ما ذكر ذلك لليهوديّ و لا أظهره عليه قطّ.

و قال عليّ عليه السّلام:بعثني رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنا و الزّبير و المقداد فقال: انطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخ فإنّ بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا حتّى أتينا روضة خاخ فإذا الظعينة بها، فقلنا: اخرجي الكتاب، قالت: ما معي الكتاب، فقلنا: لتخرجنّ الكتاب، أو لتقتلنّ، أو لننزعنّ الثياب، فأخرجته من

عقاصها، فأتينا به النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكّة يخبرهم أمرا من أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقال: يا حاطب ما هذا؟ فقال: يا رسول اللّه لا تعجل عليّ فإنّي كنت أمرءا ملصقا في قومي و كان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكّة يحمون أهليهم فأحببت إن فاتني ذلك منهم من النسب أن أتّخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي، و لم أفعل ذلك كفرا، و لا رضا بالكفر بعد الإسلام، و لا ارتدادا عن ديني، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: صدقكم، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال

صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إنّه شهد بدرا و ما يدريك لعلّ اللّه عزّ و جلّ قد أطلع على

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٤٨

أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

و قسّم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قسمة فقال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما أريد بها وجه اللّه، فذكر ذلك للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاحمرّ وجهه، فقال: «رحم اللّه أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر».

و كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:«لا يبلّغني أحد منكم عن أحد

من أصحابي شيئا فإنّي احبّ أن أخرج إليكم و أنا سليم الصّدر».

بيان اغضائه عمّا كان يكره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رقيق البشرة، لطيف الظاهر و الباطن، يعرف في وجهه غضبه و رضاه [١]، و كان إذا اشتدّ وجده أكثر من مسّ لحيته،و كان لا يشافه أحدا بما يكره، دخل عليه رجل و عليه صفرة فكرهه فلم يقل شيئا حتّى خرج فقال لبعض القوم: لو قلتم لهذا أن ينزع هذه – يعني الصفرة –.

و بال أعرابيّ في المسجد بحضرته فهمّ به الأصحاب فقال: لا تزرموه يعني لا تقطعوا عليه البول، ثمّ قال:

«إنّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر و البول و الخلاء»و في رواية:«قرّبوا و لا

---

[۱] روى الصدوق في المعاني ص ۸۱ و العيون باب الثلاثين في حديث طويل عن الحسن بن على عليهما السلام عن خاله قال: «كان صلّى اللّه عليه و آله دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب ليس بفظ و لا غليظ - و أيضا - فيه إذا غضب اعرض و أشاح، و إذا فرح غض طرفه. و في صحيح البخاري ج ٤ ص ۲۲۹ و ۲۳۰ مثله.

تتفروا».

و جاءه أعرابيّ يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ قال له: أحسنت إليك فقال الأعرابيّ: لا و لا أجملت، قال: فغضب المسلمون و قاموا إليه فأشار إليهم أن كفّوا ثمّ قام و دخل منزله و أرسل إلى الأعرابيّ و زاده شيئا، ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أحسنت إليك؟ فقال الأعرابيّ: نعم فجزاك اللّه من أهل و عشيرة خيرا، فقال له النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

إنّك قلت ما قلت و في نفس أصحابي شيء من ذلك فإن أحببت

فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتّى يذهب من صدورهم ما فيها عليك، قال: نعم، فلمّا كان من الغد أو من العشيّ جاء فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ هذا الأعرابيّ قال ما قال، فزدناه فزعم أنّه رضي لذلك، فقال الأعرابيّ: نعم فجزاك اللّه من أهل و عشيرة خيرا، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ مثلي و مثل هذا الرّجل الأعرابيّ كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها النّاس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلّوا بيني و بين ناقتي فإنّي أرفق بها و أعلم، فتوجّه إليها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردّها هونا هونا حتّى جاءت و

استناخت و شدّ عليها رحلها و استوى عليها، و إنّي لو تركتكم حيث قال الرّجل ما قال، فقتلتموه دخل النّار».

بيان سخاوته وجوده صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أجود الناس و أسخاهم، و كان في شهر رمضان كالرّيح المرسلة لا يمسك شيئا.

و كان عليّ عليه السّلام إذا وصف النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:كان أجود الناس و أسخاهم كفّا، و أوسع الناس صدرا، و أصدق الناس لهجة، و أوفاهم ذمّة، و ألينهم عريكة، و أكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه، و من خالطه

معرفة أحبّه، يقول ناعته: لم أر قبله و لا بعده مثله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٥٠

و ما سئل عن شيء على الإسلام قطّ إلا أعطاه، و إنّ رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: أسلموا فإنّ محمّدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة.

و ما سئل قطّ شيئا فقال لاو حمل إليه سبعون ألف درهما فوضعها على حصير ثمّ قام إليها فقسّمها فما ردّ سائلا حتّى فرغ منها [١] و جاءه رجل فسأله: فقال: ما عندي شيء و لكن ابتع عليّ فإذا جاءنا

شيء قضيناه، فقال عمر: يا رسول اللّه ما كلّفك اللّه ما لا نقدر عليه، فكره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلك، فقال الرجل: أنفق و لا تخف من ذي العرش إقلالا، فتبسّم النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عرف السرور في وجهه.

و لما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتّى اضطرّوه إلى شجرة فخطفت رداؤه فوقف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال: «اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسّمتها بينكم ثمّ لا تجدوني بخيلا و لا كذوبا و لا جبانا».

بيان شجاعته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنجد الناس و أشجعهم،قال عليّ عليه السّلام:لقد رأيتني يوم بدر و نحن نلوذ بالنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو أقربنا إلى العدوّ، و كان من أشدّ الناس يومئذ بأسا،

---

[١] أخرج أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث الحسن مرسلا أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قدم عليه مال من البحرين ثمانون الفا لم يقدم عليه مال أكثر منه، لم يسأله يومئذ أحد الا أعطاه و لم يمنع سائلا و لم يعط ساكتا له، و نقله البخاري ج ٤

ص ١٢ تعليقا من حديث أنس أتى النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بمال من البحرين و كان أكثر مال اتى به صلّى اللّه عليه و آله.. الحديث.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٥١

و قال أيضا:كنّا إذا احمرّ البأس و لقي العدوّ القوم اتّقينا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فما يكون أحد أقرب إلى العدوّ منه.

و قيل: كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قليل الحديث، قليل الكلام، فإذا أمر الناس بالقتال تشمّر و كان من أشدّ الناس بأسا و كان الشجاع هو الّذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدوّ و قال عمران بن حصين:

ما لقي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كتيبة إلا كان أوّل من يضربقالوا:و كان قويّ البطش، و لمّا غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول:

أنا النّبيّ لا كذب

أنا ابن عبد المطّلبفما رئي يومئذ أحد كان أشدّ منه.

بيان تواضعه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أشدّ الناس تواضعا في علوّ منصبه قال ابن عامر: رأيته يرمي الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب و لا طرد و لا إليك إليك و كان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة و كان مع ذلك يستردف و كان يعود

المريض و يتّبع الجنازة و يجيب دعوة المملوك و يخصف النعل و يرقّع الثوب و كان يصنع في بيته مع أهله

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٥٢

في حاجتهم و كان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك و كان يمرّ على الصبيان فيسلّم عليهمو أتي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم برجل فارعد من هيبته فقال: «هوّن عليك فلست بملك إنّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»

و كان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنّه أحدهم، فيأتي الغريب فلا يدري أيّهم هو حتّى يسأل عنه حتّى

طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكّانا من طين فكان يجلس عليهو قالت له عائشة:كل متّكئا فإنّه أهون عليك قالت: فأصغى برأسه حتّى كاد يصيب جبهته الأرض ثمّ قال: «بل آكل كما يأكل العبد و أجلس كما يجلس العبد».

و كان لا يأكل على خوان و لا في سكرّجة حتّى لحق باللّه عزّ و جلّو كان لا يدعوه أحد من أصحابه و غيرهم إلا قال: لبيّك

و كان إذا جلس مع الناس إن تكلّموا في معنى الآخرة أخذ معهم، و إن تحدّثوا في طعام أو شراب تحدّث معهم، و إن تكلّموا في الدّنيا تحدّث معهم رفقا بهم و تواضعا لهم

و كانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا و يذكرون أشياء من أمر الجاهليّة و يضحكون و يتبسّم هو إذا ضحكوا و لا يزجرهم إلا عن حرام.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٥٣

بيان صورته و خلقته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

كان من صفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في قامته أنّه لم يكن بالطّويل البائن، و لا بالقصير المتردّد، بل كان ينسب إلى الرّبعة إذا مشى وحده و مع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من النّاس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لربّما

اكتنفه الرّجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبا إلى الطول و نسب هو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى الربعة،و هو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:جعل الخير كلّه في الرّبعة.

و أمّا لونه فقد كان أزهر اللّون و لم يكن بالآدم و لا بالشديد البياض و الأزهر، هو الأبيض الناصع الّذي لا تشوبه صفرة و لا حمرة و لا شيء من الألوان.

و نعته عمّه أبو طالب فقال:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل.و نعته بعضهم بأنّه مشرب حمرة فقال: إنّما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر

للشمس و الرّياح كالوجه و الرقبة، و الأزهر الصّافي عن الحمرة ما تحت الثياب منه.

و كان عرقه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في وجهه كاللّؤلؤ أطيب من المسك الأذفر.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٥٤

و أمّا شعره فقد كان رجل الشعرة حسنها، ليس بالسبط و لا الجعد القطط كان إذا مشطه بالمشط كان كأنّه حبك الرّمل، و قيل: كان شعره يضرب منكبيه، و أكثر الرواية أنّه كان إلى شحمة أذنيه و ربما يجعله غدائر أربعا يخرج كلّ إذن من بين غديرتين، و ربما جعل شعره على أذنيه فتبد و سوالفه يتلألأ، و كان

شيبه في الرأس و اللّحية سبع عشرة شعرة فما زاد على ذلك.

و كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أحسن الناس وجها و أنورهم لم يصفه واصف إلا شبّه بالقمر ليلة البدر و كان يرى رضاه و غضبه في وجهه لصفاء بشرته و كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم واسع الجبهة أزجّ الحاجبين سابغهما و كان أبلج ما بين الحاجبين كأنّ ما بينهما الفضّة المخلصة و كان عيناه نجلاوين أدعجهما و كان في عينيه تمزج من حمرة، و كان أهدب الأشفار

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٥٥

حتّى كاد يلتبس من كثرتها و كان أقنى العرنين أي مستوي الأنف و كان مفلج الأسنان – أي متفرّقها – و كان إذا افترّضا حكا افترّ عن مثل سنا البرق إذا تلألأ و كان من أحسن عباد اللّه شفتين و ألطفهم ختم فم [١]، و كان سهل الخدّين صلبهما ليس بالطويل الوجه و لا المكلثم كثّ اللّحية و كان يعفي لحيته و يأخذ شاربه.

و كان من أحسن عباد اللّه عنقا، لا ينسب إلى الطول و لا إلى القصر، ما ظهر من عنقه للشمس و الرّياح كأنّه إبريق فضّة مشرب ذهبا يتلألأ في بياض الفضّة

---

[۱] فى صحيح مسلم ج ۷ ص ۸٤ و المعاني للصدوق ص ۸۰ و الدلائل لابي نعيم الجزء الثالث ۲۲۸ و المكارم ص ۱۰، و الكافي ج ۱ ص ٤٤۳ في صفته صلّى اللّه عليه و آله «ضليع الفم» و في النهاية قال: «من صفته ضليع الفم» أى عظيمه و قيل واسعه، و العرب تمدح عظيم الفم و تذم صغيره. انتهى و قال الشاعر يهجو رجلا:

ان كان كدى و اقدامى لفي جرذ بين العواسج

أجنى حوله المصعالجرذ: الفارة و

المصع بضم الميم و سكون الصاد او فتحها ثمر العوسج. و العوسج: شجر الشوك.

و معناه ان كان كدى و اقدامى لرجل فمه مثل فم الجرذ في الصغر. و قال آخر: «لحى اللّه أفواه الدبا من قبيله» فعيّرهم بصغر الافواه.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٥٦

و في حمرة الذّهب.

و كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عريض الصّدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالمرايا في استوائه، و كالقمر في بياضه، موصول ما بين لبّته و سرّته بشعر منقاد كالقضيب، لم يكن في صدره و لا في بطنه

شعر غيره كانت له عكن ثلاث يغطي الإزار منها واحدة و يظهر اثنتان.

و كان عظيم المنكبين أشعرهما، ضخم الكراديس – أي رءوس العظام من المنكبين و المرفقين و الوركين.

و كان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوّة و هو ممّا يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة، حولها شعرات متواليات كأنّها من عرف فرس.

و كان عبل العضدين و الذّراعين، طويل الزندين، رحب الراحتين، سائل الأطراف كان أصابعه قضبان الفضّةفّه ألين من الخزّ كأن كفّه كفّ عطّار طيبا مسّها بطيب أو لم

يمسّها، يصافحه المصافح فيظلّ يومه يجد ريحها، و يضع يده على رأس

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٥٧

الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه و كان جميل ما تحت الإزار من الفخذين و السّاقين، و كان معتدل الخلق في السمن، بدن في آخر زمانه و كان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الأوّل لم يضرّه السمن.

و أمّا مشيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فكان يمشي فكأنّما يتقلّع من صخر، و ينحدر من صبب يخطو تكفّؤا و يمشي الهوينا بغير تبختر – و الهوينا تقارب الخطا – [١].

و كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:«أنا أشبه النّاس بآدم عليه السّلام و كان أبي إبراهيم عليه السّلام أشبه الناس بي خلقا و خلقا» [۲].

و كان يقول:«إنّ لي عند اللّه عشرة أسماء أنا محمّد، و أنا أحمد، و أنا الماحي الّذي يمحو اللّه بي الكفر، و أنا العاقب الّذي ليس بعده أحد، و أنا الحاشر الّذي يحشر العباد على قدمي، و أنا رسول التّوبة، و أنا رسول الملاحم، و المقفّي قفّيت الناس جميعا، و أنا قثم»

«قال أبو البحتري: القثم الكامل الجامع».

---

[۱] فى حديث هند بن أبي هالة «اذا زال زال قلعا، يخطو تكّفؤا و يمشى هونا، ذريع المشية إذا مشى كانما ينحط في صبب و إذا التفت التفت جميعا» معناه أن خطاه كأنه يتكسر فيها او يتبختر لقلة الاستعجال معها و لا تبختر فيها و لا خيلاء، و «الهوينا» تصغير الهونى تأنيث الاهون و هو من الهون: الرفق و اللين و التثبت كذا في النهاية و قال: فى صفته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «يمشى هونا». و في مجمع الزوائد ج ۸ ص ۲۷۲ نقلا عن البزار فى مسنده

«اذا مشى مشى مشيا يقلع الصخر».

[٢] أخرجه أبو نعيم آخر كتاب الدلائل، و اخرج أبو يعلى و ابن عساكر عن أم هانى رضى اللّه عنها خبرا طويلا فيه «و اما إبراهيم فو اللّه لانا أشبه الناس به خلقا» راجع الدر المنثور ج ٤ ص ١٤٨.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٥٨

بيان خلقه و خلقه و سيرته مع جلسائه برواية الحسن و الحسين عليهما السّلام

و هو الّذى أضفنامروى في مكارم الأخلاق من كتاب محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني عن الحسن بن عليّ عليهما السّلام قال:«سألت

خالي هند بن أبي هالة التميميّ و كان وصّافا عن حلية النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنا أشتهي أن يصف لي منها شيئا أتعلّق به فقال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فخما مفخّما يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، و أقصر من المشذّب، عظيم الهامة، رجل الشعر إذا انفرقت عقيصته قرن و إلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفّره، أزهر اللّون، واسع الجبين، أزجّ الحواجب سوابغ من غير قرن، بينهما عرق يدرّه الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمّله أشمّ كثّ اللّحية، سهل الخدّين، أدعج، ضليع الفم، أشنب

مفلج الأسنان دقيق المسربة كأنّ عنقه جيد دمية في صفاء الفضّة معتدل الخلق، بادنا متماسكا، سواء البطن و الصّدر، عريض الصّدر، بعيد ما بين المنكبين،

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٥٩

ضخم الكراديس، أنور المتجرّد، موصول ما بين اللّبّة و السّرّة بشعر يجري كالخطّ، عاري الثديين و البطن ممّا سوى ذلك، أشعر الذّراعين و المنكبين و أعلى الصّدر، طويل الزّندين، رحب الرّاحة، سبط القصب، شثن الكفّين و القدمين، سائل الأطراف، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعا

يخطو تكفّؤا و يمشي هونا، سريع المشية إذا مشى كأنّما ينحطّ من صبب، و إذا التفت التفت جميعا، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جلّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه و يبدر من لقي بالسّلام.

قال: قلت له: صف لي منطقه، قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، لا يتكلّم في غير حاجة، طويل السكت، يفتح الكلام و يختمه بأشداقه و يتكلّم بجوامع الكلم فصلا لا فضول و لا تقصير فيه دمثا ليس بالجافي و لا بالمهين يعظّم النّعمة و إن دقّت لا يذمّ منها شيئا و لا يذمّ ذواقا و لا

البيضاء ج : ٤ ص : ١٦٠

يمدحه و لا يغضبه الدّنيا و ما كان لها فإذا تعدّي الحقّ لم يعرفه أحد لم يقم لغضبه شيء حتّى ينتصر له، و لا يغضب لنفسه، و لا ينتصر لها، و إذا أشار أشار بكفّه كلّها، و إذا تعجّب قلبها، و إذا تحدّث أشار بها، فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى و إذا غضب أعرض و أشاح، و إذا فرح غضّ من طرفه، جلّ ضحكه التبسّم و يفترّ عن مثل حبّ الغمام.

قال الحسن عليه السّلام فكتمتها الحسين زمانا ثمّ حدّثته فوجدته قد سبقني إليه فسأله عمّا سألته عنه، و وجدته قد سأل أباه عن مدخله و

مخرجه و مجلسه و شكله فلم يدع منها شيئا».

قال الحسين بن عليّ عليهما السّلام:«سألت أبي عليه السّلام عن دخول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال:

كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك و كان إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا للّه عزّ و جلّ، و جزءا لأهله، و جزءا لنفسه، ثمّ جزّأ جزءه بينه و بين الناس فيردّ ذلك على العامّة و الخاصّة [و لا يدّخر عنهم شيئا] فكان من سيرته في جزء الامّة: إيثار أهل الفضل بإذنه و قسمه على قدر فضلهم في الدّين فمنهم ذو الحاجة و منهم ذو الحاجتين و منهم ذو الحوائج

فيتشاغل بهم و يشغلهم فيما أصلحهم و أصلح الامّة من مسألته عنهم و إخبارهم بالّذي ينبغي لهم و يقول: «ليبلّغ الشاهد الغائب و أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته فإنّه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها إيّاه ثبّت اللّه قدميه يوم القيامة» لا يذكر عنده إلا ذلك، و لا يقبل من أحد غيره يدخلون روّادا و لا يفترقون إلا عن ذواق و يخرجون أدلّة فقهاء [١].

قال: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه، قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

---

[١] «روادا» الرواد جمع رائد و هو الذي يتقدم القوم إلى المنزل يرتاد لهم الكلاء يعنى أنهم ينفعون بما يسمعون من النبي صلّى اللّه عليه و آله من ورائهم كما ينفع الرائد من خلفه و قوله: «و لا يفترقون الا عن ذواق» معناه عن علوم يذوقون من حلاوتها و ما يذاق من الطعام المشتهى، و الادلة التي تدل الناس على أمور دينهم. و في نظم درر السمطين للزرندى المتوفى ٧٢٥ ص ٦٥ «و يخرجون أدلة» يعنى على الخير.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٦١

يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، و يؤلّفهم و لا يفرّقهم أو قال: ينفرهم – شكّ مالك – و يكرم كريم كلّ قوم و يولّيه عليهم، و يحذّر الناس من الفتن و يحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره و لا خلقه، و يتفقّد أصحابه و يسأل الناس عمّا في الناس، فيحسّن الحسن و يقوّيه، و يقبّح القبيح و يوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملّوا، لكلّ حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحقّ و لا يجوزه، الّذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة، و أعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة و مؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه فقال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يجلس و لا يقوم إلا على ذكر اللّه عزّ و جلّ اسمه، و لا يوطّن الأماكن و ينهى عن إيطانها، و إذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس و يأمر بذلك، يعطي كلّ جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أنّ أحدا أكرم عليه منه، من جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتّى يكون هو المنصرف عنه، و من سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه بسطة و خلقا، و كان لهم أبا و صاروا عنده في الحقّ سواء، مجلسه مجلس حلم و حياء و صبر و أمانة، لا ترفع

فيه الأصوات و لا توهن فيه الحرم و لا تنثى فلتاته [١]، متعادلون متفاضلون فيه بالتقوى، متواضعون يوقّرون فيه الكبير، و يرحمون فيه الصغير، و يؤثرون ذا الحاجة، و يحفظون - أو قال: يحيطون - الغريب.

- شكّ أبو غسّان -.

قال: قلت: كيف كان سيرته في جلسائه، قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظّ و لا غليظ و لا صخّاب [٢] و لا فحّاش و لا عيّاب و لا مدّاح، يتغافل عمّا لا يشتهي، و لا يؤيس منه، و لا يخيب فيه مؤمّليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء و

الإكثار و ممّا لا يعنيه: و ترك الناس من ثلاث كان

---

[١] «لا تنثى فلتاته» معناه من غلط فيه غلطة لم يشع و لا يتحدث بها، يقال: نثوت الحديث أنثوه نثوا إذا حدثت به. و في النهاية أي لم يكن في مجلسه زلات فتحفظ و تحكى.

[٢] الصخب بالصاد و السين: الضجة و اضطراب الأصوات للخصام.

لا يذمّ أحدا و لا يعيّره و لا يطلب عورته و لا يتكلّم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنّما على رءوسهم الطير، فإذا سكت تكلّموا، و لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلّم أنصتوا له حتّى يفرغ، حديثهم عنده حديث أوّلهم، يضحك ممّا يضحكون منه و يتعجّب ممّا يتعجّبون منه، و يصبر للغريب على الجفوة في منطقه و مسألته حتّى أن كان أصحابه ليستجلبونهم و يقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فارفدوه، و لا يقبل الثناء إلا عن مكافي [١] و لا يقطع على أحد حديثه حتّى يجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام.

قال: قلت: كيف كان سكوته؟ قال: كان سكوت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على أربعة على الحلم و الحذر و التقدير و التفكّر، فأمّا تقديره ففي تسوية النظر و الاستماع بين الناس، و أمّا تفكّره فيما يبقى و يفنى، و جمع له الحلم و الصبر فكان لا يغضبه شيء و لا يستفزّه، و جمع له الحذر في أربعة: أخذه بالحسن ليقتدى به، و تركه القبيح ليتناهى عنه، و اجتهاده للرأي فيما أصلح أمّته، و القيام فيما جمع لهم خير الدّنيا و الآخرة».

و في المكارم أيضا عن الصادق عليه السّلام قال: «إنّي لأكره للرّجل أن يموت و قد بقيت خلّة من خلال

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يأت بها».

بيان معجزاته و آياته الدالّة على صدقه

اعلم أنّ من شاهد أحواله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو أصغى إلى استماع أخباره المشتملة على أخلاقه و أفعاله و أحواله و عاداته و سجاياه و سياسته لأصناف الخلق و هدايته إلى ضبطهم، و تألّفه أصناف الخلق و قوده إيّاهم إلى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة، و بدايع تدبيراته في مصالح الخلق، و محاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الّتي يعجز الفقهاء و العقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول

---

[١] معناه من صح عنده اسلامه حسن موقع ثنائه عليه عنده، و من استشعر منه نفاقا و ضعفا في ديانته ألقى ثناءه عليه و لم يبال به (كذا في المعاني للصدوق).

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٦٣

أعمارهم لم يبق له ريب و لا شكّ في أنّ ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة يقوم بها القوّة البشريّة، بل لا يتصوّر ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماويّ و قوّة الهيّة و إنّ ذلك كلّه لا يتصوّر لكذّاب و لا ملبّس، بل كانت شمائله و أحواله شواهد

قاطعة بصدقه حتّى أنّ العربيّ القحّ كان يراه فيقول: و اللّه ما هذا وجه كذّاب و كان يشهد له بالصدق بمجرّد رؤية شمائله فكيف بمن شاهد أخلاقه و مارس أحواله في جميع مصادره و موارده، و إنّما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الأخلاق و يتنبّه لصدقه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و علوّ منصبه و مكانته العظيمة عند اللّه، إذا آتاه اللّه جميع ذلك و هو رجل امّيّ لم يمارس العلم و لم يطالع الكتب و لم يسافر قطّ في طلب علم و لم يزل بين أظهر الجهّال من الأعراب يتيما ضعيفا مستضعفا، فمن أين له من محاسن الأخلاق و الآداب و معرفة مصالح الفقه مثلا دون غيره

من العلوم فضلا عن معرفته باللّه و ملائكته و كتبه و رسله و غير ذلك من خواصّ النبوّة لو لا صريح الوحي؟ فمن أين للبشر الاستقلال بذلك؟.

أقول: هذا الكلام يؤذن بما اشتهر بين العامّة من أنّ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان امّيّا بمعنى أنّه لا يحسن القراءة و الكتابة، و المرويّ عن أهل البيت عليهم السّلام خلاف ذلكفقد روى محمّد بن الحسن الصفّار – رحمه اللّه – في بصائر الدّرجات بإسناده عن عبد الرحمن بن الحجّاج قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام:إنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يقرأ و يكتب و يقرأ ما لم يكتب».

و بإسناده عن جعفر بن محمّد الصوفيّ قال:سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ الرّضا عليهما السّلام و قلت له: يا ابن رسول اللّه لم سمّي النبيّ الامّيّ؟ قال: ما يقول الناس؟ قلت: يزعمون أنّما سمّي النبيّ الامّيّ لأنّه لم يكتب فقال: كذبوا عليهم لعنة اللّه أنّى يكون ذلك و اللّه تبارك و تعالى يقول في محكم كتابه:هو الّذي بعث في الامّيّين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة ٦٢: ٢فكيف يعلّمهم ما لا يحسن و اللّه لقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقرأ و يكتب باثنين و سبعين أو بثلاثة

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٦٤

و سبعين لسانا، و إنّما سمّي الامّي لأنّه كان من أهل مكّة من أمّهات القرى، و ذلك قول اللّه في كتابه:لتنذر أُمّ القرى و من حولها ٦: ٩٢.

قال أبو حامد: «فلو لم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية و قد ظهر من آياته و معجزاته ما لا يسترِيب فيه محصّل، فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار، و اشتملت عليه الكتب الصّحاح، إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل.

فقد خرق اللّه العادة على يده غير مرّة إذ شقّ له القمر بمكّة لمّا سألته قريش آية و أطعم النفر الكثير في منزل جابر و في منزل أبي طلحة، و يوم الخندق و مرّة أطعم ثمانين من أربعة أمداد شعير و عناق – و هو من أولاد المعز فوق العتود – و مرّة أكثر من ثمانين رجلا من أقراص شعير حملها أنس في يده و مرّة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يديها فأكلوا كلّهم حتّى شبعوا من ذلك و فضل لهم.

و نبع الماء من بين أصابعه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فشرب أهل العسكر كلّهم و هم عطاش

البيضاء ج : ٤ ص : ١٦٥

و توضّئوا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه السّلام يده فيه.

و إهراق وضوئه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في عين تبوك و لا ماء فيها، و مرّة أخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء، فشرب من عين تبوك أهل الجيش و هم الوف حتّى رووا، و شرب من بئر الحديبية ألف و خمسمائة و لم يكن فيها قبل ذلك ماء.

و أمر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عمر بن الخطّاب أن يزوّد أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير - و هو موضع

بروكه – فزوّدهم كلّهم منه و بقي منه فحبسه.

و رمى الجيش بقبضة من التراب فعميت عيونهم، و نزل بذلك القرآن في قوله تعالى:و ما رميت إذ رميت و لكن اللّه رمى ۸: ۱۷خ

و أبطل اللّه الكهانة بمبعثه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فعدمت و كانت ظاهرة موجودة [۱].

و حنّ الجذع الّذي كان يخطب إليه لمّا عمل له المنبر حتّى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الإبل فضمّه إليه فسكن.

و دعا اليهود إلى تمنّى الموت و أخبرهم بأنّهم لا يتمنّونه فحيل بينهم و بين النطق بذلك و عجزوا عنه، و هذه الآية مذكورة في القرآن

يقرؤها في الجوامع أهل الإسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية الّتي فيها.

---

[١] أخرج الخرائطي من كلام مرداس بن قيس السدوسى قال: حضرت النبي صلّى اللّه عليه و آله فذكرت عنده الكهانة و ما كان من تغييرها عند مخرجه. (المغني) المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٦٦

و أخبر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالغيوب و بأن عمّارا تقتله الفئة الباغية.

و أنّ الحسن عليه السّلام يصلح اللّه به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

و أخبر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن رجل قاتل في سبيل اللّه أنّه من أهل النّار فظهر ذلك بأن قتل الرّجل نفسه.

و هذه أشياء لا تعرف البتّة بشيء من وجوه تقدّمت المعرفة بها لا بنجوم و لا بكهن و لا بكتف و لا بخطّ و لا بزجر لكن بإعلام اللّه تعالى له و وحيه إليه.

و أتبعه سراقة بن جعشم فساخت قدما فرسه في الأرض و أتبعه دخان حتّى استغاثه فدعا له و انطلقت الفرس و أنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوار كسرى فكان ذلك.

و أخبر بمقتل الأسود العنسي الكذّاب ليلة قتله و هو بصنعاء اليمن و أخبر بمن قتله [١].

و خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رءوسهم فلم يروه.

---

[١] أخرج البخاري ج ٥ ص ٢١٦ عن أبي هريرة أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمنى شأنهما، فأوحى اللّه إلى فى المنام أن أنفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان بعدي أحدهما العنسى و الاخر مسيلمة. و

في خبر آخر «صاحب صنعاء و صاحب اليمامة». أقول: و القصة مسطورة فى أغلب التواريخ و السير.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٦٧

و شكى إليه البعير بحضرة أصحابه و تذلّل له.

و قال لنفر من أصحابه مجتمعين:«أحدكم في النّار ضرسه مثل أحد» فمات كلّهم على استقامة و ارتدّ منهم واحد فقتل مرتدّا [١].

و قال لآخرين منهم:«آخركم موتا في النّار»، فسقط آخرهم موتا في نار فاحترق فيها فمات [٢].

و دعا شجرتين فأتتاه و اجتمعتا ثمّ أمرهما فافترقتا.

و دعا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم النصارى إلى المباهلة فامتنعوا و أخبر أنّهم إن فعلوا هلكوا، فعلموا صحّة قوله فامتنعوا.

و أتاه عامر بن طفيل و أربد بن قيس و هما فارسا العرب و فاتكاهم عازمين على

---

[١] قال العراقي: ذكره الدار قطنى في المؤتلف و المختلف من حديث أبي هريرة بغير اسناد في ترجمة الرجال بن عنفرة و هو الذي ارتد - و هو بالجيم - و ذكره عبد الغنى - بالمهملة - و سبقه إلى ذلك الواقدي و المدائنى و الأول أصح و

أكثر كما ذكره الدار قطنى و ابن ماكولا، و وصله الطبراني من حديث رافع بن خديج و لفظه «و أحد هؤلاء النفر في النار» و فيه الواقدي عن عبد اللّه بن نوح متروك.

[٢] نقل ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة سمرة بن جندب: و كان سمرة من الحفاظ المكثرين عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كانت وفاته بالبصرة في خلافة معاوية سنة ثماني و خمسين سقط في قدر مملوءة ماء حارا، كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه فسقط في القدر الحارة فمات، فكان ذلك تصديقا لقول رسول اللّه صلّى

اللّه عليه و آله و سلّم له و لابي هريرة و لثالث معهما «آخر موتاكم في النار».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٦٨

قتله عليه السّلام، فحيل بينهما و بين ذلك و دعا عليهما، فهلك عامر بغدّة و هلك أربد بصاعقة أحرقته.

و أخبر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه يقتل أبيّ بن خلف الجمحيّ عليه اللّعنة فخدشه يوم احد خدشا لطيفا فكانت منيّته فيه.

و اطعم عليه السّلام السمّ فمات الّذي أكل معه و عاش هو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعده أربع سنين، و كلّمه الذّراع المسموم [١].

و أخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش و وقفهم على مصارعهم رجلا رجلا، فلم يتعدّ واحد منهم ذلك الموضع.

و أنذر بأنّ طوائف من أمّته يغزون في البحر فكان كذلك.

و زويت له الأرض فاري مشارقها و مغاربها، و أخبر أنّ ملك أمّته سيبلغ ما زوي له منها. فكان ذلك كما أخبر فقد بلغ ملكهم من أوّل المشرق من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بحر الأندلس و بلاد البربر و لم يتّسعوا في الجنوب و لا

---

[١] ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة بشر بن البراء بن معرور أنه مات بخيبر في حين افتتاحها سنة سبع من الهجرة من أكلة أكلها مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الشاة التي سم فيها، قيل: انه لم يبرح من مكانه حتى مات و قيل بل لزمه وجعه ذلك سنة ثم مات منه. و أخرج الدارمي في سننه ج ١ ص ٣٣ اخبار الذراع بأنه مسموم.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٦٩

في الشمال كما أخبر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سواء بسواء.

و أخبر ابنته فاطمة عليها السّلام بأنّها أوّل أهله لحاقا به فكان كذلك.

و أخبر نساءه بأنّ أطولهن يدا أسرعهنّ لحاقا به، فكانت زينب بنت جحش الأسديّة أطولهنّ يدا بالصدقة و أوّلهنّ لحاقا به.

و مسح ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرّت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود، و فعل ذلك مرّة أخرى في خيمة أمّ معبد الخزاعيّة.

و ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردّها بيده فكانت أصحّ عينيه و أحسنهما.

و تفل في عين عليّ عليه السّلام و هو أرمد يوم خيبر فصحّ في وقته و بعثه بالراية.

و كانوا يسمعون تسبيح الطعام من بين يديه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و اصيبت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فبرئت من حينها.

و قلّ زاد جيش كان معه فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جدّا فدعا فيه بالبركة، ثمّ أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملئ من ذلك.

و حكى الحكم بن العاص مشيته عليه السّلام مستهزئا فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «كذلك فكن»

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٧٠

فلم يزل يرتعش حتّى مات.

و يد طلحة زال ما كان بها من شلل أصابها يوم أحد حين مسحها بيده.

و خطب صلّى اللّه عليه و آله و سلّم امرأة فقال أبوها: إنّ بها برصا امتناعا من خطبته و اعتذارا و لم يكن بها برص فقال عليه السّلام: فلتكن كذلك فبرصت و هي أمّ شبيب الّذي يعرف بابن البرصاء الشاعر.

إلى غير ذلك من آياته و معجزاته، و إنّما اقتصرنا على المستفيض».

أقول: و ممّا استفاض نقله من طريق أهل البيت عليهم السّلام إخباره بشهادة مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام و أنّه يضرب على رأسه في شهر رمضان فيخضب بدمه لحيته المباركة و بشهادة سبطيه الحسن و الحسين عليهما السّلام، و أنّ الحسن عليه السّلام

يسمّ و الحسين عليه السّلام يقتل بأرض كربلاء بعد شهادة أصحابه وحيدا غريبا، و بأنّه يدفن بضعة منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بطوس إشارة إلى مولانا الرّضا عليه السّلام و بأنّ الأئمّة بعده اثنا عشر و تسميتهم بأسمائهم عليهم السّلام و بأنّ أمير المؤمنين عليه السّلام يقاتل بعده الناكثين و القاسطين

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٧١

و المارقين و أنّ بعض أزواجه تبغي عليه و هي له ظالمة و أنّه تنبح عندها كلاب حوأب بجميع الفتن الّتي وقعت بعده، و أنّ أبا ذرّ - رضي اللّه عنه - يموت وحيدا غريبا، و بأنّ آخر رزق عمّار من

الدّنيا صاع من لبن إلى غير ذلك من الخصوصيّات.

و من معجزاته إطاعة الشّمس له في التوقّف عن الغروب مرّة و في الطلوع بعد الغروب أخرى [١] و إطاعة الشجرة بالإتيان حتّى انقلعت من مكانها و خدّت الأرض جارة عروقها مغبرة فوقفت بين يديه و سلّم عليه ثمّ رجعت بأمره إلى مكانها

---

[١]قال القاضي في الشفاء كما في شرحه ج ١ ص ٥٨٩. أخرج الطحاوى في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين، و

كذا الطبراني رواه باسانيد رجال بعضها ثقاة و اللفظ هكذا«أن النبي صلّى اللّه عليه و آله كان يوحى إليه و رأسه في حجر على فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال صلّى اللّه عليه و آله: أصليت يا على؟ قال: لا، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: اللهم انه كان في طاعتك و في طاعة رسولك فاردد عليه الشمس قال أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت و وقفت على الأرض و ذلك بالصهباء فى خيبر»

و قال: هذان الحديثان ثابتان رواتهما ثقاة، و حكى الطحاوى أن أحمد بن صالح [هو أبو جعفر

الطبرى المصري الحافظ سمع ابن عيينة و نحوه و روى عنه البخاري و غيره]:

كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوة انتهى و ان أردت زيادة على ذلك فراجع الغدير ج ٣ ص ١٢٦ إلى ص ١٤١ مفصل الكلام حول الموضوع.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٧٢

كما هو مذكور في نهج البلاغة.

قال أبو حامد: «و من يستريب في انخراق العادة على يده و يزعم أنّ آحاد هذه الوقايع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القرآن فقطّ كمن

يستريب في شجاعة عليّ عليه السّلام و سخاوة حاتم و معلوم أنّ آحاد وقايعهم غير متواترة و لكن مجموع الوقايع تورث غلما ضروريّا، ثمّ لا يتمارى في تواتر القرآن و هو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق و ليس لنبيّ معجزة باقية سواه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذ تحدّى بها بلغاء الخلق و فصحاء العرب، و جزيرة العرب يومئذ مملوّة بالآلاف منهم و الفصاحة صنعتهم و بها منافستهم و مباهاتهم، و كان ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله إن شكّوا و قال لهم:لئن اجتمعت الإنس و الجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان

بعضهم لبعض ظهيرا ١٧: ٨٨و
قال: ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن
ذلك و صرفوا عنه حتّى عرضوا
أنفسهم للقتل و نساءهم و ذراريهم
للسبي و ما استطاعوا أن يعارضوا
و لا أن يقدحوا في جزالته و حسنه،
ثمّ انتشر ذلك بعده في أقطار العالم
شرقا و غربا قرنا بعد قرن و عصرا
بعد عصر و قد انقرض اليوم قريب
من خمسمائة سنة فلم يقدر أحد
على معارضته، فأعظم بغباوة من
ينظر في أحواله ثمّ في أفعاله ثمّ في
أقواله ثمّ في أخلاقه ثمّ في معجزاته
ثمّ في استمرار شرعه إلى الآن ثمّ
في انتشاره في أقطار العالم ثمّ في
إذعان ملوك الأرض له في عصره
و بعد عصره مع ضعفه و يتمه ثمّ

يتمارى بعد ذلك في صدقه، و ما أعظم من توفيق من آمن به و صدّقه و اتّبعه في كلّ ورد و صدر، فنسأل اللّه تعالى أن يوفّقنا للاقتداء به في الأخلاق و الأفعال و الأحوال و الأقوال بمنّه و كرمه و سعة جوده إنّه سميع مجيب، و السائل من الكريم لا يخيب» [١].

هذا آخر الكلام في كتاب أخلاق النبوّة و آداب المعيشة من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء و يتلوه إن شاء اللّه كتاب أخلاق الإمامة و آداب الشيعة و الحمد للّه أوّلا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

---

[١] خاب يخيب خيبة أي لا يظفر بما طلب.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٧٣

كتاب أخلاق الأئمة و آداب الشيعة

و هو الكتاب العاشر من ربع العادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد للّه الّذي أكمل الدّين و أتمّ النعمة على المؤمنين بإدامة الخلافة و الإمامة إلى يوم القيامة، و رفع درجة من عرف إمام زمانه و شيّعه على منهاجه إلى أشرف منازل الكرامة في دار المقامة، و الصّلاة على سيّد النبيّين و أفضل المرسلين الّذي بلّغ ما انزل إليه من ربّه كماله و تمامه، و على آله

الطاهرين و عترته المعصومين و أوصيائه الهادين أهل بيت النبوّة و الخلافة و الإمامة.

أما بعد: فأقول: لمّا ذكر أبو حامد في هذا الرّبع أخلاق النبوّة و آداب المعيشة ناسب لنا أن نتبع ذلك بذكر أخلاق الإمامة و آداب الشيعة إكمالا لعلوم الدّين و شكرا لما هدانا اللّه عزّ و جلّ من معرفة مقرّبيه و خواصّه المهديّين إذ كان للإمام عليه السّلام أخلاق شريفة ربّانيّة لم يشركه فيها سائر الخلق، و صفات كريمة موهبيّة خصّه اللّه بها من دونهم للفرق و لمن عرفه بحقّه و حقيقته و شيّعه على طريقته أيضا آداب و علامات و خواصّ بها امتاز عن سائر المؤمنين و استحقّ

لأن يحشر مع إمامه في درجة النبيّين، فكان من الواجب على العبد بعد معرفة اللّه عزّ و جلّ و صفاته و معرفة نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أخلاقه أن يعرف إمام زمانه و صفاته و أخلاقه المختصّة به بأن يعلم مقامه و مرتبته عند اللّه و يعرف شخصه من بين الخلق حتّى يتّبعه و يقتفي أثره و يطيعه في أوامره و نواهيه و يصير من شيعته.

و قد ورد في الحديث المستفيض المشهور بين الخاصّة و العامّة«أنّ من مات و لم

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٧٤

يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة

و أن يعرف آداب شيعته و سماتهم المختصّة بهم حتّى يعرف بذلك مقام أهل اللّه و خاصّته و مقرّبي حضرته و يعرف أشخاصهم بأعيانهم فيتشبّه بهم و يقتدي بهديهم و يدخل في حزبهم إذ هم المقصودون من الخلق بعد الإمام و الباقون إنّما خلقوا لأجلهم كما مرّ ذكره في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات و قد ذكرنا هناك أنّ أئمّتنا عليهم السّلام من هم و أنّ إمام زماننا عليه السّلام من هو، و عرّفناهم بأعيانهم و بيّنا أنّ أوّلهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و آخرهم قائم أهل بيته عليهم السّلام و هو سميّه و كنيّه المهديّ المنتظر للأمر.

و الآن نريد أن نكشف عن مقام الإمام و فضيلته و مرتبته عند اللّه عزّ و جلّ بذكر الصفات و السّمات المختصّة به عليه السّلام، ثمّ نورد طرفا من أخلاق أئمّتنا صلوات اللّه عليهم و فاطمة عليها السّلام و صفاتهم و كراماتهم واحدا واحدا، ثمّ نذكر صفات شيعتهم و آدابهم و أخلاقهم و علاماتهم و بعض فضائلهم، ثمّ نأتي بكلام جامع و ضابطة كلّيّة في تحقيق معنى الإمام و معنى الشيعة و تقسيم الناس بهذا الاعتبار على وجه كلّيّ فهذه ستّة عشر مطلبا نذكرها و باللّه التوفيق.

بيان مقام الإمام و فضيلته و مرتبته عند اللّه عزّ و جلّ بذكر

صفاته و سماته المختصّة به عليه السّلام

روى في الكافي بإسناده عن عبد العزيز بن مسلم قال:«كنّا مع الرّضا عليه السّلام بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة و ذكروا كثرة اختلاف الناس فيها فدخلت على سيّدي عليه السّلام فأعلمته خوض الناس فيه فتبسّم

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٧٥

عليه السّلام ثمّ قال: «يا عبد العزيز جهل القوم و خدعوا عن آرائهم إنّ اللّه تعالى لم يقبض نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى أكمل له الدّين و أنزل عليه القرآن فيه تبيان

كلّ شيء، بيّن فيه الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام و جميع ما يحتاج إليه الناس كملا فقال تعالى:ما فرَّطنا في الكتاب من شيء ٦: ٣٨و أنزل في حجّة الوداع و هي آخر عمره صلّى اللّه عليه و آله و سلّماليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام دينا ٥: ٣و أمر الإمامة من تمام الدّين، و لم يمض عليه السّلام حتّى بيّن لامّته معالم دينهم و أوضح لهم سبيلهم و تركهم على قصد سبيل الحقّ و أقام لهم عليّا صلوات اللّه عليه علما و إماما و ما ترك شيئا يحتاج إليه الامّة إلا بيّنه، فمن زعم أنّ اللّه تعالى لم يكمّل دينه فقد ردّ كتاب

اللّه تعالى و من ردّ كتاب اللّه فهو كافر به، هل يعرفون قدر الإمامة و محلّها من الامّة فيجوز فيها اختيارهم، إنّ الإمامة أجلّ قدرا و أعظم شأنا و أعلا مكانا و أمنع جانبا و أبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماما باختيارهم، إنّ الإمامة خصّ اللّه بها إبراهيم الخليل صلوات اللّه عليه بعد النبوّة و الخلّة مرتبة ثالثة و فضيلة شرّفه بها و أشاد بها ذكره فقال:إنّي جاعلك للناس إماما ٢: ١٢٤(فقال الخليل عليه السّلام سرورا بها):و من ذرّيّتي ٢: ١٢٤قال تعالى:لا ينال عهدي الظّالمين ٢: ١٢٤فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم

القيامة و صارت في الصفوة، ثمّ أكرمه اللّه تعالى بأن جعلها في ذريّته أهل الصّفوة و الطهارة فقال:و وهبنا له إسحاق و يعقوب نافلة و كلا جعلنا صالحين. و جعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا و أوحينا إليهم فعل الخيرات و إقام الصلوة و إيتاء الزكاة و كانوا لنا عابدين ٢١: ٧٢ – ٧٣.

فلم تزل في ذرّيّته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتّى ورّثها اللّه تعالى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال جلّ و تعالى:إنّ أولى الناس بإبراهيم للّذين اتّبعوه و هذا النبيّ و الّذين آمنوا و اللّه وليّ

المؤمنين ٣: ٦٨فكانت له خاصّة فقلّدها عليّا عليه السّلام

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٧٦

بأمر اللّه تعالى على رسم ما فرض اللّه فصارت في ذرّيّته الأصفياء الّذين آتاهم اللّه العلم و الإيمان بقوله تعالى:و قال الّذين أُوتوا العلم و الإيمان لقد لبثتم في كتاب اللّه إلى يوم البعث ٣٠: ٥٦فهي في ولد عليّ عليه السّلام خاصّة إلى يوم القيامة إذ لا نبيّ بعد محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فمن أين يختار هؤلاء الجهّال.

إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء، و إرث الأوصياء.

إنّ الإمامة خلافة اللّه، و خلافة الرسول، و مقام أمير المؤمنين، و ميراث الحسن و الحسين صلوات اللّه عليهم.

إنّ الإمامة زمام الدّين، و نظام المسلمين، و صلاح الدّنيا، و عزّ المؤمنين.

إنّ الإمامة اسّ الإسلام النامي و فرعه السّامي، بالإمام تمام الصّلاة و الزكاة و الصيام و الحجّ و الجهاد و توفير الفيء و الصدقات و إمضاء الحدود و الأحكام و منع الثغور و الأطراف.

الإمام يحلّ حلال اللّه، و يحرّم حرام اللّه، و يقيم حدود اللّه، و يذبّ عن دين اللّه، و يدعو إلى سبيل ربّه

بالحكمة، و الموعظة الحسنة، و الحجّة البالغة.

الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم و هي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي و الأبصار.

الإمام البدر المنير، و السراج الزاهر، و النور الساطع، و النجم الهادي في غياهب الدّجى [١] و أجواز البلدان و القفار و لجج البحار.

الإمام الماء العذب على الظماء، و الدالّ على الهدى، و المنجي من الرّدى.

الإمام النّار على اليفاع [٢] الحارّ لمن اصطلى به، و الدليل في المهالك من فارقه فهالك.

الإمام السحاب الماطر، و الغيث الهاطل [٣]، و الشمس المضيئة، و السماء الظليلة

---

[١] الغيهب: الظلمة و شدة السواد. و الاجواز جمع الجوز و هو من كل شيء وسطه.

[٢] اليفاع: ما ارتفع من الأرض أي التل.

[٣] الباطل: المطر المتتابع المتفرق العظيم القطر.

و الأرض البسيطة، و العين الغزيرة، و الغدير و الروضة.

الإمام الأنيس الرفيق، و الوالد الشفيق، و الأخ الشقيق، و الأمّ البرّة بالولد الصغير، و مفزع العباد في الدّاهية النآد [١].

الإمام أمين اللّه في خلقه، و حجّته على عباده، و خليفته في بلاده، و الدّاعي إلى اللّه، و الذّابّ عن حرم اللّه.

الإمام المطهّر من الذّنوب، و المبرّا عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدّين، و عزّ المسلمين، و غيظ المنافقين، و بوار الكافرين.

الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، و لا يعادله عالم، و لا يوجد منه بدل، و لا له مثل و لا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له

و لا اكتساب بل اختصاص من المفضّل الوهّاب.

فمن ذا الّذي يبلغ معرفة الإمام، أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات ضلّت العقول، و تاهت الحلوم، و حارت الألباب، و خسئت العيون [٢] و تصاغرت العظماء، و تحيّرت الحكماء، و تقاصرت الحلماء، و حصرت الخطباء، و جهلت الأليّاء، و كلّت الشعراء، و عجزت الادباء، و عييت البلغاء [٣] عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله، و أقرّت بالعجز و التقصير، و كيف يوصف بكلّه، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه و يغني غناه، لا كيف و أنّى و هو

بحيث النجم من يد المتناولين و وصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ و أين العقول عن هذا؟ و أين يوجد مثل هذا؟.

أ تظنّون أنّ ذلك يوجد في غير آل الرّسول صلوات اللّه عليه و عليهم، كذبتهم و اللّه أنفسهم و منّتهم الأباطيل [٤] فارتقوا مرتقا صعبا دحضا، تزلّ عنه إلى الحضيض

---

[١] الداهية الامر العظيم، و النآد - كسحاب - بمعناها.

[٢] الحلوم - كالالباب - العقول، و ضلت و تاهت و حارت متقاربة المعاني، و خسئت:

اى كلت.

[٣] عييت اى عجزت.

[٤] أى اوقعت في أنفسهم الامانى الباطلة او أضعفتهم.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٧٨

أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة، و آراء مضلّة فلم يزدادوا منه إلا بعدا، قاتلهم اللّه أنّى يؤفكون، و لقد راموا صعبا [١] و قالوا إفكا و ضلّوا ضلالا بعيدا، و وقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة، و زيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل و كانوا مستبصرين.

رغبوا عن اختيار اللّه و اختيار رسوله و أهل بيته إلى اختيارهم، و

القرآن يناديهم:و ربّك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة سبحان اللّه و تعالى عمّا يشركون ٢٨: ٦٨و قال تعالى:و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى اللّه و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ٣٣: ٣٦و قال:ما لكم كيف تحكمون. أم لكم كتاب فيه تدرسون. إنّ لكم فيه لما تخيّرون. أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة أنّ لكم لما تحكمون. سلهم أيّهم بذلك زعيم. أم لهم شركاء فليأتو بشركائهم إن كانوا صادقين ٦٨: ٣٦ – ٤١و قال تعالى:أ فلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها ٤٧: ٢٤أمطبع ٩: ٨٧اللّهعلى قلوبهم فهم لا يفقهون ٩: ٨٧أمقالوا سمعنا و هم

لا يسمعون. إنّ شرّ الدوابّ عند اللّه الصمّ البكم الّذين لا يعقلون. و لو علم اللّه فيهم خيرا لأسمعهم و لو أسمعهم لتولّوا و هم معرضون ٨: ٢١ - ٢٣أمقالوا سمعنا و عصينا ٢: ٩٣بل هوفضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم ٥٧: ٢١.

فكيف لهم باختيار الإمام و الإمام عالم لا يجهل، و راع لا ينكل، [٢] معدن القدس و الطهارة و النسك و الزهادة، و العلم و العبادة، مخصوص بدعوة الرّسول، و نسل المطهّرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، و لا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش

[١] رام الشيء أراده فهو رائم.

[٢] راع اى حافظ للامة و في بعض نسخ المصدر «داع» بالدال، و لا ينكل من باب ضرب و نصر و علم اى لا يضعف و لا يجبن.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٧٩

و الذّروة من هاشم، و العترة من الرسول، و الرّضا من اللّه عزّ و جلّ، شرف الأشراف، و الفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة [١] عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم

بأمر اللّه عزّ و جلّ، ناصح لعباد اللّه، حافظ لدّين اللّه.

إنّ الأنبياء و الأئمّة صلوات اللّه عليهم يوفّقهم اللّه و يؤتيهم من مخزون علمه و حكمه ما لا يؤتيه غيرهم فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم في قوله تعالى:أ فمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون ١٠: ٣٥و قوله تعالى:و من يؤت الحكمة فقد أُوتي خيرا كثيرا ٢: ٢٦٩و قوله في طالوت:

إنّ اللّه اصطفاه عليكم و زاده بسطة في العلم و الجسم و اللّه يؤتي ملكه من يشاء و اللّه واسعٌ عليم ٢: ٢٤٧و قال لنبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أنزل عليك الكتاب و

الحكمة و علّمك ما لم تكن تعلم و كان فضل اللّه عليك عظيما ٤: ١١٣و قال في الأئمّة من أهل بيت نبيّه و عترته و ذريّته صلوات اللّه عليهم:أم يحسدون الناس على ما آتاهم اللّه من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكا عظيما. فمنهم من آمن به و منهم من صدّ عنه و كفى بجهنّم سعيرا ٤: ٥٤ – ٥٥.

و إنّ العبد إذا اختاره اللّه لأمور عباده شرح صدره لذلك، و أودع قلبه ينابيع الحكمة، و ألهمه العلم إلهاما، فلم يعي بعده بجواب، و لا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيّد موفّق مسدّد، قد أمن

الخطايا و الزّلل و العثار، يخصّه اللّه بذلك ليكون حجّته على عباده، و شاهده على خلقه، و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم، فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه، أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدّمونه، تعدّوا – و بيت اللّه – الحقّ و نبذوا كتاب اللّه وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون، و في كتاب اللّه الهدى و الشفاء فنبذوه و اتّبعوا أهواءهم فذمّهم اللّه و مقّتهم و أتعسهم فقال تعالى:و من أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدى من اللّه إنّ اللّه لا يهدي ٢٨: ٥٠

---

[۱] اضطلع ای قوی و اضطلع بحمله ای نهض به و قوی علیه.

المحجة

البیضاء ج : ٤ ص : ۱۸۰

القوم الظالمین ۲۸: ٥٠و قال:فتعسا لهم و أضلّ أعمالهم ٤٧: ۸و قال:کبر مقتا عند اللّه و عند الّذین آمنوا کذلك یطبع اللّه علی کلّ قلب متکبّر جبّار ٤٠: ۳٥و صلّی اللّه علی محمّد و آله و سلّم تسلیما کثیرا».

و عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد اللّه علیه السّلام في خطبة له یذکر فیها حال الأئمّة علیهم السّلام

و صفاتهم«إنّ اللّه تعالى أوضح بأئمّة الهدى من أهل بيت نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن دينه، و أبلج بهم عن سبيل منهاجه، و فتح بهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من امّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم واجب حقّ إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه و علم فضل طلاوة إسلامه [١] لأنّ اللّه تعالى نصب الإمام علما لخلقه، و جعله حجّة على أهل موادّه و عالمه [٢] و ألبسه اللّه تعالى تاج الوقار، و غشّاه من نور الجبّار، يمدّ بسبب إلى السماء، و لا ينقطع عنه موادّه، و لا ينال ما عند اللّه إلا بجهة أسبابه، و لا يقبل اللّه أعمال العباد إلا بمعرفته، فهو

عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدّجى، و معمّيات السنن، و مشبّهات الفتن، فلم يزل اللّه تعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السّلام من عقب كلّ إمام، يصطفيهم لذلك و يجتبيهم، و يرضى بهم لخلقه، و يرتضيهم كلّما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماما علما بيّنا و هاديا نيّرا و إماما قيّما و حجّة عالما، أئمّة من اللّه، يهدون بالحقّ و به يعدلون، حجج اللّه و دعاته و رعاته على خلقه، يدين بهديهم العباد، و يستهلّ بنورهم البلاد [٣] و ينمو ببركتهم التلاد، جعلهم اللّه حياة للأنام، و مصابيح للظلام، و مفاتيح للكلام،

و دعائم للاسلام، جرت بذلك فيهم مقادير اللّه على محتومها.

---

[١] الطلاوة الحسن و البهجة و القبول.

[٢] أهل مواده اى أهل زياداته المتصلة و تكميلاته المتواترة الغير المنقطعة مطيعا كان أو عاصيا، عالمه - بفتح اللام - كما في الوافي.

[٣] «يستهل» اى يتنور. و التلاد: المال القديم.

فالإمام هو المنتخب المرتضى، و الهادي المنتجى [١] فالقائم المرتجى اصطفاه اللّه بذلك و اصطنعه على عينه في الذرّ حين ذرأه و في البريّة حين برأه، ظلا قبل خلق نسمة عن يمين عرشه محبوّا بالحكمة [٢] في علم الغيب عنده، اختاره بعلمه، و انتجبه لطهره، بقيّة من آدم و خيرة من ذريّة نوح، و مصطفى من آل إبراهيم، و سلالة من إسماعيل عليه السّلام و صفوة من عترة محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، لم يزل مرعيّا بعين اللّه يحفظه و يكلأه بستره، مطرودا عنه حبائل إبليس و جنوده، مدفوعا عنه وقوب الغواسق، و نفوث كلّ فاسق، مصروفا عنه قوارف السوء [٣] مبرّءا من

العاهات، محجوبا عن الآفات، معصوما من الزلات، مصونا عن الفواحش كلّها، معروفا بالحلم و البرّ في يفاعه [٤] منصوبا إلى العفاف و العلم و الفضل عند انتهائه، مسندا إليه أمر والده، صامتا عن المنطق في حياته.

فإذا انقضت مدّة والده إلى أن انتهت به مقادير اللّه إلى مشيّته، و جاءت الإرادة من اللّه فيه إلى حجّته [٥] و بلغ منتهى مدّة والده، فمضى و صار أمر اللّه إليه من بعده، و قلّده دينه، و جعله الحجّة على عباده و قيّمة في بلاده، و أيّده بروحه، و آتاه علمه، و أنبأه فصل بيانه، و استودعه سرّه، و انتدبه لعظيم أمره، و أنبأه فضل بيان

علمه، و نصبه علما لخلقه، و جعله حجّة على أهل عالمه، و ضياء لأهل دينه، و القيّم على عباده، رضي اللّه به إماما لهم، استودعه سرّه، و استحفظه علمه و استخبأه حكمته [٦] و استرعاه لدينه، و انتدبه لعظيم أمره، و أحيا به مناهج سبيله و فرائضه و حدوده، فقام بالعدل عند تحيّر أهل الجهل، و تحيير أهل الجدل

---

[١] المنتجى صاحب السر، و اصطنعه على عينه اختاره على شهود منه بحاله (الوافي).

[٢] اى منعما عليه و هو حال مقدرة لظلا بقرينة قوله في علم الغيب. (المرآة)

[٣] الوقوب: دخول الظلام، و الغاسق: الليل المظلم، و النفوث كالنفخ، و القرفة: التهمة.

[٤] فى يفاعه اى أَوائل سنه، يقال: أيفع الغلام إذا شارف الاحتلام و لم يحتلم.

[٥] في المصدر «الى محبته».

[٦] استخبأه - بالخاء المعجمة -: أودع عنده و أمره بالكتمان. (الوافي) و استرعاه لدينه اى اعتنى بشأنه، و في بعض نسخ المصدر «و استدعاه».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٨٢

بالنور الساطع، و الشفاء النافع، بالحقّ الأبلج، و البيان اللائح من كلّ مخرج على طريق المنهج الّذي مضى عليه الصادقون من آبائه عليهم السّلام، فليس يجهل حقّ هذا العالم إلا شقيّ، و لا يجحده إلا غويّ، و لا يصدّ عنه إلا جريّ على اللّه جلّ و علا».

فصل

و عن أبي بصير قال:«سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه تعالى:أطيعوا اللّه و أطيعوا الرّسول و أُولي الأمر منكم ٤: ٥٩فقال: نزلت في عليّ بن أبي طالب و الحسن و الحسين عليهم السّلام، فقلت له: إنّ الناس يقولون: فما له لم يسمّ عليّا و أهل بيته في كتاب

اللّه؟ قال: فقال: قولوا لهم إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نزلت عليه الصلاة و لم يسمّ اللّه لهم ثلاثا و لا أربعا حتّى كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو الّذي فسّر ذلك لهم، و نزلت عليه الزكاة و لم يسمّ لهم من كلّ أربعين درهما درهم حتّى كان رسول اللّه هو الّذي فسّر ذلك لهم، و نزل الحجّ فلم يقل لهم: طوفوا أسبوعا حتّى كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو الّذي فسّر ذلك لهم، و نزلتأطيعوا اللّه و أطيعوا الرّسول و أُولي الأمر منكم ٤: ٥٩و نزلت في عليّ و الحسن و الحسين فقال رسول اللّه صلّى

اللّه عليه و آله و سلّم في عليّ عليه السّلام:

من كنت مولاه فعليّ مولاه، و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اوصيكم بكتاب اللّه تعالى و أهل بيتي فإنّي سألت اللّه تعالى أن لا يفرّق بينهما حتّى يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك، و قال: لا تعلّموهم فهم أعلم منكم، و قال: إنّهم لن يخرجوكم من باب هدى و لن يدخلوكم في باب ضلالة، فلو سكت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلم يبيّن من أهل بيته لادّعاها آل فلان و آل فلان و لكنّ اللّه تعالى أنزل في كتابه تصديقا لنبيّهإنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهّركم

تطهيرا ٣٣: ٣٣فكان عليّ و الحسن و الحسين و فاطمة عليهم السّلام، فأدخلهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تحت الكساء في بيت

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٨٣

أمّ سلمة ثمّ قال: اللّهمّ إنّ لكلّ نبيّ أهلا و ثقلا، و هؤلاء أهل بيتي و ثقلي، فقالت أمّ سلمة: ألست من أهلك؟ فقال: إنّك إلى خير، و لكن هؤلاء أهلي و ثقلي، فلمّا قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان عليّ عليه السّلام أولى الناس بالناس لكثرة ما بلّغ فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إقامته للنّاس و أخذه بيده،

فلمّا مضى عليّ لم يكن يستطيع عليّ عليه السّلام و لم يكن ليفعل أن يدخل محمّد بن عليّ و لا العبّاس بن عليّ و لا واحدا من ولده إذا لقال الحسن و الحسين عليهما السّلام: إنّ اللّه تعالى أنزل فينا كما أنزل فيك، و أمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك، و بلّغ فينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما بلّغ فيك، و أذهب عنّا الرجس كما أذهبه عنك، فلمّا مضى عليّ عليه السّلام كان الحسن أولى بها لكبره فلمّا توفّي عليه السّلام لم يستطع أن يدخل ولده، و لم يكن ليفعل ذلك، و اللّه تعالى يقول:

و أُولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه ٨: ٧٥فيجعلها في

ولده إذا لقال الحسين عليه السّلام: أمر اللّه بطاعتي كما أمر بطاعتك و طاعة أبيك، و بلّغ فيّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما بلّغ فيك و في أبيك، و أذهب اللّه عنّي الرّجس كما أذهب عنك و عن أبيك، فلمّا صارت إلى الحسين عليه السّلام لم يكن أحد من أهل بيته يستطيع أن يدّعي عليه كما كان هو يدّعي على أخيه و على أبيه لو أرادا أن يصرفا الأمر عنه و لم يكونا ليفعلا، ثمّ صارت حين أفضت إلى الحسين عليه السّلام فجرى تأويل هذه الآيةو أُولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه ٨: ٧٥ثمّ صارت من بعد الحسين لعليّ بن الحسين، ثمّ

صارت من بعد عليّ بن الحسين إلى محمّد بن عليّ عليهم السّلام و قال: الرّجس هو الشكّ و اللّه لا نشكّ في ربّنا أبدا».

فصل اعلم أنّ اللّه عزّ و جلّ فرض على الناس كافّة طاعة الأئمّة عليهم السّلام

كما فرض عليهم طاعته تعالى و طاعة رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث قال:يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا اللّه و أطيعوا الرّسول و أُولي الأمر منكم ٤: ٥٩فلا يسع الناس إلا معرفتهم، و لا يعذر

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٨٤

الناس بجهالتهم، من عرفهم كان مؤمنا و من أنكرهم كان كافرا، و

من لم يعرفهم و لم ينكرهم كان ضالا، حبّهم إيمان، و بغضهم كفر، و هم شهداء اللّه في خلقه في قوله عزّ و جلّ:فكيف إذا جئنا من كلّ امّة بشهيد ٤: ٤١و هم الهداة في قوله سبحانه:

و لكلّ قوم هاد ١٣: ٧و هم ولاة أمر اللّه و خزنة علمه و عيبة وحيه، و إنّ جبرئيل عليه السّلام أنبأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأسمائهم و أسماء آبائهم، و إنّ لهم نطقت الشجر، و بعبادتهم عبد اللّه و لولاهم ما عبد اللّه، و إنّهم خلفاء اللّه في أرضه و أبوابه الّتي يؤتي منها، و لولاهم ما عرف اللّه، و بهم احتجّ اللّه على خلقه، و إنّهم نور اللّه، و إنّ نور

الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار و هم الّذين ينوّرون قلوب المؤمنين، و يحجب اللّه نورهم عمّن يشاء فيظلم قلوبهم، جعلهم اللّه أركان الأرض أن تميد بأهلها، و حجّته البالغة على من فوق الأرض و من تحت الثرى، و عمد الإسلام، و رابطة على سبيل هداه، لا يهدي هاد إلا بهداهم، و لا يضلّ خارج من الهدى إلا بتقصير عن حقّهم، و إنّهم أمناء اللّه على ما أهبط من علم أو عذر أو نذر، و إنّهم المحسودون في قوله جلّ و عزّ:أم يحسدون الناس على ما آتاهم اللّه من فضله ٤:٥٤و إنّهم علامات الّتي ذكرها اللّه بقوله:و علامات و بالنجم هم

يهتدون ١٦: ١٦و النجم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إنّهم الآيات الّتي ذكرها اللّه في قوله:و ما تغني الآيات و النذر عن قوم لا يؤمنون ١٠: ١٠١و النذر هم الأنبياء عليهم السّلام في قوله:كذّبوا بآياتنا كلّها ٥٤: ٤٢و إنهم الصادقون في قوله عزّ و جلّ:و كونوا مع الصادقين ٩: ١١٩و أهل الذكر الّذين أمر اللّه بسؤالهم في قوله:فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ١٦: ٤٣و الذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و إنّهم الرّاسخون في العلم في قوله عزّ و جلّ:و ما يعلم تأويله إلا اللّه و الراسخون في العلم ٣: ٧،و الّذين أوتوا العلم في قوله جلّ و عزّ:بل

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٨٥

هو آيات بيّنات في صدور الّذين أُوتوا العلم ٢٩: ٤٩و المتوسّمون في قوله سبحانه:

إنّ في ذلك لآيات للمتوسّمين ١٥: ٧٥،و المؤمنون الّذين يعرض عليهم أعمال العباد كلّ يوم و ليلة أبرارها و فجّارها في قوله عزّ اسمه:اعملوا فسيرى اللّه عملكم و رسوله و المؤمنون ٩: ١٠٥،و إنّهم شجرة النبوّة، و بيت الرّحمة، و مفاتيح الحكمة، و معدن العلم، و موضع الرّسالة، و مختلف الملائكة، و موضع سرّ اللّه، و وديعة اللّه في عباده، و حزم اللّه الأكبر، و ذمّة اللّه، و عهد اللّه، و

إنّهم ورثوا علم النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سائر الأنبياء و الأوصياء الّذين من قبلهم، و إنّ عندهم جميع الكتب الّتي نزلت من عند اللّه تعالى، و إنّهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها، و إنّه لم يجمع القرآن كلّه إلا هم، و إنّهم يعلمون علمه كلّه، و لو وجدوا أوعية أو مستراحا لقالوا، و إنّ عندهم خبر السماء و خبر الأرض و خبر ما كان و خبر ما هو كائن، و إنّهم لو ستر عليهم لأخبروا كلّ امرئ بما له و ما عليه، و إنّهم يعلمون جميع العلوم الّتي خرجت إلى الملائكة و الأنبياء و الرّسل صلوات اللّه عليهم، و إنّ عندهم من الاسم الأعظم اثنين و سبعين

حرفا و تمامه ثلاثة و سبعون حرفا، و إنّما حجب عنهم حرف واحد و كان أعطى آصف بن برخيا منه حرف واحد، و عيسى عليه السّلام حرفان، و موسى عليه السّلام أربعة أحرف، و إبراهيم عليه السّلام ثمانية أحرف، و نوح عليه السّلام خمسة عشر حرفا، و آدم عليه السّلام خمسة و عشرين حرفا، و إنّ عندهم علم البلايا و المنايا و أنساب العرب و مولد الإسلام، و إنّهم ليعرفون الرجل إذا رأوه بحقيقة الإيمان و حقيقة النفاق، و إنّ شيعتهم لمكتوبون عندهم بأسمائهم و أسماء آبائهم، أخذ اللّه عليهم و على شيعتهم الميثاق يردون موردهم، و يدخلون مدخلهم، ليس

على ملّة الإسلام غيرهم و غير شيعتهم، و هم النجباء النجاة، أفراط الأنبياء و الأوصياء، المخصوصون في كتاب اللّه، أولى الناس بكتاب اللّه، و أولى الناس برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و إنّ عندهم آيات الأنبياء عليهم السّلام مثل ألواح موسى و عصاه، و الطست الّذي كان

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٨٦

يقرّب به القربان، و خاتم سليمان، و سلاح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و متاعه من السيف و الدرع و العنزة، و ذي الفقار و غير ذلك، و مثل السلاح فيهم كمثل التابوت في بني إسرائيل كان بنو

إسرائيل في أيّ أهل بيت وجد التابوت على أبوابهم أوتوا النبوّة فمن صار إليه السلاح منهم أوتي الإمامة، و إنّ عندهم الجفر و الجامعة و مصحف فاطمة، و إنّ ليلة القدر لهم خاصّة، و إنّما ينزل الملائكة و الروح فيها بإذن ربّهم عليهم خاصّة و إنّهم يزدادون فيها علما، و إنّهم متى شاءوا أن يعلموا شيئا علّمهم اللّه ذلك، و إنّهم يعلمون متى يموتون، و إنّهم لا يموتون إلا باختيار منهم، و إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فوّض إليهم أمر الدّين كما فوّض اللّه إليه حيث قال:ما آتاكم الرّسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا ٥٩: ٧و إن مثلهم مثل ذي

القرنين و صاحب سليمان و صاحب موسى حيث لم يكونوا أنبياء و كانوا علماء، و إنّهم يكلّمون الناس بكلّ لسان و لا يخفى عليهم كلام أحد من الناس و لا طير و لا بهيمة و لا ذي روح، و إنّهم محدّثون مفهّمون يسمعون صوت الملك و لا يرون شخصه، و إنّ معهم الرّوح و هو خلق من خلق اللّه أعظم من جبرئيل و ميكائيل كان مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يخبره و يسدّده و هو مع سائر الأئمّة عليهم السّلام من بعده، و ليس كلّما طلب وجد و إنّ الملائكة تدخل بيوتهم و تطأ بسطهم و تأتيهم بالأخبار، و ربما يلتقطون من زغبها [١] و إنّ الجنّ يأتيهم

فيسألونهم من معالم دينهم و يخدمونهم و يتوجّهون في أمورهم، و إنّهم لم يفعلوا و لا يفعلون شيئا إلا بعهد من اللّه و أمر منه لا يتجاوزونه، و إنّ كلا منهم يعرف الّذي بعده، و كلّهم منصوص عليه بالإمامة من اللّه سبحانه و من الّذين قبله و كلّهم في العلم و الشجاعة و الطاعة سواء إلا أنّ لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمير المؤمنين عليه السّلام فضلهما، و إنّ أبدانهم خلقت من علّيّين و أرواحهم من فوق ذلك، و خلقت أرواح شيعتهم من علّيّين و أبدانهم من دون ذلك، و إنّ مستقى العلم من بيتهم، و إنّه ليس شيء

---

[١] الزغب - بفتحتين -: صغار الشعر و لينه حين يبدو من الصبي و كذلك من الشيخ حين يرق شعره و يضعف، و أيضا الريش اول ما ينبت و دقاقه الذي لا يجود و لا يطول و هو المراد هنا.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٨٧

من الحقّ في أيدي الناس إلا ما خرج من عندهم، و كلّ شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل، و إنّ حديثهم صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن قد امتحن اللّه قلبه

للإيمان، و إنّ الأرض كلّها للإمام و إذا ظهر أمره حكم بحكم داود و آل داود عليه السّلام لا يسأل البيّنة، و قسّم بالسويّة و عدل في الرّعية و قدّر نفسه في مطعمه و مشربه و ملبسه بضعفة الناس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره [١] بل يقتدي الفقير بفقره و لا يطغى الغنيّ بغناه، و كان أبا لليتامى و زوجا للأرامل [٢]، و من ترك دينا لم يكن في فساد و لا إسراف فعليه قضاؤه، إلى غير ذلك من الخواصّ.

و كلّ هذه مرويّة في الكافي بغير واحد من الإسناد.

ذكر طرف من أخلاق أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السّلام و صفاته و كراماته

و كان صلوات اللّه و سلامه عليه أوّل القوم إسلاما، و أخلصهم إيمانا، و أشدّهم يقينا، و أخوفهم للّه، و أعظمهم عناء، و أحوطهم على رسوله [٣] و أفضلهم مناقب، و أكثرهم سوابق، و أرفعهم درجة، و أشرفهم منزلة، و أكرمهم عليه.

قوي حين ضعف أصحابه، و برز حين استكانوا، و نهض حين وهنوا، و لزم منهاج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، كان خليفته حقّا لم ينازع برغم المنافقين، و غيظ الكافرين، و كره الحاسدين، و ضغن الفاسقين.

فقام بالأمر حين فشلوا، و نطق حين تتعتعوا [٤]، و مضى بنور اللّه إذ وقفوا، كان أقلّهم كلاما، و

أصوبهم منطقا، و أكبرهم رأيا، و أشجعهم قلبا، و أشدّهم يقينا و أحسنهم عملا، و أعرفهم بالأمور.

---

[١] التبيغ: الهيجان و الغلبة.

[٢] جمع الارملة و هي التي لا زوج لها.

[٣] اى أشدهم حياطة و حفظا و صيانة و تعهدا.

[٤] التعتعة في الكلام: التردد فيه من حصر اوعى.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٨٨

كان للدّين يعسوبا [١] أوّلا حين تفرّق الناس، و آخرا حين فشلوا،

كان للمؤمنين أبا رحيما إذ صاروا عليه عيالا، فحمل أثقال ما عنه ضعفوا، و حفظ ما أضاعوا، و رعى ما أهملوا، و شمّر إذ اجتمعوا، و شهد إذ جمعوا و علا إذ هلعوا [٢] و صبر إذ جزعوا.

كان على الكافرين عذابا صبّا، و للمؤمنين غيثا و خصبا، لم تفلل حجّته [٣] و لم يزغ قلبه، و لم تضعف بصيرته، و لم تجبن نفسه و لم يهن.

كان كالجبل لا تحرّكه العواصف، و لا تزيله القواصف، و كان كما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ضعيفا في بدنه، قويّا في أمر اللّه، متواضعا في نفسه، عظيما عند اللّه، كبيرا في الأرض، جليلا

عند المؤمنين، لم يكن لأحد فيه مهمز، و لا لقائل فيه مغمز [٤]، و لا لأحد فيه مطمع، و لا لأحد عنده هوادة [٥]، الضعيف الذّليل عنده قويّ عزيز حتّى يأخذ له بحقّه، و القويّ العزيز عنده ضعيف ذليل حتّى يأخذ منه الحقّ، و القريب و البعيد عنده في ذلك سواء، شأنه الحقّ و الصدق و الرفق، و قوله حكم و حتم، و أمره حلم و حزم، و رأيه علم و عزم، اعتدل به الدّين، و سهل به العسير، و اطفئت به النيران، و قوي به الإيمان، و ثبت به الإسلام و المؤمنون، كان للمؤمنين

---

[۱] فى القاموس في مادة عسب: اليعسوب أمير النحل و ذكرها، و الرئيس الكبير.

[۲] الهلع – محركة –: الجبن حين لقاء العدو و الجزع.

[۳] اى مصبوبا بكثرة، شبهه بالمطر الغزير الوابل، فالمصدر بمعنى المفعول، و الخصب بالكسر: كسرة العشب و رفاهة العيش. و قوله: لم تفلل حجته على بناء المجهول من المجرد او بناء المعلوم من باب التفعل بحذف إحدى التائين، و في القاموس فله و فلله:

ثلمه فتفلل و انفل.

[٤] المهمز و المغمز مصدران او أسماء مكان من الهمز و الغمز و هما بمعنى، او الهمز الغيبة و الوقيعة في الناس و ذكر عيوبهم، و الغمز: الإشارة بالعين خاصة او بالعين و الحاجب و اليد. و في فلان مغمز اى مطعن.

[٥] فى النهاية: فى الحديث «لا تأخذه في اللّه هوادة» اى لا يسكن عند وجوب حد للّه تعالى و لا يحابى فيه أحد، و الهوادة: السكون و الرخصة و المحاباة.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٨٩

كهفا حصينا و على الكافرين غلظة و غيظا».

و في كشف الغمّة قال معاوية لضرار بن ضمرة: صف لي عليّا قال:

أعفني، قال: لتصفنّه، قال: أما إذ لا بدّ فإنّه و اللّه كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، و يحكم عدلا، ينفجر العلم من جوانبه، و تنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدّنيا و زهرتها، و يأنس باللّيل و وحشته، و كان غزير الدّمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللّباس ما خشن، و من الطعام ما جشب [١] و كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، و يأتينا إذا دعوناه، و نحن و اللّه من تقريبه إيّانا و قربه منّا لا نكاد نكلّمه هيبة له، يعظّم أهل الدّين، و يقرّب المساكين، لا يطمع

القويّ في باطله، و لا يأيس الضعيف من عدله، فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه و قد أرخى اللّيل سدوله، و غارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم، و يبكى بكاء الحزين و هو يقول: يا دنيا غرّي غيري، أبي تعرّضت، أم إليّ تشوّفت، هيهات هيهات قد أبنتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير، و خطرك كبير، و عيشك حقير، آه من قلّة الزّاد للسفر، و وحشة الطريق، فبكى معاوية و قال: رحم اللّه أبا الحسن كان و اللّه كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها بحجرها فهي لا ترقئ عبرتها و لا يسكن حزنها.

فصل

ومن مناقب الخوارزميّ عن أبي مريم قال: سمعت عمّار بن ياسر – رضي اللّه عنه – قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:«يا عليّ إنّ اللّه زيّنك بزينة لم يزيّن العباد

---

[١] الجشب من الطعام: الغليظ و ما ساء منه.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٩٠

بزينة هي أحبّ إليه منها، زهّدك فيها و بغضّها إليك، و حبّب إليك الفقراء فرضيت بهم أتباعا و رضوا بك إماما، يا عليّ طوبى لمن أحبّك

و صدق عليك و الويل لمن أبغضك و كذب عليك، أما من أحبّك و صدق عليك فإخوانك في دينك و شركاؤك في جنّتك، و أما من أبغضك و كذب عليك فحقيق على اللّه تعالى يوم القيامة أن يقيمه مقام الكذّابين».

و منه عن عبد اللّه بن أبي الهذيل قال: رأيت على عليّ عليه السّلام قميصا زريّا إذا مدّه بلغ الظفر و إذا أرسله كان مع نصف الذّراع.

و منه قال عمر بن عبد العزيز: ما علمنا أنّ أحدا كان في هذه الامّة بعد النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أزهد من عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

و منه عن سويد بن غفلة قال:دخلت على عليّ بن أبي طالب عليه السّلام القصر فوجدته جالسا بين يديه صحفة فيها لبن [۱] حازر أجد ريحه من شدّة حموضته و في يده رغيف أرى قشار الشعير في وجهه و هو يكسّر بيده أحيانا فإذا غلبه كسّره بركبته فطرحه فيه، فقال: ادن فأصب من طعامنا هذا، فقلت: إنّي صائم فقال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «من منعه الصوم عن طعام تشتهيه كان حقّا على اللّه أن يطعمه من طعام الجنّة و يسقيه من شرابها»، قال: فقلت لجاريته و هي قائمة بقريب منه:

ويحك يا فضّة ألا تتّقين اللّه في هذا الشيخ إلا تتخلون له طعاما ممّا أرى فيه من النخالة فقالت: لقد تقدّم إلينا أن لا ننخل له طعاما، قال عليه السّلام: ما قلت لها؟ فأخبرته، فقال:

بأبي أنت و امّي من لم ينخل له طعاما و لم يشبع من خبز البرّ ثلاثة أيّام حتّى

---

[١] المراد باللبن هنا ما يقال له بالفارسية (ماست) و بالتركى (يوغرت) و الا فالحليب إذا حمض فسد، و في المناقب للخوارزمى ص ٧١: الحازر اللبن الحامض جدا.

البيضاء ج : ٤ ص : ١٩١

قبضه اللّه عزّ و جل.

و من اليواقيت لأبي عمر الزاهد قال ابن الأعرابيّ:إنّ عليّا صلوات اللّه عليه دخل السوق و هو أمير المؤمنين فاشترى قميصا بثلاثة دراهم و نصف فلبسه في السوق فطال أصابعه فقال للخياط: قصّه فقصّه، و قال الخيّاط: أحوصه يا أمير المؤمنين؟ قال:

لا و مشى و الدّرة على كتفه و هو يقول: «شرعك ما بلّغك المحلا»، «شرعك ما بلّغك المحلا».

و رويأنّه عليه السّلام خرج ذات يوم و عليه إزار مرقوع فعوتب عليه، فقال:

«يخشع القلب بلبسه و يقتدي بي المؤمن إذا رآه عليّ».

و اشترى عليه السّلام ثوبين غليظين فخّير قنبرا فيهما فأخذ واحدا و لبس هو الآخر و رأى في كمّه طولا عن أصابعه فقطعه.

و خرج يوما إلى السوق و معه سيفه ليبيعه فقال: «من يشتري منّي هذا السّيف فو الّذي فلق الحبّة لطال ما كشفت به الكرب عن وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لو كان عندي ثمن إزار لما بعته».

و عن هارون بن عنترة قال: حدّثني أبي قال:دخلت على عليّ بن أبي طالب عليه السّلام بالخورنق و هو يرعد تحت سمل قطيفة فقلت: يا

أمير المؤمنين إنّ اللّه تعالى قد جعل لك و لأهل بيتك في هذا المال ما يعمّ و أنت تصنع بنفسك ما تصنع، فقال:

«و اللّه ما أرزؤكم من أموالكم شيئا و إنّ هذه لقطيفتي الّتي خرجت بها من منزلي من المدينة ما عندي غيرها».

و روى الواحديّ في تفسيره أنّ عليّا عليه السّلام آجر نفسه ليلة إلى الصبح يسقي

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٩٢

نخلا بشيء من شعير فلمّا قبضه طحن ثلثه و اتّخذوا منه طعاما فلمّا تمّ أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، و عملوا الثلث الثاني فأتاهم يتيم

فأخرجوه إليه، و عملوا الثلث الثالث فأتاهم أسير فأخرجوا الطعام إليه، و طوى عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السّلام و علم اللّه حسن مقصدهم و صدق نيّاتهم و أنّهم إنّما أرادوا بما فعلوه وجهه و طلبوا بما أتوا ما عنده و التمسوا الجزاء منه عزّ و جلّ فأنزل اللّه فيهم قرآنا، و أولاهم من لدنه إحسانا، و نشر لهم من العالمين ديوانا، و عوّضهم عمّا بذلوا جنانا، و حورا و ولدانا، فقال:و يطعمون الطعام على حبّه مسكينا و يتيما و أسيرا ٧٦: ٨- إلى آخرها -.

و روى في تفسيره يرفعه إلى ابن عبّاس قال: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السّلام كان يملك أربعة دراهم

فتصدّق بدرهم ليلا، و بدرهم نهارا، و بدرهم سرّا، و بدرهم علانية، فأنزل اللّه سبحانه فيهالّذين ينفقون أموالهم باللّيل و النهار سرّا و علانية فلهم أجرهم عند ربّهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون ٢: ٢٧٤.

و من المناقب عن أبي الحمراء قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه و إلى نوح في فهمه و إلى يحيى بن زكريّا في زهده و إلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى عليّ ابن أبي طالب - عليه السّلام -».

و روى البيهقي يرفعه بسنده إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و

سلّم أنّه قال:«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، و إلى نوح في تقواه، و إلى إبراهيم في حلمه و إلى موسى في هيبته و إلى عيسى في عبادته فلينظر إلى عليّ ابن أبي طالب – عليه السّلام –».

فصل قال صاحب كشف الغمّة أمّا شجاعة أمير المؤمنين عليه السّلام و بأسه و مصادمته الأقران و مراسه ثبات جأشه حيث تزلزل الأقدام، و شدّة صبره حين تطير

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٩٣

فراخ الهام، و سطوته و قلوب الشجعان واجفة، و استقراره و أقدام الأبطال راجفة، و نجدته عند انخلاع القلوب من الصّدور، و

بسالته و رحى الحرب تدور و الدّماء تفور و نجوم الأسنّة تطلع و تغور، و حماسته و الموت قد كشر عن نابه [١] و سماحته بنفسه، و الجبان قد انقلب على أعقابه، و كشفه الكرب عن وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد فرّ من فرّ من أصحابه، و بذله روحه العزيزة رجاء ما أعدّ اللّه من ثوابه، فهي أمر قد اشتهر و حال قد بان و ظهر و شاع، فعرفه من بقي و من غبر، و تضمّنته الأخبار و السير، فاستوى في العلم به العبيد و القريب، و اتّفق على الإقرار به البغيض و الحبيب، و صدّق به عند ذكره الأجنبي و النسيب، فارس الإسلام و أسده، و باني ركن

الإيمان و مشيّده، طلاع الأنجد و الاغوار [٢] و مفرّق جموع الكفّار، حاصد خضرائهم بذي الفقار، و مخرجهم من ديارهم إلى المفاوز و القفار، مضيف الطير و السباع يوم الملحمة و القراع، سيف اللّه الماضي، و نائبه المتقاضي، و آيته الواضحة، و بيّنته اللايحة، و حجّته الصّادعة، و رحمته الجامعة، و نعمته الواسعة، و نقمته الوازعة، قد شهدت بدر بمقامه، و كانت حنين من بعض أيّامه، و سل أحدا عن فعل قناته و حسامه، و يوم خيبر إذ فتح اللّه على يديه، و يوم الخندق إذ خرّ عمرو لفمه و يديه، و هذه جمل لها تفصيل و بيان، و مقامات رضي بها الرّحمن، و مواطن هدّت

الشرك و زلزلته و حملته على حكم الصغار و أنزلته، و مواقف كان فيها جبرئيل يساعده و ميكائيل يؤازره و يعاضده، و اللّه يمدّه بعناياته، و الرّسول يتبعه بصالح دعواته، و قلب الإسلام يرجف عليه، و أمداد التأييد تصل إليه.

نقلت من مسند أحمد بن حنبل عن هبيرة قال: خطبنا الحسن بن عليّ عليهما السّلام فقال:«لقد فارقكم بالأمس رجل لم يسبقه الأوّلون بعلم و لم يدركه الآخرون بعمل، كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يبعثه بالراية جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن شماله، لا

---

[١] الواجفة: المضطرة، و الراجفة: المتزلزلة. النجدة: الشدة و البأس، و البسالة: الشجاعة. و الكشر: الشكف، و كشر عن نابه اى كشف عن اسنانه.

[٢] الانجدة ما أشرف من الأرض و ارتفع يقال: هو طلاع أنجد و أنجدة و نجاد و طلاع النجاد أي ضابط للأمور يذلل المصاعب.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٩٤

ينصرف حتّى يفتح له».

و من حديث آخر من المسند بمعناه و في آخره«ما ترك من صفراء و لا

بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه كان يرصدها لخادم لأهله».

و قال الشيخ المفيد – رحمه اللّه –

و من آيات اللّه الخارقة للعادة في أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه لم يعهد لأحد من مبارزة الأقران و منازلة الأبطال ما عرف لأمير المؤمنين عليه السّلام من كثرة ذلك على مرّ الزّمان، ثمّ لم يوجد في ممارسي الحروب إلا من عرته بشرّ و نيل منه بجراح أو شين إلا أمير المؤمنين عليه السّلام فإنّه لم ينله مع طول مدّة زمان حربه جراح من عدوّه و لا وصل إليه أحد منهم بسوء حتّى كان من أمره مع ابن ملجم لعنه اللّه على اغتياله إيّاه ما

كان، و هذه اعجوبة أفرده اللّه تعالى بالآية فيها و خصّه بالعلم الباهر في معناها، و دلّ بذلك على مكانه منه و تخصّصه بكرامته الّتي بان بفضلها من كافّة الأنام، و من آيات اللّه فيه عليه السّلام أنّه لا يذكر ممارس للحروب لقي فيها عدوّا إلا و هو ظافر به حينا و غير ظافر به حينا، و لا نال أحد منهم خصمه بجراح إلا و قضى منها وقتا و عوفى منها وقتا، و لم يعهد من لم يفلت منه قرن في الحرب و لا نجى من ضربته أحد فصلح منها إلا أمير المؤمنين عليه السّلام فإنّه لا مرية في ظفره بكلّ قرن بارزه و إهلاكه كلّ بطل نازله، و هذا أيضا ممّا انفرد به عليه

السّلام من كافّة الأنام، و خرق اللّه به العادة في كلّ حين و زمان، و هو من دلائله الواضحة. و من آيات اللّه تعالى فيه أيضا مع طول ملاقاته الحروب و ملابسته إيّاها، و كثرة من مني به فيها من شجعان الأعداء و صناديدهم و تجمّعهم عليه، و احتيالهم في الفتك به، و بذل الجهد في ذلك ما ولّى قطّ عن أحد منهم ظهره، و لا انهزم عن أحد منهم و لا تزحزح عن مكانه، و لا هاب أحدا من أقرانه، و لم يلق أحد سواه خصما له في الحرب إلا و ثبت له حينا و انحرف عنه حينا، و أقدم عليه وقتا و أحجم عنه زمانا، و إذا كان الأمر على ما وصفناه ثبت ما

البيضاء ج : ٤ ص : ١٩٥

ذكرناه من انفراده بالآية الباهرة و المعجزة الظاهرة و خرق العادة فيه بما دلّ اللّه و كشف به عن فرض طاعته و أبانه بذلك من كافّة خليقته.

فصل و أمّا كراماته عليه السّلام و ما جرى على لسانه من الأخبار بالمغيبات

فمنها إخباره عليه السّلام بحال الخوارج المارقين

و ذلكأنّهم لما اجتمعوا و أجمعوا على قتاله و ركب إليهم لقيه فارس يركض فقال: يا أمير المؤمنين إنّهم سمعوا بمكانك فعبروا النهروان منهزمين فقال له: أنت رأيتهم

عبروا؟ قال: نعم، فقال عليه السّلام: و الّذي بعث محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يعبرون و لا يبلغون قصر بنت كسرى حتّى يقتل مقاتلهم على يدي فلا يبقي منهم إلا أقلّ من عشرة و لا يقتل من أصحابي إلا أقلّ من عشرة، و ركب و قاتلهم، و جرى الأمر على ما أخبر في الجميع و لم يعبروا النهر.

و منها ما أورده ابن شهرآشوب في كتابه

«أنّ عليّا عليه السّلام لمّا قدم الكوفة وفد عليه الناس و كان فيهم فتى فصار من شيعته يقاتل بين يديه في مواقفه فخطب امرأة من قوم فزوّجوه، فصلّى عليه السّلام

يوما الصبّح و قال لبعض من عنده: اذهب إلى موضع كذا تجد مسجدا إلى جانبه بيت فيه صوت رجل و امرأة يتشاجران فأحضرهما إليّ، فمضى و عاد و هما معه، فقال لهما: فيم طال تشاجركما اللّيلة؟ فقال الفتى: يا أمير المؤمنين إنّ هذه المرأة خطبتها و تزوّجتها فلمّا خلوت بها وجدت في نفسي منها نفرة منعتني أن ألمّ بها، و لو استطعت إخراجها ليلا لأخرجتها قبل النهار، فنقمت على ذلك و تشاجرنا إلى أن ورد أمرك فصرنا إليك، فقال عليه السّلام لمن حضر: ربّ حديث لا يؤثر من يخاطب به أن يسمعه غيره، فقام من كان حاضرا و لم يبق عنده غيرهما،

فقال لها عليّ عليه السّلام: أ تعرفين من هذا الفتى؟ فقالت: لا، فقال: إذا أنا أخبرتك بحاله تعلمينها

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٩٦

فلا تنكريها؟ قالت لا: يا أمير المؤمنين، قال: ألست فلانة بنت فلان؟ قالت: بلى، قال: ألم يكن لك ابن عمّ و كلّ منكما راغب في صاحبه؟ قالت: بلى، قال: أ ليس أنّ أباك منعك عنه و منعه عنك و لم يزوّجه بك و أخرجه من جواره لذلك؟ قالت:

بلى، قال: أ ليس خرجت ليلة لقضاء الحاجة فاغتالك و أكرهك و وطئك، فحملت فكتمت أمرك عن أبيك و أعلمت أمّك؟ فلمّا آن

الوضع أخرجتك أمّك ليلا فوضعت ولدا فلففته في خرقة و ألقيته من خارج الجدران حيث قضاء الحوائج، فجاء كلب فشمّه فخشيت أن يأكله فرميته بحجر فوقعت في رأسه فشجّته فعدت إليه أنت و أمّك فشدّت رأسه أمّك بخرقة من جانب مرطها، ثمّ تركتماه و مضيتما و لم تعلما حاله فسكتت، فقال لها: تكلّمي بحقّ، فقالت: بلى و اللّه يا أمير المؤمنين إنّ هذا الأمر ما علمه منّي غير امّي، فقال: قد اطّلعني اللّه عليه فأصبح و أخذه بنو فلان فربّي فيهم إلى أن كبر و قدم معهم الكوفة و خطبك و هو ابنك، ثمّ قال للفتى: اكشف رأسك فكشفه فوجد أثر الشجّة فقال عليه

السّلام: هذا ابنك قد عصمه اللّه ممّا حرّمه عليه فخذي ولدك و انصرفي فلا نكاح بينكما».

و منها ما رواه الحسين بن ذكوان الفارسيّ

قال: «كنت مع أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السّلام و قد شكى إليه الناس زيادة الفرات و أنّها قد أهلكت مزارعهم و نحبّ أن تسأل اللّه أن ينقصه عنّا، فقام و دخل بيته و الناس مجتمعون ينتظرونه، فخرج و عليه جبّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عمامته و برده و في يده قضيبه، فدعا بفرسه و ركب فمشى و معه أولاده و الناس و أنا منهم رجّالة حتّى وقف على الفرات، فنزل عن فرسه و

صلّى ركعتين خفيفتين، ثمّقام و أخذ القضيب بيده و مشى على الجسر و ليس معه سوى الحسن و الحسين عليهما السّلام و أنا فأهوى إلى الماء بالقضيب فنقصت الفرات ذراعا فقال: أ يكفيكم؟ قالوا: لا يا أمير المؤمنين، فقام فأومأ بالقضيب و أ هوى به إلى الماء فنقصت الفرات ذراعا آخر هكذا إلى أن نقصت ثلاثة أذرع فقالوا: حسبنا يا أمير المؤمنين فركب فرسه و عاد إلى منزله».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٩٧

و منها إخباره عليه السّلام بقصّة قتله

و ذلكأنّه لمّا فرغ من قتال الخوارج عاد إلى الكوفة في شهر رمضان فأمّ المسجد فصلّى ركعتين ثمّ صعد المنبر فخطب خطبة حسناء ثمّ التفت إلى ابنه الحسن فقال: يا أبا محمّد كم مضى من شهرنا هذا؟ فقال:

ثلاثة عشر يا أمير المؤمنين، ثمّ سأل الحسين فقال: يا أبا عبد اللّه كم بقي من شهرنا هذا؟ – يعني رمضان – فقال: سبع عشرة يا أمير المؤمنين، فضرب يده على لحيته و هي يومئذ بيضاء فقال: ليخضبّنها بدمها «إذ انبعث أشقاها» ثمّ قال:

أريد حباءه و يريد قتلي
عذيري من خليلي من مرادو عبد الرّحمن بن ملجم المراديّ يسمع

فوقع في قلبه من ذلك شيء فجاء حتّى وقف بين يدي عليّ عليه السّلام و قال: اعيذك باللّه يا أمير المؤمنين هذه يميني و شمالي بين يديك فاقطعهما أو فاقتلني، فقال عليّ عليه السّلام: فكيف أقتلك و لا ذنب لك إليّ و لو أعلم أنّك قاتلي لم أقتلك و لكن هل كانت لك حاضنة – يهوديّة – فقالت لك يوما من الأيّام: يا شقيق عاقر ناقة ثمود؟ قال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، فسكت عليّ عليه السّلام فلمّا كانت ليلة تسع عشرة من الشهر قام ليخرج من داره إلى المسجد لصلاة الصبح و قال: إنّ قلبي يشهد أنّي مقتول في هذا

الشهر ففتح الباب فتعلّق الباب بمئزره فجعل ينشد.

اشدد حيازيمك للموت

فإنّ الموت لاقيك

و لا تجزع من الموت

إذا حلّ بواديكفخرج فقتل صلوات اللّه عليه.

و منها حديث ميثم التمّار

و إخباره عليه السّلام إيّاه بحاله و صلبه و موضعه و النخلة الّتي يصلب عليها، و القصّة مشهورة.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٩٨

و منها أنّ الحجّاج طلب كميل بن زياد

فهرب منه فقطع عطاء قومه فلمّا رأى ذلك قال: إنّي شيخ كبير قد نفد

عمري فلا ينبغي لي أن أحرم قومي عطيّاتهم، فخرج إلى الحجّاج فقال: قد كنت أحبّ أن أجد عليك سبيلا فقال له كميل:

لا تصرف على أنيابك فما بقي من عمري إلا القليل فاقض ما أنت قاض فإنّ الموعد اللّه و بعد القتل الحساب، و لقد أخبرني أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: أنّك قاتلي، فضرب عنقه.

و منها أنّ الحجّاج قال ذات يوم: أحبّ أن أصيب رجلا من أصحاب أبي تراب فأتقرّب إلى اللّه بدمه، فقيل له: ما نعلم أحدا أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه فطلبه فاتي به فقال: أنت قنبر؟ قال: نعم قال: مولى عليّ بن أبي طالب؟

قال: اللّه مولاي و أمير المؤمنين عليّ وليّ نعمتي، قال: أبرء من دينه قال: دلّني على دين أفضل منه، قال: إنّي قاتلك فاختر أيّ قتلة أحبّ إليك، قال: قد صيّرت ذلك إليك، قال:

لم؟ قال: لا تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها و لقد خبّرني أمير المؤمنين عليه السّلام أنّ منيّتي تكون ذبحا ظلما بغير حقّ، فأمر به فذبح.

و منها أنّه قال للبراء بن عازب:

«يا براء يقتل ابني الحسين و أنت حيّ لا تنصره»

فلمّا قتل الحسين عليه السّلام قال البرّاء: صدق عليّ عليه السّلام، قتل الحسين و لم أنصره و أظهر الحسرة على ذلك و الندم.

و منها أنّه وقف في كربلاء
في بعض أسفاره ناحية من عسكره
فنظر يمينا و شمالا و استعبر
باكيا، ثمّ قال: هذا و اللّه مناخ
ركابهم و موضع منيّتهم، فقيل:
يا أمير المؤمنين ما هذا الموضع؟
فقال: هذا كربلاء يقتل فيه قوم
يدخلون الجنّة بغير حساب ثمّ سار
و لم يعرف الناس تأويل قوله حتّى
كان من أمر الحسين عليه السّلام
ما كان.
و منهاما رواه الناسأنّه عليه السّلام
لمّا توجّه إلى صفّين و احتاج
أصحابه إلى الماء
و التمسوه يمينا و شمالا فلم يجدوه،
فعدل بهم أمير المؤمنين عليه
السّلام عن الجادّة قليلا فلاح له دير

في البريّة، فساروا إليه و سأل من فيه عن الماء فقالوا: بيننا و بين المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ١٩٩

الماء فرسخان و ما هنا منه شيء و إنّما يجلب لي من بعد و أستعمله على التقتير و لولا ذلك لمتّ عطشا، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: اسمعوا ما يقول الراهب فقالوا: تأمرنا أن نسير إلى حيث أومأ إلينا لعلّنا ندرك الماء و بنا قوّة، فقال عليه السّلام: لا حاجة لكم إلى ذلك و لوى عنق بغلته نحو القبلة و أشار إلى مكان بقرب الدّير أن اكشفوه، فكشفوه فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع، فقالوا: يا أمير المؤمنين هنا صخرة لا تعمل فيها

المساحي فقال: هذه الصخرة على الماء فاجتهدوا في قلعها فإن زالت عن موضعها وجدتم الماء، فاجتمع القوم و راموا تحريكها فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا، و استصعبت عليهم فلمّا رأى ذلك لوى رجله عن سرجه، و حسر عن ساعده، و وضع أصابعه تحت جانب الصخرة فحرّكها و قلعها بيده و دحا بها أذرعا كثيرة فظهر لهم الماء، فبادروه و شربوا و كان أعذب ماء شربوه في سفرهم و أبرده و أصفاه، فقال: تزوّدوا و ارتووا، ففعلوا ذلك، ثمّ جاء إلى الصخرة فتناولها بيده و وضعها حيث كانت و أمر أن يعفى أثرها بالتراب، و الرّاهب ينظر من فوق ديره فنادى يا قوم أنزلوني، فأنزلوه

فوقف بين يدي أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا هذا أنت نبيّ مرسل؟ قال: لا، قال: فملك مقرّب؟ قال: لا، قال: فمن أنت؟ قال: أنا وصيّ رسول اللّه محمّد بن عبد اللّه خاتم النبيّين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: ابسط يدك أسلم على يدك فبسط أمير المؤمنين عليه السّلام يده و قال له:

أشهد الشهادتين، فقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه، و أشهد أنّ محمّدا رسول اللّه، و أشهد أنّك وصيّ رسول اللّه، و أحقّ الناس بالأمر من بعده، فأخذ عليه شرائط الإسلام، و قال:

ما الّذي دعاك إلى الإسلام بعد إقامتك على دينك طول المدّة؟

فقال: يا أمير المؤمنين إنّ هذا الدّير بني على طلب قالع هذه الصخرة و مخرج الماء من تحتها، و قد مضى على ذلك عالم قبلي و لم يدركوا ذلك، فرزقنيه اللّه عزّ و جلّ، إنّا نجد في كتبنا و نأثر عن علمائنا أنّ في هذا الموضع عينا عليها صخرة لا يعرفها إلا نبيّ أو وصيّ نبيّ و أنّه لابدّ من وليّ للّه يدعو إلى الحقّ، آتيه معرفة مكان هذه الصخرة و قدرته على قلعها، و لمّا رأيتك قد فعلت ذلك تحقّقت ما كنّا ننتظر و بلغت الامنيّة و أنا اليوم مسلم على يدك، و مؤمن بحقّك و مولاك، فلمّا سمع أمير المؤمنين عليه السّلام ذلك بكى حتّى

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٠٠

اخضلّت لحيته من الدّموع و قال: الحمد للّه الّذي لم أكن عنده منسيّا، الحمد للّه الّذي كنت في كتبه مذكورا، ثمّ دعا الناس، و قال: اسمعوا ما يقول أخوكم المسلم قسمعوا و حمدوا اللّه و شكروه إذ ألهمهم معرفة أمير المؤمنين عليه السّلام و سار و الرّاهب بين يديه و قاتل معه أهل الشام و استشهد فتولّى أمير المؤمنين عليه السّلام الصلاة عليه و دفنه و أكثر من الاستغفار له، و كان إذا ذكره يقول: ذاك مولاي.

و منها ما رواه أصحابنا من ردّ الشمس عليه مرّتين

في عهد النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مرّة و بعد وفاته مرّةروت أسماء بنت عميس و أمّ سلمة و جابر بن عبد اللّه الأنصاريّ و أبو سعيد الخدريّ في جماعة من أصحاب النبيّ أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّمكان ذات يوم في منزله و عليّ عليه السّلام بين يديه إذ جاء جبرئيل يناجيه عن اللّه فلمّا تغشّاه الوحي توسّد فخذ أمير المؤمنين عليه السّلام و لم يرفع رأسه حتّى غابت الشمس، فصلّى العصر جالسا إيماء، فلمّا أفاق قال لأمير المؤمنين عليه السّلام: فاتتك العصر؟ قال: صلّيتها قاعدا إيماء فقال: ادع اللّه يردّ عليك الشمس حتّى تصلّيها قائما في وقتها فإنّ

اللّه يجيبك لطاعتك للّه و لرسوله، فسأل اللّه في ردّها فردّت عليه حتّى صارت في موضعها من السماء وقت العصر فصلاها ثمّ غربت قالت أسماء: فو اللّه لقد سمعنا لها عند عزوبها كصرير المنشار. و بعد النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين أراد أن يعبر الفرات ببابل و اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابّهم و صلّى هو مع طايفة من أصحابه العصر و فاتت جمهورهم فتكلّموا في ذلك فلمّا سمع سأل اللّه في ردّها ليجتمع كافّة أصحابه على الصّلاة فأجابه اللّه تعالى و ردّها فكانت كحالها وقت العصر فلمّا سلّم بالقوم غابت و سمع لها وجيب شديد هال الناس و أكثروا التسبح و

التهليل و الاستغفار، و الحمد للّه على نعمته الّتي ظهرت فيهم و سار خبر ذلك في الآفاق.

و منهاأنّه عليه السّلام اتّهم رجلا يقال له: العيزار

يرفع أخباره إلى معاوية فأنكر ذلك و جحده فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: لتحلف باللّه إنّك ما فعلت؟ قال: نعم فبدر

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٠١

فحلف فقال عليّ عليه السّلام: إن كنت كاذبا فأعمى اللّه بصرك فما دارت الجمعة حتّى عمى و أخرج يقاد و قد أذهب اللّه بصره.

و منهاأنّه عليه السّلام نشد الناس

من سمع النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فشهد اثنا عشر رجلا من الأنصار و أنس بن مالك في القوم و لم يشهد فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: يا أنس ما منعك أن تشهد و قد سمعت ما سمعوا؟ قال:

يا أمير المؤمنين كبرت و نسيت، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: اللّهمّ إن كان كاذبا فأضربه ببياض أو بوضح لا تواريه العمامة، قال طلحة بن عمير: فأشهد باللّه لقد رأيتها بيضاء بين عينيه.

و منهاأنّه عليه السّلام نشد الناس فقال:أنشد اللّه رجلا سمع النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:

«من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه و عاد من عاداه [و انصر من نصره]» فقام اثنا عشر بدريّا ستّة من الجانب الأيسر و ستّة من الجانب الأيمن فشهدوا بذلك، قال زيد بن أرقم: كنت فيمن سمع ذلك فكتمته فذهب اللّه ببصري، و كان يتندّم على ما فاته من الشهادة و يستغفر.

و منهاأنّه عليه السّلام قال على المنبر:

أنا عبد اللّه، و أخو رسول اللّه، ورثت نبيّ الرحمة، و نكحت سيّدة نساء أهل الجنّة، و أنّا سيّد الوصيّين، و آخر أوصياء النبيّين، لا يدعي ذلك غيري إلا أصابه اللّه

بسوء، فقال رجل من عبس – من لا يحسن أن يقول هذا –:

أنا عبد اللّه و أخو رسول اللّه، فلم يبرح من مكانه حتّى تخبّطه الشيطان فجرّ برجله إلى باب المسجد، فسألنا قومه هل يعرفون به عرضا قبل هذا قالوا: اللّهمّ لا.

و منها ما حكي أنّ معاوية بن أبي سفيان

قال لجلسائه بعد الحكومة: كيف لنا أن نعلم ما تئول إليه العاقبة في أمرنا؟ قال جلساؤه: ما نعلم لذلك وجها، قال:

فأنا أستخرج علم ذلك من عليّ عليه السّلام فإنّه لا يقول الباطل، فدعا ثلاثة رجال من ثقاته و قال لهم: امضوا حتّى تصيروا جميعا من

الكوفة على مرحلة ثمّ تواطوا على أن تنعوني بالكوفة و ليكن حديثكم واحدا في ذكر العلّة و اليوم و الوقت و موضع القبر،

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٠٢

و من تولّى الصّلاة عليّ، و غير ذلك حتّى لا تختلفوا في شيء ثمّ ليدخل أحدكم فليخبر بوفاتي ثمّ ليدخل الثاني فيخبر بمثله ثمّ ليدخل الثالث فيخبر بمثل خبر صاحبيه و انظروا ما ذا يقول عليّ، فخرجوا كما أمرهم معاوية ثمّ دخل أحدهم و هو راكب مغد شاحب، فقال له الناس بالكوفة: من أين جئت؟ قال: من الشام: قالوا له: ما الخبر؟ قال:

مات معاوية، فأتوا عليا عليه السّلام و قالوا: رجل راكب من الشام يخبر بموت معاوية، فلم يحفل عليه السّلام بذلك، ثمّ دخل آخر من الغد و هو مغد، فقال له الناس: ما الخبر؟ قال: مات معاوية و خبّر بمثل ما أخبر صاحبه، فأتوا عليّا عليه السّلام و قالوا: رجل راكب آخر يخبر من موت معاوية بمثل ما أخبر صاحبه و لم يختلف كلامهما فأمسك عليّ عليه السّلام ثمّ دخل الآخر في اليوم الثالث فقال الناس: ما وراك؟ قال: مات معاوية، فسألوه عمّا شاهد، فلم يخالف قول صاحبيهفأتوا عليّا عليه السّلام فقالوا: يا أمير المؤمنين صحّ الخبر هذا راكب ثالث قد أخبر بمثل خبر

صاحبيه، فلمّا كثروا عليه قال عليّ عليه السّلام: كلا أو تخضب هذه من هذه – يعني لحيته من هامته – و يتلاعب بها ابن لآكلة الأكباد، فرجع الخبر بذلك إلى معاوية.

و منها ماقال عليه السّلام في خطبة لهيذكر فيها واقعة بغداد كأنّه يشاهدها

و يقول فيها: «و اللّه كأنّي أنظر إلى القائم من بني العباس و هو يقاد بينهم كما يقاد الجزور إلى الاضحيّة و لا يستطيع دفعا عن نفسه، ويحه ثمّ ويحه ما أذلّة فيهم لاطراحه أمر ربّه و إقباله على أمر دنياه، و يقول فيها: و اللّه لو شئت لأخبرتكم بأسمائهم و كناهم و حلاهم و مواضع قتلاهم و مساقط

رءوسهم» إلى غير ذلك من أخباره بالغيوب.

و منهاما روته أسماء بنت عميس قالت: سمعت سيّدتي فاطمة عليها السّلام تقول:«ليلة دخل بي عليّ عليه السّلام أفزعني في فراشي سمعت الأرض تحدّثه و يحدّثها فأصبحت و أنا فزعة فأخبرت و الدي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فسجد سجدة طويلة ثمّ رفع رأسه و قال: يا فاطمة أبشري بطيب النسل فإنّ اللّه فضّل بعلك على سائر خلقه و أمر الأرض أن تحدّثه بأخبارها و ما يجري على وجهها من شرق الأرض إلى غربها».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٠٣

نقلت هذه كلّها من كتاب كشف الغمّة لعليّ بن عيسى الإربليّ – رحمه اللّه – بحذف إسناد بعضها – قال:و قال بعض أرباب الطريقة أنّ عليّا عليه السّلام إنّما قال:«لو كشف الغطاء ما أزددت يقينا»

في أوّل أمره و ابتداء حاله فأمّا في آخر أمره فإنّ الغطاء كشف له و الحجاب رفع دونه و مناقبه عليه السّلام و مآثره و ما جرى على يديه من خوارق العادات أكثر من أن تحصى و أشهر من أن تخفى، و ما ذكر دليل على ما لم يذكر فإنّ بالثمرة الواحدة قد يستدلّ على الشجرة.

فصلروى الصدوق – رحمه اللّه – في كتاب التوحيد

بإسناده عن الأصبغ بن نباتة قال:لما جلس عليّ عليه السّلام على الخلافة و بايعه الناس خرج إلى المسجد متعمّما بعمامة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، لابسا بردة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، متنعّلا نعل رسول اللّه، متقلّدا سيف رسول اللّه، فصعد المنبر فجلس عليه متمكّنا ثمّ شبّك أصابعه فوضعها أسفل بطنه، ثمّ قال: «معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول اللّه هذا ما زقّني رسول اللّه زقّا زقّا، سلوني فإنّ عندي علم الأوّلين و الآخرين أما و اللّه لو ثنّيت لي الوسادة فجلست عليها

لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتّى ينطق التوراة فيقول: صدق عليّ ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل اللّه فيّ، و أفنيت أهل الإنجيل بانجيلهم حتّى ينطق الإنجيل فيقول: صدق عليّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل اللّه فيّ، و أفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتّى ينطق القرآن فيقول: صدق عليّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل اللّه فيّ، و أنتم تتلون القرآن ليلا و نهارا، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه، و لولا آية في كتاب اللّه لأخبرتكم بما كان و ما يكون و ما هو كائن إلى

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٠٤

يوم القيامة و هي هذه الآيةيمحو اللّه ما يشاء و يثبت و عنده أُمُّ الكتاب ١٣: ٣٩ثمّ قال:

سلوني قبل أن تفقدوني فو اللّه الّذي فلق الحبّة و برء النّسمة لو سألتموني عن أيّة آية في ليل أنزلت أو في نهار أنزلت مكّيّها و مدنيّها، سفريّها و حضريّها، ناسخها و منسوخها، محكمها و متشابهها، و تأويلها و تنزيلها لأخبرتكم».

و روي أنّه عليه السّلام خطب يوما فقال:«سلوني قبل أن تفقدوني فأنا نمط الحجاز، و أنا عيبة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و أنا فقأت عين الفتنة بباطنها و ظاهرها سلوا من عنده علم البلايا و المنايا و الوصايا و فصل الخطّاب،

سلوني فأنا يعسوب المؤمنين حقّا، و ما من فئة تهدي مائة أو تضلّ مائة إلا و قد أتيت بقائدها و سائقها، و الّذي نفسي بيده لو طوي لي الوسادة فأجلس عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، و لأهل الإنجيل بإنجيلهم، و لأهل الزّبور بزبورهم، و لأهل الفرقان بفرقانهم».

و روى الصّدوق في كتاب معاني الأخبار بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام في خطبته:«أنا الهادي، أنا المهديّ، و أنا أبو اليتامى و المساكين و زوج الأرامل، و أنا ملجأ كلّ ضعيف، و مأمن كلّ خائف، و أنا قائد المؤمنين إلى الجنّة، و أنا حبل اللّه

المتين، و أنا عروة اللّه الوثقى، و كلمة اللّه التقوى، و أنا عين اللّه و لسانه الصّادق و يده، و أنا جنب اللّه الّذي يقول:أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرّطت في جنب اللّه ٣٩: ٥٦[١] و أنا يد اللّه المبسوطة على عبادة بالرّحمة و المغفرة، و أنا باب حطّة، من عرفني و عرف حقّي فقد عرف ربّه لأنّي وصيّ نبيّه في أرضه و حجّته على خلقه لا ينكر هذه إلا رادّ على اللّه و على رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم».

و من كتاب القائم للفضل بن شاذان بإسناده قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام على

---

[١] الزمر: ٥٦ و الجنب: القرب. و قوله: «يا حسرتى على ما فرطت في جنب اللّه» اى في قربه و جواره و منه قوله تعالى:و الصاحب بالجنب ٤: ٣٦و هو الرفيق في السفر الذي يصحب الإنسان و كنى عنه بالجنب لكونه قريبا منه ملاصقا له. و قال عليه السّلام أنا جنب اللّه لشدة قربه منه تعالى.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٠٥

منبر الكوفة:«و إنّي لديّان الناس يوم الدّين و قسيم اللّه بين الجنّة و النّار لا يدخلها داخل إلا على أحد

قسمين، و أنا الفاروق الأكبر و قرن من حديد و باب الإيمان و صاحب الميسم و صاحب السنن، و أنا صاحب النشر الأوّل و النشر الآخر و صاحب القضاء، و صاحب الكرّات و دولة الدّول، و أنا إمام لمن بعدي و المؤدّي عمّن كان قبلي، ما يتقدّمني إلا أحمد صلوات اللّه عليه و آله، و إنّ جميع الملائكة و الرّسل و الرّوح خلفنا، و إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليدعا فينطق و ادعا فأنطق على حدّ منطقه و لقد أعطيت السبع الّتي لم يسبق إليها أحد، و بصرت سبيل الكتاب و فتحت لي الأبواب و علمت الأنساب و مجرى الحساب و علمت المنايا و البلايا و

الوصيّات و فصل الخطّاب، و نظرت في الملكوت، فلم يعزب عنّي شيء غاب عنّي، و لم يفتني ما سبقني و لم يشركني أحد فيما أشهدني يوم شهادة الأشهاد، و أنا الشاهد عليهم و على يدي تمّ موعد اللّه بكلّ كلمة، و بي يكمل الدّين، و أنا نعمة اللّه الّتي أنعمها اللّه على خلقه، و أنا الإسلام الّذي ارتضاه لنفسه كلّ ذلك منّا من اللّه».

و من مناقب الخوارزميّ قال: قال عليّ عليه السّلام: قال لي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم فتحت خيبر:«لولا أن يقول فيك طوائف من امّتي ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلت اليوم فيك

مقالا لا تمرّ على ملاء من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجليك و فضل طهورك يستشفوا به و لكن حسبك أن تكون منّي و أكون منك ترثني و أرثك و أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي، أنت تؤدّي ديني و تقاتل على سنّتي و أنت في الآخرة أقرب الناس منّي، و إنّك غدا على الحوض خليفتي، تذود عنه المنافقين، و أنت أوّل من يرد عليّ الحوض، و أنت أوّل داخل في الجنّة من امّتي، و إنّ شيعتك على منابر من نور، رواء مرويّون مبيضّة وجوههم حولي، اشفع لهم فيكونون غدا في الجنّة جيراني، و إنّ عدوّك غدا ظماء مظمئون

مسودّة وجوههم مقمحون، حربك حربي و سلمك سلمي و سرّك سرّي و علانيتك علانيتي و سريرة صدرك سريرة صدري، و أنت باب علمي، و إنّ ولدك ولدي و لحمك المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٠٦

لحمي و دمك دمي، و إنّ الحقّ معك، و الحقّ على لسانك و في بين عينيك، و الإيمان مخالط لحمك و دمك كما خالط لحمي و دمي، و إنّ اللّه عزّ و جلّ أمرني أن أبشّرك أنّك و عترتي في الجنّة، و أنّ عدوّك في النار، لا يرد عليّ الحوض مبغض لك و لا يغيب عنه محبّ. قال: قال عليّ عليه السّلام فخررت للّه سبحانه ساجدا و حمدته

على ما أنعم به عليّ من الإسلام و القرآن و حبّبني إلى خاتم النبيّين و سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم».

و الأخبار في فضائله عليه السّلام أكثر من أن تحصى، و ليس غرضنا في هذا الكتاب بيان فضائل الأئمّة عليهم السّلام و مناقبهم بل الغرض بيان بعض أخلاقهم و صفاتهم و كراماتهم اتّباعا لما ذكره أبو حامد في أخلاق النبوّة و إنّما ذكرنا هذا المقدار من فضيلة أمير المؤمنين عليه السّلام تطفّلا و تيمّنا.

و قد روى الخوارزميّ في مناقبه عن مجاهد عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و

سلّم:«لو أنّ الرياض أقلاما و البحر مدادا و الجنّ حسّابا و الإنس كتّابا ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب – عليه السّلام –».

فصل و أمّا خلقته عليه السّلام

ففي كشف الغمّة قال الخطيب أبو المؤيّد الخوارزميّ عن أبي إسحاق قال: لقد رأيت عليّا عليه السّلام أبيض الرّأس و اللّحية، ضخم البطن، ربعة من الرّجال. و ذكر ابن مندة أنّه كان شديد الادمة، ثقيل العينين عظيمهما، ذا بطن و هو إلى القصر أقرب، أبيض الرّأس و اللّحية.

و زاد محمّد بن حبيب البغداديّ صاحب المحبّر الكبير في صفاته

عليه السّلام آدم اللّون، حسن الوجه، ضخم الكراديس.

و اشتهر صلوات اللّه عليه بالأنزع البطين أمّا في الصّورة فيقال: رجل أنزع بيّن النّزع و هو الّذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته، و موضعه النزعة و هما النزعتان و لا يقال لامرأة: نزعاء و لكن زعراء، و البطين الكبير البطن، و أمّا المعنى فإنّ نفسه نزعت

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٠٧

يقال: نزع إلى أهله ينزع نزاعا اشتاق و نزع عن الأمور نزوعا انتهى عنها أي نزعت نفسه عن ارتكاب الشهوات فاجتنبها، و نزعت إلى اجتناب السيّئات فسدّ عليها

مذهبها، و نزعت إلى اكتساب الطاعات فأدركها حين طلبها، و نزعت إلى استصحاب الحسنات فارتدى بها و تجلببها، و امتلأ علما فلقّب بالبطين و أظهر بعضا و أبطن بعضا حسبما اقتضاه علمه الّذي عرف به الحقّ اليقين، أمّا ما ظهر من علومه فأشهر من الصباح و أسير في الآفاق من سرى الرّياح، و أمّا ما بطنفقد قال:«بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة».

و ممّا ورد في صفته عليه السّلام أنّه كان ربعة من الرّجال أدعج العينين، حسن – الوجه كأنّه القمر ليلة البدر حسنا، ضخم البطن،

عريض المنكبين، شثن الكفّين أغيد كأنّ عنقه إبريق فضّة، أصلع، كثّ اللّحية، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضّاريّ، لا يبين عضده من ساعده، و قد أدمجت إدماجا، إن أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفّس، شديد الساعد و اليد، إذا مشى إلى الحرب هرول، ثبت الجنان، قويّ شجاع، منصور على من لاقاه صلوات اللّه عليه.

ذكر طرف من أخلاق فاطمة عليها السلام و صفاتها و كراماتها

في كشف الغمّة عن أمّ سلمة أمّ المؤمنين – رضي اللّه عنها – قالت: كانت فاطمة بنت رسول اللّه على أبيها و عليها السلام أشبه

الناس وجها و شبها برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و عن عائشة قالت: ما رأيت أحدا أشبه حديثا و كلاما برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من فاطمة و كانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبّلها و أجلسها في مجلسه و كان إذا دخل عليها قامت إليه فقبّلته و أخذت بيده فأجلسته في مكانها.

و عنها أنّها ذكرت فاطمة فقالت: ما رأيت أحدا أصدق منها إلا أباها.

و عن جابر - رضي اللّه عنه - قال: ما رأيت فاطمة عليها السّلام تمشي إلا ذكرت

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٠٨

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تميل على جانبها الأيمن مرّة و عن جانبها الأيسر مرّة.

و عن عائشة أنّها سئلت من كان أحبّ الناس إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالت: فاطمة قيل: إنّما أسألك عن الرّجال، قالت: زوجها.

و عن ثوبان مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا سافر آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة و أوّل من يدخل عليه إذا قدم فاطمة قال: فقدم من غزاة فأتاها فإذا هو بمسح على بابها و رأى على الحسن و الحسين عليهما

السّلام قلبين من فضّة فرجع و لم يدخل عليها فلمّا رأت ذلك فاطمة ظنّت أنّه لم يدخل عليها من أجل ما رأى فهتكت الستر و نزعت القلبين من الصبيّين فقطعتهما فبكي الصبيان فقسّمته بينهما فانطلقا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هما يبكيان فأخذه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منهما و قال:

يا ثوبان اذهب بهذا إلى بني فلان – أهل بيت في المدينة – و اشتر لفاطمة قلادة من عصب و سوارين من عاج فإنّ هؤلاء أهل بيتي و لا أحبّ أن يأكلوا طيّباتهم في حياتهم الدّنيا.

و عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السّلام قال: «قال عليّ عليه السّلام:إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دخل على ابنته فاطمة عليها السّلام و إذا في عنقها قلادة فأعرض عنها فقطعتها و رمت بها فقال لها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنت منّي يا فاطمة، ثمّ جاء سائل فناوله القلادة ثمّ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «اشتدّ غضب اللّه على من أهراق دمي و آذاني في عترتي».

و عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عن فاطمة الصغرى، عن الحسين بن عليّ، عن أخيه الحسن بن عليّ بن أبي

طالب عليهم السّلام قال:«رأيت امّي فاطمة عليها السّلام قامت في محرابها ليلة جمعة فلم تزل راكعة و ساجدة حتّى انفجر عمود الصبح و سمعتها تدعو للمؤمنين و المؤمنات و تسمّيهم و تكثر الدّعاء لهم و لا تدعو لنفسها بشيء فقلت لها: يا امّاه و لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنيّ الجار

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٠٩

ثمّ الدار».

و عن عايشة قالت:لمّا مرض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دعا ابنته فاطمة فسارّها فبكت ثمّ سارّها فضحكت، فسألتها عن ذلك فقالت: أما حيث بكيت فإنّه

أخبرني أنّه ميّت فبكيت، ثمّ أخبرني أنّي أوّل أهل بيته لحوقا به فضحكت.

قال عليّ بن عيسى الإربلي – رحمه اللّه – أنّ الطباع البشرية مجبولة على كراهة الموت مطبوعة عن النّفور منه، محبّة للحياة و مائلة إليها حتّى أنّ الأنبياء عليهم السّلام على شرف مقاديرهم و عظم أخطارهم و مكانتهم من اللّه و منازلهم من محالّ قدسه و علمهم بما تئول إليه أحوالهم و تنتهي إليه أمورهم أحبّوا الحياة و مالوا إليها و كرهوا الموت و نفروا منه، و قصّة آدم عليه السّلام مع طول عمره و امتداد أيّام حياته مع داود عليه السّلام مشهورة، و كذلك حكاية

موسى عليه السّلام مع ملك الموت و كذلك إبراهيم عليه السّلام.

و فاطمة عليها السّلام امرأة حديثة عهد بالصبي ذات أولاد صغار و بعل كريم لم تقض من الدّنيا إربا و هي في غضارة عمرها و عنفوان شبابها يعرّفها أبوها أنّها سريعة اللّحاق به فتسلو بموت أبيها و تضحك طيبة نفسها بفراق الدّنيا و فراق بنيها و بعلها فرحة بالموت، مائلة إليه، مستبشرة بهجومه، مسترسلة عند قدومه، و هذا أمر عظيم لا تحيط الألسن بصفته و لا تهتدي القلوب إلى معرفته، و ما ذاك إلا لأمر علمه اللّه من أهل هذا البيت الكريم، و سرّ أوجب لهم به مزيد التقديم، فخصّهم بباهر

معجزاته، و أظهر عليهم آثار علائمه و سماته، و أيّدهم ببراهينه الصادعة و دلالاته و اللّه أعلم حيث يجعل رسالاته.

و في الفقيه أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال لرجل من بني سعد:«ألا أحدّثك عنّي و عن فاطمة الزهراء عليها السّلام أنّها كانت عندي فاستقت بالقربة حتّى أثّر في صدرها، و طحنت بالرحى حتّى مجلت يدها، و كسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها، و أوقدت تحت القدر حتّى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرّ شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادما يكفيك حرّما أنت فيه من هذا العمل، فأتت النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

فوجدت عنده أحداثا فاستحيت فانصرفت فعلم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّها جاءت لحاجة فغدا علينا

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢١٠

و نحن في لحافنا فقال: السلام عليكم، فسكتنا و استحيينا لمكاننا، ثم قال: السلام عليكم فسكتنا، ثم قال: السلام عليكم فخنشينا إن لم نردّ عليه أن ينصرف، و قد كان يفعل ذلك فيسلّم ثلاثا فإن أذن له و إلا انصرف، فقلنا: و عليك السلام يا رسول اللّه ادخل فدخل و جلس عند رءوسنا فقال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمّد؟ فخشيت إن لم نجبه أن يقوم

فأخرجت رأسي فقلت: أنا و اللّه أخبرك يا رسول اللّه أنّها استقت بالقربة حتّى أثّر في صدرها، و طحنت بالرّحى حتّى مجلت يدها، و كنست البيت حتّى اغبرّت ثيابها، و أوقدت تحت القدر حتّى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادما، يكفيك حرّما أنت فيه من هذا العمل، قال: أ فلا اعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فكبّرا أربعا و ثلاثين تكبيرة، و سبّحا ثلاثا و ثلاثين تسبيحة، و أحمدا ثلاثا و ثلاثين تحميدة، فأخرجت فاطمة عليها السّلام رأسها فقالت: رضيت عن اللّه و عن رسوله، رضيت عن اللّه و عن رسوله».

و في كشف الغمّة روي عن عليّ عليه السّلام قال:«كنّا عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال:

أخبروني أيّ شيء خير للنّساء فعيينا بذلك كلّنا حتّى تفرّقنا فرجعت إلى فاطمة عليها السّلام فأخبرتها الّذي قال لنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ليس أحد منّا علمه و لا عرفه فقالت:

و لكنّي أعرفه: خير للنساء أن لا يرين الرجال و لا يراهنّ الرجال، فرجعت إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقلت: يا رسول اللّه سألتنا أيّ شيء خير للنّساء، خير لهنّ أن لا يرين الرّجال و لا يراهنّ الرّجال، فقال: من أخبرك و

لم تعلمه و أنت عندي؟ قلت: فاطمة، فأعجب ذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال: «إنّ فاطمة بضعة منّي».

و عن مجاهد قال:خرج النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو آخذ بيد فاطمة فقال: «من عرف هذا فقد عرفها و من لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد، و هي بضعة منّي، و هي قلبي و روحي الّتي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني، و من آذاني فقد آذى اللّه».

و في كتاب الفردوس عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«لولا عليّ لم يكن لفاطمة كفؤ».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢١١

و فيه أيضا عن ابن عباس عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«يا عليّ إنّ اللّه زوّجك فاطمة و جعل صداقها الأرض فمن مشى عليها مبغضا لك مشى حراما».

و روى ابن بابويه في حديث طويل أورده في تزويج أمير المؤمنين بفاطمة عليها السّلامأنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخذ في فيه ماء و دعا فاطمة فأجلسها بين يديه ثمّ مجّ الماء في المخضب - و هو المركن - و غسل فيه قدميه و وجهه، ثمّ دعا فاطمة عليها السّلام فأخذ كفّا من ماء فضرب به على رأسها و كفّا بين يديها، ثمّ رشّ جلدها، ثمّ دعا بمخضب آخر ثمّ دعا عليّا عليه السّلام فصنع به كما

صنع بها، ثمّ التزمهما فقال: اللّهمّ إنّهما منّي و أنا منهما، اللّهمّ كما أذهبت عنّي الرّجس و طهّرتني تطهيرا فأذهب عنهما الرّجس و طهّرهما تطهيرا، ثمّ قال: قوما إلى بيتكما، جمع اللّه بينكما، و بارك في سيركما، و أصلح بالكما، ثمّ قام فأغلق عليهما الباب بيده.

قال ابن عباس: فأخبرتني أسماء أنّها رمّقت [١] رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلم يزل يدعو لهما خاصّة لا يشركهما في دعائه أحدا حتّى توارى في حجرته.

و في رواية أنّه قال:«بارك اللّه في سيركما، و جمع شملكما، و ألّف على الايمان بين قلوبكما، شأنك بأهلك، السلام عليكما».

و عن نافع بن أبي الحمراء قال:شهدت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمانية أشهر إذا خرج إلى صلاة الغداة مرّ بباب فاطمة عليها السّلام و قال: «السلام عليكم [الصلاة،إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس] أهل البيت و يطهّركم تطهيرا».

و روى عن جابر بن عبد اللّه قال: لمّا زوّج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاطمة من عليّ عليه السّلام كان اللّه تعالى مزوّجه من فوق عرشه، و كان جبرئيل عليه السّلام الخاطب و كان ميكائيل و إسرافيل في سبعين ألفا من الملائكة شهودا، و أوحى اللّه إلى شجرة

طوبى أن انثري ما فيك من الدّرّ و الياقوت و اللّؤلؤ، و أوحى اللّه إلى الحور العين أن

---

[۱] اى أطالت النظر إليه صلّى اللّه عليه و آله.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢١٢

التقطنه فهنّ يتهادينه بينهنّ إلى يوم القيامة فرحا بتزويج فاطمة عليّا عليهما السّلام».

و عن شرحبيل بن سعيد قال:دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على فاطمة عليها السّلام في صبيحة عرسها بقدح فيه لبن فقال:

«اشربي فداك أبوك، ثمّ قال لعليّ عليه السّلام: اشرب فداك ابن عمّك».

و عن عليّ عليه السّلام قال: «سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:إنّ اللّه تبارك و تعالى خلقني و عليّا و فاطمة و الحسن و الحسين من نور واحد».

و عن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّمو قد كنت شهدت فاطمة عليها السّلام و قد ولدت بعض ولدها و لم أر لها دما، فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «فاطمة خلقت حوريّة في صورة إنسيّة».

و عن عليّ عليه السّلامأنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سئل ما البتول؟ فإنّا سمعناك يا رسول اللّه تقول: «إنّ مريم بتول، و فاطمة بتول» فقال: «البتول الّتي لم تر حمرة قطّ – أي لم تحض – فإنّ الحيض مكروه في بنات الأنبياء».

و عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«لمّا ولدت فاطمة أوحى اللّه إلى ملك فأنطق به لسان محمّد فسمّاها فاطمة، ثمّ قال: إنّي فطمتك بالعلم و فطمتك من الطمث، ثمّ قال أبو جعفر عليه السّلام: لقد فطمها اللّه بالعلم و عن الطمث في الميثاق».

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة قال:إنّما سمّيت فاطمة لأنّ اللّه فطم من أحبّها من النّار.

و عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السّلام قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:يا فاطمة أ تدرين لما سمّيت فاطمة؟ قال: عليّ عليه السّلام لم سمّيت؟ قال: لأنّها فطمت هي و شيعتها من النّار».

و عنه عليه السّلام قال:«لفاطمة تسعة أسماء عند اللّه عزّ و جلّ فاطمة و الصدّيقة و المباركة و الطاهرة و الزكيّة و الرّضيّة و المرضيّة و المحدّثة و الزّهراء قال:

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢١٣

و سمّيت فاطمة لأنّها فطمت من الشرّ و لو لا عليّ لما كان لها كفؤ في الأرض».

و عن أبي جعفر عليه السّلام«أنّه سئل لم سمّيت الزّهراء الزهراء؟ قال: لأنّ اللّه تعالى خلقها من نور عظمته فلمّا أشرقت أضاءت السماوات و الأرض بنورها، و غشيت أبصار الملائكة للّه تعالى ساجدين و قالوا: إلهنا و سيّدنا ما هذا النور فأوحى اللّه إليهم: هذا من نوري، أسكنته في سمائي و خلقته من عظمتي، أخرجته من صلب نبيّ من أنبيائي افضّله على جميع الأنبياء، و اخرج من ذلك النور أئمّة يقومون بأمري و يهدون إلى

حقّي و أجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي».

و عن عليّ عليه السّلام قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لفاطمة عليها السّلام:يا بنيّة إنّ اللّه أشرف على الدنيا فاختارني على رجال العالمين، ثمّ أطلع ثانية فاختار زوجك على رجال العالمين، ثمّ أطلع ثالثة فاختارك على نساء العالمين، ثمّ أطلع رابعة فاختارا بنيك على شباب العالمين».

وروي‌في معنى قوله تعالى:فتلقى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه ٢: ٣٧قال: «سأله بحقّ محمّد و عليّ و الحسن و الحسين و فاطمة عليهم السّلام».

و روي عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:«اشتاقت الجنّة إلى أربع من النساء مريم بنت عمران، و آسية بنت مزاحم، زوجة فرعون و هي زوجة النبيّ في الجنّة، و خديجة بنت خويلد زوجة النبيّ في الدنيا و الآخرة، و فاطمة بنت محمّد».

وفي رواية عائشة:سيّدات نساء أهل الجنّة أربع مريم بنت عمران، و فاطمة بنت محمّد، و خديجة بنت خويلد، و آسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

و عن أبي سعيد الخدريّ قال:أصبح عليّ عليه السّلام ذات يوم و قال: يا فاطمة عندك شيء تغذّينيه؟ قالت: لا و الّذي أكرم أبي بالنبوّة و

أكرمك بالوصيّة ما أصبح الغداة عندي شيء أغذّيكه و ما كان عندي شيء منذ يومين إلا شيء كنت اوثرك به على نفسي و على ابنيّ هذين حسن و حسين، فقال عليّ عليه السّلام: يا فاطمة ألا كنت

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢١٤

أعلمتني فأبغيكم شيئا؟ فقالت: يا أبا الحسن إنّي لأستحيي من إلهي أن تكلّف نفسك ما لا تقدر عليه فخرج عليّ عليه السّلام من عند فاطمة عليها السّلام واثقا باللّه حسن الظنّ به عزّ و جلّ فاستقرض دينارا فأخذه ليشتري لعياله ما يصلحهم فعرض له المقداد بن الأسود في

يوم شديد الحرّ قد لوّحته الشمس من فوقه و آذته من تحته، فلمّا رآه عليّ عليه السّلام أنكر شأنه فقال: يا مقداد ما أزعجك هذه الساعة من رحلك؟ فقال: يا أبا الحسن خلّ سبيلي و لا تسألني عمّا ورائي، قال: يا أخي لا يسعني أن تجاوزني حتّى أعلم علمك، فقال: يا أبا الحسن رغبت إلى اللّه عزّ و جلّ و إليك أن تخلّي سبيلي و لا تكشفني عن حالي، فقال: يا أخي إنّه لا يسعك أن تكتمني حالك فقال: يا أبا الحسن أما إذا أبيت فو الّذي أكرم محمّدا بالنبوّة و أكرمك بالوصيّة ما أزعجني من رحلي إلا الجهد و قد تركت عيالي جياعا، فلمّا سمعت بكاءهم لم تحملني الأرض فخرجت

مهموما راكبا رأسي [١] هذه حالتي و قصّتي، فانهملت عينا عليّ عليه السّلام بالبكاء حتّى بلّت دموعه لحيته فقال: أحلف بالّذي حلفت به ما أزعجني إلا الّذي أزعجك و قد اقترضت دينارا فهاكه، فقد آثرتك على نفسي فدفع الدّينار إليه و رجع حتّى دخل المسجد فصلّى الظهر و العصر و المغرب، فلمّا قضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المغرب مرّ بعليّ عليه السّلام و هو في الصفّ الأوّل فغمزه برجله فقام عليّ عليه السّلام فلحقه في باب المسجد فسلّم عليه فردّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال: يا أبا الحسن هل عندك عشاء تعشّيناه فنميل معك؟ فمكث مطرقا

لا يحير حوابا حياء من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد عرف ما كان من أمر الدّينار و من أين أخذه و أين وجّهه بوحي من اللّه إلى نبيّه و أمره أن يتعشّى عند عليّ عليه السّلام تلك اللّيلة فلمّا نظر إلى سكوته، قال: يا أبا الحسن ما لك لا تقول: لا؟ فأنصرف أو نعم فأمضي معك؟ فقال: حياء و تكرّما فاذهب بنا فأخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بيد عليّ عليه السّلام فانطلقا حتّى دخلا على فاطمة عليها السّلام و هي في مصلاها قد قضت صلاتها و خلفها جفنة تفور دخانا، فلمّا سمعت كلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خرجت من

---

[١] قال الزمخشرى في الاساس: و من المجاز «ركب رأسه» مضى على وجهه بغير روية لا يطيع مرشدا، و هو يمشى الركبة و هم يمشون الركبات.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢١٥

مصلاها فسلّمت عليه، و كانت أعزّ الناس عليه فردّ السلام و مسح بيده على رأسها فقال لها: يا بنتاه كيف أمسيت رحمك اللّه؟ قالت: بخير، قال: عشّينا رحمك اللّه و قد فعل، فأخذت الجفنة فوضعتها بين يدي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و

آله و سلّم و عليّ عليه السّلام فلمّا نظر عليّ عليه السّلام إلى الطعام و شمّ ريحه رمى فاطمة ببصره رميا شحيحا قالت له فاطمة: يا سبحان اللّه ما أشحّ نظرك و أشدّه هل أذنبت فيما بيني و بينك ذنبا استوجب به منك السخط فقال: و أيّ ذنب أعظم من ذنب أصبته أ ليس عهدي بك اليوم الماضي و أنت تحلفين باللّه مجتهدة ما طعمت طعاما منذ يومين قال: فنظرت إلى السماء و قالت: إلهي يعلم في سمائه و أرضه أنّي لم أقل إلا حقّا فقال لها: يا فاطمة أنّى لك هذا الطعام الّذي لم أنظر إلى مثل لونه و لم أشمّ مثل رائحته قطّ و لم آكل أطيب منه؟ قال: فوضع رسول اللّه

صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كفّه المباركة الطيّبة بين كتفي عليّ عليه السّلام فغمزها ثمّ قال: يا عليّ هذا بدل من دينارك، هذا جزاء دينارك من عند اللّه إنّ اللّه يرزق من يشاء بغير حساب، ثمّ استعبر النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم باكيا ثمّ قال: الحمد للّه الّذي أبي لكما أن تخرجا من الدّنيا حتّى يجريك يا عليّ مجرى زكريّا و يجري فاطمة مجرى مريم بنت عمران».

ذكر طرف من أخلاق الامام الثاني أبي محمد الحسن بن علىّ عليهما السلام و صفاته و كراماته

كان عليه السّلام أشبه النّاس برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خلقا و هديا [١] و سؤددا.

و عن أنس بن مالك قال: لم يكن أحد أشبه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الحسن بن عليّ عليهما السّلام.

و روي أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال:«كان الحسن بن عليّ أشبه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما بين الصدر إلى الرأس، و الحسين أشبه فيما كان أسفل من ذلك».

و رويأنّ فاطمة عليها السّلام أتت بابنيها الحسن و الحسين عليهما السّلام إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في شكواه الّتي توفّي فيها فقالت: يا رسول اللّه هذان ابناك فورّثهما شيئا

---

[١] الهدى: السيرة و السؤدد: الشرف و المجد.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢١٦

فقال: أمّا الحسن فإنّ له هديي و سؤددي، و أمّا الحسين فإنّ له جودي و شجاعتي».

و رواه الجنابذيّ«أمّا الحسن فله هيبتي و سؤددي، و أمّا الحسين فله جرأتي و جوديّ».

و روى سعيد بن عبد العزيز قال: إنّ الحسن عليه السّلام سمع رجلا يسأل ربّه تعالى أن يرزقه عشرة

آلاف درهم، فانصرف الحسن عليه السّلام إلى منزله فبعث بها إليه.

و روىأنّ رجلا جاء إليه و سأله حاجة فقال له: يا هذا حقّ سؤالك يعظم لديّ، و معرفتي بما يجب لك تكبر لديّ، و يدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله و الكثير في ذات اللّه عزّ و جلّ قليل و ما في ملكي وفاء لشكرك، فإن قبلت الميسور و رفعت عنّي مئونة الاحتفال و الاهتمام لما أتكلّفه من واجبك فعلت، فقال: يا ابن رسول اللّه أقبل القليل و أشكر العطيّة و أعذر على المنع، فدعا الحسن عليه السّلام وكيله و جعل يحاسبه على نفقاته حتّى استقصاها، فقال: هات الفاضل من الثلاثمائة ألف درهم فأحضر

خمسين ألفا، قال: فما فعل الخمسمائة دينار؟ قال: هي عندي قال:

أحضرها فأحضرها فدفع الدّراهم و الدنانير إلى الرّجل، و قال: هات من يحملها لك فأتاه بحمّالين فدفع الحسن عليه السّلام إليه رداءه لكرى الحمّالين، فقال مواليه: و اللّه ما بقي عندها درهم، فقال: لكنّي أرجو أن يكون لي عند اللّه أجر عظيم».

و روى أبو الحسن المدائني قال: خرج الحسن و الحسين و عبد اللّه بن جعفر حجّاجا ففاتهم أثقالهم فجاعوا و عطشوا فمرّوا بعجوز في خباء لها،فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم فأناخوا بها و ليس لها إلا شويهة في كسر الخيمة، فقالت:

احلبوها و امتذقوا لبنها، ففعلوا ذلك و قالوا لها: هل من طعام قالت: لا إلا هذه الشاة، فليذبحنّها أحدكم حتّى اهيّئ لكم شيئا تأكلون فقام إليها أحدهم فذبحها و كشطها ثمّ هيّأت لهم طعاما فأكلوا، ثمّ أقاموا حتّى أبردوا، فلمّا ارتحلوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمّي بنا فإنّا صانعون

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢١٧

إليك خيرا، ثمّ ارتحلوا

و أقبل زوجها و أخبرته عن القوم و الشاة فغضب الرّجل و قال: ويحك أ تذبحين شاتي لأقوام لا تعرفينهم، ثمّ تقولين نفر من قريش، ثمّ بعد مدّة

ألجأتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها و جعلا ينقلان البعر إليها فيبيعانه و يعيشان منه،فمرّت العجوز في بعض سلك المدينة فإذا الحسن عليه السّلام على باب داره جالس فعرف العجوز و هي له منكرة، فبعث غلامه فردّها و قال لها: يا أمة اللّه أ تعرفيني؟ قالت: لا، قال: أنا ضيفك يوم كذا و كذا فقالت العجوز: بأبي أنت و امّي لست أعرفك، فقال: فإن لم تعرفيني فأنا أعرفك، فأمر الحسن عليه السّلام فاشتري لها من شاء الصدقة ألف شاة، و أمر لها بألف دينار و بعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين عليه السّلام فقال: بكم وصلك أخي الحسن؟ فقالت: بألف

دينار، و ألف شاة، فأمر لها بمثل ذلك، ثمّ بعث بها مع غلامه إلى عبد اللّه بن جعفر فقال: بكم وصلك الحسن و الحسين عليهما السّلام؟ قالت: بألفي دينار و ألفي شاة، فأمر لها عبد اللّه بألفي دينار و ألفي شاة، و قال: لو بدأت بي لا تعبتهما، و رجعت العجوز إلى زوجها بذلك.

وروي أنّ عائشة قالت:دخل رجل من أهل الشام المدينة فرأى رجلا راكبا بغلة حسنة قال: لم أر أحسن منه، فمال قلبي إليه فسألت عنه فقيل لي: إنّه الحسن ابن عليّ بن أبي طالب، فامتلأ قلبي غيظا و حنقا و حسدا أن يكون لعليّ ولد مثله فقمت إليه فقلت: أنت ابن أبي

طالب؟ فقال: أنا ابنه. فقلت: أنت ابن من و من و من و جعلت أشتمه و أنال منه و من أبيه و هو ساكت حتّى استحيت منه فلمّا انقضى كلامي ضحك و قال: أحسبك غريبا شاميّا، فقلت: أجل، فقال: فمل معي إن احتجت إلى منزل أنزلناك و إلى مال أرفدناك و إلى حاجة عاونّاك، فاستحييت منه و تعجّبت من كرم أخلاقه فانصرفت و قد صرت أحبّه ما لا أحبّ أحدا غيره.

و عن محمّد بن عليّ قال: «قال الحسن عليه السّلام:إنّي لاستحيي من ربّي أن ألقاه و لم أمش إلى بيته فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجليه».

البيضاء ج : ٤ ص : ٢١٨

و عن أبي نجيح أنّ الحسن بن عليّ عليهما السّلام حجّ ماشيا، و قسّم ماله نصفين.

و عن شهاب بن أبي عامر أنّ الحسن بن عليّ عليهما السّلام قاسم اللّه ماله مرّتين حتّى تصدّق بفرد نعله.

و عن عليّ بن زيد بن جذعان قال: خرج الحسن بن عليّ عليهما السّلام عن ماله مرّتين و قاسم اللّه ثلاث مرّات حتّى أنّه كان يعطي من ماله نعلا و يمسك نعلا و يعطي خفّا و يمسك خفّا.

و عن ابن سيرين قال: تزوّج الحسن بن عليّ عليهما السّلام امرأة فأرسل

إليها بمائة جارية مع كلّ جارية ألف درهم.

و عن الحسن بن سعيد عن أبيه قال: متّع الحسن بن عليّ امرأتين بعشرين ألفا و زقاق من عسل، فقالت أحدهما و أراها الحنفيّة: متاع قليل من حبيب مفارق.

و سئل عليه السّلام عن البخل فقال: «هو أن يرى الرّجل ما أنفقه تلفا و ما أمسكه شرفا».

و أتاه رجل فقال: «إنّ فلانا يقع فيك؟ فقال: ألقيتني في تعب أريد الآن أن أستغفر اللّه لي و له».

و قال كما الدّين بن طلحة: و نقل «أنّه عليه السّلام اغتسل و خرج من داره في حلّة فاخرة، و بزّة ظاهرة، و محاسن سافرة، و قسمات

ناضرة، و نفحات ناشرة، و وجهه يشرق حسنا، و شكله قد كمل صورة و معنى، و الإقبال يلوح من أعطافه، و نضرة النعيم تعرف من أطرافه، و قاضي القدر قد حكم أنّ السعادة من أوصافه، ثمّ ركب بغلة فارهة [١] غير قطوف، و سار مكتنفا من حاشيته و غاشيته بصفوف،

---

[١] أى سريع السير. و قطف الفرس قطوفا ضاق مشيه و أبطأ.

فلو شاهده عبد مناف لأرغم بمفاخرته به معاطس انوف، و عدّه أباه و جدّه في إحراز خصل الفخار يوم التفاخر بالوف، فعرض له في طريقه من محاويج اليهود همّ في [١] هدم قد أنهكته العلّة و ارتكبته الذّلّة و أهلكته القلّة و جلده يستر عظامه، و ضعفه يقيّد أقدامه، و ضرّه قد ملك زمامه، و سوء حاله قد حبّب إليه حمامه، و شمس الظهيرة يشوي شواه، و أخمصه تصافح ثرى ممشاه، و غداف عرعريه [٢] قد عراه، و طول طواه قد أضعف بطنه و طواه، و هو حامل جرّ مملوء و ماء على مطاه [٣] و حاله يعطف عليه القلوب القاسية عند مراه،فاستوقف الحسن

عليه السّلام و قال:يا ابن رسول اللّه أنصفني فقال عليه السّلام: في أيّ شيء؟ فقال: جدّك يقول: «الدّنيا سجن المؤمن و جنّة الكافر» و أنت مؤمن و أنا كافر فما أرى الدنيا إلا جنّة لك تتنعّم فيها و تستلذّ بها و ما اريها إلا سجنا لي قد أهلكني ضرّها و أتلفني فقرها، فلمّا سمع الحسن عليه السّلام كلامه أشرق عليه نور التأييد و استخرج الجواب بفهمه من خزانة علمه و أوضح لليهودي خطأ ظنّه و خطل زعمه و قال: يا شيخ لو نظرت إلى ما أعدّ اللّه تعالى لي و للمؤمنين في الدّار الآخرة ممّا لا عين رأت و لا أذن سمعت لعلمت أنّي قبل انتقالي إليه في هذه الدّنيا في سجن ضنك، و لو نظرت إلى

ما أعدّ اللّه لك و لكلّ كافر في الدّار الآخرة من سعير نار الجحيم و نكال العذاب المقيم لرأيت أنّك قبل مصيرك إليه الآن في جنّة واسعة و نعمة جامعة».

نقلت هذه كلّها من كتاب كشف الغمّة.

فصل و اما كراماته

عليه السّلامفقد روي في الكافي بإسناده عن حبابة الوالبيّة قالت:

---

[١] الهم - بشد الميم -: الشيخ الفانى، و الهدم - بسكون الدال - بمعناه.

[٢] الغداف: الشعر الطويل، و عرعرة كل شيء - بالضم -: رأسه و أعلاه.

[٣] طواه في الأول بضم الطاء اى البطن و في الثاني بفتحها من طوى يطوى طيا الثوب: نقيض نشره. و «مطاه» أى ظهره.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٢٠

رأيت أمير المؤمنين عليه السّلام في شرطة الخميس [١] - إلى أن قالت - فقلت له: يا أمير المؤمنين ما دلالة الإمامة يرحمك اللّه، قالت: فقال: ائتيني بتلك الحصاة و أشار بيده إلى حصاة فأتيته بها فطبع لي فيها بخاتمه، ثمّ قال لي: يا حبابة إذا ادّعى مدّع الإمامة فقدر أن

يطبع كما رأيت فأعلمي أنّه إمام مفترض الطاعة، و الإمام لا يعزب عنه شيء يريده، قالت: ثمّ انصرفت حتّى قبض أمير المؤمنين عليه السّلام، فجئت إلى الحسن عليه السّلام و هو في مجلس أمير المؤمنين عليه السّلام و الناس يسألونه فقال: يا حبابة الوالبيّة، فقلت: نعم يا مولاي، فقال: هاتي ما معك، قالت: فأعطيته فطبع لي فيها كما طبع أمير المؤمنين عليه السّلام قالت: ثمّ أتيت الحسين عليه السّلام و هو في مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقرّب و رحّب ثمّ قال لي: إنّ في الدلالة دليلا على ما تريدين أ فتريدين دلالة الإمامة؟ فقلت: نعم يا سيّدي، فقال:

هاتي ما معك، فناولته الحصاة فطبع لي فيها، قالت: ثمّ أتيت عليّ بن الحسين عليهما السّلام و قد بلغ بي الكبر إلى أن أرعشت و أنا أعدّ يومئذ مائة و ثلاثة عشرة سنة فرأيته راكعا و ساجدا و مشغولا بالعبادة فيئست من الدّلالة فأومأ إليّ بالسبّابة فعاد إليّ شبابي، قالت: فقلت: يا سيّدي كم مضى من الدّنيا و كم بقي؟ فقال: أمّا ما مضى فنعم و أمّا ما بقي فلا، قالت: ثمّ قال لي: هاتي ما معك، فأعطيته الحصاة فطبع لي فيها، ثمّ أتيت أبا جعفر عليه السّلام فطبع لي فيها، ثمّ أتيت أبا عبد اللّه عليه السّلام فطبع لي فيها، ثمّ أتيت أبا الحسن موسى عليه السّلام فطبع لي فيها،

ثمّ أتيت الرّضا عليه السّلام فطبع لي فيها، و عاشت حبابة بعد ذلك تسعة أشهر على ما ذكر محمّد بن هشام».

و باسناده عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«خرج الحسن بن عليّ إلى مكّة سنة ماشيا فورمت قدماه فقال له بعض مواليه: لو ركبت ليسكن عنك هذا الورم فقال:

كلا إذا أتينا هذا المنزل فانّه يستقبلك أسود و معه دهن فاشتر منه و لا تماكسه فقال له مولاه: بأبي أنت و امّي ما قدّامنا منزلا فيه أحد يبيع هذا الدواء، قال: بلى إنّه أمامك دون المنزل فسارا ميلا فإذا هو بالأسود فقال الحسن بن عليّ عليهما السّلام لمولاه: دونك

[١] الخميس: الجيش.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٢١

الرّجل فخذ منه الدّهن و أعطه الثمن فقال الأسود: يا غلام لمن أردت هذا الدّهن؟ فقال: للحسن بن عليّ عليهما السّلام فقال: انطلق بي إليه فانطلق فأدخله عليه فقال له: بأبي أنت و امّي لم أعلم أنّك تحتاج إلى هذا أو ترى ذلك و لست آخذ له ثمنا إنّما أنا مولاك و لكن ادع اللّه لي أن يرزقني ولدا ذكرا سويّا يحبّكم أهل البيت فإنّي خلّفت أهلي

تمخض فقال: انطلق إلى منزلك فقد وهب اللّه لك ذكرا سويّا و هو من شيعتنا».

و بإسناده عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«خرج الحسن بن عليّ عليهما السّلام في بعض عمره و معه رجل من ولد الزّبير كان يقول بإمامته فنزلوا منهلا تحت نخل يابس ففرش للحسن عليه السّلام تحت نخلة و للزبيري تحت أخرى، فقال الزبيري: لو كان في هذه النخيل رطبا لأكلنا منه، فقال له الحسن عليه السّلام: و إنّك لتشتهي الرّطب؟ فقال الزبيري: نعم، فرفع يده إلى السماء فدعا بكلام لم أفهمه فاخضرّت النخلة، ثمّ صارت إلى حالها، و أورقت و حملت رطبا،

فقال الجمال الّذي اكتروا منه: سحر و اللّه، فقال له الحسن عليه السّلام: ويلك ليس بسحر و لكن دعوة ابن نبيّ مستجابة، فصعدوا و صرموا ما كان في النخلة و كفاهم».

فصل و أمّا خلقته عليه السّلام

ففي كشف الغمّة عن أحمد بن محمّد بن أيّوب المغيري قال: كان الحسن بن عليّ عليهما السّلام أبيض مشربا حمرة، أدعج العينين، سهل الخدّين، دقيق المسربة، كثّ اللّحية، ذا وفرة، كان عنقه إبريق فضّة، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، ربعة ليس بالطويل و لا القصير، مليحا، من أحسن الناس

وجها، و كان يخضب بالسواد، و كان جعد الشعر، حسن البدن.

و من كتاب الآل لابن خالويه اللّغوي [١] مرفوعا إلي عقبة بن عامر قال:

---

[١] ابن خالويه هو أبو عبد اللّه الحسين بن أحمد بن خالويه النحوى اللغوى، شيخ جليل اديب شاعر متبحر من فضلاء الإمامية و العارفين بالعربية، اصله من همذان و لكنه دخل بغداد و أدرك جلة العلماء بها و استفاد من اعيانهم كالانبارى و ابن عمر الزاهد و ابن دريد و السيرافى، انتقل إلى الشام و

استوطن حلب و توفى بها سنة.
٣٧ قال النجاشي: كان عارفا بمذهبنا و له كتب منها كتاب الآل المذكور ثم ذكر أنه يرويه عن القاضي أبي الحسين النصيبي الذي قرء الكتاب على مصنفه. و ترجمه السيوطي في بغية الوعاة و ذكر تصانيفه غير كتاب الآل. و قال اليافعى في مرآة الجنان في حوادث سنة ٣٧٠ في وصف كتاب الال: انه صدر بمعانى الال ثم قسمه خمسة و عشرين قسما ثم ذكر الأئمة الاثنى عشر من آل محمد و تاريخ مواليدهم و وفياتهم و أسماء آبائهم و أمهاتهم. و ذكر ابن خلكان قريبا منه.

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٢٢

قال: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«قالت الجنّة: يا ربّ أ ليس قد وعدتني أن تسكنني ركنا من أركانك؟ قال: فأوحى إليها أ ما ترضين أنّي زيّنتك بالحسن و الحسين، فأقبلت تميس كما تميس العروس».

و من كتاب الآل عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«حسن و حسين سيّدا شباب أهل الجنّة، من أحبّهما أحبّني، و من أبغضهما أبغضني».

و عن جابر قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة من أهلي قد

أحبّهم اللّه و أمرني بحبّهم عليّ بن أبي طالب و الحسن و الحسين و المهديّ الّذي يصلّي خلفه عيسى ابن مريم».

و الأخبار في فضائله و مناقبه و منزلته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و محبّته له أكثر من أن تحصى، و أشهر من أن تخفى، و ليس هنا موضع ذكرها.

ذكر طرف من أخلاق الإمام الثالث أبي عبد اللّه الحسين بن علىّ عليهما السّلام و صفاته و كراماته

قد تقدّم في أخبار أبيه و أخيه عليهم السّلام ما هو قسيمهما فيه فما افترعا غارب مجد إلا افترعه، و لا جمعا شمل سؤدد إلا جمعه، و

لا نالا رتبة علاء إلا نالها، و لا طالا هضبة

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٢٣

عزّ إلا طالها [١].

و في كشف الغمّة عن يعلى بن مرّة قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:«حسين منّي و أنا من حسين، أحبّ اللّه من أحبّ حسينا، حسين سبط من الأسباط».

و عن الصادق عليه السّلام قال:«اصطرع الحسن و الحسين عليهما السّلام بين يدي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إيها حسن خذ حسينا، فقالت

فاطمة: يا رسول اللّه أ تستنهض الكبير على الصغير؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: هذا جبرئيل يقول للحسين إيها حسين خذ الحسن».

قال ابن طلحة: و قد اشتهر النقل عنه صلوات اللّه عليه أنّه كان يكرم الضيف، و يمنح الطالب، و يصل الرّحم، و ينيل الفقير، و يسعف السائل، و يكسو العاريّ و يشبع الجائع، و يعطي الغارم، و يشدّ من الضعيف، و يشفق على اليتيم، و يعين ذا الحاجة، و قلّ أن وصله مال إلا فرّقه.

و نقل أنّ معاوية لمّا قدم مكّة وصله بمال كثير و ثياب وافرة و كسوات وافية فردّ الجميع عليه و لم

يقبله منه، و هذا سجيّة الجواد و شنشنة الكريم [٢]، و سمة ذي السماحة، و صفة من قد حوى مكارم الأخلاق، فأفعاله المتلوّة شاهدة له بصفة الكرم، ناطقة بأنّه متّصف بمحاسن الشيم، و قد كان في العبادة مقتديا بمن تقدّم حتّى نقل أنّه عليه السّلام حجّ خمسا و عشرين حجّة إلى الحرم و نجائبه تقاد معه و هو ماش على القدم.

و قال عليّ بن عيسى - رحمه اللّه -: اعلم أيّدك اللّه بتوفيقه و هداك إلى سبيله و طريقه أنّ الكرم كلمة جامعة لأخلاق محمودة، تقول: كريم الأصل، كريم

---

[١] الهضبة: الجبل المنبسط على وجه الأرض، و قيل الجبل الطويل الممتنع المنفرد، و ما ارتفع من الأرض، و رجل هضبة اى كثير الكلام.

[٢] الشنشنة – بالكسر –: الخلق و الطبيعة.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٢٤

النفس، كريم البيت، كريم المنصب، إلى غير ذلك من صفات الشرف و يقابله اللّؤم فإنّه جامع لمساوي الأخلاق تقول: لئيم الأصل و النفس و البيت و غيرها.

و إذا عرفت هذا فاعلم أنّ الكرم الّذي الجود من أنواعه كامل في هؤلاء القوم ثابت لهم، محقّق فيهم، متعيّن لهم، و لا يعدوهم، و لا يفارق أفعالهم و أقوالهم، بل هو لهم على الحقيقة، و في غيرهم كالمجاز، و لهذا لم ينسب الشحّ إلى أحد من بني هاشم، و لا نقل عنهم، لأنّهم يجارون الغيوث سماحة، و يبارون اللّيوث حماسة، و يعدلون الجبال حلما و رجاحة، فهم البحور الزّاخرة، و السحب الهامية الهامرة،

فما كان من خير أتوه فإنّما توارثه آباء آبائهم

قبلو لهذاقال عليّ عليه السّلامو قد سئل عن بني هاشم و بني أميّة

فقال: «نحن أمجد و أنجد و أجود، و هم أغدر و أمكر و أنكر».

و لقد صدق عليه السّلام فإنّ الّذي ظهر من القبيلتين في طول الوقت دالّ على ما قاله عليه السّلام، و لا ريب أنّ الأخلاق تظهر على طول الأيّام، و هذه الأخلاق الكريمة اتّخذوها شريعة و جعلوها إلى بلوغ غايات الشرف ذريعة لشرف فروعهم و اصولهم و ثبات عقولهم، لأنّهم لا يشيبون مجدهم بما يصمه، و لا يشوّهون وجوه سيادتهم بما يخلقها، و لأنّهم مقتدى الأئمّة، و رءوس هذه الملّة، و سروات الناس و سادات العرب، و خلاصة بني آدم، و ملوك الدّنيا و الهداة إلى الآخرة، و حجّة اللّه على عباده، و امناؤه

على بلاده، فلا بدّ أن تكون علامات الخير فيهم ظاهرة، و سمات الجلال بادية باهرة، و أمثال الكرم العام سائرة، و أنّ كلّ متّصف بالجود من بعدهم بهم اقتدى، و على منوالهم نسج، و بهم اهتدى، و كيف لا يجود بالمال من يجود بنفسه النفيسة في مواطن النزال، و كيف لا يسمح بالعاجل من همّته في الآجل، و لا ريب عند العقلاء أنّ من جاد بنفسه في القتال فهو بالمال أجود، و من زهد في الحياة المحبوبة فهو في الحطام الفاني أزهد، و قد عرفت زهدهم فاعرف به رفدهم، فإنّ الزاهد من زهد في حطامها، و خاف من آثامها، و رغب عن حلالها و حرامها، و لعلّك

سمعت بما أتى فيهل أتى ٧٦:
١من إيثارهم على أنفسهم، أليسوا
هم الّذين أطعموا الطعام

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٢٥

على حبّه، و رغب كلّ واحد منهم في الطوى لإرضاء ربّه، و عرضوا تلك الأنفس الكريمة لمرارة الجوع، و أسهروا تلك العيون الشريفة من الخوى فلم تذق حلاوة الهجوع [١] و جعلوها لما وجدوه من الرقّة على المسكين و اليتيم و الأسير غرقى من الدّموع، و تكرّر عليهم ألم فقد الغذاء غدوّا و بكورا، و أضرم السغب في قلوب أهل الجنّة سعيرا، و أمنوا حين قالوا:إنا نخاف من ربّنا يوما عبوسا قمطريرا، فوقيهم اللّه

شرّ ذلك اليوم و لقّاهم نضرةً و سرورا ٧٦: ١٠ – ١١و شكرهم من أنعموا عليه فقالوا:إنّما نطعمكم لوجه اللّه لا نريد منكم جزاءً و لا شكورا ٧٦: ٩.

و الحسين عليه السّلام و إن كان فرعا للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عليّ و فاطمة عليهما السّلام فهو أصل لولده من بعده و كلّهم جواد كرام.

كرموا و جاد قبيلهم من قبلهم و بنوهم من بعدهم كرماء

فالناس أرض في السماحة و الندى و هم إذا عدّ الكرام سماء

لو أنصفوا كانوا لآدم

وحدهم و تفرّدت بولادهم

حوّاءو قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد جاءته أمّ هانئ يوم الفتح تشكو أخاها عليّا عليه السّلام:

للّه درّ أبي طالب لو ولد الناس كلّهم كانوا شجعانا،و كان عليّ عليه السّلام يقول في بعض حروبه:«أملكوا عنّي هذين الغلامين فإنّي أنفس بهما على القتل لئلا ينقطع نسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم».

و قيل لمحمّد بن الحنفيّة - رضي اللّه عنه -: أبوك يسمح بك في الحرب و يشحّ بالحسن و الحسين عليهما السّلام فقال: هما عيناه و

أنا يده و الإنسان يقي عينيه بيده و قال مرّة أخرى و قد قيل له ذلك: أنا ولده و هما ولدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و الحماسة و السماحة رضيعتا لبان و قد تلازما في الجود فهما توأمان، و الجواد شجاع و الشجاع جواد.

قال: و شجاعة الحسين عليه السّلام يضرب بها المثل و صبره في مأقط الحراب [٢]

---

[١] الخوى: خلو الجوف من الطعام، و هجع جوعه هجعا فهجع جوعه هجوعا اى كسره فانكسر.

[٢] المأقط موضع القتال و قيل: المضيق في الحرب لأنهم يختلطون فيه، جمعه مآقط.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٢٦

أعجز الأواخر و الأول، و ثباته إذا دعيت نزال ثبات الجبل، و إقدامه إذا ضاق المجال اقدام الأجل، و مقامه في مقابلة هؤلاء الفجرة عادل مقام جدّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ببدر فاعتدل، و صبره على كثرة أعدائه و قلّة أنصاره صبر أبيه عليه السّلام في صفّين و الجمل، و مشرب العداوة واحد فبفعل الأوّل فعل الآخر ما فعل، فكم من فارس مدلّ ببأسه جدّ له عليه السّلام فانجدل، و كم من بطل طلّ [١]

دمه فبطل، و كم حكّم سيفه فحكم في الهوادي و القلل، فما لاقى شجاعا إلا و كان لامّه الهبل، و حشرهم اللّه و جازى كلا بما قدّم من العمل.

و قال في علمه عليه السّلام: و قد حلّى الحسين عليه السّلام من هذا البيت الشريف في أوجه و يفاعه [٢] و علا محلّه فيه علوّا تطأمنت النجوم [٣] عن ارتفاعه، و اطّلع بصفاء سرّه على غوامض المعارف، فكشفت له الحقايق عند اطّلاعه، و سار صيته بالفواضل و الفضائل فاستوى الصديق و العدوّ في استماعه، فلمّا اقتسمت غنائم المجد حصل على صفاياه و مرباعه [٤] فقد اجتمع فيه و في أخيه عليهما

السّلام من خلال الفضل ما لا خلاف في اجتماعه، و كيف لا يكونان كذلك و هما ابنا فاطمة و عليّ عليه السّلام بلا فصل و سبطا النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأكرم بالفرع و الأصل و السيّدان الامامان قاما أو قعدا فقد استوليا على الأمد و حاز الخصل، و الحسين عليه السّلام هو الّذي أرضى غرب السنان وحدّ النصل، و غادر جثث الأعداء فرائس الكواسب بالهبر و الفصل [٥].

فصل

و في كشف الغمّةلمّا قتل معاوية حجر بن عديّ (ره) و أصحابه لقي في ذلك

---

[١] طل دمه: هدره.

[٢] اليفاع: التل المشرف او كل ما ارتفع من الأرض.

[٣] أى انخفضت.

[٤] المرباع - كمكيال - ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الزعيم في الجاهلية.

[٥] غرب السنان: حده، و غادره اى تركه اعراضا، و الفرائس جمع فريسة و هي ما تفترسه الاسد، و الكواسب جمع كاسبة، و الهبر: القطع وزنا و معنى.

العامّ الحسين عليه السّلام فقال: يا أبا عبد اللّه هل بلغك ما صنعت بحجر و أصحابه من شيعة أبيك؟ قال: لا قال: إنّا قتلناهم و كفّناهم و صلّينا عليهم، فضحك الحسين عليه السّلام ثمّ قال: خصمك القوم يوم القيامة يا معاوية أما و اللّه لو ولينا مثلها من شيعتك ما كفنّاهم و لا صلّينا عليهم، و قد بلغني وقوعك في أبي حسن و قيامك به و اعتراضك بني هاشم بالعيوب و أيم اللّه لقد أوترت غير قوسك، و رميت غير غرضك و تناولتها بالعداوة من مكان قريب و لقد أطعت امرءا ما قدّم إيمانه و لا حدث نفاقه، و ما نظر لك فانظر لنفسك أو دع – يريد عمرو بن العاص –.

قال أنس:كنت عند الحسين عليه السّلام فدخلت عليه جارية فحيّته بطاقة ريحان:

فقال لها: أنت حرّة لوجه اللّه، فقلت: تحيّتك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها؟ فقال: كذلك: أدّبنا اللّه، قال:و إذا حيّيتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها ٤: ٨٦و كان أحسن منها عتقها.

و قال يوما لأخيه الحسن عليهما السّلام:يا حسن وددت أنّ لسانك لي و قلبي لك.

و كتب إليه الحسن عليه السّلام يلومه إلى إعطائه الشعراء، فكتب إليه أنت أعلم منّي بأنّ خير المال ما وقى العرض.

فانظر أيّدك اللّه إلى حسن أدبه في قوله: أنت أعلم منّي فإنّ له حظّا من اللّطف تامّا. و نصيبا من الإحسان وافرا، و اللّه أعلم حيث يجعل رسالاته.

و من دعائه عليه السّلام«اللّهمّ لا تستدرجني بالإحسان و لا تؤدّبني بالبلاء»

و هذا دعاء شريف المقاصد، عذب الموارد، و قد جمع بين المعنى الجليل و اللّفظ الجزل القليل، و هم مالكوا الفصاحة حقّا، و غيرهم عابر سبيل.

و دعاه عليه السّلام عبد اللّه بن الزّبير و أصحابه فأكلوا و لم يأكل الحسين عليه السّلام فقيل له: ألا

تأكل؟ فقال: إنّي صائم و لكن تحفة الصّائم، قيل: و ما هي؟ قال: الدهن و المجمر.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٢٨

و جنى له غلام جناية توجب العقاب عليه فأمر به أن يضرب فقال: يا مولايو الكاظمين الغيظ ٣: ١٣٤فقال: خلّوا عنه، فقال: يا مولايو العافين عن الناس ٣: ١٣٤فقال:

قد عفوت عنك، فقال: يا مولايو اللّه يحبّ المحسنين ٣: ١٣٤قال: أنت حرّ لوجه اللّه، و لك ضعف ما كنت أعطيك.

و قال الفرزدقلقيني الحسين عليه السّلام: في منصرفي من الكوفة،

فقال: ما وراءك يا أبا فراس؟ قلت: اصدّقك؟ قال: الصدق أريد، قلت: أمّا القلوب فمعك، و أمّا السيوف فمع بني أميّة و النصر من عند اللّه، قال: ما أراك إلا صدقت، الناس عبيد المال و الدّين لغو على ألسنتهم يحوطونه ما درّت به معايشهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الدّيّانون.

و قال عليه السّلام:«من أتانا لم يعدم خصلة من أربع: آية محكمة و قضيّة عادلة و أخا مستفادا، و مجالسة العلماء».

و قيلكان بينه و بين الحسن عليهما السّلام كلام فقيل له: ادخل على أخيك فهو أكبر منك فقال: إنّي سمعت جدّي صلّى اللّه عليه و

آله و سلّم يقول: أيّما اثنين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضى الآخر كان سابقه إلى الجنّة و أنا أكره أن أسبق أخي الأكبر، فبلغ قوله الحسن عليهما السّلام فأتاه عاجلا.

قال عليّ بن عيسى – رحمه اللّه – : فأنت أيّدك اللّه متى أردت أن تعرف مناقب هؤلاء القوم و مزاياهم، و خلالهم الشريفة و سجاياهم، و تقف على حقيقة فضلهم الجزيل و تطلع من أحوالهم على الجملة و التفصيل و تعلم ما لهم من المكانة بالبرهان و الدّليل فتدبّر كلامهم في مواعظهم و خطبهم و أنحائهم و مقاصدهم و كتبهم تجده مشتملا على المفاخر الّتي جمعوها و

غوارب الشرف الّتي افترعوها، و غرائب المحاسن الّتي سنّوها و شرعوها فإنّ أفعالهم تناسب أقوالهم، و كلّها تشبه أحوالهم، فالاناء ينضح بما فيه،

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٢٩

و الولد بضعة من أبيه، و ليس من يضلّه اللّه كمن يهديه، و لا من أذهب عنه الرّجس و طهّره كمن حار في ليل الباطل فهو أبدا فيه، و الكريم يحذو حذو الكريم، و الشرف الحادث دليل على الشرف القديم، و الأصول لا تخيب، و النجيب ابن النجيب، و ما أشدّ الفرق بين البعيد و القريب، و الأجنبي و النسيب، فالواحد منهم عليهم السّلام يجمع

خلال الجميع، و يدلّ على أهل بيته دلالة الزهر على الرّبيع، و لو اقتصرت على ذكر مناقب أحدهم عليهم السّلام لم آل في حقّ الباقين مقصّرا و لناداني لسان الحال اكتف بما ذكرت فدليل على الّذي لا تراه الّذي ترى، نفّعني اللّه بحبّهم و قد فعل، و ألحقني بتربة أوليائهم و محبّيهم الأول، و أوزعني أن أشكر فضله و إن عظم عن الشكر و جلّ.

فصل و أما كراماته عليه السّلام

فمنهاما رواه في كشف الغمّة عن أمّ سلمة – رضي اللّه عنها – قالت:خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من عندنا ذات ليلة فغاب عنّا طويلا و عاد، و هو

أشعث أغبر، و يده مضمومة، فقلت: يا رسول اللّه مالي أراك أشعث مغبرّا؟ فقال: اسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له: كربلاء فاريت فيه مصرع الحسين ابني، و جماعة من ولدي و أهل بيتي، فلم أزل ألقط دماءهم فها هي في يدي، و بسطها لي فقال:

خذيها فاحتفظي بها فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر فوضعته في قارورة سددت رأسها و احتفظت به، فلمّا خرج الحسين عليه السّلام من مكّة متوجّها إلي العراق كنت أخرج القارورة في كلّ يوم فأشمّها و أنظر إليها و أبكي لمصابه، فلمّا كان اليوم العاشر من المحرّم و هو اليوم

الّذي قتل فيه الحسين عليه السّلام أخرجتها في أوّل النهار و هي بحالها ثمّ عدت إليها في آخر النهار فإذا هي دم عبيط، فصحت في بيتي و بكيت و كظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظة للوقت و اليوم حتّى جاء الناعي ينعاه فحقّق ما رأيت.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٣٠

و روى سالم بن أبي حفصة قال:قال عمر بن سعد للحسين عليه السّلام: يا أبا عبد اللّه إن قبلنا ناسا سفهاء يزعمون أنّي أقتلك، فقال له الحسين عليه السّلام: إنّهم ليسوا بسفهاء لكنّهم حلماء، أما إنّه يقرّ

بعيني أنّك لا تأكل برّ العراق بعدي إلا قليلا.

و روى يوسف بن عبيدة قال: سمعت محمّد بن سيرين يقول: لم تر هذه الحمرة في السماء إلا بعد قتل الحسين عليه السّلام.

و روى سعد الاسكاف قال: قال أبو جعفر محمّد بن عليّ عليهما السّلام:«كان قاتل يحيى بن زكريّا عليهما السّلام ولد زنا، و كان قاتل الحسين بن عليّ عليهما السلام ولد زنا، و لم تحمر السّماء إلا لهما».

و عن سلمى الأنصارية قالت: دخلت على أمّ سلمة زوجة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هي تبكي فقلت: ما يبكيك، قالت: رأيت الآن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و

آله و سلّم في المنام و على رأسه و لحيته التراب، فقلت: مالك يا رسول اللّه؟ قال: قد شهدت قتل الحسين عليه السّلام آنفا.

و عن أنس قال: أتى عبيد اللّه بن زياد برأس الحسين عليه السّلام فجعل في طست فجعل ينكته، و قال في حسنه شيئا، قال أنس: فقلت: و اللّه ما كان أشبههم برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ و كان مخضوبا بالوسمة.

و في رواية الترمذي فجعل يضرب بقضيب في أنفه ثمّ روى عن عمارة بن عميرة قال: لما قتل عبيد اللّه بن زياد و جيء برأسه و رءوس أصحابه و نضّدت في المسجد بالرّحبة فانتهيت إليهم و الناس

يقولون: قد جاءت قد جاءت فإذا حيّة قد جاءت تخلّل الرءوس حتّى جاءت فدخلت في منخر عبيد اللّه، فمكثت هنيئة ثمّ خرجت فذهبت حتّى تغيّبت، ثمّ قالوا: قد جاءت ففعلت ذلك مرارا.

و في هذه موعظة لأولي الأبصار و عجيبة من عجائب هذه الدّار.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٣١

ذكر طرف من أخلاق الامام الرابع أبي محمد على بن الحسين زين العابدين و صفاته و كراماته عليه السّلام

قال ابن طلحة في مناقبه: هذا زين العابدين قدوة الزّاهدين و سيّد المتّقين و إمام المؤمنين، سمته

تشهد أنّه من سلالة رسول اللّه، و سمته تثبت مقام قربه من اللّه زلفا، و ثفناته تسجل بكثرة صلاته و تهجّده، و إعراضه عن متاع الدّنيا ينطق بزهده فيها، درّت له أخلاف التّقوى فتفوقها، و أشرقت لديه أنوار التّأييد فاهتدى بها، و ألفته أوراد العبادة فأنس بصحبتها، و حالفته وظائف الطاعة فتحلّى بحليتها، طالما اتّخذ اللّيل مطيّة فركبها لقطع طريق الآخرة، و ظمأ الهواجر دليلا استرشد به في مسافة المسافرة، و له من الخوارق و الكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة، و ثبت بالآثار المتواترة، و شهد له أنّه من ملوك الآخرة. قال:

و أما لقبه

فكان له ألقاب كثيرة، كلّها تطلق عليه، أشهرها زين العابدين، و سيّد العابدين، الزكّي، و الأمين، و ذو الثفنات، و قيل: كان سبب لقبه بزين العابدين أنّه كان ليلة في محرابه قائما في تهجّده فتمثّل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته، فلم يلتفت إليه فجاء إلى إبهام رجله فالتقمها، فلم يلتفت إليه فألّمه فلم يقطع صلاته فلمّا فرغ منها و قد كشف اللّه له فعلم أنّه شيطان فسبّه و لطمه و قال له: اخسأ يا ملعون، فذهب و قام إلى إتمام ورده فسمع صوتا و لا يرى قائله و هو يقول: أنت زين العابدين – ثلاثا – فظهرت هذه الكلمة و اشتهرت لقبا له عليه السّلام.

و أما مناقبه و مزاياه و صفاته فكثيرة.

فمنها أنّه كان إذا توضّأ للصلاة يصفرّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الّذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم.

و منهاأنّه كان إذا مشى لا يجاوز يده فخذه و لا يخطر بيده، و عليه السكينة

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٣٢

و الخشوع، و إذا قام إلى الصلاة أخذته الرّعدة، فيقول لمن يسأله: أريد أن أقوم بين يدي ربّي و اناجيه فلهذا تأخذني الرّعدة، و وقع الحريق و النّار في البيت الّذي هو فيه، و كان ساجدا في صلاته فجعلوا

يقولون: يا ابن رسول اللّه، يا ابن رسول اللّه النّار النّار، فما رفع رأسه من سجوده حتّى اطفئت، فقيل له: ما الّذي ألهاك عنها؟ فقال: نار الآخرة.

و منهاما نقله سفيان قال:جاء رجل إلى عليّ بن الحسين عليهما السّلام فقال: إنّ فلانا قد وقع فيك و آذاك، قال: فانطلق بنا إليه، فانطلق معه و هو يرى أنّه سينتصر لنفسه، فلمّا أتاه قال له: يا هذا إن كان ما قلته فيّ حقّا فاللّه تعالى يغفره لي، و إن كان ما قلته فيّ باطلا فاللّه يغفره لك.

و كان بينه و بين ابن عمّه الحسن بن الحسن شيء من المنافرة فجاء الحسن إلى عليّ و هو في المسجد

مع أصحابه فما ترك شيئا إلا قاله له من الأذى و هو ساكت ثمّ انصرف الحسنفلمّا كان اللّيل أتاه في منزله فقرع عليه الباب فخرج إليه الحسن فقال له عليّ عليه السّلام: يا أخي إن كنت صادقا فيما قلت فغفر اللّه لي، و إن كنت كاذبا فغفر اللّه لك، و السلام عليك و رحمة اللّه، ثمّ ولّى فأتبعه الحسن و التزمه من خلفه و بكى حتّى رقّ له ثمّ قال له: و اللّه لا عدت إلى أمر تكرهه، فقال له عليّ عليه السّلام:

و أنت في حلّ ممّا قلته.

و منها أنّه لمّا مات عليّ بن الحسين عليهما السّلام وجدوه يقوت

مائة بيت من أهل المدينة كان يحمل إليهم ما يحتاجون إليه.

و قال محمّد بن إسحاق كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلمّا مات عليّ بن الحسين عليهما السّلام فقدوا ما كانوا يؤتون به في اللّيلو قال أبو حمزة الثمالي‌كان زين العابدين عليه السّلام يحمل جراب الخبز على ظهره

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٣٣

باللّيل فيتصدّق به و يقول: «إنّ صدقة السرّ تطفئ غضب الرّبّ».

و لمّا مات عليه السّلام و غسّلوه جعلوا ينظرون إلى آثار في ظهره فقالوا: ما هذا؟ قيل: كان يحمل

جرب الدّقيق على ظهره ليلا و يوصلها إلى فقراء المدينة سرّا.

و قال ابن عائشة: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السرّ حتّى مات عليّ بن الحسين عليهما السّلام.

قال سفيان: أراد عليّ بن الحسين عليهما السّلام الخروج إلى الحجّ، فاتّخذت له سكينة بنت الحسين عليهما السّلام اخته زادا أنفقت عليه ألف درهم فلمّا كان بظهر الحرّة سيّرت ذلك إليه فلم يزل يفرّقه على المساكين.

و قال رجل لسعيد بن المسيّب: ما رأيت رجلا أورع من فلان - لرجل سمّاه - فقال له سعيد: ما رأيت

عليّ بن الحسين عليهما السّلام؟ فقال: لا، قال: ما رأيت أورع منه.

و قال الزّهري: لم أر هاشميّا أفضل من عليّ بن الحسين عليهما السّلام.

و قال أبو حازم كذلك أيضا: ما رأيت هاشميّا أفضل من عليّ بن الحسين عليهما السّلام و ما رأيت أحدا كان أفقه منه.

و قال طاوس:رأيت عليّ بن الحسين عليهما السّلام ساجدا في الحجر فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيّب لأسمعنّ ما يقول، فأصغيت إليه فسمعته يقول: «عبدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك»

فو اللّه ما دعوت بهنّ في كرب إلا كشف اللّه عنّي.

و كان عليه السّلام يصلّي في كلّ يوم و ليلة ألف ركعة، فإذا أصبح سقط مغشيّا عليه، و كانت الرّيح تميله كالسنبلة».

و كان عليه السّلام يوما خارجا فلقيه رجل فسبّه فثارت إليه العبيد و الموالي فقال لهم عليّ: مهلا كفّوا ثمّ أقبل على ذلك الرّجل فقال له: ما ستر اللّه عنك من أمرنا أكثر، أ لك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرّجل فألقى عليه عليّ عليه السّلام خميصة كانت عليه [١]

---

[١] الخميصة: كساء أسود مربع له علمان فان لم يكن معلما فليس بخميصة.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٣٤

و أمر له بألف درهم فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنّك من أولاد الرّسل.

و كان عنده عليه السّلام قوم أضياف، فاستعجل خادما له بشواء كان في التنّور، فأقبل به الخادم مسرعا فسقط السفود منه على رأس بنيّ لعليّ بن الحسين عليهما السّلام تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله، فقال عليّ عليه السّلام للغلام و قد تحيّر الغلام و اضطرب:

أنت حرّ فإنّك لم تعتمده، و أخذ في جهاز ابنه و دفنه.

و دخل على محمّد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل محمّد يبكي، فقال له عليّ عليه السّلام: ما شأنك؟ فقال: عليّ دين، فقال له: كم هو؟ فقال: خمسة عشر ألف دينار، فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: هو عليّ، فالتزمه عنه.

فصل

و في كشف الغمّة عن سعيد بن كلثوم قال:كنت عند الصادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام فذكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام فأطراه و مدحه بما هو أهله، ثمّ قال: «و اللّه ما أكل عليّ بن

أبي طالب عليه السّلام من الدّنيا حراما قطّ حتّى مضى لسبيله، و ما عرض له أمران قطّ هما للّه رضا إلا أخذ بأشدّهما عليه في دينه، و ما نزلت برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نازلة قطّ إلا دعاه ثقة به، و ما أطاق أحد عمل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من هذه الأمّة غيره و إن كان ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنّة و النّار، يرجو ثواب هذه، و يخاف عقاب هذه، و لقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه اللّه عزّ و جلّ و النجاة من النّار ممّا كدّ بيديه، و رشح منه جبينه، و إنّه كان ليقوت أهله بالزّيت و الخلّ و العجوة، و ما كان لباسه إلا

الكرابيس إذا فضل شيء عن يده من كمّه

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٣٥

دعا بالجلم فقصّه، و ما أشبهه من ولده و لا أهل بيته أحد أقرب شبها به في لباسه و فقهه من عليّ بن الحسين عليهما السّلام، و لقد دخل ابنه أبو جعفر عليه السّلام عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد فرآه قد اصفرّ لونه من السهر، و رمصت عيناه [١] من البكاء، و دبرت جبهته، و انخرم أنفه من السجود، و ورمت ساقاه و قدماه من القيام في الصلاة، قال أبو جعفر عليه السّلام: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء فبكيت رحمة

له و إذا هو يفكّر فالتفت إليّ بعد هنيئة من دخولي، و قال: يا بني أعطني بعض تلك الصحف الّتي فيها عبادة عليّ بن أبي طالب فأعطيته فقرأ منها شيئا يسيرا ثمّ تركها من يده تضجّرا، و قال: من يقوي عبادة عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

و عن إبراهيم بن عليّ عن أبيه قال:حججت مع عليّ بن الحسين عليهما السّلام، فالتاثت الناقة عليه في سيرها فأشار إليها بالقضيب ثمّ قال: آه آه لو لا القصاص و ردّ يده عنها.

و بهذا الإسناد قال: حجّ عليّ بن الحسين عليهما السّلام ماشيا فسار عشرين يوما من المدينة إلى مكّة.

و عن زرارة بن أعين قال:سمع سائل في جوف اللّيل و هو يقول: أين الزاهدون في الدّنيا، الرّاغبون في الآخرة؟ فهتف به هاتف من ناحية من البقيع – يسمع صوته و لا يرى شخصه – ذاك عليّ بن الحسين – عليهما السّلام –.

و سكبت عليه الماء جارية ليتوضّأ للصلاة فنعست فسقط الإبريق من يدها فشجّه فرفع رأسه إليها، فقالت له الجارية: إنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:و الكاظمين الغيظ ۳: ۱۳٤قال: كظمت غيظي، قالت:و العافين عن الناس ۳: ۱۳٤قال لها: عفا اللّه عنك، قالت:و اللّه يحبّ المحسنين ۳: ۱۳٤قال: اذهبي فأنت حرّة لوجه اللّه.

---

[١] بالصاد المهملة اى خرجت منها وسخ أبيض. و في اعلام الورى «رمدت عيناه».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٣٦

و رويأنّه عليه السّلام دعا مملوكه مرّتين فلم يجبه، و أجابه في الثالثة فقال له:

يا بنيّ أما سمعت صوتي؟ قال: بلى، قال: فما لك لم تجبني؟ قال: أمنتك، قال:

«الحمد للّه الّذي جعل مملوكي يأمنني».

و عن عبد اللّه بن عطاء قال:أذنب غلام لعليّ بن الحسين عليهما السّلام ذنبا استحقّ به العقوبة فأخذ له السوط و قال:«قل للّذين آمنوا يغفروا للّذين لا يرجون أيّام اللّه»فقال الغلام: و ما أنا كذلك إنّي لأرجو رحمة اللّه و أخاف عذابه، فألقى السّوط و قال: أنت عتيق.

و استطال رجل على عليّ بن الحسين عليهما السّلام فتغافل عنه، فقال له الرجل:

إيّاك أعني، فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: و عنك أغضي».

و سقط له ابن في بئر ففزع أهل المدينة لذلك حتّى أخرجوه، و كان عليهما السّلام قائما يصلّي فما زال عن محرابه، فقيل له في ذلك،

فقال: ما شعرت أنّي كنت اناجي ربّا عظيما.

و كان له عليه السّلام ابن عمّ يأتيه باللّيل متنكّرا فيناوله شيئا من الدّنانير فيقول:

لكن عليّ بن الحسين لا يواصلني لا جزاه اللّه عنّي خيرا، فيسمع ذلك و يحتمله و يصبر عليه و لا يعرفه بنفسه فلمّا مات عليه السّلام فقدها، فحينئذ علم أنّه هو كان فجاء إلى قبره يبكي عليه.

و كان يقال له عليه السّلام: ابن الخيرتين لقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إنّ للّه من عباده خيرتين»

فخيرته من العرب قريش و من العجم فارس، و كانت أمّه بنت كسرى.

و قيل له عليه السّلام:كيف أصبحت؟ قال: «أصبحنا خائفين برسول اللّه، و أصبح جميع أهل الإسلام آمنين به».

و قيل له عليه السّلام:ما بالك إذا سافرت كتمت نسبك أهل الرفقة؟ فقال: أكره

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٣٧

أن آخذ برسول اللّه، ما لا أعطي مثله.

و قال رجل لرجل من آل الزّبير كلاما أقذع [١] فيه فأعرض الزّبيريّ عنه، ثم دار الكلام فسبّ

الزّبيريّ عليّ بن الحسين عليهما السّلام فأعرض عنه و لم يجبه، فقال له الزّبيريّ: ما يمنعك من جوابي؟ فقال عليه السّلام: ما يمنعك من جواب الرجل.

و مات له ابن فلم ير منه جزع، فسئل عن ذلك، فقال: أمر كنّا نتوقّعه فلمّا وقع لم ننكره.

قال طاوس:رأيت رجلا يصلّي في المسجد الحرام تحت الميزاب، يدعو و يبكي في دعائه، فجئته حين فرغ من الصلاة فإذا هو عليّ بن الحسين عليهما السّلام فقلت له: يا ابن رسول اللّه رأيتك على حالة كذا و لك ثلاثة أرجو أن تؤمنك من الخوف أحدها أنّك ابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و

الثاني شفاعة جدّك، و الثالث رحمة اللّه، فقال: يا طاوس أمّا إنّي ابن رسول اللّه فلا يؤمنني، قد سمعت اللّه تعالى يقول:فلا أنساب بينهم يومئذ ٢٣: ١٠١.

و أمّا شفاعة جدّي فلا يؤمنني لأنّ اللّه تعالى يقول:و لا يشفعون إلا لمن ارتضى ٢١: ٢٨.

و أمّا رحمة اللّه فإنّ اللّه يقول: إنّهاقريب من المحسنين ٧: ٥٦و لا أعلم أنّي محسن.

فصل و أمّا كراماته عليه السّلام

ففي كشف الغمّة من كتاب الدّلائل تأليف أبي العباس عبد اللّه بن جعفر الحميريّ قال:دلائل أبي محمّد عليّ بن الحسين عليهما

السّلام كان عليّ بن الحسين عليهما السّلام في سفر و كان يتغدّى و عنده رجل فأقبل غزال في ناحية يتقمّم [٢] و كانوا

---

[١] القذع الخناء و الفحش.

[٢] تقمم المائدة يتتبع ما فيها.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٣٨

يأكلون على سفرة في ذلك الموضع، فقال له عليّ بن الحسين عليهما السّلام: ادن فكل فأنت آمن، فدنى الغزال فأقبل يتقمّم من السّفرة، فقام الرّجل الّذي كان يأكل معه بحصاة فقذف بها ظهره، فنفر الغزال و

مضى، فقال له عليّ بن الحسين عليهما السّلام: أخفرت ذمّتي لا كلّمتك كلمة أبدا.

و منه عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«إنّ أبي خرج إلى ماله و معنا أناس من مواليه و غيرهم فوضعت المائدة لنتغذّى و جاء ظبي و كان منه قريبا، فقال له: يا ظبي أنا عليّ بن الحسين و امّي فاطمة بنت رسول اللّه هلمّ إلى هذا الغذاء، فجاء الظبي حتّى أكل معهم ما شاء اللّه أن يأكل، ثمّ تنحّى الظبي، فقال له بعض غلمانه: ردّه علينا، فقال: نعم لا تخفروا ذمّتي، قالوا: لا، فقال له: يا ظبي أنا عليّ بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب و امّي فاطمة بنت رسول اللّه هلمّ إلى الغذاء و

أنت آمن في ذمّتي فجاء الظبي حتّى قام على المائدة، فأكل معهم فوضع رجل من جلسائه يده على ظهره فنفر الظبي، فقال عليّ بن الحسين: أخفرت ذمّتي لا كلّمتك كلمة أبدا و تلكّأت عليه [١] ناقته بين جبال الرضوي فأناخها ثمّ أراها السوط و القضيب ثمّ قال: لتنطلقنّ أو لأفعلنّ، فانطلقت و ما تلكّأت بعدها.

و منه باسناده قال:بينا عليّ بن الحسين عليهما السّلام جالسا مع أصحابه إذ أقبلت ظبية من الصّحراء حتّى قامت بحذاه و ضربت بذنبها و حمحمت، فقال بعض القوم:

يا ابن رسول اللّه ما يقول هذه الظبية؟ قال: تزعم أنّ فلان بن فلان القرشي أخذ خشفها بالأمس و أنّها لم ترضعه منذ أمس شيئا فوقع في قلب رجل من القوم فأرسل عليّ بن الحسين عليهما السّلام إلى القرشي فأتاه فقال: ما لهذه الظبية تشكوك؟ قال: و ما تقول؟ قال: تقول: إنّك أخذت خشفها بالأمس في وقت كذا و كذا و إنّها لم ترضعه شيئا منذ أخذته و سألتني أن أبعث إليك فأسألك أن تبعث به إليها حتّى ترضعه و تردّه إليك،

---

[١] تلكأ عن الأمر أبطأ و توقف و تلكأ عليه: اعتل.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٣٩

فقال: و الّذي بعث محمّدا بالحقّ لقد صدقت عليّ، قال له: فأرسل إلى الخشف فجيء به، قال: فلمّا جاء به أرسله إليها، فلمّا رأته حمحمت و ضربت بذنبها ثمّ رضع منها، فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام للرّجل: بحقّي عليك إلا و هبته لي، فوهبه له و وهبه عليّ ابن الحسين عليهما السّلام لها و كلّمها بكلامها، فحمحمت و ضربت بذنبها و انطلقت و انطلق الخشف معها، فقالوا: يا ابن رسول اللّه ما الّذي

قالت؟ قال: دعت لكم و جزتكم خيرا.

و منه عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«لمّا كان في اللّيلة الّتي وعد فيها عليّ بن الحسين عليهما السّلام قال لمحمّد: يا بنيّ أبغني وضوءا قال: فقمت فجئته بماء، قال: لا تبغ هذا فإنّ فيه شيئا ميّتا، قال: فخرجت فجئت بالمصباح فإذا فيه فارة ميتة، فجئته بوضوء غيره فقال: يا بنيّ هذه اللّيلة الّتي وعدتها، فأوصى بناقته أن يحطّ عليه خطاما و أن يقام لها علف، فجعلت فيه فلم تلبث أن خرجت حتّى أتت القبر فضربت بجرانها: و رغت و هملت عيناها، فأتى محمّد بن عليّ عليهما السّلام فقيل له: إنّ

الناقة قد خرجت، فجاءها فقال: قومي بارك اللّه فيك، فلم تفعل، فقال: دعوها فإنّها مودّعة، فلم تلبث إلا ثلاثا حتّى نفقت قال: كان يخرج عليها إلى مكّة فيعلّق السّوط بالرّحل فما يقرعها حتّى يدخل المدينة».

و منه عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«لمّا قتل الحسين بن عليّ عليهما السّلام جاء محمّد بن الحنفيّة إلى عليّ بن الحسين عليهما السّلام فقال له: يا ابن أخي أنا عمّك و صنو أبيك و أنا أسنّ منك فأنا أحقّ بالإمامة و الوصيّة، فادفع إليّ سلاح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: يا عمّ اتّق اللّه و لا تدّع ما ليس لك، فإنّي

أخاف عليك نقص العمر و شتات الأمر، فقال له محمّد بن الحنفيّة: أنا أحقّ بهذا الأمر منك، فقال له عليّ بن الحسين عليهما السّلام: يا عمّ فهل لك إلى حاكم نحتكم إليه؟ فقال: و من هو؟ قال: الحجر الأسود، قال: فتحاكما إليه فلمّا وقفا عنده قال له: يا عمّ تكلّم فأنت المطالب، قال: فتكلّم محمّد بن الحنفيّة فلم يجبه، قال: فتقدّم عليّ بن الحسين عليهما السّلام فوضع يده عليه و قال:

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٤٠

«اللّهمّ إنّي أسألك باسمك المكتوب في سرادق البهاء، و أسألك باسمك المكتوب في سرادق الجلال، و

أسألك باسمك المكتوب في سرادق السلطان، و أسألك باسمك المكتوب في سرادق العظمة، و أسألك باسمك المكتوب في سرادق القوّة، و أسألك باسمك المكتوب في سرادق السرائر، و أسألك باسمك الفالق الخبير البصير، ربّ الملائكة الثمانية، و ربّ جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل، و ربّ محمّد خاتم النبيّين لما أنطقت هذا الحجر بلسان عربيّ فصيح يخبر لمن الإمامة و الوصية بعد الحسين بن عليّ، قال: ثمّ أقبل عليّ بن الحسين عليهما السّلام على الحجر فقال: أسألك بالّذي جعل فيك مواثيق العباد و الشهادة لمن وافاك إلا أخبرت لمن الإمامة و الوصيّة بعد الحسين ابن عليّ؟

قال: فتزعزع الحجر حتّى كاد أن يزول من موضعه و تكلّم بلسان عربيّ مبين فصيح يقول: يا محمّد سلّم سلّم إنّ الإمامة و الوصيّة بعد الحسين بن عليّ لعليّ ابن الحسين، قال أبو جعفر عليه السّلام: فرجع محمّد بن الحنفيّة و هو يقول: بأبي عليّ».

و منه عن أبي عبد اللّه عليه السّلام«أنّه التزقت يد رجل و امرأة على الحجر في الطواف و جهد كلّ واحد منهما أن ينزع يده فلم يقدرا عليه و قال الناس: اقطعوهما قال: فبيناهما كذلك إذ دخل عليّ بن الحسين عليهما السّلام فأفرحوا فلمّا عرف أمرهما تقدّم فوضع يده عليهما فانحلا و تفرّقا».

و منه عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«لمّا ولي عبد الملك بن مروان الخلافة كتب إلى الحجّاج بن يوسف: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجّاج بن يوسف أمّا بعد فانظر دماء بني عبد المطّلب و احتقنها و اجتنبها فإنّي رأيت آل أبي سفيان لمّا ولعوا فيها لم يلبثوا إلا قليلا و السلام. قال: و بعث بالكتاب سرّا و ورد الخبر على عليّ بن الحسين عليهما السّلام ساعة كتب الكتاب و بعث به إلى الحجّاج فقيل له: إنّ عبد الملك قد كتب إلى الحجّاج كذا و كذا و إنّ اللّه قد شكر له ذلك و ثبت ملكه و زاده برهة قال: فكتب عليّ بن الحسين

عليهما السّلام: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٤١

إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من عليّ بن الحسين أمّا بعد فإنّك قد كتبت يوم كذا و كذا من ساعة كذا و كذا من شهر كذا و كذا بكذا و كذا، و إنّ رسول اللّه أنبأني و أخبرني أنّ اللّه قد شكر لك ذلك و ثبت ملكك و زادك برهة، و طوى الكتاب و ختمه و أرسل به مع غلام له على بعيره و أمره أن يوصله إلى عبد الملك ساعة يقدم عليه، فلمّا قدم الغلام أوصل الكتاب إلى عبد الملك، فلمّا نظر في تاريخ

الكتاب وجده موافقا لتلك الساعة الّتي كتب فيها إلى الحجّاج فلم يشكّ في صدق عليّ بن الحسين عليهما السّلام و فرح فرحا شديدا و بعث إلى عليّ بن الحسين عليهما السّلام بوقر راحلته دراهم ثوابا لما سرّه من الكتاب».

و منه عن المنهال بن عمرو قال:حججت فدخلت على عليّ بن الحسين عليهما السّلام فقال لي: يا منهال ما فعل حرملة بن كاهل الأسدي؟ قلت: تركته حيّا بالكوفة، قال: فرفع يده ثمّ قال: اللّهمّ أذقه حرّ الحديد، اللّهمّ أذقه حرّ النار، قال:

فانصرفت إلى الكوفة و قد خرج بها المختار بن أبي عبيدة و كان لي

صديقا فركبت لاسلّم عليه فوجدته قد دعا بدابّته و ركبها فركبت معه حتّى أتى الكناسة فوقف وقوف منتظر لشيء و قد كان وجّه في طلب حرملة بن كاهل فاحضر فقال: الحمد للّه الّذي مكّنني منك، ثمّ دعا بالجزّار فقال: اقطعوا يديه فقطعتا، ثمّ قال: اقطعوا رجليه فقطعتا، ثمّ قال: النار النار، فاتي بطنّ قصب [١]، ثمّ جعل فيها، ثمّ ألهبت فيه النار حتّى احترق، فقلت: سبحان اللّه سبحان اللّه، فالتفت إليّ المختار، و قال: ممّ سبّحت؟ فقلت له: دخلت على عليّ بن الحسين عليهما السّلام فسألني عن حرملة فأخبرته أنّي تركته بالكوفة حيّا، فرفع يديه و قال: اللّهمّ أذقه حرّ

الحديد، اللّهمّ أذقه حرّ النار، فقال المختار: اللّه اللّه أسمعت عليّ بن الحسين يقول هذا؟ فقلت: اللّه اللّه لقد سمعته يقول هذا، فنزل المختار و صلّى ركعتين ثمّ أطال، ثمّ سجد فأطال، ثمّ رفع رأسه و ذهب و مضيت معه حتّى انتهى إلى باب داري فقلت له: إن رأيت أن تكرمني بأن تنزل و تتغذّى عندي، فقال: يا منهال: و تخبرني أنّ عليّ بن الحسين عليهما السّلام دعا اللّه

---

[١] الطن - بضم الطاء -: حزمة القصب.

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٤٢

بثلاث دعوات فأجابه اللّه فيها على يديّ، ثمّ تسألني الأكل عندك، هذا يوم صوم شكرا للّه على ما وفّقني له».

و من كتاب المناقب لابن طلحة عن ابن شهاب الزّهريّ أنّه قال:شهدت عليّ بن الحسين عليهما السّلام يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشأم فأثقله حديدا و وكّل به حفّاظا في عدّة و جمع، فاستأذنتهم بالتسليم عليه، و التوديع له فأذنوا لي فدخلت عليه و هو في قبّة و الأقياد في رجليه و الغلّ في يديه فبكيت و قلت:

وددت أنّي أكون في مكانك و أنت سالم فقال لي: يا زهريّ أو تظنّ هذا ممّا ترى عليّ و في عنقي ممّا يكربني أما لو شئت ما كان و انّه إن بلغ بك و بأمثالك غمّ ليذكرنّ عذاب اللّه، ثمّ أخرج يده من الغلّ و رجليه من القيد ثمّ قال: يا زهريّ لا جزت معهم على ذا منزلتين من المدينة، فما لبثنا إلا أربع ليال حتّى قدم الموكّلون به يطلبونه من المدينة فما وجدوه، و كنت فيمن سألهم عنه، فقالوا لي: إنّا نراه متبوعا، إنّه لنازل و نحن حوله لا ننام نرصده إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلا حديدة، قال الزّهريّ: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان فسألني عن عليّ ابن الحسين

عليهما السّلام فأخبرته فقال لي: إنّه جاء في يوم فقده الأعوان فدخل عليّ فقال:

ما أنا و أنت، فقلت: أقم عندي، فقال: لا أحبّ، ثمّ خرج فو اللّه لقد امتلأ ثوبي منه خيفة، قال الزّهريّ: فقلت: يا أمير المؤمنين ليس عليّ بن الحسين حيث تظنّ إنّه مشغول بربّه فقال: حبّذا شغل مثله فنعم ما شغل به، و كان الزّهريّ إذا ذكر عليّ بن الحسين عليهما السّلام يبكي و يقول: زين العابدين.

ذكر طرف من أخلاق الامام الخامس ابي جعفر محمد بن على الباقر عليهما السلام و صفاته و كراماته

قال ابن طلحة: هو باقر العلم و جامعه، و شاهر علمه و رافعه، و متفوّق

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٤٣

درّه و راضعه، و منمّق درّه و راصفه، صفا قلبه، و زكا عمله، و ظهرت نفسه، و شرف أخلاقه، و عمرت بطاعة اللّه أوقاته، و رسخت في مقام التقوى قدمه، و ظهرت عليه سمات الازدلاف [١] و طهارة الاجتباء، فالمناقب تسبق إليه، و الصفات يتشرّف به.

قال: و له ثلاثة ألقاب: باقر العلم، و الشاكر، و الهادي، و أشهرها الباقر، و سمّي به لتبقّره في العلم - و هو توسّعه فيه -.

و أما مناقبه الحميدة و صفاته الجميلة

فكثيرة: منها.

قال أفلح مولى أبي جعفر عليه السّلام:خرجت مع محمّد بن عليّ عليهما السّلام حاجّا فلمّا دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتّى علا صوته فقلت: بأبي و امّي أنت إنّ الناس ينظرون إليك فلو رفقت بصوتك قليلا، فقال لي: ويحك يا أفلح و لم لا أبكي لعلّ اللّه تعالى أن ينظر إليّ منه برحمة فأفوز بها عنده غدا، قال: ثمّ طاف بالبيت ثمّ جاء حتّى ركع عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتلّ من كثرة دموع عينيه، و كان

إذا ضحك قال: اللّهمّ لا تمقتني [٢].

و قال عبد اللّه بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علما منهم عند أبي جعفر عليه السّلام، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه متعلّم.

و روي عنه ولده جعفر عليهما السّلام و قال:كان أبي يقول في جوف اللّيل في تضرّعه:

«أمرتني فلم أئتمر، و نهيتني فلم أنزجر، فها أنا ذا عبدك بين يديك و لا أعتذر».

و قالت سلمى مولاة أبي جعفر عليه السّلام:كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتّى يطعمهم الطعام الطيّب، و يكسوهم الثياب الحسنة، و يهب لهم الدّراهم فأقول

له في ذلك ليقلّ منه، فيقول: يا سلمى ما حسنة الدّنيا إلا صلة الإخوان و المعارف، و كان يجيز بالخمسمائة و الستّمائة إلى الألف، و كان لا يملّ من مجالسة إخوانه.

---

[١] قال الجزري في نهايته: و في حديث الباقر عليه السّلام «ما لك من عيشك الا لذة تزدلف بك إلى حمامك» الى تقربك إلى موتك.

[٢] قوله: «لا تمقتنى» المقت: أشد الغضب.

و قال الأسود بن كثير:شكوت إلى أبي جعفر عليه السّلام الحاجة و جفاء الإخوان فقال: بئس الأخ أخ يرعاك غنيّا و يقطعك فقيرا، ثمّ أمر غلامه فأخرج كيسا فيه سبعمائة درهم فقال: استنفق هذه فإذا فرغت فأعلمني، و قال: «اعرف المودّة لك في قلب أخيك بما له في قلبك».

و نقل عن أبي الزّبير محمّد بن مسلم المكّي أنّه قال:كنّا عند جابر بن عبد اللّه فأتاه عليّ بن الحسين عليهما السّلام و معه ابنه محمّد و هو صبيّ فقال عليّ لابنه: قبّل رأس عمّك فدنا محمّد من جابر فقبّل رأسه فقال جابر: من هذا؟ و كان قد كفّ بصره، فقال له عليّ: هذا ابني محمّد فضمّه جابر إليه، و

قال: يا محمّد، محمّد رسول اللّه يقرأ عليك السلام فقالوا لجابر: كيف ذلك يا أبا عبد اللّه؟ قال: كنت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الحسين عليه السّلام في حجره و هو يلاعبه فقال: يا جابر يولد لابني الحسين ابن يقال له: عليّ إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيّد العابدين فيقوم عليّ بن الحسين، و يولد لعليّ ابن يقال له: محمّد يا جابر إن لقيته فأقرئه منّي السلام و اعلم أنّ بقاءك بعد رؤيته يسير، فلم يعش بعد ذلك إلا قليلا و مات. و هذه و إن كانت منقبة واحدة فهي عظيمة تعادل جملا من المناقب.

أقول: و حديث جابر هذا قد رواه غير واحد من العامّة و الخاصّة بألفاظ متقاربة.

و في إرشاد المفيد عن عمر بن دينار و عبد اللّه بن عبيد بن عمير أنّهما قالا:ما لقينا أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهما السّلام إلا و حمل إلينا النفقة و الكسوة و الصدقة يقول:

هذه معدّة لكم قبل أن تلقوني.

و عن سليمان بن قرم قال: كان أبو جعفر محمّد بن عليّ عليهما السّلام يجيزنا بالخمسمائة درهم إلى الستّمائة درهم إلى الألف درهم، و كان لا يملّ من صلة إخوانه و قاصديه و مؤمّليه و راجيه.

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٤٥

و عنه عليه السّلام‌أنّه سئل عن الحديث يرسله و لا يسنده، فقال: «إذا حدّثتكم بالحديث فلم أسنده فسندي فيه أبي عن أبيه عن جدّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن جبرئيل عليه السّلام عن اللّه تعالى».

و كان عليه السّلام يقول:«بليّة الناس علينا عظيمة، إن دعوناهم لم يستجيبوا، و إن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا».

و كان عليه السّلام يقول:«ما ينقم الناس منّا نحن أهل بيت الرّحمة، و شجرة النبوّة و معدن الحكمة، و موضع الملائكة، و مهبط الوحي».

فصل و أمّا كراماته عليه السّلام

ففي كشف الغمّة [١] من كتاب دلائل الحميريّ عن يزيد ابن أبي حازم قال:كنت عند أبي جعفر عليه السّلام فمررنا بدار هشام بن عبد الملك و هي تبنى فقال: أما و اللّه لتهدمنّ أما و اللّه لينقلنّ ترابها من مهدمتها، أما و اللّه لتبدونّ أحجار الزّيت و إنّه لموضع النّفس الزّكيّة، فتعجّبت و قلت: دار هشام من يهدمها فسمعت إذني هذا من أبي جعفر عليه السّلام قال: فرأيتها بعد ما مات هشام، و قد كتب الوليد في أن تستهدم و ينقل ترابها فنقل حتّى بدت الأحجار و رأيتها.

و منه بالإسناد قال:كنت مع أبي جعفر عليه السّلام فمرّ بنا زيد بن عليّ فقال أبو جعفر:

---

[١] المصدر ص ٢١٧. و كتاب الدلائل لابي العباس عبد اللّه بن جعفر بن الحسين ابن مالك بن جامع الحميرى القمي شيخ القميين صاحب كتاب قرب الاسناد المعروف قال النجاشي: انه قدم الكوفة سنة نيف و تسعين و مائتين، و سمع منه أهلها و صرح أبو غالب الزرارى في رسالته أن قدومه الكوفة كان في سنة سبع و تسعين و مائتين ينقل عن الدلائل

السيد ابن طاوس في محاسبة النفس ص ٧ حديث عرض الاعمال و أوصى لولده محمد في كشف المحجة ص ٣٥ بان ينظر في كتاب المعجزات و الدلائل منها دلائل ابن جرير الطبرى و دلائل الحميري، و قال الميرزا كمالا صهر العلامه المجلسي في «البياض الكمالى» عليك بمطالعة كتاب الدلائل للحميرى فيظهر منه وجود نسخته عنده. راجع الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ٨ ص ٢٣٧.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٤٦

أما و اللّه ليخرجنّ بالكوفة و ليقتلنّ و ليطافنّ برأسه، ثمّ أتي به فنصب في ذلك الموضع على قصبة،

فعجبنا من القصبة و ليس في المدينة قصب أتوا بها معهم.

و منه عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السّلام:«كان فيما أوصى أبي إليّ إذا أنا متّ فلا يلي غسلي أحد غيرك، فإنّ الإمام لا يغسّله إلا إمام، و اعلم أنّ عبد اللّه أخاك سيدعو إلى نفسه فدعه، فإنّ عمره قصير، فلمّا مضى أبي غسّلته كما أمرني و ادّعى عبد اللّه الإمامة مكانه فكان كما قال أبي، و ما لبث عبد اللّه يسيرا حتّى مات، و كانت هذه من دلالته، يبشّرنا بالشيء قبل أن يكون فيكون و به يعرف الإمام».

و عن فيض بن مطر قال:«دخلت على أبي جعفر عليه السّلام، و أنا

أريد أن أسأله عن صلاة اللّيل في المحمل، قال: فابتدأني فقال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يصلّي على راحلته حيث توجّهت به».

و منه عن سعد الاسكاف قال:طلبت الإذن على أبي جعفر عليه السّلام فقيل: لا تعجل إنّ عنده قوما من إخوانكم فما لبثت أن خرج عليّ اثنا عشر رجلا يشبّهون الزّطّ، و عليهم أقبية ضيقات و خفاف فسلّموا و مرّوا فدخلت على أبي جعفر عليه السّلام فقلت: ما أعرف هؤلاء الّذين خرجوا من عندك من هم قال: هؤلاء قوم من إخوانكم الجنّ، قال: قلت: و يظهرون لكم؟

فقال: نعم يفدون علينا في حلالهم و حرامهم كما تفدون».

و منه عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعت أبي يقول ذات يوم:إنّما بقي من أجلي خمس سنين، فحسب ذلك فما زاد و لا نقص.

و عن محمّد بن مسلم قال:سرت مع أبي جعفر عليه السّلام ما بين مكّة و المدينة و هو على بغلة و أنا على حمار له إذ أقبل ذئب يهوي من رأس الجبل حتّى دنا من أبي جعفر عليه السّلام فجلس البغلة و دنا الذّئب حتّى وضع يده على القربوس و تطاول بخطمه [١] إليه و أصغى إليه أبو جعفر عليه

السّلام باذنه مليّا، ثمّ قال: اذهب فقد فعلت، فرجع

---

[١] اى بمقدم أنفه.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٤٧

هو يهرول، فقال لي: تدري ما قال؟ قلت: اللّه و رسوله و ابن رسوله أعلم، قال:

إنّه قال لي: يا ابن رسول اللّه إنّ زوجتي في ذلك الجبل و قد عسر إليها ولادتها، فادع اللّه أن يخلّصها و لا يسلّط أحدا من نسلي على أحد من شيعتكم، قلت: قد فعلت».

و منه عن عبد اللّه بن عطاء المكّي قال:«اشتقت إلى أبي جعفر عليه السّلام و أنا بمكّة فقدمت المدينة ما قدمتها إلا شوقا إليه فأصابني تلك اللّيلة مطر و برد شديد فانتهيت إلى بابه نصف اللّيل فقلت: أطرقه الساعة أو أنتظره حتّى يصبح فإنّي لافكّر في ذلك إذ سمعته يقول: يا جارية افتح الباب لابن عطاء فقد أصابه في هذه اللّيلة برد و أذى، قال: فجاءت ففتحت الباب فدخلت».

و منه عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«كنت عند أبي محمّد ابن عليّ عليهما السّلام في اليوم الّذي قبض فيه و أوصاني بأشياء في غسله و كفنه و في دخوله قبره

قال: فقلت: يا أبه و اللّه ما رأيت مذ اشتكيت أحسن هيئة منك اليوم ما أرى عليك أثر الموت، فقال: يا بنيّ أما سمعت عليّ بن الحسين عليهما السّلام ينادي من وراء الجدار: يا محمّد تعال عجّل».

و منه عن حمزة بن محمّد الطيّار قال:«أتيت باب أبي جعفر عليه السّلام أستأذن عليه فلم يأذن لي و أذن لغيري فرجعت إلى منزلي و أنا مغموم فطرحت نفسي على سرير في الدّار و ذهب عنّي النّوم، فجعلت افكّر و أقول: إلى من إلى المرجئة تقول كذا، و القدرية تقول كذا، و الزيديّة تقول كذا، فيفسد عليهم قولهم، فأنا افكّر في هذا حتّى نادى المنادي فإذا الباب يدقّ،

فقلت: من هذا؟ فقال: رسول أبي جعفر فخرجت إليه. فقال: أجب، فأخذت ثيابي عليّ و مضيت فلمّا دخلت إليه قال:

يا ابن محمّد لا إلى المرجئة و لا إلى القدرية و لا إلى الزيديّة و لا إلى الحروريّة و لكن إلينا إنّما حجّتك لكذا و كذا ففعلت و قلت به».

و عن مالك الجهنيّ قال:«كنت قاعدا عند أبي جعفر عليه السّلام فنظرت إليه و

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٤٨

جعلت افكّر في نفسي و أقول. لقد عظّمك اللّه و كرّمك و جعلك حجّة

على خلقه، فالتفت إليّ و قال: يا مالك الأمر أعظم ممّا تذهب إليه».

و منه عن جابر قال: «سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول:«لا يخرج على هشام أحد إلا قتله، فقلت لزيد هذه المقالة، فقال: إنّي شهدت هشاما و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليست عنده فلم ينكر ذلك و لم يغيّره، فو اللّه لو لم يكن إلا أنا و آخر لخرجت عليه».

و منه عن أبي الهذيل قال: قال لي أبو جعفر عليه السّلام:«يا أبا الهذيل إنّه لا يخفى علينا ليلة القدر إنّ الملائكة يطيفون بنا فيها».

و عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«كان في دار أبي جعفر عليه السّلام فاختة فسمعها و هي تصيح،

فقال: تدرون ما تقول هذه الفاختة؟ قالوا: لا، قال: يقول: فقدتكم فقدتكم، نفقدها قبل أن تفقدنا، ثمّ أمر بذبحها».

و من كتاب الخرائج و الجرايح للإمام قطب الدّين أبي الحسين سعيد ابن هبة اللّه بن الحسن الراونديّ - رحمه اللّه - في معجزات محمّد الباقر عليه السّلام عن عبّاد ابن كثير البصريّ قال:«قلت للباقر عليه السّلام: ما حقّ المؤمن على اللّه؟ فصرف وجهه فسألته عنه ثلاثا، فقال: من حقّ المؤمن على اللّه أن لو قال لتلك النخلة: أقبلي لأقبلت، فنظرت و اللّه إلى النخلة الّتي كانت هناك

قد تحرّكت مقبلة فأشار إليها قرّي فلم أعنك».

و منه عن أبي الصّباح الكنانيّ قال:«صرت يوما إلى باب محمّد الباقر عليه السّلام فقرعت الباب فخرجت إليّ وصيفة ناهد [١] فضربت بيدي إلى رأس ثديها و قلت لها: قولي لمولاك إنّي بالباب فصاح من داخل الدّار: ادخل لا أمّ لك، فدخلت فقلت: يا مولايّ ما قصدت ريبة و لا أردت إلا زيادة ما في نفسي فقال: صدقت لئن

---

[١] أنهد العطية: عظمها، و الحوض او الإناء ملأه حتى يفيض، و أنهدت المرأة:
أشرف ثديها و كعب.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٤٩

ظننتم أنّ هذه الجدران تحجب أبصارنا كما تحجب أبصاركم إذا لا فرق بيننا و بينكم فإيّاك أن تعاود لمثلها».

و منه أنّ حبابة الوالبيّة دخلت على الباقر عليه السّلام فقال:«ما الّذي أبطأ بك عنّي؟ فقالت: بياض عرض في مفرق رأسي شغل قلبي، قال: أرينيه فوضع الباقر يده عليه فإذا هو اسودّ، ثمّ قال: هاتوا لها

المرآة فنظرت و قد اسودّ ذلك الشعر»

و منه عن أبي بصير قال:«كنت مع الباقر عليه السّلام في مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قاعدا حدثان ما مات عليّ بن الحسين عليهما السّلام إذ دخل المنصور و داود بن عليّ قبل أن أفضى الملك إلى ولد العبّاس و ما قعد إلا داود إلى الباقر عليه السّلام فقال: ما منع الدّوانيقي أن يأتي؟ قال: فيه جفاء، قال الباقر عليه السّلام: لا تذهب الأيّام حتّى يلي أمر هذا الخلق، فيطأ أعناق الرّجال و يملك شرقها و غربها و يطول عمره فيها حتّى يجمع من كنوز

الأموال ما لم يجمع لأحد قبله فقام داود، و أخبر الدّوانيقي بذلك فأقبل إليه الدّوانيقي و قال: ما منعني من الجلوس إليك إلا إجلالك فما الّذي أخبرني به داود؟ قال: هو كائن، قال: و ملكنا قبل ملككم؟ قال: نعم، قال: و يملك بعدي أحد من ولدي؟ قال: نعم، قال: فمدّة بني أميّة أكثر أم مدّتنا؟ قال:

مدّتكم أطول و ليتلقّفنّ هذا الملك صبيانكم و يلعبون به كما يلعبون بالكرة هذا ما عهده إليّ أبي، فلمّا ملك الدّوانيقي تعجّب من قول الباقر عليه السّلام».

و منه عن أبي بصير قال: قلت يوما للباقر عليه السّلام:«أنتم ورثة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و

سلّم؟ قال: نعم، قلت: و رسول اللّه وارث الأنبياء كلّهم؟ قال: نعم ورث جميع علومهم، قلت: و أنتم ورثتم جميع علم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ قال: نعم، قلت: و أنتم تقدرون أن تحيوا الموتى و تبرءوا الأكمه و الأبرص و تخبروا الناس بما يأكلون و يدّخرون في بيوتهم؟ قال: نعم، بإذن اللّه، ثمّ قال: ادن منّي يا أبا بصير فدنوت منه فمسح بيده على وجهي فأبصرت السهل و الجبل و السماء و الأرض، ثمّ مسح بيده على وجهي فعدت كما كنت لا أبصر شيئا، قال أبو بصير: فقال لي الباقر عليه السّلام: إن أحببت

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٥٠

أن تكون هكذا كما أبصرت و حسابك على اللّه، و إن كنت تحبّ كما كنت و ثوابك الجنّة؟ فقلت: أكون كما كنت و الجنّة أحبّ إليّ».

و منه عن جابر قال:«كنّا عند الباقر عليه السّلام نحوا من خمسين رجلا إذ دخل عليه كثير النّواء و كان من المقامرة فسلّم و جلس، ثمّ قال: إنّ المغيرة بن عمران عندنا بالكوفة يزعم أنّ معك ملكا يعرّفك الكافر من المؤمن و شيعتك من أعدائك، قال: ما حرفتك؟ قال: بيع الحنطة، قال: كذبت، قال: و ربما أبيع الشعير؟ قال: ليس كما قلت، بل تبيع النّوى، قال: من أخبرك

بهذا؟ قال: الملك الرّبّاني يعرّفني شيعتي من عدوّي، و لست تموت إلا تائها، فلمّا انصرفنا إلى الكوفة ذهبت في جماعة نسأل عن كثير، فدللنا على عجوز فقالت: مات تائها منذ ثلاثة أيّام».

و منه و قد اختصرت ألفاظها عن عاصم بن أبي حمزة قال:«ركب الباقر عليه السّلام يوما إلى حائط له و أنا معه و سليمان بن خالد، فسرنا قليلا فلقينا رجلان فقال عليه السّلام:

هما سارقان خذوهما فأخذهما عبيده فقال: استوثقوا منهما فقال لسليمان: انطلق إلى ذلك الجبل مع هذا الغلام و اصعد رأسك تجد في أعلاه كهفا فادخله و استخرج ما فيه، و

حمّله الغلام فهو قد سرق من رجلين، فمشى و أحضر عيبتين فقال: صاحباها حاضر و غائب سيحضر، و استخرج عيبة أخرى من موضع آخر في الكهف و عاد إلى المدينة فدخل صاحب العيبتين و قد كان ادّعى على جماعة أراد الوالي أن يعاقبهم، فقال الباقر عليه السّلام: لا تعاقبهم و ردّ هما على الرّجل، و قطع السارقين فقال أحدهما: لقد قطعنا بحقّ و الحمد للّه الّذي أجرى توبتي و قطعي على يد ابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقال: لقد سبقتك يدك الّتي قطعت إلى الجنّة بعشرين سنة فعاش بعد قطعها عشرين سنة و بعد ثلاثة أيّام حضر صاحب العيبة

الأخرى فقال له الباقر عليه السّلام: أخبرك بما في عيبتك، فيها ألف دينار لك و ألف لغيرك و فيها من الثياب كذا و كذا، فقال: إن أخبرتني بصاحب الألف و ما اسمه و أين هو علمت أنّك الإمام المفترض الطاعة، فقال: هو محمّد بن عبد الرّحمن و هو رجل صالح كثير الصدقة و الصلاة و هو الآن على الباب

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٥١

ينتظرك، فقال الرّجل – و هو بربريّ نصرانيّ –: آمنت باللّه الّذي لا إله إلا هو و أنّ محمّدا عبده و رسوله، و أسلم».

و منه روى الحسين بن راشد قال:«ذكرت زيد بن عليّ فتنقّصته عند أبي عبد اللّه عليه السّلام فقال: لا تفعل رحم اللّه عمّي زيدا فإنّه أتى إلى أبي فقال: إنّي أريد الخروج على هذا الطاغية فقال: لا تفعل يا زيد فإنّي أخاف أن تكون المقتول المصلوب بظهر الكوفة، أما علمت يا زيد أنّه لا يخرج أحد من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفياني إلا قتل، و قال لي: يا حسين إنّ فاطمة قد أحصنت فرجها فحرّم اللّه ذريّتها على النار، و فيهم نزل‌ثمّ أورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات ۳۵: ۳۲فالظالم لنفسه

الّذي لا يعرف الإمام، و المقتصد العارف بحقّ الإمام، و السابق بالخيرات هو الإمام، ثمّ قال: يا حسين إنّا أهل بيت لا نخرج من الدّنيا حتّى نقرّ لكلّ ذي فضل بفضله».

و منه روى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السّلام أنّه قال:«إنّي لأعرف رجلا لو قام بشاطئ البحر لعرف دوابّ البحر بامّهاتها و عمّاتها و خالاتها».

و منهأنّ جماعة استأذنوا على أبي جعفر عليه السّلام قالوا: فلمّا صرنا في الدهليز إذا قراءة السريانيّة بصوت حسن يقرء و يبكي حتّى أبكى بعضنا و ما نفهم ممّا يقول شيئا، فظننّا أنّ عنده بعض أهل

الكتاب استقرأه فلمّا انقطع الصوت دخلنا عليه فلم نر عنده أحدا فقلنا: لقد سمعنا قراءة السريانيّة بصوت حزين، قال: ذكرت مناجاة إلياس النّبيّ فأبكتني».

و منه روي عن عيسى بن عبد الرّحمن عن أبيه قال:«دخل ابن عكاشة بن محصن الأسدي على أبي جعفر عليه السّلام و كان أبو عبد اللّه عليه السّلام قائما عنده فقدّم إليه عنبا، فقال: حبّة حبّة يأكله الشيخ الكبير و الصبيّ الصّغير، و ثلاثة و أربعة يأكله من يظنّ أنّه لا يشبع فكلوا حبّتين حبّتين فإنّه يستحبّ، فقال لأبي جعفر عليه السّلام: لأيّ شيء لا تزوّج

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٥٢

أبا عبد اللّه فقد أدرك للتزويج، و بين يديه صرّة مختومة فقال: سيجيء نخّاس من بربر ينزل دار ميمون فأتى لذلك ما أتى، فدخلنا على أبي جعفر عليه السّلام فقال: ألا أخبركم عن ذلك النخّاس الّذي ذكرته لكم فاذهبوا فاشتروا بهذه الصرّة جارية، فأتينا النخّاس فقال: قد بعت ما كان عندي إلا جاريتين إحداهما أمثل من الأخرى، قلنا: فأخرجهما حتّى ننظر إليهما فأخرجهما، فقلنا: بكم تبيعنا هذه المتماثلة؟ قال: بسبعين دينارا قلنا: أحسن، قال: لا أنقص من سبعين دينارا، فقلنا: نشتريها منك بهذه

الصرّة ما بلغت و ما ندري ما فيها، و كان عنده رجل أبيض الرأس و اللّحية، فقال: فكّوا الخاتم و زنوا فقال النخّاس: لا تفكّوا فإنّها إن نقصت حبّة من السبعين لا أبايعكم، فقال الشيخ: ادنوا ففككنا و وزنّا الدنانير فإذا هي سبعين لا تزيد و لا تنقص، فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفر عليه السّلام و جعفر عليه السّلام عنده فأخبرنا أبا جعفر بما كان، فحمد اللّه ثمّ قال لها: ما اسمك؟ قالت: حميدة، قال: حميدة في الدّنيا محمودة في الآخرة، أخبريني أ بكر أنت أم ثيّب؟ قالت: بكر، قال: كيف و لا يقع في يد النخّاسين شيء إلا أفسدوه، قالت: كان يجيء النخّاس فيقعد منّي

فيسلّط اللّه عليه رجلا أبيض الرأس و اللّحية فلا يزال يلطمه حتّى يقوم عنّي، ففعل بي مرارا، و فعل الشيخ به مرارا، فقال: يا جعفر خذها إليك. فولدت خير أهل الأرض موسى بن جعفر عليهما السّلام».

و منه روى أبو بصير عن الصّادق عليه السّلام قال:«كان أبي في مجلس له ذات يوم إذا طرق رأسه في الأرض ثمّ رفع رأسه فقال: يا قوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل عليكم مدينتكم هذه في أربعة آلاف حتّى يستعرضكم بالسيف ثلاثة أيّام، فيقتل مقاتلتكم و تلقون منه بلاء لا تقدرون أن تدفعوه، و ذلك من قابل فخذوا حذركم، و اعلموا أنّ الّذي

قلت لكم هو كائن لا بدّ، فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه و قالوا:

لا يكون هذا أبدا و لم يأخذوا حذرهم إلا نفر يسير و بنو هاشم خاصّة، و ذلك أنّهم علموا أنّ كلامه هو الحقّ، فلمّا كان من قابل تحمل أبو جعفر عليه السّلام بعياله و بنو هاشم و خرجوا من المدينة و جاء نافع بن الأزرق حتّى كبس المدينة، فقتل مقاتلتهم، و فضح

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٥٣

نساءهم فقال أهل المدينة: لا نردّ على أبي جعفر شيئا نسمعه منه أبدا بعد ما سمعنا و رأينا، فإنّهم أهل بيت النبوّة ينطقون بالحقّ. آخر ما نقل من كتاب الراوندي».

و من كتاب جمعه الوزير السعيد مؤيّد الدّين أبو طالب محمّد بن أحمد بن محمّد بن عليّ العلقمي – رحمه اللّه – قال: ذكر الأجل أبو الفتح يحيى بن محمّد بن حباء الكاتب قال: حدّث بعضهم قال:كنت بين مكّة و المدينة فإذا أنا بشيخ يلوح من البريّة يظهر تارة و يغيب أخرى حتّى قرب منّي، فتأمّلته فإذا هو غلام سباعي أو ثماني فسلّم عليّ فرددت عليه السّلام و قلت: من أين؟ قال: من اللّه، فقلت: و إلى أين؟ فقال:
إلى اللّه، قال: فقلت: فعلى م؟ فقال: على اللّه، فقلت: فما زادك؟ قال: التقوى، فقلت: ممّن أنت؟ قال: أنا رجل عربي، فقلت: ابن لي،

قال: أنا رجل قرشيّ، فقلت: ابن لي، فقال: أنا رجل هاشميّ، فقلت: ابن لي، فقال: أنا رجل علويّ، ثمّ أنشد و قال:

فنحن على الحوض ذوّاده
نذود و يسعد ورّاده
فما فاز من فاز إلا بنا
و ما خاب من حبّنا زاده
فمن سرّنا نال منّا
السرور و من ساءنا
ساء ميلاده
و من كان غاصبنا
حقّنا فيوم القيامة
ميعادهثمّ قال: أنا محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ثمّ التفتّ فلم أره، فلا أعلم هل صعد إلى السماء أم نزل في الأرض.

ذكر طرف من أخلاق الامام السادس أبي عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام و صفاته و كراماته عليه السّلام

قال ابن طلحة: هو من عظماء أهل البيت و ساداتهم، ذو علوم جمّة، و عبادة موفورة، و أوراد متواصلة، و زهادة بيّنة، و تلاوة كثيرة، يتتبّع معاني القرآن

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٥٤

الكريم، و يستخرج من بحره جواهره، و يستنتج عجائبه، و يقسّم أوقاته على أنواع الطّاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكّر بالآخرة، و استماع كلامه يزهد في الدّنيا، و الاقتداء بهديه يورث الجنّة، نور

قسماته [١] شاهد أنّه من سلالة النبوّة، و طهارة أفعاله تصدع بأنّه من ذرّيّة الرّسالة، نقل عنه الحديث، و استفاد منه العلم جماعة من أعيان الائمّة و أعلامهم مثل يحيى بن سعيد الأنصاري، و ابن جريج و مالك ابن أنس، و الثوري، و ابن عيينة، و أبي حنيفة، و شعبة، و أيّوب السّجستانيّ، و غيرهم و عدّوا أخذهم عنه منقبة شرّفوا بها و فضيلة اكتسبوها.

قال: و له ألقاب أشهرها الصّادق، و منها الصّابر، و الفاضل، و الطاهر.

و أمّا مناقبه و صفاته

فتكاد تفوق عدد الحاصر، و يحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتّى

أنّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى صارت الأحكام الّتي لا تدرك عللها، و العلوم الّتي تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها تضاف إليه و تروى عنه، و قد قيل: إنّ كتاب الجفر الّذي بالمغرب و يتوارثه بنو عبد المؤمن هو من كلامه عليه السّلام، و إنّ في هذه لمنقبة سنيّة، و درجة في مقام الفضائل عليّة،قال: و قال ابن أبي حازم:«كنت عند جعفر بن محمّد عليهما السّلام إذ جاء آذنه فقال: سفيان الثوريّ بالباب، فقال: ائذن له، فدخل فقال له جعفر عليه السّلام: يا سفيان إنّك رجل يطلبك

السلطان و أنا أتّقي السلطان قم فاخرج غير مطرود، فقال سفيان: حدّثني حتّى أسمع و أقوم، فقال جعفر: حدثني أبي عن جدي أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من أنعم اللّه عليه نعمة فليحمد اللّه، و من استبطأ الرّزق فليستغفر اللّه، و من حزنه أمر فليقل: لا حول و لا قوّة إلا باللّه [العليّ العظيم]» فلمّا قام سفيان قال جعفر: خذها يا سفيان ثلاثا و أيّ ثلاث».

و قال سفيان: دخلت على جعفر بن محمّد عليهما السّلام و عليه جبّة خزّ دكناء، و كساء

---

[١] قال الجزري: القسامة - بفتح القاف -: الحسن، و رجل مقسم الوجه - بشد السين كمعظم - اى جميل كله، كأن كل موضع منه أخذ قسما من الجمال، و يقال لحر الوجه: قسمة - بكسر السين - و جمعها قسمات.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٥٥

خزّ فجعلت أنظر إليه تعجّبا فقال لي: يا ثوري ما لك تنظر إلينا لعلّك تعجب ممّا ترى؟ فقلت: يا ابن رسول اللّه ليس هذا من لباسك و لا لباس آبائك، فقال: يا ثوري كان

ذلك زمان إقتار و افتقار، و كانوا يعملون على قدر اقتاره و افتقاره، و هذا زمان قد أسبل كلّ شيء عز إليه [١] ثمّ حسر ردن [٢] جبّته فإذا تحتها جبّة صوف بيضاء يقصر الذّيل عن الذّيل و الرّدن عن الرّدن، و قال: يا ثوري لبسنا هذا للّه تعالى و هذا لكم، فما كان للّه أخفيناه، و ما كان لكم أبديناه.

و قال الهياج بن بسطام:كان جعفر بن محمّد بن عليهما السّلام يطعم حتّى لا يبقى لعياله شيء، و كان يقول: «لا يتمّ المعروف إلا بثلاثة تعجيله و تصغيره و ستره».

و عن عمرو بن أبي المقدام قال: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد

عليهما السّلام علمت أنّه من سلالة النبوّة.

و قال البرذون بن شبيب النهديّ و اسمه جعفر قال: سمعت جعفر بن محمّد يقول:«احفظوا فينا ما حفظ العبد الصّالح في اليتيمين قال: و كان أبوهما صالحا».

و عن صالح بن الأسود قال: سمعت جعفر بن محمّد عليه السّلام يقول:«سلوني قبل أن تفقدوني فإنّه لا يحدّثكم أحد بعدي بمثل حديثي».

و وقع بين جعفر عليه السّلام و عبد اللّه بن الحسن كلام في صدر يوم فأغلظ له في القول عبد اللّه بن الحسن ثمّ افترقا و راحا إلى المسجد فالتقيا على باب المسجد، فقال أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد لعبد اللّه

بن الحسن: كيف أمسيت يا أبا محمّد؟ فقال: بخير - كما يقول المغضب - فقال: يا أبا محمّد أما علمت أنّ صلة الرّحم تخفّف الحساب؟ فقال:

لا تزال تجيء بالشيء لا نعرفه، قال: فانّي أتلو عليك به قرآنا قال: و ذلك أيضا، قال: نعم، قال: فهاته، قال: قول اللّه عزّ و جلّ:و الّذين يصلون ما أمر اللّه به أن يوصل و يخشون ربّهم و يخافون سوء الحساب ١٣: ٢١

---

[١] العزالى جمع العزلاء و هو فم المزادة الاسفل، كناية عن وفور

النعمة و خفض العيش و رخاء المعيشة.

[٢] حسر الشيء: كشفه، و الردن - كقفل - اصل الكم و طرفه الواسع، و كانت العرب تضع فيه الدراهم و الدنانير.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٥٦

قال: فلا تراني بعدها قاطعا رحما.

فى إرشاد المفيد - رحمه اللّه - و كان الصادق جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام من بين إخوته خليفة أبيه و وصيّه، و القائم بالإمامة من بعده، و برّز على جماعتهم بالفضل، و كان أنبههم ذكرا، و أعظمهم قدرا، و أجلّهم في

العامّة و الخاصّة، و نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الرّكبان و انتشر ذكره في البلدان، و لم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه، و لا لقي أحد منهم من أهل الآثار و نقلة الأخبار و لا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد اللّه عليه السّلام فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرّواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء و المقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل، و كان له عليه السّلام من الدّلائل الواضحة في إمامته ما بهرت العقول، و أخرست المخالف عن الطعن فيها بالشبهات.

و قال الحافظ أبو نعيم: إنّ أبا عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق عليه

السّلام أقبل على العبادة و الخضوع، و آثر العزلة و الخشوع، و لهى عن الرّئاسة و الجموع.

و قيل: إنّ التصوّف انتفاع بالنّسب و ارتفاع بالسبب.

و قال ابن الجوزيّ و كان عليه السّلام مشغولا بالعبادة عن حبّ الرئاسة.

و عن ابن حمدونأنّه كتب المنصور إلى جعفر بن محمّد عليهما السّلام: لم لا تغشانا كما يغشانا سائر النّاس؟ فأجابه ليس لنا ما نخافك من أجله، و لا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، و لا أنت في نعمة فنهنّيك و لا تراها نقمة فنعزّيك بها فما نصنع عندك؟ قال:

فكتب إليه تصحبنا لتنصحنا، فأجابه من أراد الدّنيا لا ينصحك و من أراد الآخرة لا يصحبك، فقال المنصور: و اللّه لقد ميّز عندي منازل النّاس من يريد الدّنيا ممّن يريد الآخرة، و إنّه ممّن يريد الآخرة لا الدّنيا.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٥٧

فصل و أما كراماته عليه السّلام

ففي كشف الغمّة من كتاب ابن طلحة قال: حدّث عبد اللّه بن الفضل بن ربيع عن أبيه قال:حجّ المنصور سنة سبع و أربعين و مائة، فقدم المدينة و قال للربيع: ابعث إلى جعفر بن محمّد من يأتينا به متعبا، قتلني اللّه إن لم أقتله، فتغافل الرّبيع عنه لينساه ثمّ أعاد

ذكره للربيع و قال: ابعث من يأتي به متعبا، فتغافل عنه فأرسل إلى الرّبيع رسالة قبيحة أغلظ عليه فيها و أمره أن يبعث من يحضر جعفرا ففعل، فلمّا أتاه قال له الرّبيع: يا أبا عبد اللّه اذكر اللّه فإنّه قد أرسل إليك بما لا دافع له غير اللّه، فقال جعفر: لا حول و لا قوّة إلا باللّه، ثمّ إنّ الرّبيع أعلم المنصور بحضوره، فلمّا دخل جعفر عليه أوعده و أغلظ و قال:

أي عدوّ اللّه اتّخذك أهل العراق إماما يبعثون إليك زكاة أموالهم و تلحد في سلطاني و تبغيه الغوائل، قتلني اللّه إن لم أقتلك، فقال له: يا أمير المؤمنين إنّ سليمان أعطى فشكر، و إنّ أيّوب ابتلي فصبر و

إنّ يوسف ظلم فغفر و أنت من ذلك السنخ فلمّا سمع المنصور ذلك منه قال: إليّ و عندي أبا عبد اللّه أنت البريء الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك اللّه من ذي رحم أفضل ما جزي ذوي الأرحام عن أرحامهم، ثمّ تناول يده فأجلسه معه على فراشه، ثمّ قال: عليّ بالطيب فأتي بالغالية فجعل يغلف لحية جعفر بيده حتّى تركها يقطر ثمّ قال: قم في حفظ اللّه و كلائته، ثمّ قال: يا ربيع ألحق أبا عبد اللّه جايزته و كسوته، انصرف أبا عبد اللّه في حفظه و كنفه فانصرف، قال الرّبيع: فلحقته و قلت: إنّي قد رأيت قبلك ما لم تره و رأيت بعدك ما لا رأيته فما قلت يا أبا عبد اللّه

حين دخلت؟ قال: قلت: «اللّهمّ احرسني بعينك الّتي لا تنام، و اكنفني بركنك الّذي لا يرام، و اغفر لي بقدرتك عليّ و لا أهلك و أنت رجائي، اللّهمّ أنت أكبر و أجلّ ممّا أخاف و أحذر، اللّهمّ بك أدفع في نحره، و استعيذ بك من شرّه» ففعل اللّه بي ما رأيت.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٥٨

و منه قال ليث بن سعيد:حججت سنة ثلاث عشرة و مائة فأتيت مكّة فلمّا صلّيت العصر رقيت أبا قبيس و إذا أنا برجل جالس و هو يدعو فقال: يا ربّ يا ربّ حتّى انقطع نفسه، ثمّ قال: ربّ ربّ حتّى انقطع نفسه، ثمّ قال: يا اللّه يا اللّه حتّى

انقطع نفسه، ثمّ قال: يا حيّ يا حيّ حتّى انقطع نفسه، ثمّ قال: يا رحيم يا رحيم حتّى انقطع نفسه، ثمّ قال: يا أرحم الرّاحمين حتّى انقطع نفسه سبع مرّات [١]، ثمّ قال: اللّهمّ إنّي أشتهي من هذا العنب فأطعمنيه، اللّهمّ و إنّ برديّ قد أخلقا، قال ليث: فو اللّه ما استتمّ كلامه حتّى نظرت إلى سلّة مملوّة عنبا و ليس على الأرض يومئذ عنب و بردين جديدين موضوعين فأراد أن يأكل فقلت له: أنا شريكك فقال لي: و لم؟ قلت: لأنّك تدعو و أنا اؤمّن، فقال لي: تقدّم فكل، و لا تخبأ شيئا فتقدّمت فأكلت شيئا لم آكل مثله قطّ، و إذا عنب لا عجم له فأكلت حتّى شبعت و السلّة لم تنقص، ثمّ

قال لي: خذ أحد البردين إليك، فقلت: أمّا البردان فإنّي غنيّ عنهما فقال لي: توار عنّي حتّى ألبسهما، فتواريت عنه فاتّزر بالواحد و ارتدى بالآخر، ثمّ أخذ البردين اللّذين كانا عليه فجعلهما على يده و نزل فأتبعته حتّى إذا كان بالمسعى لقيه رجل فقال: اكسني كساك اللّه فدفعهما إليه، فلحقت الرّجل فقلت: من هذا؟ قال: جعفر بن محمّد، قال ليث: فطلبته لأسمع منه فلم أجده.

قال عليّ بن عيسى – رحمه اللّه – : حديث ليث مشهور و قد ذكره جماعة من الرّواة و نقلة الحديث، و كذلك قال في قضيته مع المنصور: ثمّ نقل من إرشاد المفيد ما يقرب منها مع زيادات.

و منه قال: و رويأنّ داود بن عليّ بن عبد اللّه قتل المعلّى بن خنيس مولى جعفر بن محمّد عليهما السّلام و أخذ ماله فدخل عليه جعفر و هو يجرّ رداءه فقال له: قتلت مولاي و أخذت ماله، أما علمت أنّ الرّجل ينام على الثكل و لا ينام على الحرب، أما

---

[١] أى كرر هذا العمل يعنى قول يا ارحم الراحمين إلى انقطاع النفس سبع مرات.

و اللّه لأدعونّ اللّه عليك، فقال له داود بن عليّ: أ تهدّدنا بدعائك – كالمستهزئ بقوله – فرجع أبو عبد اللّه عليه السّلام إلى داره فلم يزل ليله كلّه قائما و قاعدا حتّى إذا كان السّحر فسمع و هو يقول في مناجاته: «يا ذا القوّة القويّة، و يا ذا المحال الشديد، و يا ذا العزّة الّتي كلّ خلقك لها ذليل، اكفني هذا الطّاغية، و انتقم لي منه» فما كانت إلا ساعة حتّى ارتفعت الأصوات بالصياح و قيل: قد مات داود بن عليّ».

و منه روى أبو بصير قال:دخلت المدينة و كانت معي جويرية لي فأصبت منها، ثمّ خرجت إلى الحمّام فلقيت أصحابنا الشيعة و هم

متوجّهون إلى أبي عبد اللّه جعفر عليه السّلام فخشيت أن يسبقوني و يفوتني الدّخول إليه فمشيت معهم حتّى دخلت الدّار فلمّا تمثّلت بين يدي أبي عبد اللّه عليه السّلام نظر إليّ، ثمّ قال: يا أبا بصير أما علمت أنّ بيوت الأنبياء و أولاد الأنبياء لا يدخلها الجنب، فاستحييت و قلت: يا ابن رسول اللّه إنّي لقيت أصحابنا و خشيت أن يفوتني الدّخول معهم و لن أعود إلى مثلها و خرجت.

قال المفيد – رحمه اللّه –: و جاءت الرّواية عنه مستفيضة بمثل ما ذكرناه من الآيات و الإخبار بالغيوب ممّا يطول تعداده.

و من كتاب الحميرى عن عبد اللّه بن يحيى الكاهليّ قال: قال لي أبو عبد اللّه عليه السّلام:«إذا لقيت السبع ما تقول له؟ قلت: ما أدري قال: إذا لقيته فاقرء في وجهه آية الكرسي و قل: «عزمت عليك بعزيمة اللّه، و عزيمة محمّد رسول اللّه، و عزيمة سليمان بن داود، و عزيمة علي أمير المؤمنين و الأئمّة من بعده» فإنّه ينصرف عنك، قال عبد اللّه الكاهليّ: فقدمت إلى الكوفة فخرجت مع ابن عمّ لي إلى قرية فإذا سبع قد اعترض لنا في الطريق فقرأت في وجهه آية الكرسي و قلت: عزمت عليك بعزيمة اللّه و عزيمة محمّد رسول اللّه، و عزيمة سليمان بن داود، و عزيمة أمير

المؤمنين و الأئمّة من بعده إلا تنحيّت عن طريقنا و لم تؤذنا فإنّا لا نؤذيك، فنظرت إليه و قد طأطأ رأسه و أدخل

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٦٠

ذنبه بين رجليه و تنكّب الطريق، راجعا من حيث جاء، فقال: ابن عمّي ما سمعت كلاما قطّ أحسن من كلام سمعته منك، فقلت: إنّ هذا الكلام سمعته من جعفر بن محمّد عليهما السّلام فقال: أشهد أنّه إمام مفترض الطاعة، و ما كان ابن عمّي يعرف قليلا و لا كثيرا، فدخلت على أبي عبد اللّه عليه السّلام من قابل و أخبرته الخبر، و ما كنّا فيه فقال:

أ تراني لم أشهدكم، بئس ما رأيت إنّ لي مع كلّ وليّ إذنا سامعة، و عينا ناظرة، و لسانا ناطقا، ثمّ قال لي: يا عبد اللّه بن يحيى أنا و اللّه صرفته عنكما و علامة ذلك أنّكما كنتما في البداءة على شاطئ النهر و أنّ اسم ابن عمّك أثبت عندنا و ما كان اللّه يميته حتّى يعرّفه هذا الأمر، فرجعت إلى الكوفة فأخبرت ابن عمّي بمقالة أبي عبد اللّه ففرح و سرّ به سرورا شديدا، و ما زال مستبصرا بذلك إلى أن مات.

و منه عن شعيب العقرقوفيّ قال: دخلت أنا و عليّ بن أبي حمزة و أبو بصير على أبي عبد اللّه عليه السّلام و معي ثلاثمائة دينار فصببتها قدّامه، فأخذ منها أبو عبد

اللّه عليه السّلام قبضة لنفسه و ردّ الباقي عليّ و قال: يا شعيب ردّ هذه المائة دينار إلى موضعها الّذي أخذتها منه، قال شعيب: فقضينا حوائجنا جميعا فقال لي أبو بصير: يا شعيب ما حال هذه الدّنانير الّتي ردّها عليك أبو عبد اللّه عليه السّلام؟ قلت: أخذتها من عروة أخي سرّا منه، و هو لا يعلمها، فقال لي أبو بصير: يا شعيب أعطاك أبو عبد اللّه عليه السّلام و اللّه علامة الإمامة، ثمّ قال لي أبو بصير، و عليّ بن أبي حمزة: يا شعيب عدّ الدّنانير، فعددتها فإذا هي مائة دينار لا يزيد دينار و لا ينقص دينارا.

و منه عن سماعة بن مهران قال: دخلت على أبي عبد اللّه عليه السّلام فقال لي مبتدئا:يا سماعة ما هذا الّذي كان بينك و بين جمّالك في الطريق، إيّاك أن تكون فحّاشا أو صخّابا أو لعّانا، فقلت: و اللّه لقد كان ذلك، و ذلك أنّه كان يظلمني، فقال:

لئن كان ظلمك لقد أربيت عليه، إنّ هذا ليس من فعالي و لا آمر به شيعتي، ثمّ قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: استغفر ربّك يا سماعة ممّا كان، و إيّاك أن تعود، فقلت: إنّي أستغفر اللّه ممّا كان و لا أعود.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٦١

و منه عن أبي بصير قال:كنت عند أبي عبد اللّه عليه السّلام ذات يوم جالسا إذ قال:

يا أبا محمّد هل تعرف إمامك؟

قلت: إي و اللّه الّذي لا إله إلا هو و أنت هو، و وضعت يدي على ركبته أو فخذه فقال: صدقت قد عرفت فاستمسك به، قلت: أريد أن تعطيني علامة الإمامة، قال: يا أبا محمّد ليس بعد المعرفة علامة، قلت: أزداد إيمانا و يقينا، قال: يا أبا محمّد ترجع إلى الكوفة و قد ولد لك عيسى، و من بعد عيسى محمّد، و من بعدهما ابنتان، و اعلم أنّ ابنيك مكتوبان عندنا في الصحيفة الجامعة مع أسماء شيعتنا و أسماء آبائهم و امّهاتهم و

أجدادهم و أنسابهم و ما يلدون إلى يوم القيامة و أخرجها فإذا هي صفراء مدرجة.

و منه عن أبي بصير قال:دخلت على أبي عبد اللّه عليه السّلام قال لي: يا أبا محمّد ما فعل أبو حمزة الثمالي، قلت: خلّفته صحيحا قال: إذا رجعت فأقرئه منّي السلام و أعلمه أنّه يموت في شهر كذا في يوم كذا، قال أبو بصير: لقد كان فيه انس و كان لكم شيعة قال: صدقت يا أبا محمّد و ما عندنا خير له، قلت: و شيعتكم معكم؟ قال: نعم إذا هو خاف اللّه و راقب اللّه و توقّى الذّنوب كان معنا في درجتنا، قال أبو بصير:

فرجعنا تلك السنة فما لبث أبو حمزة الثمالي إلا يسيرا حتّى مات.

و منه عن عبد الحميد بن أبي العلاءو كان صديقا لمحمّد بن عبد اللّه بن الحسن و كان به خاصّا، فأخذه أبو جعفر و حبسه في المضيق زمانا ثمّ إنّه وافى الموسم، فلمّا كان يوم عرفة لقيه أبو عبد اللّه عليه السّلام في الموقف فقال: يا محمّد ما فعل صديقك عبد الحميد؟ فقال: أخذه أبو جعفر فحبسه في المضيق زمانا فرفع أبو عبد الله عليه السّلام يده ساعة ثمّ التفت إلى محمّد بن عبد اللّه، فقال: يا محمّد قد و اللّه خلّي سبيل صاحبك، قال محمّد: فسألت عبد الحميد أيّ

ساعة أخرجك أبو جعفر؟ قال: أخرجني يوم عرفة بعد العصر.

و منه عن رزّام بن مسلم مولى خالد بن عبد اللّه القسريّ – قال:إنّ المنصور

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٦٢

قال لحاجبه: إذا دخل عليّ جعفر بن محمّد فاقتله قبل أن يصل إليّ، فدخل أبو عبد اللّه عليه السّلام فجلس فأرسل إلى الحاجب فدعاه فنظر إليه و جعفر قاعد عنده، قال: ثمّ قال له: عد إلى مكانك قال: و أقبل يضرب يده على يده، فلمّا قام أبو عبد اللّه عليه السّلام و خرج، دعا حاجبه فقال: بأيّ شيء أمرتك؟ قال: لا و اللّه ما رأيته حين دخل و

لا حين خرج، و لا رأيته إلا و هو قاعد عندك.

و منه عن عبد العزيز القزّاز قال:كنت أقول فيهم بالرّبوبية، فدخلت على أبي عبد اللّه عليه السّلام فقال: يا عبد العزيز ضع لي ماء أتوضّأ ففعلت، فلمّا دخل قلت في نفسي: هذا الّذي قلت فيه ما قلت يتوضّأ، فلمّا خرج قال: يا عبد العزيز لا تحمّل على البناء فوق ما يطيق فينهدم، إنّا عبيد مخلوقون.

و منه قيل:أراد عبد اللّه بن محمّد الخروج مع زيد فنهاه أبو عبد اللّه عليه السّلام و عظم عليه فأبى إلا الخروج مع زيد، فقال له: لكأنّي و اللّه بك بعد زيد و قد خمّرت كما تخمّرت النساء، و حملت في هودج

و صنع بك ما يصنع بالنساء فلمّا كان من أمر زيد ما كان جمع أصحابنا لعبد اللّه بن محمّد دنانير و تكاروا له و أخذوه حتّى إذا صاروا به إلى الصحراء و شيّعوه فتبسّم فقالوا له: ما الّذي اضحكك فقال: و اللّه تعجّبت من صاحبكم إنّي ذكرت و قد نهاني عن الخروج فلم اطعه و أخبرني بهذا الأمر الّذي أنا فيه، و قال: لكأنّي بك و قد خمّرت كما تخمّرت النساء و جعلت في هودج فعجبت.

و منه عن أبي حمزة الثمالي قال:كنت مع أبي عبد اللّه عليه السّلام بين مكّة و المدينة إذا التفت عن يساره رأى كلبا أسود فقال: ما لك قبّحك اللّه ما أشدّ مسارعتك، و

إذا هو شبيه الطائر، فقال: هذا عثم بريد الجنّ مات هشام الساعة و هو يطير ينعاه في كلّ بلد.

و منه عن مرازم قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام و هو بمكّة:يا مرازم لو سمعت رجلا يسبّني ما كنت صانعا؟ قلت: كنت أقتله، قال: يا مرازم إن سمعت من يسبّني فلا

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٦٣

تصنع به شيئا، قال: فخرجت من مكّة عند الزّوال في يوم حارّ فألجأني الحرّ إلى أن صرت إلى بعض القباب و فيها قوم، فنزلت معهم فسمعت بعضهم يسبّ أبا عبد

اللّه عليه السّلام فذكرت قوله فلم أقل شيئا و لو لا ذلك لقتلته

و منه قال أبو بصير:كان لي جار يتبع السلطان فأصاب مالا فاتّخذ قيانا، و كان يجمع الجموع و يشرب المسكر و يؤذيني، فشكوته إلى نفسه غير مرّة فلم ينته، فلمّا ألححت عليه قال: يا هذا أنا رجل مبتلى و أنت رجل معافي، فلو عرّفتني لصاحبك رجوت أن يستنقذني اللّه بك، فوقع ذلك في قلبي فلمّا صرت إلى أبي عبد اللّه عليه السّلام ذكرت له حاله، فقال لي: إذا رجعت إلى الكوفة فإنّه سيأتيك فقل له يقول لك جعفر بن محمّد: دع ما أنت عليه و أضمن لك على اللّه الجنّة، قال: فلمّا رجعت إلى الكوفة أتاني

فيمن أتى فاحتبسته حتّى خلا منزلي فقلت: يا هذا إنّي ذكرتك لأبي عبد اللّه عليه السّلام فقال: أقرئه السلام و قل له: يترك ما عليه و أضمن له على اللّه الجنّة فبكى، ثمّ قال: اللّه أقال لك جعفر هذا؟ قال: فحلفت له أنّه قال لي ما قلت لك، فقال لي: حسبك و مضى، فلمّا كان بعد أيّام بعث إليّ و دعاني فإذا هو خلف باب داره عريان فقال: يا أبا بصير ما بقي في منزلي شيء إلا و قد أخرجته و أنا كما ترى، فمشيت إلى إخواننا فجمعت له ما كسوته به، ثمّ لم يأت عليه إلا أيّام يسيرة حتّى بعث إليّ أنّي عليل فأتني، فجعلت أختلف إليه و اعالجه حتّى نزل به الموت فكنت عنده جالسا و هو

يجود بنفسه، ثمّ غشي عليه غشية ثمّ أفاق، فقال: يا أبا بصير قد وفى صاحبك لنا ثمّ مات، فحججت فأتيت أبا عبد اللّه عليه السّلام فاستأذنت عليه فلمّا دخلت قال لي مبتدئا من داخل البيت و إحدى رجليّ في الصّحن و الأخرى في دهليز داره: يا أبا بصير قد وفينا لصاحبك.

و منه عن هشام بن أحمر قال:كتب أبو عبد اللّه عليه السّلام رقعة في حوائج لأشتريها و كنت إذا قرأت الرّقعة خرقتها فاشتريت الحوائج و أخذت الرّقعة فأدخلتها في

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٦٤

زنفليجتي و قلت: أتبرّك بها، قال: و قدمت عليه فقال: يا هشام اشتريت الحوائج؟ قلت: نعم، قال: و خرقت الرّقعة؟ قلت: أدخلتها زنفليجتي و أقفلت عليه الباب أطلب البركة و هو ذا المفتاح في تكّتي، قال: فرفع جانب مصلاه و طرحها إليّ و قال:

خرّقها، فخرقتها، و رجعت ففتّشت الزنفيلجة فلم أجد فيها شيئا.

و منه عن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السّلام:إنّ لنا أموالا و نحن نعامل الناس أخاف إن حدث حدث أن تتفرّق أموالنا، فقال: أجمع مالك في شهر ربيع، قال عليّ بن إسماعيل: فمات إسحاق في شهر ربيع.

قال عليّ بن عيسى – رحمه اللّه – : هذا آخر ما أردت إثباته من كتاب الدّلائل.

و قد تركت كثيرا من نظائر ما ذكرت روما للاختصار فإنّ القليل يدلّ على الكثير.

و من كتاب الراوندي – رحمه اللّه – في معجزات جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلامروي عن المفضّل بن عمر قال:كنت أمشى مع أبي عبد اللّه عليه السّلام بمكّة أو بمنى إذ مررنا بامرأة بين يديها بقرة ميتة و هي مع صبية لها يبكون، فقال: ما شأنك؟ قالت:

كنت و صبياني نعيش من لبن هذه البقرة و قد ماتت فتحيّرت في أمري قال: أ فتحبّين أن يحييها اللّه لك؟

قالت: أو تسخر منّي مع مصيبتي؟ قال: كلا ما أردت ذلك، ثمّ دعا بدعاء و ركضها برجله و صاح بها فقامت البقرة مسرعة سويّة فقالت: عيسى ابن مريم و ربّ الكعبة، فدخل الصادق عليه السّلام بين جمع من الناس فلم تعرفه المرأة.

و منه قال عليّ بن أبي حمزة:حججت مع الصادق عليه السّلام فجلسنا في بعض الطريق تحت نخلة يابسة فحرّك شفتيه بدعاء لم أفهمه ثمّ قال: يا نخلة أطعمينا بما جعل اللّه فيك من رزق عباده فنظرت إلى النخلة و قد تمايلت نحو الصادق عليه السّلام و عليها أعذاقها و فيها الرّطب، فقال:

ادن و سمّ و كل، فأكلنا منها رطبا و أعذب رطب و أطيبه و

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٦٥

إذا نحن بأعرابيّ يقول: ما رأيت كاليوم سحرا أعظم من هذا فقال الصادق عليه السّلام:

نحن ورثة الأنبياء ليس فينا ساحر و لا كاهن، ندعو اللّه فيجيب و إن أحببت أن أدعو اللّه فيمسخك كلبا تهتدي إلى منزلك فتدخل عليهم و تبصبص لأهلك فعلت، فقال الأعرابي بجهله: نعم، فدعا اللّه فصار كلبا في الوقت و مضى على وجهه، فقال لي الصادق عليه السّلام أتبعه، فأتبعته حتّى صار إلى حيّه فدخل إلى منزله و جعل

يبصبص لأهله و ولده فأخذوا له العصا حتّى أخرجوه فانصرفت إلى الصادق عليه السّلام فأخبرته بما كان فبينا نحن في هذا الحديث إذ أقبل حتّى وقف بين يدي الصادق عليه السّلام و جعلت دموعه تسيل و أقبل يمترّغ في التراب و يعوي، فرحمه فدعا له فعاد أعرابيّا فقال له الصّادق عليه السّلام: هل آمنت يا أعرابيّ؟ قال: نعم ألفا و ألفا.

و منه روي عن يونس بن ظبيان قال:كنت عند الصّادق عليه السّلام مع جماعة فقلت قول اللّه لإبراهيم:خذ أربعة من الطير فصرهنَّ إليك ٢: ٢٦٠أ كانت أربعة من أجناس مختلفة أو من جنس واحد؟ فقال: أ تحبّون أن اريكم

مثله؟ قلت: نعم فقال: يا طاوس فإذا طاوس طار إلى حضرته، فقال: يا غراب فإذا غراب بين يديه، فقال: يا بازي فإذا باز بين يديه، ثمّ قال: يا حمامة فإذا حمامة بين يديه، ثمّ أمر بذبحها كلّها و تقطيعها و نتف ريشها و أن يخلّط ذلك كلّه بعضه ببعض، ثمّ أخذ برأس الطاوس فقال: يا طاوس فرأينا لحمه و عظامه و ريشه يتميّز من غيره حتّى التصق ذلك برأسه فقام بين يديه حيّا، ثمّ صاح بالغراب فقام حيّا و البازي و الحمامة فقامتا كذلك حتّى قامت كلّها أحياء بين يديه.

و منه روى هشام بن الحكمأنّ رجلا من أهل الجبل أتى أبا عبد اللّه

عليه السّلام و معه عشرة آلاف درهم و قال: اشتر لي دارا أنزلها إذا قدمت و عيالي، ثمّ مضى إلى مكّة فلمّا حجّ و انصرف أنزله الصّادق عليه السّلام في داره و قال: اشتريت لك دارا في الفردوس الأعلى حدّها الأوّل إلى رسول اللّه و الثاني إلى عليّ و الثالث إلى الحسن و الرّابع إلى الحسين و كتبت الصكّ به، فلمّا سمع الرّجل ذلك قال: رضيت ففرّق الصادق عليه السّلام

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٦٦

تلك الدنانير على أولاد الحسن و الحسين، و انصرف الرّجل فلمّا وصل إلى منزله اعتلّ علّة الموت

فلمّا حضرته الوفاة جمع أهل بيته و حلفهم أن يجعلوا الصّكّ معه في قبره، ففعلوا ذلك فلمّا أصبحوا و غدوا إلى قبره وجدوا الصّكّ على وجه القبر و على ظهره مكتوب وفى لي وليّ اللّه جعفر بن محمّد بما وعدني.

و منهأنّ حمّاد بن عيسى سأل الصّادق عليه السّلام أن يدعو له ليرزقه اللّه ما يحجّ به كثيرا، و يرزقه ضياعا حسنة و دارا حسنة، و زوجة من أهل البيوتات، و أولادا أبرارا فقال عليه السّلام: «اللّهمّ ارزق حمّاد بن عيسى ما يحجّ به خمسين حجّة و ارزقه ضياعا حسنة و دارا حسناء و زوجة صالحة من قوم كرام و أولادا أبرارا قال: بعض

من حضر: دخلت بعض السنين على حمّاد بن عيسى في داره بالبصرة فقال: أ تذكر دعاء الصّادق عليه السّلام لي؟ قلت: نعم قال: هذه داري و ليس في البلد مثلها، و ضياعي أحسن الضيّاع، و زوجتى أخذتها من قوم كرام، و أولادي من تعرفهم، و قد حججت ثماني و أربعين حجّة قال: فحجّ حمّاد حجّتين بعد ذلك فلما خرج في الحجّة الحادية و الخمسين وصل إلى الجحفة و أراد أن يحرم دخل واديا ليغتسل فأخذه السيل و مرّ به فتبعه غلمانه فأخرجوه من الماء ميتا فسمّي حمّاد غريق الجحفة.

ذكر طرف من أخلاق الامام السابع ابي الحسن الأول موسى بن جعفر

الكاظم عليه السّلام و صفاته و كراماته

قال ابن طلحة: هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكثير التهجّد، الجادّ في الاجتهاد، المشهود له بالكرامات، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، يبيت اللّيل ساجدا و قائما، و يقطع النّهار متصدّقا و صائما، و لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظما، كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، و يقابل الجاني عليه بعفوه عنه، و لكثرة عباداته كان يسمّى بالعبد الصّالح، و يعرف بالعراق بباب الحوائج إلى اللّه لنجح المتوسّلين إلى اللّه تعالى به، كراماته تحار منها العقول و تقضى

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٦٧

بأن له عند اللّه قدم صدق لا تزلّ و لا تزول.

قال: و له ألقاب متعدّدة: الكاظم و هو أشهرها، و الصابر، و الصّالح و الأمين،

و أمّا مناقبه

فكثيرة و لو لم يكن منها إلا العناية الرّبانيّة لكفاه ذلك منقبة.

و قال الشيخ المفيد – رحمه اللّه –:

و كان أبو الحسن موسى عليه السّلام أعبد أهل زمانه و أفقههم، و أسخاهم كفّا، و أكرمهم نفسا، و روي أنّه كان يصلّي نوافل اللّيل و يصلها بصلاة الصبح، ثمّ يعقّب حتّى تطلع الشمس، و يخرّ للّه

ساجدا، فلا يرفع رأسه من الدّعاء و التحميد حتّى يقرب زوال الشمس،و كان يدعو كثيرا و يقول:

«اللّهمّ إنّي أسألك الرّاحة عند الموت، و العفو عند الحساب» و يكرّر ذلك و كان من دعائه عليه السّلام «عظم الذّنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك»

و كان يبكي من خشية اللّه حتّى تخضلّ لحيته بالدّموع، و كان أوصل النّاس لأهله و رحمه، و كان يتفقّد فقراء المدينة في اللّيل فيحمل إليهم الزنبيل فيه العين و الورق و الدّقيق و التمر فيوصل إليهم ذلك و لا يعلمون من أيّ جهة هو.

قال محمّد بن عبيد اللّه البكريّ:قدمت المدينة أطلب دينا

فأعياني فقلت: لو ذهبت إلى أبي الحسن موسى عليه السّلام فشكوت إليه فأتيته في ضيعته فخرج إليّ و معه غلام معه منسف فيه قديد مجزّع ليس معه غيره [١] فأكل و أكلت معه، ثمّ سألني عن حاجتي فذكرت له قصّتي، فدخل فلم يقم إلا يسيرا حتّى خرج إليّ فقال لغلامه: اذهب ثمّ مدّ يده إليّ فدفع إليّ صرّة فيها ثلاثمائة دينار، ثمّ قام فولّى، فقمت فركبت دابّتي و انصرفت.

و رويأنّ رجلا من ولد عمر بن الخطّاب كان في المدينة يؤذي أبا الحسن موسى عليه السّلام و يسبّه إذا رآه و يشتم عليا عليه السّلام فقال له أصحابه: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم عن ذلك و زجرهم

أشدّ الزّجر، و سأل عن العمريّ فاخبر أنّه خرج إلى زرع

---

[١] المنسف: الغربال الكبير.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٦٨

له فخرج إليه و دخل المزرعة بحماره فصاح به العمري لا توطّئ زرعنا فتوطّأه أبو الحسن عليه السّلام بالحمار حتّى وصل إليه فنزل و جلس عنده و باسطه و ضاحكه، و قال: كم غرمت على زرعك هذا؟ فقال: مائة دينار، قال: فكم ترجو أن يحصل فيه؟ قال: لست أعلم الغيب، قال: إنّما قلت:

كم ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: أرتجي فيه مائتي دينار، فأخرج له أبو الحسن عليه السّلام صرّة فيها ثلاثمائة دينار، و قال: هذا زرعك على حاله و اللّه يرزقك فيه ما ترجو، قال: فقام العمريّ و قبّل رأسه و سأله أن يصفح عن فارطه فتبسّم إليه أبو الحسن عليه السّلام و انصرف و راح إلى المسجد فوجد العمري جالسا فلمّا نظر إليه قال: اللّه أعلم حيث يجعل رسالاته، قال: فوثب إليه أصحابه فقالوا:

ما قصّتك قد كنت تقول غير هذا؟ فقال لهم: قد سمعتم ما قلت الآن و جعل يدعو لأبي الحسن عليه السّلام، فخاصموه و خاصمهم فلمّا رجع أبو الحسن عليه السّلام إلى

داره قال لأصحابه الّذين أشاروا بقتل العمري: كيف رأيتم أصلحت أمره و كفيت شرّه.

و ذكر جماعة من أهل العلم أن أبا الحسن عليه السّلام كان يصل بالمائتي دينار إلى الثلاثمائة دينار و كانت صرار موسى عليه السّلام مثلا.

قال: و كان أفقه أهل زمانه كما قدّمناه، و أحفظهم لكتاب اللّه عزّ و جلّ، و أحسنهم صوتا بالقرآن و كان إذا قرأ يحزن و يبكي و يبكي السامعين، و كان الناس بالمدينة يسمّونه زين المتهجّدين، و سمّي بالكاظم لما كظمه من الغيظ، و صبر عليه من فعل الظالمين به

حتّى مضى قتيلا في حبسهم و وثاقهم.

فصل و أمّا كراماته عليه السّلام

فمن كتاب ابن طلحة عن حسام بن حاتم الأصمّ أنّه قال: قال أبي حاتم: قال لي شقيق البلخيّ: خرجت حاجّا في سنة تسع و أربعين

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٦٩

و مائة فنزلت القادسية، فبينا أنا أنظر إلى الناس في زينتهم و كثرتهم فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة ضعيف فوق ثيابه ثوب من صوف مشتمل بشملة في رجليه نعلان، و قد جلس منفردا، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفيّة يريد أن يكون كلا على

الناس في طريقهم، و اللّه لأمضينّ، إليه و لاوبّخنّه فدنوت منه فلمّا رآني مقبلا قال: يا شقيق‌اجتنبوا كثيرا من الظنّ إنّ بعض الظنّ إثم ٤٩: ١٢ثمّ تركني و مضى فقلت في نفسي: إنّ هذا لأمر عظيم قد تكلّم بما في نفسي و نطق باسمي و ما هذا إلا عبد صالح لألحقنّه و لأسألنّه أن يخالني [١] فأسرعت في أثره فلم ألحقه و غاب عن عيني، فلمّا نزلنا واقصة فإذا به يصلّي و أعضاؤه تضطرب و دموعه تجري فقلت:

هذا صاحبي أمضي إليه و أستحلّه فصبرت حتّى جلس و أقبلت نحوه فلمّا رآني مقبلا قال: يا شقيق اتلو إنّي لغفّارٌ لمن تاب و آمن و عمل

صالحا ثمَّ اهتدى ٢٠: ٨٢ثمّ تركني و مضى فقلت: إنّ هذا الفتى لمن الأبدال قد تكلّم على سرّي مرّتين، فلمّا نزلنا زبالة إذا بالفتى قائم على البئر و بيده ركوة يريد أن يستقى ماء فسقطت الركوة من يده في البئر و أنا أنظر إليه فرأيته قد رمّق السماء [٢] و سمعته يقول:

أنت ربّي إذا ظمأت إلى الماء و قوتي إذا أردت طعاماللّهمّ سيّدي مالي غيرها فلا تعدمنيها، قال شقيق: فو اللّه لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فمدّ يده و أخذ الركوة و ملأها ماء، فتوضّأ و صلّى أربع ركعات ثمّ مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده و يطرحه في الركوة و يحرّكه و

يشرب، فأقبلت إليه و سلّمت عليه، فردّ عليّ السلام فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم اللّه عليك، قال: يا شقيق لم تزل نعمة اللّه علينا ظاهرة و باطنة، فأحسن ظنّك بربّك، ثمّ ناولني الركوة، فشربت منها فإذا هو سويق و سكّر، فو اللّه ما شربت قطّ ألذّ منه و لا أطيب ريحا، فشبعت و رويت و أقمت أيّاما لا أشتهي طعاما و لا شرابا، ثمّ لم أره حتّى دخلنا مكّة فرأيته ليلة إلى جنب قبّة الميزاب في نصف اللّيل قائما يصلّي بخشوع و أنين

---

[١] يخالنى اى يتخذنى خولا بعد ان انفرد، و الخول جمع خولى: العبيد و الاماء و الحاشية.

[٢] رمق ببصره نحوه اى نظر إليه شديدا.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٧٠

و بكاء، فلم يزل كذلك حتّى ذهب اللّيل، فلمّا رأى الفجر جلس في مصّلاه يسبّح، ثمّ قام فصلّى الغداة و طاف بالبيت أسبوعا و خرج، فتبعته و إذا له غاشية و موال [١] و هو على خلاف ما رأيته في الطريق و دار به الناس من حوله يسلّمون عليه، فقلت لبعض من رأيته يقرب منه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بن جعفر بن

محمّد بن عليّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام، فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيّد.

و من كتاب الشيخ المفيد – رحمه اللّه – في باب دلائل أبي الحسن موسى و آياته و معجزاته و علاماته عن هشام بن سالم قال:كنّا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد اللّه عليه السّلام أنا و محمّد بن النعمان صاحب الطاق، و الناس يجتمعون على عبد اللّه بن جعفر أنّه صاحب الأمر بعد أبيه، فدخلنا و الناس عنده فسألناه عن الزكاة في كم تجب، فقال:

في مائتي درهم خمسة دراهم، فقلنا: ففي مائة؟ قال: درهمان و نصف،

قلنا: و اللّه ما يقول المرجئة هذا، فقال: و اللّه ما أدري ما يقول المرجئة، قال: فخرجنا ضلالا لا ندري إلى أين نتوجّه أنا و أبو جعفر الأحول فقعدنا في بعض أزقّة المدينة باكيين لا ندري إلى أين نتوجّه و إلى من نقصد، نقول: إلى المرجئة، إلى القدرية، إلى المعتزلة، إلى الزّيديّة، فنحن كذلك إذ رأيت رجلا شيخا لا أعرفه يومي إليّ بيده، فخفت أن يكون عينا من عيون أبي جعفر المنصور، و ذلك أنّه كان له بالمدينة جواسيس على من يجتمع بعد جعفر إليه الناس فيؤخذ فيضرب عنقه، فخفت أن يكون منهم فقلت للأحول: تنحّ فإنّي خائف على نفسي و عليك، و إنّما

يريدني ليس يريدك فتنحّ عنّي لا تهلك فتعين على نفسك، فتنحّى عنّي بعيدا، و تبعت الشيخ و ذلك أنّي ظننت أنّي لا أقدر على التخلّص منه، فما زلت أتبعه و قد عزمت على الموت حتّى ورد بي على باب أبي الحسن موسى عليه السّلام، ثمّ خلاني و مضى، فإذا خادم بالباب فقال لي: ادخل رحمك اللّه، فدخلت فإذا أبو الحسن موسى عليه السّلام فقال

---

[١] غاشية فلان: خدمه و زواره و اصدقاؤه ينتابونه. و له موال اى عبيد.

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٧١

لي ابتداء منه: إليّ إليّ، لا إلى المرجئة، و لا إلى القدرية، و لا إلى المعتزلة، و لا إلى الزّيديّة، قلت: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال: نعم، قلت: مضى موتا؟ قال: نعم، قلت: فمن لنا بعده؟ قال: إن شاء اللّه أن يهديك هداك، قلت:

جعلت فداك إنّ أخاك عبد اللّه يزعم أنّه الإمام من بعد أبيه، فقال: عبد اللّه يريد أن لا يعبد اللّه، قال: قلت: جعلت فداك فمن لنا من بعده؟ فقال: إن شاء اللّه أن يهديك هداك، قلت: جعلت فداك فأنت هو؟ قال: لا أقول ذلك، قال: فقلت في نفسي إنّي لم أصب طريق المسألة، ثمّ

قلت له: جعلت فداك أ عليك إمام؟ قال: لا فدخلني شيء لا يعلمه إلا اللّه تعالى إعظاما له و هيبة، ثمّ قلت له: جعلت فداك أسألك عمّا كنت أسأل أباك؟ قال: سل تخبر و لا تذع فإن أذعت فهو الذّبح، قال: فسألته فإذا هو بحرّ لا ينزف، قلت: جعلت فداك شيعة أبيك ضلال فألقي إليهم هذا الأمر و أدعوهم إليك فقد أخذت عليّ الكتمان؟ قال: من آنست منه رشدا فألق إليه و خذ عليه الكتمان فإن أذاع فهو الذّبح و أشار بيده إلى حلقه، قال: فخرجت من عنده فلقيت أبا جعفر الأحول فقال لي: ما وراءك؟ قلت: الهدى و حدّثته القصّة، قال: ثمّ لقينا زرارة و أبا بصير فدخلا عليه و سمعا

كلامه و سألاه و قطعا عليه، ثمّ لقينا الناس أفواجا فكلّ من دخل عليه قطع عليه إلا طائفة عمّار الساباطي، و بقي عبد اللّه لا يدخل عليه من الناس إلا قليل.

و منه عن الرّافعيّ قال:كان لي ابن عمّ يقال له: الحسن بن عبد اللّه، و كان زاهدا و كان من أعبد أهل زمانه، و كان السلطان يتّقيه لجدّه في الدّين و العبادة، و ربّما استقبل السلطان في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بما يغضبه فكان يحتمل ذلك لصلاحه، فلم تزل هذه حاله حتّى دخل يوما المسجد و فيه أبو الحسن موسى عليه السّلام فأومى إليه فأتاه فقال له: يا أبا عليّ ما أحبّ إليّ ما أنت فيه و أسرّني

به إلا أنّه ليست لك معرفة فاطلب المعرفة، فقال له: جعلت فداك و ما المعرفة؟ قال:

اذهب تفقّه و اطلب الحديث، قال: عمّن؟ قال: عن فقهاء المدينة، ثمّ أعرض على الحديث قال: فذهب فكتب، ثمّ جاء فقرأه عليه فأسقطه كلّه، ثمّ قال: اذهب فأعرف

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٧٢

و كان الرّجل معنيّا بدينه، قال: فلم يزل يترصّد أبا الحسن عليه السّلام حتّى خرج إلى ضيعة له، فلقيه في الطريق فقال له: جعلت فداك إنّي أحتجّ عليك بين يدي اللّه عزّ و جلّ فدلّني على ما يجب عليّ معرفته، قال: فأخبره أبو الحسن عليه السّلام

بأمر أمير المؤمنين عليه السّلام و حقّه و ما يجب له و أمر الحسن و الحسين و عليّ بن الحسين، و محمّد بن عليّ، و جعفر بن محمّد صلوات اللّه عليهم ثمّ سكت، فقال له: جعلت فداك فمن الإمام اليوم؟ قال: إن أخبرتك تقبل؟ قال: نعم، قال: أنا هو، قال: فشيء أستدلّ به قال: اذهب إلى تلك الشجرة و أشار إلى بعض شجر أمّ غيلان و قل لها:

يقول لك موسى بن جعفر: أقبلي، قال: فأتاها فرأيتها و اللّه تخدّ الأرض خدّا حتّى وقفت بين يديه، ثمّ أشار إليها بالرجوع فرجعت، قال: فأقرّ به، ثمّ لزم الصمت و العبادة، و كان لا يراه أحد يتكلّم بعد ذلك.

و منه روى عبد اللّه بن إدريس عن ابن سنان قال:حمل الرّشيد في بعض الأيّام إلى عليّ بن يقطين ثيابا أكرمه بها، و كان في جملتها درّاعة خزّ سوداء من لباس الملوك مثقّلة بالذّهب، فأنفذ عليّ بن يقطين جلّ تلك الثياب إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام، و أنفذ في جملتها تلك الدّراعة و أضاف عليه مالا كان أعدّه على رسم له فيما يحمله إليه من خمس ماله، فلمّا وصل ذلك إلى أبي الحسن عليه السّلام قبل المال و الثياب و ردّ الدّراعة على يد الرّسول إلى عليّ بن يقطين، و كتب إليه: احتفظ بها و لا تخرجها عن يدك، فسيكون لك بها شأن تحتاج إليها

معه، فارتاب عليّ بن يقطين بردّها عليه و لم يدر ما سبب ذلك و احتفظ بالدّراعة، فلّما كان بعد ذلك بأيّام تغيّر عليّ بن يقطين على غلام كان يختصّ به فصرفه عن خدمته، و كان الغلام يعرف ميل عليّ بن يقطين إلى أبي الحسن موسى عليه السّلام، و يقف على ما يحمله إليه في كلّ وقت من مال و ثياب و ألطاف و غير ذلك، فسعى به إلى الرّشيد [١] فقال: إنّه يقول

---

[١] سعى به إليه سعاية و سعيا عند الأمير نم عليه و وشى به، و

في الكنز سعايت يعنى بد گوئى كردن و نمامى.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٧٣

بإمامة موسى بن جعفر و يحمل إليه خمس ماله في كلّ سنة، و قد حمل إليه الدرّاعة الّتي أكرمه بها أمير المؤمنين [١] في وقت كذا و كذا، فاستشاط الرّشيد لذلك و غضب غضبا شديدا، و قال: لأكشفنّ عن هذه الحال، فإن كان الأمر كما تقول: أزهقت نفسه. و أنفذ في الوقت و طلب عليّ بن يقطين، فلمّا مثّل بين يديه قال له: ما فعلت الدّراعة الّتي كسوتك بها؟ قال: هي يا أمير المؤمنين عندي في سفط مختوم و فيه طيب قد

احتفظت بها و قلّما أصبحت إلا و فتحت السفط و نظرت إليها تبرّكا بها و قبّلتها و رددتها إلى موضعها و كلّما أمسيت صنعت مثل ذلك، فقال: أحضرها الساعة قال: نعم يا أمير المؤمنين و استدعى بعض خدمه فقال له: امض إلى البيت الفلاني من داري، فخذ مفتاحه من خازني و افتحه ثمّ افتح الصندوق الفلاني فجئني بالسفط الّذي فيه بختمه، و لم يلبث الغلام أن جاء بالسفط مختوما فوضع بين يدي الرّشيد فأمر بكسر ختمه و فتحه فلمّا فتحه نظر إلى الدرّاعة فيه بحالها مطويّة مدفوفة في الطيب، فسكن الرّشيد من غضبه، ثمّ قال لعليّ بن يقطين: اردها إلى مكانها

و انصرف راشدا فلن نصدّق عليك بعدها ساعيا، و أمر أن يتبع بجائزة سنيّة، و أمر بضرب السّاعي به ألف سوط فضرب نحو خمسمائة فمات في ذلك».

و منه روي عن محمّد بن الفضل قال:«اختلفت الرّواية بين أصحابنا في مسح الرّجلين في الوضوء أ هي من الأصابع إلى الكعبين أم من الكعبين إلى الأصابع، فكتب ابن يقطين إلى أبي الحسن موسى عليه السّلام جعلت فداك إنّ أصحابنا قد اختلفوا في مسح الرّجلين فإن رأيت أن تكتب إليّ بخطّك ما يكون عملي عليه فعلت إن شاء اللّه، فكتب إليه أبو الحسن عليه السّلام: فهمت ما ذكرت من الاختلاف في

الوضوء و الّذي آمرك به في ذلك أن تتمضمض ثلاثا، و تستنشق ثلاثا، و تخلّل شعر لحيتك، و تغسل وجهك ثلاثا، و تغسل يديك إلى المرفقين ثلاثا و تمسح رأسك كلّه، و تمسح ظاهر أذنيك و باطنهما و تغسل رجلك إلى الكعبين ثلاثا و لا تخالف ذلك إلى غيره،

---

[١] يعنى به الرشيد و قوله: «فاستشاط الرشيد» اى التهب غضبا.

فلمّا وصل الكتاب إلى عليّ بن يقطين تعجّب ممّا رسم له فيه ممّا أجمع العصابة على خلافه، ثمّ قال: مولاي أعلم بما قال و أنا أمتثل أمره، فكان عليّ يعمل في وضوئه على هذا الحدّ و يخالف ما عليه جميع الشيعة امتثالا لأمر أبي الحسن عليه السّلام، و سعي لعليّ بن يقطين إلى الرّشيد و قيل: إنّه رافضيّ مخالف لك، فقال الرّشيد لبعض خاصّته:

قد كثر عندي القول في عليّ بن يقطين و القرف [١] له بخلافنا و ميله إلى الرّوافض، و لست أرى في خدمته لي تقصيرا، و قد امتحنته مرارا فما ظهر لي ما يقرّف به، و احبّ أن أستبري أمره من حيث لا

يشعر بذلك، فيحترز منّي، فقيل له: إنّ الرافضة يا أمير المؤمنين تخالف الجماعة في الوضوء فتخفّفه و لا ترى غسل الرّجلين، فامتحنه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه، فقال: أجل إنّ هذا الوجه يظهر به أمره، ثمّ تركه مدّة و ناطه [٢] بشيء من الشغل في الدّار حتّى دخل وقت الصلاة، و كان عليّ بن يقطين يخلو إلى حجرة في الدّار لوضوئه و صلاته، فلمّا دخل وقت الصلاة وقف الرشيد من وراء الحائط بحيث يرى عليّ بن يقطين و لا يراه هو، فدعا بالماء للوضوء فتوضّأ كما تقدّم، و الرشيد ينظر إليه، فلمّا رآه قد فعل ذلك لم يملك نفسه حتّى أشرف عليه بحيث يراه،

ثمّ ناداه كذب يا عليّ بن يقطين من زعم أنّك من الرّافضة و صلحت حاله عنده، و ورد عليه كتاب أبي الحسن عليه السّلام ابتداء: من الآن يا عليّ بن يقطين توضّأ كما أمر اللّه تعالى، اغسل وجهك مرّة فريضة و أخرى إسباغا، و اغسل يديك من المرفقين كذلك، و امسح بمقدّم رأسك و ظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك، فقد زال ما كنّا نخاف عليك و السلام.

و منه روي عليّ بن أبي حمزة البطائني قال:خرج أبو الحسن عليه السّلام في بعض الأيّام من المدينة إلى ضيعة له خارجة عنها، فصحبته و كان عليه السّلام راكبا بغلة و أنا على حمار لي فلمّا

صرنا في بعض الطريق اعترضنا أسد فأجحمت عنه [٣] خوفا و

---

[١] القرفة - بكسر القاف - التهمة. و قرفه - كعظمه - أى عابه و اتهمه.

[٢] أى شغله بشغل.

[٣] أجحم عن الامر - بتقديم المعجمة -: كف.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٧٥

أقدم أبو الحسن عليه السّلام غير مكترث به فرأيت الأسد يتذلّل لأبي الحسن عليه السّلام و يهمهم، فوقف أبو الحسن عليه السّلام كالمصغي

إلى همهمته، فوضع الأسد يده على كفل بغلته، و قد همّتني نفسي من ذلك فخفت خوفا عظيما، ثمّ تنحّى الأسد إلى جانب الطريق، و حوّل أبو الحسن موسى عليه السّلام وجهه إلى القبلة و جعل يدعو و يحرّك شفتيه بما لم أفهمه، ثمّ أومأ بيده إلى الأسد أن امض، فهمهم الأسد همهمة طويلة و أبو الحسن عليه السّلام يقول: آمين آمين، و انصرف الأسد حتّى غاب عنّا و مضى أبو الحسن عليه السّلام لوجهه، فلمّا بعدنا عن الموضع قلت له: جعلت فداك ما شأن هذا الأسد فقد خفته و اللّه عليك و عجبت من شأنه معك؟ فقال لي أبو الحسن عليه السّلام: إنّه خرج يشكو إليّ

عسر الولادة على لبوته [١] و سألني أن أسأل اللّه أن يفرّج عنها ففعلت ذلك فالقي في روعي أنّها تلد له ذكرا فخبّرته بذلك، فقال: امض في حفظ اللّه فلا سلّط اللّه عليك و لا على ذرّيّتك و لا على أحد من شيعتك شيئا من السّباع، فقلت: آمين.

قال الشيخ المفيد – رحمه اللّه –: و الأخبار في هذا الباب كثيرة و فيما أثبتناه منها كفاية على الرّسم الّذي تقدّم.

أقول: و قد تركت بعض ما ذكره أيضا روما للاختصار و كذا ممّا ذكر ابن طلحة.

و مما أورده الحميريّ في الدّلائل ما رواه عن أحمد بن محمّد، عن أبي

قتادة القمّي، عن أبي خالد الزّبالي قال:قدم أبو الحسن موسى عليه السّلام زبالة و معه جماعة من أصحاب المهديّ بعثهم في إشخاصه القدمة الأولى، قال: و أمرني بشراء حوائج له فنظر إليّ و أنا مغموم فقال: يا أبا خالد مالي أراك مغموما؟ قلت: هو ذا تصير إلى هذا الطاغية و لا آمنه عليك، فقال: يا أبا خالد ليس عليّ منه بأس إذا كان شهر كذا و كذا في يوم كذا و كذا فانتظرني في أوّل اللّيل فإنّي اوافيك إن شاء اللّه، فما كانت لي همّة إلا إحصاء الشهور و الأيّام حتّى كان ذلك اليوم فغدوت إلى أوّل

[١] اللبوة: انثى الاسد.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٧٦

اللّيل في المصر الّذي وعدني، فلم أزل أنتظره إلى أن كادت الشمس أن تغيب، و وسوس الشيطان في صدري فلم أر أحدا، ثمّ تخوّفت أن أشكّ و وقع في قلبي أمر عظيم، فبينا أنا كذلك و إذا سواد قد أقبل من ناحية العراق، فانتظرته فوافاني أبو الحسن عليه السّلام أمام القطار على بغلة له فقال: إيه أبا خالد، قلت: لبيك يا ابن رسول اللّه، قال:

لا تشكنّ ودّ الشيطان أنّك شككت؟

قلت: قد كان ذلك، قال:

فسررت بتخليصه، فقلت: الحمد للّه الّذي خلّصك من الطاغية، فقال: يا أبا خالد إنّ لهم إليّ عودة لا أتخلّص منها.

و منه عن عيسى المدائنيّ قال:خرجت سنة إلى مكّة فأقمت بها، ثم قلت:

اقيم بالمدينة مثل ما أقمت بمكّة فهو أعظم لثوابي، فقدمت المدينة فنزلت طرف المصلّى إلى جنب دار أبي ذرّ - رضي اللّه عنه - فجعلت أختلف إلي سيّدي فأصابنا مطر شديد بالمدينة فأتينا أبا الحسن عليه السّلام يوما فسلّمنا عليه و أنّ السماء تهطّل [١] فلمّا دخلت

ابتدأني فقال لي: و عليك السلام يا عيسى ارجع فقد انهدم بيتك على متاعك فانصرفت فإذا البيت قد انهدم على المتاع، فاكتريت قوما يكشفون عن متاعي فاستخرجته فما ذهب لي شيء و لا افتقدته غير سطل كان لي، فأتيته من الغد مسلّما عليه قال: هل فقدت شيئا من متاعك فندعو اللّه لك بالخلف؟ فقلت: ما فقدت شيئا غير سطل كان لي أتوضّأ فيه فقدته، فأطرق مليّا، ثمّ رفع رأسه إليّ فقال: قد ظننت أنّك انسيته فسل جارية ربّ الدار و قل لها: أنت رفعت السطل فردّيه فإنّها ستردّه عليك، فلمّا انصرفت أتيت جارية ربّ الدّار فقلت لها: إنّي انسيت سطلا في

الخلاء، فدخلت فأخذته فردّيه أتوضّأ فيه، قال: فردّته.

و منه قال عليّ بن أبي حمزة:كنت عند أبي الحسن عليه السّلام جالسا إذ أتاه

---

[١] تهطل المطر من باب التفعيل: نزل متتابعا.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٧٧

رجل يقال له: جندب، فسلم عليه ثمّ جلس فسأل أبا الحسن عليه السّلام فأكثر السؤال، ثمّ قال: يا جندب ما فعل أخوك؟ فقال: الخير و هو يقرئك السلام فقال له: عظّم اللّه

أجرك في أخيك، فقال له: ورد إليّ كتابه من الكوفة لثلاثة عشر يوما بالسلامة، فقال له: يا جندب و اللّه مات بعد كتابه إليك بيومين و دفع إلى امرأته مالا و قال لها: ليكن هذا المال عندك فإذا قدم أخي فادفعيه إليه و قد أودعه الأرض في البيت الّذي كان يسكنه، فإذا أنت أتيتها فتلطّف لها و أطمعها في نفسك فإنّها ستدفعه إليك، قال عليّ: و كان جندب رجلا جميلا، قال عليّ: فلقيت جندبا بعد ما فقد أبو الحسن فسألته عمّا كان قال أبو الحسن، فقال: يا عليّ صدق و اللّه سيّدي ما زاد و لا نقص لا في الكتاب و لا في المال.

و منه عن إسحاق بن عمّار قال:سمعت العبد الصالح عليه السّلام ينعى إلى رجل نفسه فقلت في نفسي: و إنّه ليعلم متى يموت الرّجل من شيعته؟ فالتفت إليّ شبه المغضب، فقال: يا إسحاق قد كان رشيد الهجري و كان من المستضعفين يعلم علم المنايا و البلايا فالإمام أولى بذلك، يا إسحاق اصنع ما أنت صانع فعمرك قد فني و أنت تموت إلى سنتين و إخوتك و أهل بيتك لا يلبثون من بعدك إلا يسيرا حتّى تفترق كلمتهم و يخون بعضهم بعضا و يصيرون لاخوانهم و من يعرفهم رحمة حتّى يشمت بهم عدوّهم، قال:

قال إسحاق: فإنّي أستغفر اللّه ممّا عرض في صدري، فلم يلبث إسحاق بعد هذا المجلس إلا سنتين حتّى مات، ثمّ ما ذهبت الأيّام حتّى قام بنو عمّار بأموال الناس و أفلسوا أقبح إفلاس، فجاء ما قال أبو الحسن عليه السّلام فيهم ما غادر قليلا و لا كثيرا.

و منه قال هشام بن الحكم:أردت شراء جارية بمنى و كتبت إلى أبي الحسن عليه السّلام اشاوره فلم يردّ عليّ جوابا، فلمّا كان في الطواف مرّ بي يرمي الجمار على حمار، فنظر إليّ و إلى الجارية من بين الجواري، ثمّ أتاني كتابه لا أرى بشرائها بأسا إن لم يكن في عمرها

قلّة، قلت: لا و اللّه ما قال لي هذا الحرف إلا و ههنا شيء،

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٧٨

لا و اللّه لا أشتريها قال: فما خرجت من مكّة حتّى دفنت.

و منه عن زكريا بن آدم قال: سمعت الرّضا عليه السّلام يقول:«كان أبي عليه السّلام ممّن تكلّم في المهد».

و منه عن الأصبغ بن موسى قال:بعث معي رجل من أصحابنا إلى أبي إبراهيم عليه السّلام بمائة دينار و كانت معي بضاعة لنفسي و بضاعة له فلمّا دخلت المدينة صببت على الماء و غسلت بضاعتي و بضاعة الرّجل، و

ذررت عليها مسكا، ثمّ إنّي عدّدت بضاعة الرّجل فوجدتها تسعة و تسعين دينارا فأعدت عدّها و هي كذلك فأخذت دينارا أخرى لي فغسلته و ذررت عليه المسك و أعدتها في صرّة كما كانت و دخلت عليه في اللّيل فقلت له: جعلت فداك، إنّ معي شيئا أتقرّب به إلى اللّه تعالى فقال لي: هات فناولته دنانيري، و قلت له: جعلت فداك إنّ فلانا مولاك بعث إليك معي شيئا، فقال:

هات فناولته الصرّة قال: صبّها فصببتها فنثرها بيده و أخرج ديناري منها، ثمّ قال:

إنّما بعث إلينا وزنا لا عددا.

هذا آخر ما أردت إثباته من الدّلائل و قد تركت منها كثيرا للاختصار.

و من كتاب الرّاوندي في معجزاته عليه السّلام عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام قال: «قال أبي موسى بن جعفر عليهما السّلام لعليّ بن أبي حمزة مبتدئا:إنّك لتلقى رجلا من أهل المغرب يسألك عنّي فقل: هو الإمام الّذي قال لنا أبو عبد اللّه الصّادق عليه السّلام، فإذا سألك عن الحلال و الحرام فأجبه، قال: فما علامته؟ قال عليه السّلام: رجل جسيم طويل اسمه يعقوب بن يزيد، و هو رائد قومه، و إن أراد الدّخول إليّ فأحضره عندي، قال عليّ بن أبي حمزة: فو اللّه إنّي لفي الطواف إذ أقبل رجل جسيم طويل فقال لي:

إنّي أريد أن أسألك عن صاحبك، قلت: عن أيّ الأصحاب؟ قال: عن موسى بن جعفر، قلت: فما اسمك، قال: يعقوب بن يزيد، قلت: من أين أنت؟ قال: من المغرب، قلت: من أين عرفتني؟ قال: أتاني آت في منامي فقال لي: الق عليّ بن

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٧٩

أبي حمزة فسله عن جميع ما تحتاج إليه فسألت عنك فدللت عليك، فقلت: اقعد في هذا الموضع حتّى أفرغ من طوافي و أعود إليك، فطفت ثمّ أتيته فكلّمته فرأيته رجلا عاقلا فطنا فالتمس مني الوصول إلى موسى بن جعفر عليهما السّلام، فأوصلته إليه فلمّا رآه، قال:

يا يعقوب بن يزيد قدمت أمس و وقع بينك و بين أخيك خصومة في موضع كذا حتّى تشاتمتما، و ليس هذا من ديني و لا من دين آبائي فلا نأمر بهذا أحدا من شيعتنا، فاتّق اللّه فإنّكما ستفترقان عن قريب بموت فأمّا أخوك فيموت في سفرته هذه قبل أن يصل إلى أهله و تندم أنت على ما كان منك إليه فإنّكما تقاطعتما و تدابرتما فقطع عليكما أعماركما فقال الرّجل: يا ابن رسول اللّه فأنا متى يكون أجلي؟ قال: كان قد حضر أجلك فوصلت عمّتك بما وصلتها في منزل كذا و كذا فنسأ اللّه في أجلك عشرين حجّة، قال عليّ بن أبي حمزة: فلقيت الرّجل من قابل بمكّة فأخبرني أنّ أخاه

توفّي و دفنه في الطريق قبل أن يصير إلى أهله.

و منه أنّ المفضّل بن عمر قال: لمّا مضى الصادق عليه السّلام كانت وصيّته إلى موسى الكاظم عليه السّلام فادّعى أخوه عبد اللّه الإمامة و كان أكبر ولد جعفر في وقته ذلك و هو المعروف بالأفطح فأمر موسى عليه السّلام بجمع حطب كثير في وسط داره و أرسل إلى أخيه عبد اللّه فسأله أن يصير إليه فلمّا صار إليه و مع موسى عليه السّلام جماعة من الإماميّة فلمّا جلس أمر موسى عليه السّلام بطرح النار في الحطب فاحترق و لا يعلم الناس السبب فيه حتّى صار الحطب كلّه جمرا، ثمّ قام

موسى عليه السّلام و جلس بثيابه وسط النار و أقبل يحدّث الناس ساعة، ثمّ قام فنفض ثوبه و رجع إلى المجلس فقال لأخيه عبد اللّه: إن كنت تزعم أنّك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس قالوا: فرأينا عبد اللّه و قد تغيّر لونه و قام يجرّ رداءه حتّى خرج من دار موسى عليه السّلام.

و منه قال عليّ بن أبي حمزة:أخذ بيدي موسى بن جعفر عليهما السّلام يوما فخرجنا

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٨٠

من المدينة إلى الصّحراء فإذا نحن برجل مغربيّ على الطريق يبكي و بين يديه حمار ميّت و رحله

مطروح فقال له موسى عليه السّلام: ما شأنك؟ قال: كنت مع رفقائي نريد الحجّ فمات حماري ههنا و مضى أصحابي و بقيت متحيّرا ليس لي شيء أحمل عليه، فقال موسى عليه السّلام: لعلّه لم يمت، قال: ما ترحمني حتّى تلهو بي، قال: إنّ عندي رقية جيّدة؟ قال الرجل: ما يكفيني ما أنا فيه حتّى تستهزئ بي، فدنى موسى عليه السّلام من الحمار و دعا بشيء لم أسمعه و أخذ قضيبا كان مطروحا فنخسه [١] به و صاح عليه، فوثب قائما صحيحا سليما فقال: يا مغربي ترى ههنا شيئا من الاستهزاء؟ ألحق بأصحابك، و مضينا و تركناه، قال عليّ بن أبي حمزة: فكنت واقفا يوما

على زمزم فإذا المغربي هناك فلمّا رآني عدا إليّ و قبّلني فرحا مسرورا، فقلت: ما حال حمارك فقال: هو و اللّه صحيح سليم و لا أدري من أين منّ اللّه عليّ فأحيى لي حماري بعد موته، فقلت له: قد بلغت حاجتك فلا تسأل عمّا لا تبلغ معرفته.

و قد ذكر الرّاوندي أشياء اخر لم نوردها.

ذكر طرف من أخلاق الامام الثامن ابي الحسن الثاني على بن موسى الرضا عليه السّلام و صفاته و كراماته

قال ابن طلحة: قد تقدّم القول في أمير المؤمنين عليّ و في زين العابدين عليّ، و جاء هذا عليّ

الرّضا ثالثهما، و من أمعن فكره و نظره وجده في الحقيقة وارثهما فيحكم أنّه ثالث العليّين، نمى إيمانه، و علا شأنه، و ارتفع مكانه، و اتّسع إمكانه، و كثر أعوانه، و ظهر برهانه، حتّى أحلّه الخليفة المأمون محلّ مهجته، و شركه في مملكته، و فوّض إليه أمر خلافته، و عقد له عليه على رءوس الأشهاد عقدة نكاح ابنته، و كانت مناقبه عليّة، و صفاته الشريفة سنيّة، و مكارمه حاتميّة، و شنشنته

---

[١] و نخس الدابة غرز جنبها أو مؤخرها بعود و نحوه فهاجت.

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٨١

أخزميّة [١] و أخلاقه عربيّة، و نفسه الشريفة هاشميّة، و ارومته الكريمة نبويّة، فمهما عدّ من مزاياه كان عليه السّلام أعظم منه، و مهما فصّل من مناقبه كان أعلى رتبة عنه، قال:

و أمّا ألقابه فالرّضا و الصابر و الرّضيّ و الوفي، و أشهرها الرّضا، و أمّا مناقبه و صفاته

فمنها ما خصّه اللّه به، و يشهد له بعلوّ قدره و سموّ شأنه.

و ذكر طرفا من كراماته عليه السّلام و سنذكر بعضه إن شاء اللّه.

و روى الشيخ المفيد – رحمه اللّه – عن يزيد بن سليط في حديث طويل عن أبي إبراهيم عليه السّلام أنّه قال في السنة الّتي قبض فيها:«إنّي اوخذ في هذه السنة و الأمر إلى ابني عليّ سميّ عليّ و عليّ، فأمّا عليّ الأوّل فعليّ بن أبي طالب عليه السّلام، و أمّا عليّ الآخر فعليّ بن الحسين عليهما السّلام أعطي فهم الأوّل و حلمه و نصره و ودّه و ورعه و دينه، و محنة الآخر و صبره على ما يكره – الحديث –.

و قال – رحمه اللّه – في الفصل الّذي ذكر فيه طرفا من خصائصه و مناقبه و أخلاقه الكريمة عليه السّلام: قال إبراهيم بن العباس:ما

رأيت الرّضا عليه السّلام سئل عن شيء إلا علمه، و لا رأيت أعلم منه بما كان في الزّمان إلى وقته و عصره، و كان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء فيجيب عنه، و كان كلامه كلّه و جوابه و تمثّله انتزاعات من القرآن المجيد، و كان يختمه في كلّ ثلاث، و كان يقول: «لو أنّي أردت أن أختمه في أقرب من ثلاث لختمت و لكنّي ما مررت بآية قطّ إلا فكّرت فيها و في أيّ شيء أنزلت».

و عنه قال: ما رأيت و لا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرّضا عليه السّلام، و شهدت منه ما لم اشاهد من أحد، و ما رأيته جفا أحدا بكلام قطّ و لا رأيته قطع على أحد

كلامه حتّى يفرغ منه، و ما ردّ أحدا عن حاجة قدر عليها، و لا مدّ رجليه بين

---

[١] الشنشنة: الطبيعة و قد تقدم معناها. و أخزم جد حاتم الطائي راجع مزيد البيان جامع الشواهد باب الالف بعده النون «ان بني رملونى بدمى» - الى قوله -: «شنشنة اعرفها من أخزم».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٨٢

يدي جليس له قطّ، و لا اتكّأ بين يديه جليس له قطّ، و لا رأيته يشتم أحدا من مواليه و مماليكه، و لا

رأيته تفل قطّ، و لا رأيته يقهقه في ضحكه بل كان ضحكه التبسّم، و كان إذا خلا و نصبت الموائد أجلس على مائدته مماليكه و مواليه حتّى البوّاب و السائس، و كان قليل النوم باللّيل كثير الصّوم،و لا يفوته صيام ثلاثة أيّام في الشهر و يقول: ذلك صيام الدّهر،

و كان كثير المعروف و الصدقة في السرّ، و أكثر ذلك منه لا يكون إلا في اللّيالي المظلمة، فمن زعم أنّه رأى مثله في فضله فلا تصدّقوه.

و عن محمّد بن عبّاد قال: كان جلوس الرّضا عليه السّلام على حصير في الصيف و على مسح في الشتاء، و لبسه الغليظ من

الثياب حتّى إذا برز للناس تزيّن لهم.

و عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهرويّ قال: ما رأيت أعلم من عليّ ابن موسى الرّضا عليه السّلام و لا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادتي، و لقد جمع المأمون في مجالس له عددا من علماء الأديان و فقهاء الشريعة و المتكلّمين فغلبهم عن آخرهم حتّى ما بقي منهم أحد إلا أقرّ له بالفضل، و أقرّ على نفسه بالقصور، و لقد سمعته عليه السّلام يقول: كنت أجلس في الرّوضة و العلماء بالمدينة متوافرون فإذا أعيى الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ

بأجمعهم، و بعثوا إليّ المسائل فأجيب عنها.

قال أبو الصلت: و لقد حدّثني محمّد بن إسحاق بن موسى، عن أبيه أنّ موسى ابن جعفر عليهما السّلام كان يقول لبنيه:هذا أخوكم عليّ بن موسى عالم آل محمّد فسلوه عن أديانكم، و احفظوا ما يقول لكم فإنّي سمعت أبي جعفر بن محمّد عليهما السّلام يقول لي: إنّ عالم آل محمّد لفي صلبك، أو ليتني أدركته فإنّه يسمّى أمير المؤمنين.

و عن محمّد بن يحيى الفارسي قال:نظر أبو نواس إلى الرّضا عليه السّلام ذات يوم و قد خرج من عند المأمون على بغلة له، فدنا منه و

سلّم عليه و قال: يا ابن رسول اللّه قلت: فيك أبياتا و أحبّ أن تسمعها منّي، فقال: هات فأنشأ يقول.... فقال الرّضا عليه السّلام: قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد يا غلام هل معك من نفقتنا شيء؟ فقال له: ثلاثمائة دينار فقال: أعطها إيّاه، ثمّ قال: لعلّه استقللتها يا غلام سق

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٨٣

إليه البغلة».

و عن أبي الصلت الهرويّ قال:كان الرّضا عليه السّلام يكلّم الناس بلغاتهم، و كان و اللّه أفصح الناس و أعلمهم بكلّ لسان و لغة، فقلت له يوما: يا ابن رسول اللّه إنّي لأعجب من معرفتك بهذه اللّغات

على اختلافها فقال: يا أبا الصلت أنا حجّة اللّه على خلقه، و ما كان اللّه ليتّخذ حجّة على قوم و هو لا يعرف لغاتهم أو ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «اوتينا فصل الخطاب» و هل فصل الخطاب إلا معرفة اللّغات.

و عن الرّضا عليه السّلام أنّه قال له رجل من خراسان:يا ابن رسول اللّه رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في المنام كأنّه يقول لي: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي و استحفظتم وديعتي و غيّب في ثراكم لحمي فقال له الرّضا عليه السّلام: أنا المدفون في أرضكم، و أنا بضعة من نبيّكم، و أنا الوديعة و اللّحم ألا فمن زارني و

هو يعرف ما أوجب اللّه تعالى من حقّي و طاعتي فأنا و آبائي شفعاؤه يوم القيامة و من كنّا شفعاءه نجى، و لو كان عليه مثل ذنوب الثقلين الجنّ و الإنس و لقد حدّثني أبي عن جدّي، عن أبيه أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: من رآني في منامه فقد رآني فإنّ الشيطان لا يتمثّل في صورتي و لا في صورة أحد من أوصيائي و لا في صورة أحد من شيعتهم و إنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءا من النبوّة».

و أمّا ما روي عنه من فنون العلم و أنواع الحكم و الاخبار المجموعة و المنثورة و المحاسن مع أهل الملل

و المناظرات المشهورة فأكثر من أن تحصى.

و قال عليّ بن عيسى الاربليّ - رحمه اللّه -: و هذا كتاب عيون أخبار الرّضا عليه السّلام قد اشتمل على فرائد و أوابد [١] أحسن من العقود القلائد في ألباب الخرائد فمن أراد أن يسرح طرفه في رياضه، و يروّي ظمأه من نمير حياضه [٢]، و يعجّب من غرائبه و فنونه

---

[١] أو ابد الكلام غرائبه.

[٢] النمير: الزاكى من الماء.

و حدائقه و عيونه فقد دللته عليه، و أهديت عقيلته إليه، فما عليه مزيد في معناه و قد أجاد ما شاء جامعه – رحمه اللّه –.

فصل و أمّا كراماته

فممّا أورده ابن طلحة منها أنّه عليه السّلام لمّا جعله الخليفة المأمون وليّ عهده و أقامه خليفة من بعده كان في حاشية المأمون أناس كرهوا ذلك و خافوا خروج الخلافة عن بني العبّاس و عودها إلى بني فاطمة عليها السّلام فحصل عندهم من الرّضا عليه السّلام نفور وافر و كان عادة الرّضا عليه السّلام إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل عليه يبادر من بالدّهليز من الحاشية إلى السلام عليه و رفع الستر بين يديه

ليدخل، فلمّا حصلت لهم النفرة عنه تواصوا فيما بينهم و قالوا: إذا جاء ليدخل على الخليفة أعرضوا عنه و لا ترفعوا الستر، فاتّفقوا على ذلك. فبيناهم قعود إذ جاء الرّضا عليه السّلام على عادته فلم يملكوا لأنفسهم أن سلّموا عليه و رفعوا الستر على عادتهم فلمّا دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون كونهم ما وقفوا على ما اتّفقوا عليه، و قالوا: النوبة الآتية إذا جاء لا نرفعه له، فلمّا كان في ذلك اليوم جاء فقاموا و سلّموا عليه و وقفوا و لم يبتدروا إلى رفع الستر فأرسل اللّه ريحا شديدا دخلت في الستر حتّى رفعته أكثر ممّا كانوا يرفعونه ثمّ دخل فسكنت الرّيح فعاد الستر إلى

ما كان فلمّا خرج عادت الرّيح حتّى دخلت في الستر فرفعته حتّى خرج، ثمّ سكنت فعاد الستر، فلمّا ذهب أقبل بعضهم على بعض و قالوا: هل رأيتم؟ قالوا: نعم، فقال بعضهم لبعض: يا قوم هذا رجل له عند اللّه منزلة و للّه به عناية، ألم تروا أنّكم لمّا لم ترفعوا له الستر أرسل اللّه الرّيح و سخّرها له لرفع الستر كما سخّرها لسليمان فارجعوا إلى خدمته فهو خير لكم فعادوا إلى ما كانوا عليه و زادت عقيدتهم فيه.

و منهأنّه كان بخراسان امرأة تسمّى زينب فادّعت أنّها علويّة من سلالة فاطمة عليها السّلام و صارت تصول على أهل خراسان بنسبها فسمع بها عليّ الرّضا عليه السّلام

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٨٥

فلم يعرف نسبها فأحضرت إليه فرّد نسبها، و قال: هذه كذّابة فسفّهت عليه و قالت:

كما قدحت في نسبي فأنا أقدح في نسبك فأخذته الغيرة العلويّة فقال لسلطان خراسان – و كان لذلك السلطان بخراسان موضع واسع فيه سباع مسلسلة للانتقام من المفسدين يسمّى ذلك الموضع بركة السّباع – فأخذ الرّضا عليه السّلام بيد تلك المرأة فأحضرها عند السلطان فقال: هذه كذّابة على عليّ و فاطمة عليهما السّلام و ليست من نسلهما، فإنّ من كان حقّا بضعة من فاطمة و عليّ فإنّ لحمه حرام على السباع

فألقوها في بركة السّباع، فإنّ كانت صادقة فإنّ السباع لا تقربها و إن كانت كاذبة فتفترسها، فلمّا سمعت ذلك منه قالت: فأنزل أنت إن كنت صادقا فإنّها لا تقربك و لا تفترسك فلم يكلّمها و قام فقال له ذلك السّلطان إلى أين؟ قال إلى بركة السّباع و اللّه لانزلنّ إليها فقام السّلطان و الناس و الحاشية و جاءوا و فتحوا باب البركة فنزل الرّضا عليه السّلام و الناس ينظرون من أعلى البركة فلمّا حصل بين السّباع أقعت جميعها إلى الأرض [١] على أذنابها و صار يأتي إلى واحد واحد يمسح وجهه و رأسه و ظهره، و السبع يبصبص له هكذا إلى أن أتى على

الجميع، ثمّ طلع و الناس يبصرونه، فقال لذلك السلطان:

أنزل هذه الكذّابة على عليّ و فاطمة عليهما السّلام لتبيّن لك، فامتنعت فألزمها ذلك السلطان و أمر أعوانه بإلقائها فمذ رآها السباع وثبوا إليها و افترسوها فاشتهر اسمها بخراسان بزينب الكذابة و حديثها هناك مشهور.

و منه قصّة دعبل بن عليّ الخزاعيّ الشاعر،قال دعبل:لمّا قلت: «مدارس آيات» قصدت بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليهما السّلام و هو بخراسان وليّ عهد المأمون في الخلافة فوصلت المدينة و حضرت عنده و أنشدته إيّاها فاستحسنها و قال لي: لا

تنشدها أحدا حتّى آمرك و اتّصل خبري بالخليفة المأمون فأحضرني و سألني عن خبري، ثمّ قال: يا دعبل أنشدني: «مدارس آيات خلت من تلاوة» فقلت: ما أعرفها يا أمير المؤمنين فقال: يا غلام أحضر أبا الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام قال: فلم تكن ساعة حتّى حضر فقال له: يا أبا الحسن سألت دعبلا عن «مدارس

---

[١] أقعت من الاقعاء و هي القعود على الذنب.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٨٦

آيات» فذكر أنّه لا يعرفها فقال لي أبو الحسن عليه السّلام: يا دعبل أنشد أمير المؤمنين فأخذت فيها فأنشدتها فاستحسنها فأمر لي بخمسين ألف درهم، و أمر لي أبو الحسن عليّ بن موسى عليه السّلام بقريب من ذلك، فقلت: يا سيّدي إن رأيت أن تهبني شيئا من ثيابك ليكون كفني، فقال: نعم، ثمّ دفع إليّ قميصا قد ابتذله و منشفة لطيفة و قال لي: احفظ هذا تحرس به، ثمّ دفع إليّ ذو الرياستين أبو العباس الفضل بن سهل وزير المأمون صلة و حملني على برذون أصفر خراساني و كنت اسايره في يوم مطير و عليه ممطر خزّ و برنس منه فآثرني به و دعا بغيره جديد

فلبسه و قال: إنّما آثرتك باللّبيس لأنّه خير الممطرين قال: فاعطيت به ثمانين دينارا فلم تطب نفسي ببيعه ثمّ كرّرت راجعا إلى العراق فلمّا صرت في بعض الطريق خرج علينا الأكراد فأخذونا و كان ذلك اليوم يوما مطيرا فبقيت في قميص خلق و ضرّ جديد و أنا متأسّف من جميع ما كان معي على القميص و المنشفة و متفكّر في قول سيّدي الرّضا عليه السّلام إذ مر بي واحد من الأكراد الحراميّة، تحته الفرس الأصفر الّذي حملني عليه ذو الرياستين و عليه الممطر و وقف بالقرب منّي ليجتمع إليه أصحابه و هو ينشد «مدارس آيات خلت من تلاوة» و يبكي فلمّا رأيت ذلك منه

عجبت من لصّ من الأكراد يتشيّع ثمّ طمعت في القميص و المنشفة فقلت: يا سيدي لمن هذه القصيدة؟ فقال: ما أنت و ذاك ويلك؟ فقلت: لي فيه سبب أخبرك به فقال: هي أشهر بصاحبها أن تجهل فقلت: من هو؟ قال: دعبل بن عليّ الخزاعيّ شاعر آل محمّد جزاه اللّه خيرا فقلت له: و اللّه يا سيدي أنا دعبل و هذه قصيدتي فقال: ويلك ما تقول؟ قلت: الأمر أشهر من ذلك فأرسل إلى أهل القافلة فاستحضر منهم جماعة و اسألهم عنّي فقالوا بأسرهم: هذا دعبل بن عليّ الخزاعيّ فقال: قد أطلقت كلّ ما أخذ من القافلة خلالة فما فوقها كرامة لك ثمّ نادى في أصحابه من أخذ شيئا فليردّه فرجع

على الناس جميع ما أخذ منهم و رجع إليّ جميع ما كان معي ثمّ بدرقنا إلى المأمن فحرست أنا و القافلة ببركة القميص و المنشفة، فانظر إلى هذه المنقبة ما أشرفها و ما أعلاها.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٨٧

و منهما رواه عن هرثمة بن أعين قال:و كان في خدمة الخليفة إلا أنّه كان محبّا لأهل البيت إلى الغاية يأخذ نفسه بأنّه من شيعتهم و كان قائما بمصالح الرّضا عليه السّلام باذلا نفسه بين يديه، متقرّبا إلى اللّه تعالى بخدمته، قال: طلبني سيّدي الرّضا عليه السّلام، و قال: يا هرثمة إنّي مطّلعك على حالة تكون

عندك سرّا لا تظهرها و أنا حيّ و إن أظهرتها حال حياتي كنت خصمك عند اللّه تعالى، فعاهدته أنّي لا أعلم بها أحدا ما لم تأمرني فقال: اعلم أنّي بعد أيّام آكل عنبا و رمّانا مفتوتا فأموت و يقصد الخليفة أن يجعل قبري و مدفني خلف قبر أبيه الرشيد و إنّ اللّه لا يقدره على ذلك فإنّ الأرض تشتدّ عليهم فلا يستطيع أحد حفر شيء منها، و إنّما قبري في بقعة كذا لموضع عيّنه، فإذا أنا متّ و جهّزت فأعلمه بجميع ما قلت لك و قل له:

يتأنّ في الصّلاة عليّ فإنّه يأتي رجل عربيّ متلثّم على بعير مسرع و عليه و عثاء السّفر فينزل عن بعيره و يصلّي عليّ فإذا صلّى عليّ

و حملت فاقصد المكان الّذي عيّنته لك فاحفر شيئا يسيرا من وجه الأرض تجد قبرا معمولا في قعره ماء أبيض فإذا كشفته نضب الماء فهو مدفني فادفنّي فيه و اللّه و اللّه أن تخبر بهذا قبل موتي، قال هرثمة:

فو اللّه ما طالت الأيّام حتّى أكل عنبا و رمّانا كثيرا فمات و دخلت على الخليفة فوجدته يبكي عليه فقلت له: يا أمير المؤمنين عاهدني الرّضا على أمر أقوله لك، و قصصت عليه تلك القصّة الّتي قالها من أوّلها إلى آخرها و هو يعجب ممّا أقوله فأمر بتجهيزه فلمّا تجهّز تأنّى بالصّلاة عليه و إذا

بالرّجل قد أقبل على بعير من الصّحراء مسرعا و لم يكلّم أحدا ثمّ دخل إلى جنازته فوقف و صلّى عليه فخرج و صلّى الناس عليه و أمر الخليفة بطلب الرّجل ففاتهم فلم يعلموا له خبرا ثمّ أمر الخليفة أن يحفر له قبرا خلف قبر أبيه الرّشيد فعجز الحافرون عن الحفر فذهب إلى موضع ضريحه الآن فبقدر ما كشف عن وجه الأرض ظهر قبر محفور كشفت عنه طوابيقه و إذا في قعره ماء أبيض كما قال، فأعلمت الخليفة به فحضر و أبصره على الصّورة الّتي ذكرها و نضب الماء و دفن فيه، و لم يزل الخليفة المأمون تعجّب من قوله و لم يزل عنه كلمة واحدة عمّا ذكره و ازداد

تأسّفه عليه و كلّما خلوت في خدمته

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٨٨

يقول: يا هرثمة كيف قال لك أبو الحسن فاعيد عليه الحديث فيتلهّف عليه [١].

فانظر إلى هذه المنقبة العظيمة و الكرامة البالغة الّتي تنطق بعناية اللّه به و ازدلاف مكانته عنده.

و من عيون أخبار الرّضا للصدوق – رحمه اللّه – عن عليّ بن ميثم عن أبيه قال: سمعت امّي تقول: سمعت نجمة أمّ الرضا عليه السّلام تقول:لما حملت با بني لم أشعر بثقل الحمل و كنت أسمع في منامي تسبيحا و تهليلا و تحميدا

من بطني فيفزعني ذلك فيهولني فإذا انتبهت لم أسمع شيئا فلمّا وضعته وقع على الأرض واضعا يده على الأرض رافعا رأسه إلى السّماء يحرّك شفتيه كأنّه يتكلّم فدخل إليّ أبوه موسى ابن جعفر عليهما السّلام فقال: هنيئا لك يا نجمة كرامة ربّك، فناولته إيّاه في خرقة بيضاء فأذّن في إذنه اليمنى و أقام في اليسرى و دعا بماء الفرات و حنّكه به ثمّ ردّه إليّ فقال: خذيه فإنّه بقيّة اللّه في أرضه.

و من دلايل الحميري عن جعفر بن محمّد بن يونس قال:كتب رجل إلى الرضا عليه السّلام يسأله عن مسائل و أراد أن يسأله عن الثوب الملحّم يلبسه المحرم و عن سلاح

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فنسي ذلك و تلهّف عليه فجاء جواب المسائل و فيه لا بأس في الإحرام في الثوب الملحّم و اعلم أنّ سلاح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فينا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل يدور مع كلّ عالم حيث دار.

و منه عن معمر بن خلاد قال: قال لي الرّيّان بن الصلت بمرو و قد كان الفضل بن سهل بعثه إلى بعض كور خراسان فقال لي:احبّ أن أستأذن على أبي الحسن عليه السّلام فاسلّم عليه و أودّعه و أحبّ أن يكسوني من ثيابه و أن يهب لي من دراهمه الّتي ضربت باسمه،

فقال معمر: فدخلت على أبي الحسن عليه السّلام فقال لي مبتدئا: الرّيّان يحبّ أن يدخل عليّ و أن أكسوه من ثيابي و أعطيه من دراهمي، فقلت:

---

[١] فيه ما فيه لتقدم موت هرثمة على أبي الحسن عليه السّلام بازيد من سنتين.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٨٩

سبحان اللّه قد سألني و اللّه ذلك و أن أسالك له، فقال: يا معمر إنّ المؤمن موفّق قل له فليجئ قال: فأمرته فدخل عليه فسلّم فأمر له

بثوبين من ثيابه فدفعهما إليه فلمّا قام رأيته قد وضع في يده شيئا، فلمّا خرج قلت له: كم أعطاك؟ فإذا في يده ثلاثون درهما.

و منه عن سليمان الجعفريّ قال: قال لي الرّضا عليه السّلام:اشتر لي جارية من صفتها كذا و كذا، فأصبت له جارية عند رجل من أهل المدينة كما وصف فاشتريتها و دفعت الثمن إلى مولاها، و جئت بها إليه فأعجبته، و وقعت منه فمكثت أيّاما ثمّ لقيني مولاها و هو يبكي فقال: اللّه اللّه فيّ لست أتهنّأ العيش و ليس لي قرار و لا نوم فكلّم أبا الحسن يردّ عليّ الجارية و يأخذ الثمن فقلت: المجنون أنت أنا أجتري على أن أقول له بردّها

عليك، فدخلت على أبي الحسن عليه السّلام فقال لي مبتدئا: يا سليمان صاحب الجارية يريد أن أردّها عليه؟ فقلت: إي و اللّه قد سألني أن أسألك، قال:

فردّها عليه و خذ الثمن، ففعلت، و مكثت أيّاما ثمّ لقيني مولاها فقال: جعلت فداك سل أبا الحسن أن يقبل الجارية فإنّي لا أنتفع بها و لا أقدر أدنو منها، قلت: إنّي لا أقدر أن أبتدأه بهذا، قال: فدخلت على أبي الحسن عليه السّلام فقال: يا سليمان صاحب الجارية يريد أن أقبضها منه و أردّ عليه الثمن، قلت: قد سألني ذلك، فقال ردّ عليّ الجارية و خذ الثمن.

و منه عن الحسن بن أبي الحسن قال:اشتكى عمّي محمّد بن جعفر شكاة شديدة حتّى خفنا عليه الموت، فدخل عليه أبو الحسن الرّضا عليه السّلام و نحن حوله نبكي من بنيه و إخوتي و عمّي إسحاق عند رأسه يبكي، و هو في حالة شديدة فجاء فجلس في ناحية ينظر إلينا فلمّا خرج تبعته فقلت له: جعلت فداك دخلت على عمّك و هو في هذه الحال و نحن نبكي و إسحاق عمّك يبكي فلم يكن منك شيء، فقال: أ رأيت هذا الّذي يبكي عند رأسه سوف يبرأ هذا من مرضه و يقوم و يموت هذا الّذي يبكي عليه، فقام محمّد بن جعفر من وجعه و اشتكى إسحاق و مات و بكى عليه محمّد.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٩٠

و لمّا خرج محمّد بن جعفر بمكّة و دعى لنفسه و تسمّى أمير المؤمنين و بويع له بالخلافة دخل عليه أبو الحسن الرّضا عليه السّلام فقال: يا عمّ لا تكذّب أباك و أخاك فإنّ هذا الأمر لا يتمّ، قال الرّاويّ: فخرج و خرجت معه إلى المدينة فلم يلبث إلا قليلا حتّى قدم الجلوديّ فلقيه، فهزمه و استأمن إليه محمّد بن جعفر، فلبس السواد و صعد المنبر فخلع نفسه، و أكذب مقالته و قال: إنّ هذا الأمر للمأمون و ليس لي فيه حقّ ثمّ خرج إلى خراسان و مات بمرو.

و منه عن الحسن بن عليّ الوشّاء قال:كنت بخراسان فبعث إليّ الرّضا عليه السّلام يوما و قال: ابعث إليّ بالحبرة فلم توجد عندي، فقلت لرسوله: ما عندي حبرة فردّ إليّ الرّسول ابعث إليّ بالحبرة، فطلبت في ثيابي فلم أجد شيئا، فقلت لرسوله:

قد طلبت فلم أقع بها، فردّ إليّ الرّسول الثالث ابعث إليّ بالحبرة، فقمت أطلب ذلك فلم يبق إلا صندوق فقمت إليه فوجدت فيه حبرة، فأتيته بها و قلت: أشهد أنّك إمام مفترض الطاعة، و كان سببي في دخول هذا الأمر.

و منه قال عبد اللّه بن المغيرة:كنت واقفا و حججت على ذلك، فلمّا

صرت إلى مكّة اختلج في صدري شيء، فتعلّقت بالملتزم و قلت: اللّهمّ قد علمت طلبتي و إرادتي فأرشدني إلى خير الأديان، فوقع في نفسي أن آتي الرّضا عليه السّلام فأتيت المدينة فوقفت ببابه و قلت للغلام: قل لمولاك: رجل من أهل العراق بالباب فسمعت نداءه و هو يقول: ادخل يا عبد اللّه بن المغيرة، فدخلت فلمّا نظر إليّ قال: قد أجاب اللّه دعوتك و هداك لدينه، فقلت: أشهد أنّك حجّة اللّه و أمين اللّه على خلقه.

و منه عن الحسن بن عليّ الوشّاء قال: قال فلان بن محرز:بلغنا أنّ أبا – عبد اللّه عليه السّلام كان إذا أراد أن يعاود أهله للجماع توضّأ

وضوء الصلاة فاحبّ أن تسأل أبا الحسن الثّاني عليه السّلام عن ذلك قال الوشاء: فدخلت عليه فابتدأني من غير أن أسأله فقال: كان أبو عبد اللّه عليه السّلام إذا جامع و أراد أن يعاود توضّأ للصلاة و إذا أراد أيضا توضّأ للصلاة، فخرجت إلى الرّجل، فقلت: قد أجابني عن مسألتك من غير أن أسأله.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٩١

و منه عن عليّ بن محمّد القاساني قال: أخبرني بعض أصحابناأنّه حمل إلى الرّضا عليه السّلام مالا له خطر فلم أره أنّه سرّ به فاغتممت لذلك و قلت في نفسي: قد حملت إليه مثل هذا المال و ما

سرّ به فقال: يا غلام الطست و الماء و قعد على كرسيّ، و قال بيده للغلام: صبّ عليّ الماء فجعل يسيل من بين أصابعه في الطست ذهب ثمّ التفت إليّ و قال: من كان هكذا لا يبالي بالّذي حمل إليه.

و منه عن محمّد بن الفضل قال:لمّا كان في السنة الّتي بطش هارون بالبرامكة و قتل جعفر بن يحيى، و حبس يحيى بن خالد، و نزل بهم ما نزل. كان أبو الحسن عليه السّلام واقفا بعرفة يدعو ثمّ طأطأ رأسه فسئل عن ذلك فقال: إنّي كنت أدعو اللّه على البرامكة قد فعلوا بأبي ما فعلوا، فاستجاب اللّه لي فيهم اليوم، ثمّ انصرف فلم يلبث إلا

يسيرا حتّى بطش بجعفر و حبس يحيى و تغيّرت حالهم.

و منه عن موسى بن عمران قال:رأيت عليّ بن موسى عليهما السّلام في مسجد المدينة و هارون يخطب، فقال عليه السّلام: تروني و إيّاه ندفن في بيت واحد.

و منه عن الحسن بن موسى قال:خرجنا مع أبي الحسن عليه السّلام إلى بعض أمواله بيوم لا سحاب فيه، فلمّا برزنا قال: حملتم معكم المماطر؟ قلنا: لا، و لا حاجة لنا إليها و ليس سحاب و لا نتخوّف المطر، فقال: لكنّي قد حملته و ستمطرون، فما مضينا إلا يسيرا حتّى ارتفعت سحابة و مطرنا

حتّى أهمّتنا أنفسنا، فما بقي منّا أحد إلا ابتلّ غيره.

و منه عن الحسن بن منصور، عن أخيه قال: دخلت على الرّضا عليه السّلام في بيت داخل في جوف بيت ليلا فرفع يده فكانت كأنّ بالبيت عشرة مصابيح، فاستأذن عليه رجل فخلّى يده ثمّ أذن له.

و منه عن موسى بن مهران قال:رأيت أبا الحسن عليّ بن موسى عليهما السّلام و نظر إلى هرثمة قال: كأنّي به قد حمل إلى مرو فضربت عنقه، فكان كما قال.

و من كتاب الرّاونديّ روى إسماعيل بن أبي الحسن قال:كنت مع الرّضا عليه السّلام

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٩٢

و قد قال بيده إلى الأرض كأنّه يكشف شيئا فظهرت سبائك ذهب ثمّ مسح بيده عليها فغابت، فقلت له: لو أعطيتني واحدة منها قال: لا إنّ هذا الأمر لم يأن وقته.

و منه قال أبو إسماعيل السنديّ:سمعت بالسند أنّ للّه حجّة في العرب، فخرجت منها في الطلب فدللت على الرّضا عليه السّلام فقصدته و دخلت عليه و أنا لا أعرف من العربيّة كلمة واحدة فسلّمت بالسنديّة فردّ عليّ بلغتي فجعلت اكلّمه بالسنديّة و هو يجيبني بها، فقلت: إنّي سمعت بالسند أنّ للّه حجّة في العرب،

فخرجت في الطلب، فقال: قد بلغني ذلك نعم أنا هو، ثمّ قال: سل عمّا تريد فسألته عمّا أردته فلمّا أردت القيام من عنده قلت: إنّي لا أحسن من العربيّة شيئا فادع اللّه أن يلهمنيها لأتكلّم بها مع أهلها، فمسح يده على شفتي فتكلّمت بالعربيّة من وقتي.

و منه قال سليمان الجعفريّ:كنت مع الرّضا عليه السّلام في حايط له، و أنا أحدّثه إذ جاء عصفور فوقع بين يديه، و أخذ يصيح و يكثر الصياح و يضطرب، فقال: أ تدري ما يقول؟ قلت: اللّه و رسوله و ابن رسوله أعلم، قال: قال لي: إنّ حيّة تريد أن تأكل فراخي في

البيت فقم و خذ تلك النسعة و ادخل البيت و اقتل الحيّة قال:

فقمت و أخذت النسعة، و دخلت البيت و إذا حيّة تجول في البيت فقتلتها.

و منه عن بكر بن صالح قال:أتيت الرّضا عليه السّلام قلت: امرأتي اخت محمّد بن سنان بها حمل، فادع اللّه أن يجعله ذكرا، قال: هما اثنان قلت في نفسي: محمّد و عليّ بعد انصرافي فدعاني بعد ذلك فقال: سمّ واحدا عليّا و الأخرى أمّ عمر فقدمت الكوفة و قد ولد لي غلام و جارية في بطن، فسمّيت كما أمرني، و قلت لامّي: ما معنى امّ عمر؟ فقالت: إنّ امّي كانت تدعى أمّ عمر.

و منه عن الوشّاء أنّ الرّضا عليه السّلام قال بخراسان:حيث أرادوا بي الخروج جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتّى أسمع ثمّ فرّقت فيهم اثنى عشر ألفا، ثمّ قال: إنّي لا أرجع إلى عيالي أبدا.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٩٣

و في إرشاد المفيد: قد نقلت الرواة من العامّة و الخاصّة كثيرا من دلالاته و آياته في حياته و بعد وفاته [١].

فمنهاما حدّث به عليّ بن أحمد الوشّاء الكوفيّ قال:خرجت من الكوفة إلى خراسان، فقالت لي ابنتي: يا أبه خذ هذه الحلّة فبعها و اشتر لي بثمنها فيروزجا، قال:

فأخذتها و شددتها في بعض متاعي، فلمّا قدمت و نزلت في بعض الفنادق [٢]، فإذا غلمان عليّ بن موسى الرّضا عليهما السّلام قد جاءني، و قالوا: نريد حلّة نكفّن بها بعض غلماننا فقلت: ما عندي شيء فمضوا ثمّ عادوا و قالوا: مولانا يقرأ عليك السلام و يقول: إنّ معك حلّة في السفط الفلاني دفعتها إليك ابنتك و قالت: اشتر لي بثمنها فيروزجا و هذه ثمنها، فدفعتها إليهم و قلت: و اللّه لأسألنّه عن مسائل فإن أجابني عنها فهو هو، فكتبتها و غدوت إلى بابه فلم أصل إليه لكثرة ازدحام الناس عليه فبينما أنا جالس إذ خرج إليّ خادم فقال: يا عليّ بن أحمد هذه جوابات مسائلك

الّتي معك فأخذتها فإذا هي جواب مسائلي بعينها.

و منه ما رواه الحاكم أبو عبد اللّه الحافظ بإسناده عن محمّد بن عيسى، عن أبي حبيب النباجيّ قال:رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في المنام و قد وافى النباج [٣] و نزل في المسجد الّذي ينزله الحجّاج في كلّ سنة و كأنّي مضيت إليه، و سلّمت عليه و وقفت بين يديه، فوجدت عنده طبقا من خوص نخل المدينة فيه تمر صيحانيّ، و كأنّه قبض

---

[١] كذا في جميع النسخ التي بايدينا و هو اشتباه وقع للمؤلف و ليس شيء من هذه المطالب في الإرشاد و انما كانت جملتها في اعلام الورى و نقل الاربلى في الكشف عن الطبرسي ما أورده في اعلام الورى ص ٣٠٩ و نقل المؤلف عن الكشف و اشتبه عليه الامر و ذلك أن الاربلى - رحمه اللّه - بعد أن نقل جملة من كرامات على بن موسى عليه السّلام من الراوندي و ابن الجوزي و المفيد و غيرهم قال: وقع إلى حيث انتهيت إلى هنا كتاب اعلام الورى للطبرسي و كانت لي نسخة فشذت. ثم نقل - رحمه اللّه - منه هذه المطالب.

[٢] الفندق: الخان، جمعه فنادق.

[٣] النباج - بكسر أوله و آخره جيم - قيل: فى بلاد العرب نباجان أحدهما على طريق البصرة يقال له: نباج بني عامر و هو بحذاء فيد، و الاخر نباج بني سعد بالقريتين.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٩٤

قبضة من ذلك التمر، فناولني فعددت فكانت ثمانية عشر ثمرة فتأوّلت أنّي أعيش بكلّ تمرة سنة فلمّا كان بعد عشرين يوما كنت في أرض تعمر بين يديّ للزّراعة إذ جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن الرّضا عليه السّلام من المدينة، و نزوله ذلك المسجد و رأيت الناس يسعون إليه فمضيت

نحوه، فإذا هو جالس في الموضع الّذي كنت رأيت النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تحته حصير شبه ما كان تحته، و بين يديه طبق من خوص فيه تمر صيحانيّ فسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام و استدناني فناولني قبضة من ذلك التمر، فعددته فإذا هو بعدد ما ناولني رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقلت: زدني يا ابن رسول اللّه، فقال:

لو زادك رسول اللّه لزدناك.

و منه ما أورده الحاكم أيضا و رواه بإسناده عن سعد بن سعد عنه عليه السّلامأنّه نظر إلى رجل فقال: يا عبد اللّه أوص بما تريد و استعدّ لما

لا بدّ منه، فمات الرّجل بعد ذلك بثلاثة أيّام.

و عن الحسين بن موسى بن جعفر عليهما السّلام قال:كنّا حول أبي الحسن عليه السّلام و نحن شبّان من بني هاشم، إذ مرّ علينا جعفر بن عمر العلويّ، و هو رثّ الهيئة، فنظر بعضنا إلى بعض، و ضحكنا من هيئته، فقال الرّضا عليه السّلام: سترونه عن قريب كثير المال كثير التبع، فما مضى الأشهر أو نحوه حتّى ولي المدينة و حسنت حاله، و كان يمرّ بنا و معه الخصيان و الحشم.

و بإسناده عن الحسين بن بشّار قال: قال لي الرّضا عليه السّلام:إنّ عبد اللّه يقتل محمّدا، فقلت: عبد

اللّه بن هارون يقتل محمّد بن هارون؟ قال: نعم عبد اللّه الّذي بخراسان يقتل محمّد بن زبيدة الّذي هو ببغداد، فقتله.

و ذكر الشيخ المفيد – رحمه اللّه – أشياء اخر من هذا القبيل.

قال: و أمّا ما ظهر للنّاس بعد وفاته من بركة مشهده المقدّس و علاماته

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٩٥

و العجائب الّتي شاهدها الخلق فيه، و أذعن الخاصّ و العامّ له، و أقرّ المخالف و المؤالف به إلى يومنا هذا فكثير خارج عن حدّ الإحصاء و العدّ و لقد برأ فيه الأكمه و الأبرص، و استجيبت الدّعوات، و

قضيت ببركته الحاجات، و كشفت الملمّات و شاهدنا كثيرا من ذلك و تيقّناه و علمناه علما لا يتخالج الشكّ و الرّيب في معناه، فلو ذهبنا نخوض في إيراد ذلك لخرجنا عن الغرض في هذا الكتاب.

ذكر طرف من أخلاق الامام التاسع أبي جعفر الثاني محمد بن على التقى عليهما السلام و صفاته و كراماته

قال ابن طلحة: هذا أبو جعفر محمّد الثاني فإنّه تقدّم في آبائه أبو جعفر محمّد و هو الباقر بن عليّ فجاء هذا باسمه و كنيته و اسم أبيه فعرف بأبي جعفر الثاني و هو و إن كان صغير السنّ فهو كبير

القدر رفيع الذكر، و له لقبان القانع و المرتضى.

و ذكر الطبرسيّ التقيّ و المنتجب و الجواد و المرتضى و لم يذكر القانع.

قال ابن طلحة: و أمّا مناقبه

فما اتّسعت له حلبات مجالها، و لا امتدّت له أوقات آجالها، بل قضت عليه الأقدار الإلهيّة بقلّة بقائه في الدّنيا بحكمها و أسجالها، فقلّ في الدّنيا مقامه و عجّل القدوم عليه لزيارة حمامه، فلم تطل بها مدّته، و لا امتدّت فيها أيّامه، غير أنّ اللّه جلّ و علا خصّه بمنقبة متألّقة في مطالع التعظيم [١] بارقة أنوارها، مرتفعة في معارج التفضيل قيّمة أقدارها، بازعة لأبصار ذوي

البصائر بيّنة منارها، بادية لعقول أهل المعرفة آية آثارها، و هي و إن كانت صورتها واحدة فمعانيها كثيرة، و صيغتها و إن كانت صغيرة فدلالتها كبيرة، و هيأنّ أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهما السّلام لمّا توفّي والده عليّ الرّضا عليه السّلام و قدم الخليفة المأمون بعد وفاته بغداد بسنة اتّفق أنّه خرج يوما إلى الصيد فاجتاز بطرف البلد في طريقه و الصبيان

---

[١] تألق البرق من باب التفعل: لمع.

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٩٦

يلعبون و محمّد واقف معهم و كان عمره يومئذ إحدى عشرة سنة فما حولها، فلمّا أقبل المأمون انصرف الصبيان هاربين و وقف أبو جعفر عليه السّلام، فلم يبرح مكانه، [١] فقرب منه الخليفة فنظر إليه و كان اللّه عزّ و علا قد ألقى عليه مسحة من قبول، فوقف الخليفة و قال: يا غلام ما منعك من الانصراف مع الصبيان؟ فقال له محمّد مسرعا:

يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق لأوسّعه عليك بذهابي، و لم يكن لي جريمة فأخشاها، و ظنّي بك حسن أنّك لا تضرّ من لا ذنب له، فوقف فأعجبه كلامه و وجهه،

فقال له: ما اسمك؟ قال: محمّد، قال: ابن من أنت؟ قال: يا أمير المؤمنين أنا ابن عليّ الرّضا، فترحّم على أبيه و ساق إلى وجهته، و كان معه بزاة [٢] فلمّا بعد عن العمارة أخذ بازيا فأرسله على درّاجة فغاب عن عينه غيبة طويلة ثمّ عاد من الجوّ و في منقاره سمكة صغيرة و بها بقايا الحياة، فتعجّب الخليفة من ذلك غاية العجب ثمّ أخذها في يده و عاد إلى داره في الطريق الّذي أقبل منه، فلمّا وصل إلى ذلك المكان وجد الصبيان على حالهم، فانصرفوا كما فعلوا أوّل مرّة و أبو جعفر لم ينصرف، و وقف كما وقف أوّلا فلمّا دنا منه الخليفة قال:

يا محمّد» قال: لبّيك يا أمير المؤمنين، قال:

ما في يدي؟ فألهمه اللّه عزّ و جلّ أن قال: يا أمير المؤمنين إنّ اللّه تعالى خلق بمشيّته في بحر قدرته سمكا صغارا تصيدها بزاة الملوك و الخلفاء فيختبرون بها سلالة أهل بيت النبوّة، فلمّا سمع المأمون كلامه عجب منه، و جعل يطيل نظره إليه، و قال: أنت ابن الرضا حقّا، و ضاعف إحسانه إليه.

و في هذه الواقعة منقبة تكفيه عن غيرها و يستغنى بها عن سواها.

و قال الشيخ المفيد – رحمه اللّه –:

و كان المأمون قد شغف بأبي جعفر عليه السّلام لما رآى من فضله مع صغر سنّه و بلوغه في

العلم و الحكمة و الأدب و كمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزّمان فزوّجه ابنته أمّ الفضل و حملها معه إلى

---

[۱] اى فلم يزل من مكانه و وقف.

[۲] بزاة جمع البازى و هو طائر معروف.

البيضاء ج : ٤ ص : ۲۹۷

المدينة، و كان متوفّرا على إكرامه و تعظيمه و إجلال قدره.

و عن الرّيّان بن شبيب قال:لمّا أراد المأمون أن يزوّج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهما

السّلام بلغ ذلك العبّاسيّين فغلظ عليهم ذلك و استكبروه و خافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرّضا عليه السّلام فخاضوا في ذلك و اجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه فقالوا: ننشدك اللّه يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الّذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرّضا فإنّا نخاف أن تخرج عنّا أمرا قد ملّكناه اللّه و تنزع منّا عزّا قد ألبسناه، و قد عرفت ما بيننا و بين هؤلاء القوم قديما و حديثا و ما كان عليه الخلفاء الرّاشدون قبلك من تبعيدهم و تصغيرهم، و قد كنّا في وهلة [١] من عملك مع الرّضا ما عملت حتّى كفانا اللّه المهمّ من ذلك فاللّه اللّه أن تردّنا إلى غمّ قد

انحسر عنّا و اصرف رأيك عن ابن الرّضا و اعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره فقال لهم المأمون: أما ما بينكم و بين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه و لو أنصفتم القوم لكانوا أولى بكم و أمّا ما كان يفعله من قبلي بهم فقد كان قاطعا للرّحم أعوذ باللّه من ذلك، و و اللّه ما ندمت على ما كان منّي من استخلاف الرّضا، و قد سألته أن يقوم بالأمر و أنزعه من نفسي فأبى و كان أمر اللّه قدرا مقدورا و أمّا أبو جعفر محمّد بن عليّ فقد اخترته لتبرّزه على كافّة أهل الفضل في العلم و الفضل مع صغر سنّه و الاعجوبة فيه بذلك و أنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه،

فتعلموا أنّ الرأي ما رأيت فيه، فقالوا: إنّ هذا الفتى و إن راقك منه هديه [٢] فإنّه صبيّ لا معرفة له و لا فقه فأمهله ليتأدّب و يتفقّه في الدّين ثمّ اصنع ما تراه من بعد ذلك، فقال لهم: و يحكم إنّي أعرف بهذا الفتى منكم، و إنّ هذا من أهل بيت علمهم من اللّه و موادّه و إلهامه لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدّين و الأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبيّن لكم به ما وصفت من حاله، قالوا له: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين و لأنفسنا بامتحانه، فخلّ بيننا و بينه لنصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة،

---

[١] اى فزعة.

[٢] راقه يروقه اى أعجبه و سره، و الهدى – بفتح الهاء –: الطريقة و السيرة.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٩٨

فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، و ظهر للخاصّة و العامّة سديد رأي أمير المؤمنين و لأنفسنا بامتحانه، و إن عجز عن ذلك كفينا الخطب في معناه، فقال لهم المأمون: شأنكم و ذاك متى أردتم، فخرجوا من عنده و أجمع رأيهم على مسألة يحيى بن

أكثم و هو يومئذ قاضي الزّمان على أن يسأله مسائل لا يعرف الجواب عنها، و وعدوه بأموال نفيسة على ذلك، و عادوا إلى أمير المؤمنين فسألوه أن يختار لهم يوما للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك، فاجتمعوا في اليوم الّذي اتّفقوا عليه و حضر معهم يحيى بن أكثم و أمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر عليه السّلام دست، و يجعل له فيه مسورتان ففعل ذلك، و خرج أبو جعفر عليه السّلام و هو يومئذ ابن سبع سنين و أشهر فجلس بين المسورتين [١] و جلس يحيى بن أكثم بين يديه و قام النّاس في مراتبهم و المأمون جالس في دست

متّصل بدست أبي جعفر عليه السّلام.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أ تأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟ فقال له:

المأمون: استأذنه في ذلك، فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: تأذن لي جعلت فداك في مسألة؟ فقال له أبو جعفر عليه السّلام: سل إن شئت، قال يحيى: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيدا؟ فقال له أبو جعفر عليه السّلام: قتله في حلّ أو حرم؟ عالما كان المحرم أو جاهلا؟ قتله عمدا أو خطأ؟ حرّا كان المحرم أو عبدا؟ صغيرا كان أو كبيرا؟ مبتدئا بالقتل أو معيدا؟ من ذوات الطير كان الصيد أو من غيرها؟ من

صغار الصّيد كان أو من كبارها؟ مصرّا على ما فعل أو نادما؟ ليلا كان قتله للصيد أو نهارا؟ محرما كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرما؟ فتحيّر يحيى بن أكثم و بان في وجه العجز و الانقطاع و لجلج [٢] حتّى عرف جماعة أهل المجلس أمره، فقال المأمون:

الحمد للّه على هذه النّعمة و التوفيق لي في الرّأي، ثمّ نظر إلى أهل بيته و قال لهم:

أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه، ثمّ أقبل على أبي جعفر عليه السّلام فقال: اخطب يا أبا جعفر، قال: نعم يا أمير المؤمنين فقال له المأمون: اخطب جعلت فداك لنفسك فقد

[١] المسورة: متكأ من ادم.

[٢] أى تردد في الكلام.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٢٩٩

رضيتك لنفسي و أنا مزوّجك أمّ الفضل بنتي و إن رغم قوم لذلك، فقال أبو جعفر عليه السّلام: الحمد للّه إقرارا بنعمته، و لا إله إلا اللّه إخلاصا لوحدانيّته، و صلّى اللّه على محمّد سيّد بريّته و الأصفياء من عترته، أمّا بعد فقد كان من فضل اللّه على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال سبحانه:و أنكحوا الأيامى منكم و الصّالحين

من عبادكم و إمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم اللّه من فضله و اللّه واسعٌ عليم ٢٤: ٣٢ثمّ إنّ محمّد ابن عليّ بن موسى يخطب أمّ الفضل بنت عبد اللّه المأمون، و قد بذل لها من الصّداق مهر جدّته فاطمة بنت محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو خمسمائة درهم جيادا [١] فهل زوّجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصّداق المذكور؟ فقال المأمون: نعم قد زوّجتك يا أبا جعفر أمّ الفضل ابنتي على الصّداق المذكور؟ فهل قبلت النكاح؟ قال أبو جعفر:

قد قبلت ذلك و رضيت به، فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم في الخاصّة و العامّة، قال الرّيّان:

و أخرج الخدم مثل سفينة من فضّة و فيها الغالية فتطيب الخاصّة و العامّة و وضعت الموائد فأكلوا، و فرّقت الجوائز على قدر المراتب و انصرف النّاس و بقي من الخاصّة من بقي.

قال المأمون لأبي جعفر عليه السّلام: إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه فيما فصّلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه و نستفيده.

فقال أبو جعفر عليه السّلام: نعم أنّ المحرم إذا قتل صيدا في الحلّ و كان الصيد من ذوات الطير و كان من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا، و إذا قتل فرخا في الحلّ فعليه حمل

قد فطم من اللّبن، فإذا قتله في الحرم فعليه الحمل و قيمة الفرخ، و إن كان من الوحش و كان حمار وحش فعليه بقرة، و إن كان نعامة فعليه بدنة، و إن كان ظبيا فعليه شاة، فإن قتل شيئا من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا هديا بالغ الكعبة، و إذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه و كان إحرامه للحجّ نحره بمنى، و إن كان في إحرامه للعمرة نحره بمكّة و جزاء الصيد على العالم و الجاهل سواء، و في العمد له المأثم و هو موضوع عنه في الخطأ، و الكفّارة على

---

[١] جمع جيد ضد الرديء.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٠٠

الحرّ في نفسه و على السيّد في عبده، و الصغير لا كفّارة عليه و هي على الكبير واجبة، و النادم يسقط عنه ندمه عقاب الآخرة، و المصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة.

فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر أحسن اللّه إليك، فإن رأيت أن تسأل يحيي عن مسألة كما سألك، فقال أبو جعفر عليه السّلام: خبّرني في الرّجل نظر إلى امرأة في أوّل النّهار، و كان نظره إليها حراما عليه، فلمّا ارتفع النّهار حلّت له، فلمّا زالت الشمس حرمت عليه، فلمّا

كان وقت العصر حلّت له، فلمّا غربت الشمس حرمت عليه، فلمّا دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له، فلمّا كان انتصاف اللّيل حرمت عليه، فلمّا طلع الفجر حلّت له؟ ما حال هذه المرأة و بما ذا حلّت له و حرمت عليه؟ فقال يحيى ابن أكثم: لا و اللّه لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال و لا أعرف الوجه فيه فإن رأيت أن تفيدنا، فقال له أبو جعفر عليه السّلام: هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبيّ في أوّل النّهار فكان نظره إليها حراما عليه، فلمّا ارتفع النّهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلمّا كان الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلمّا كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له، فلمّا كان

وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلمّا كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظهار فحلّت له، فلمّا كان نصف اللّيل طلّقها واحدة فحرمت عليه، فلمّا كان عند الفجر راجعها فحلّت له، قال: فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب و يطرف القول فيما تقدّمه من السؤال؟ قالوا: لا و اللّه إنّ أمير المؤمنين أعلم و ما رأى، فقال لهم: ويحكم إنّ أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل فإنّ صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال أما علمتم، أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: افتتح

دعوته بدعاء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و هو ابن عشر سنين و قبل منه الإسلام و حكم له به و لم يدع أحدا في سنّه غيره، و بايع الحسن و الحسين و هما ابنا دون الستّ و لم يبايع صبيّا غيرهما، أ فلا تعلمون الآن ما اختصّ اللّه به هؤلاء القوم و أنّهم ذرّيّة بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم؟ قالوا: صدقت و اللّه يا أمير المؤمنين، ثمّ نهض القوم، فلمّا كان من الغد حضر الناس

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٠١

و حضر أبو جعفر عليه السّلام و صار القوّاد و الحجّاب و الخاصّة و العامّة لتهنية المأمون و أبي جعفر عليه السّلام، فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضّة و فيها بنادق المسك و زعفران معجون، في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة و عطايا سنيّة و إقطاعات، فأمر المأمون بنثرها على القوم من خاصّته، فكان كلّ من يقع في يده بندقة أخرج الرّقعة الّتي فيها و التمسه [١] فأطلق له، و وضعت البدر فنثر ما فيها على القوّاد و غيرهم، و انصرف الناس و هم أغنياء بالجوائز و العطايا، و تقدّم المأمون بالصدقة على كافّة المسلمين و لم يزل مكرما لأبي

جعفر عليه السّلام، معظّما لقدره مدّة حياته، يؤثره على ولده و جماعة أهل بيته.

و قد روى الناس أنّ أمّ الفضل كتبت إلى المأمون من المدينة تشكو أبا جعفر عليه السّلام و تقول: إنّه يتسرّى عليّ و يغيرني، فكتب إليها المأمون: يا بنيّة إنّا لم نزوّجك أبا جعفر لنحرّم عليه حلالا فلا تعاودي لذكر ما ذكرت بعدها.

فصل و أمّا كراماته عليه السّلام

فقد سمعت ما ذكره ابن طلحة،و ممّا ذكره الشيخ المفيد – رحمه اللّه –أنّه لمّا توجّه أبو جعفر عليه السّلام من بغداد منصرفا من عند المأمون و معه امّ الفضل قاصدا بها المدينة صار إلى شارع باب

الكوفة و معه الناس يشيّعونه فانتهى إلى دار المسيّب عند مغيب الشمس فنزل و دخل المسجد، و كان في صحنه نبقة لم تحمل بعد، فدعا بكوز فيه ماء فتوضّأ في أصل النبقة و قام فصلّى بالناس صلاة المغرب فقرأ في الأولى الحمد و إذا جاء نصر اللّه، و قرأ في الثانية الحمد و قل هو اللّه أحد و قنت قبل ركوعه و صلّى الثالثة، و تشهّد و سلّم ثمّ جلس هنيهة يذكر اللّه تعالى و قام من غير أن يعقّب، فصلّى النوافل أربع ركعات و عقّب بعدها، و سجد سجدتي الشكر فلمّا انتهى إلى النبقة رآها الناس و قد حمل حملا حسنا، فتعجّبوا من ذلك

---

[١] اى يلتمس ما في الرقعة من الجوائز.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٠٢

و أكلوا منها فوجدوه نبقا حلوا لا عجم له، و ودّعوه و مضى عليه السّلام من وقته إلى المدينة فلم يزل بها إلى أن أشخصه المعتصم في أوّل سنة [خمس و] عشرين و مائتين إلى بغداد فأقام بها حتّى توفّي في آخر ذي القعدة من هذه السنة فدفن في ظهر جدّه أبي الحسن موسى عليهما السّلام.

و عن عليّ بن خالد قال:كنت بالعسكر فبلغني أنّ هناك رجلا محبوسا أتي به من الشام مكبولا و قالوا: إنّه تنبّأ، فأتيت الباب و دفعت شيئا للبوّابين حتّى وصلت إليه فإذا رجل له فهم و عقل فقلت له: يا هذا ما قصّتك؟ قال: إنّي كنت رجلا بالشأم أعبد اللّه في الموضع الّذي يقال إنّه نصب فيه رأس الحسين عليه السّلام فبينا أنا ذات ليلة في موضعي مقبل على المحراب أذكر اللّه تعالى إذ رأيت شخصا بين يديّ فنظرت إليه فقال لي: قم، فقمت معه فمشى بي قليلا فإذا أنا في مسجد الكوفة، فقال لي: تعرف هذا المسجد؟ فقلت: نعم هذا مسجد الكوفة، قال: فصلّى و صلّيت معه،

ثمّ انصرف و انصرفت معه و مشى قليلا فإذا نحن بمسجد الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فسلّم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و صلّى و صلّيت معه، ثمّ خرج و خرجت معه، فمشى قليلا فإذا أنا نحن بمكّة، فطاف بالبيت و طفت معه، ثمّ خرج و مشى قليلا، فإذا أنا بموضعي الّذي كنت فيه أعبد اللّه بالشأم و غاب الشخص عنّي، فبقيت متعجّبا حولا ممّا رأيت، فلمّا كان في العام المقبل رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به، فدعاني فأجبته، ففعل كما فعل في العام الماضي، فلمّا أراد مفارقتي بالشأم قلت له: سألتك بالحقّ الّذي أقدرك على ما رأيت منك ألا

أخبرتني من أنت؟ فقال: أنا محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر، فحدّثت من كان يصير إليّ بخبره فرقى ذلك إلى محمّد بن عبد الملك الزّيّات، فبعث إليّ من أخذني و كبّلني في الحديد، و حملني إلى العراق، و حبست كما ترى و ادّعي عليّ المحال، فقلت له: فأرفع عنك القصّة إلى محمّد بن عبد الملك الزّيّات؟ قال: افعل، فكتبت عنه قصّته و شرحت أمره فيها و رفعتها إلى محمّد فوقّع في ظهرها: قل للّذي أخرجك من الشأم في ليلة إلى الكوفة، و منها إلى المدينة، و منها إلى مكّة، و منها إلى الشأم أن يخرجك من

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٠٣

حبسك هذا، قال عليّ بن خالد: فغمّني ذلك من أمره و رققت له و انصرفت محزونا عليه، فلمّا كان من الغد باكرت الحبس لأعلمه الحال و آمره بالصبر و العزاء فوجدت الجند و أصحاب الحرس و أصحاب السجن و خلقا عظيما من الناس يهرعون فسألت عن حالهم فقيل لي: المحمول من الشأم المتنبّئ افتقد البارحة من الحبس فلا ندري أخسفت به الأرض أو اختطفته [١] الطير، و كان هذا الرّجل أعني عليّ بن خالد زيديّا فقال بالإمامة لمّا رأى ذلك و حسن اعتقاده.

و منه عن محمّد بن عليّ الهاشميّ قال:دخلت على أبي جعفر محمّد بن عليّ عليهما السّلام صبيحة عرسه بنت المأمون و كنت تناولت من اللّيل دواء فأوّل من دخل عليه في صبيحته أنا و قد أصابني العطش و كرهت أن أدعو بالماء، فنظر أبو جعفر عليه السّلام في وجهي و قال: أراك عطشان؟ قلت: أجل، قال: يا غلام اسقنا ماء، فقلت في نفسي الساعة يأتونه بماء مسموم و اغتممت لذلك، فأقبل الغلام و معه الماء فتبسّم في وجهي ثمّ قال: يا غلام ناولني الماء، فتناول فشرب، ثمّ ناولني و تبسّم، فشربت و أطلت عنده فعطشت، فدعا بالماء ففعل كما فعل في المرّة

الأولى و شرب ثمّ ناولني و تبسّم، قال محمّد بن حمزة: فقال لي محمّد بن عليّ الهاشميّ: و اللّه إنّي لأظنّ أنّ أبا جعفر عليه السّلام يعلم ما في النفوس كما يقول الرّفضة.

و منه عن المطرّفي قال:مضى أبو الحسن الرّضا عليه السّلام و لي عليه أربعة ألف درهم لم يكن يعرفها غيري و غيره فأرسل إليّ أبو جعفر عليه السّلام إذا كان الغد فأتني فأتيته، فقال لي: مضى أبو الحسن عليه السّلام و لك عليه أربعة ألف درهم؟ فقلت: نعم، فرفع المصلّى فإذا تحته دنانير فدفعها إليّ، فكان قيمتها في الوقت أربعة ألف درهم.

و منه عن معلّى بن محمّد قال:خرج عليّ أبو جعفر عليه

السّلام حدثان موت أبيه، فنظرت إلى قدّه لأصف قامته لأصحابنا، فقعد ثمّ قال: يا معلّى إنّ اللّه احتجّ في الإمامة بمثل ما احتجّ به في النبوّة فقال:و آتيناه الحكم صبيّا ١٩: ١٢.

---

[١] الاختطاف الاستلاب بسرعة

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٠٤

و منه عن داود بن القاسم الجعفريّ قال:دخلت على أبي جعفر عليه السّلام و معي ثلاث رقاع غير معنونة و اشتبهت عليّ، فاغتممت

فتناول أحدها و قال: هذه رقعة ريّان بن شبيب، ثمّ تناول الثانية، فقال: هذه رقعة فلان فقلت: نعم فبهتّ أنظر إليه فتبسّم، و أخذ الثالثة فقال: هذه رقعة فلان، فقلت: نعم جعلت فداك فأعطاني ثلاثمائة دينار و أمرني أن أحملها إلى بعض بني عمّه، ثمّ قال: أما إنّه سيقول لك: دلّني على حريف يشتري لي بها متاعا فدلّه عليه، قال: فأتيته بالدّنانير، فقال لي: يا أبا هاشم دلّني على حريف يشتري لي بها متاعا، فقلت: نعم، و كلّمني في الطريق جمّال سألني أن اخاطبه في إدخاله مع بعض أصحابه في أموره، فدخلت عليه لاكلّمه فوجدته يأكل و معه جماعة،

فلم أتمكّن من كلامه، فقال لي: يا أبا هاشم كل و وضع بين يدي ما آكل منه، ثمّ قال ابتداء من غير مسألة: يا غلام انظر إلى الجمّال الّذي أتانا به أبو هاشم فضمّه إليك.

قال أبو هاشم:و دخلت معه يوما بستانا فقلت له: جعلت فداك إنّي مولع بأكل الطين فادع اللّه لي فسكت، ثمّ قال لي بعد أيّام ابتداء منه: يا أبا هاشم قد أذهب اللّه عنك أكل الطين، قال أبو هاشم: فما من شيء أبغض إليّ منه اليوم.

قال المفيد – رحمه اللّه –: و الأخبار في هذا المعنى كثيرة و فيما أثبتناه منها كفاية فيما قصدنا له إن شاء اللّه.

و من دلائل الحميريّ عن أميّة بن عليّ قال:كنت مع أبي الحسن عليه السّلام بمكّة في السنة الّتي حجّ فيها، ثمّ صار إلى خراسان و معه أبو جعفر عليه السّلام و أبو الحسن عليه السّلام يودّع البيت فلمّا قضى طوافه عدل إلى المقام فصلّى عنده فصار أبو جعفر على عنق موفّق يطوف به، فصار أبو جعفر إلى الحجر فجلس فيه فأطال، فقال له موفّق:

قم جعلت فداك، فقال: ما أريد أن أبرح من مكاني هذا إلا أن يشاء اللّه و استبان في

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٠٥

وجهه الغمّ فأتى موفّق أبا الحسن عليه السّلام فقال له: جعلت فداك قد جلس أبو جعفر في الحجر و هو يأبى أن يقوم، فقام أبو الحسن عليه السّلام فأتى أبو جعفر فقال له: قم يا حبيبي، فقال: ما أريد أن أبرح من مكاني هذا، قال: بلى يا حبيبي، ثمّ قال:

كيف أقوم و قد ودّعت البيت وداعا لا ترجع إليه، فقال له: قم يا حبيبي، فقام معه.

و منه عن ابن بزيع العطّار قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «الفرج بعد المأمون بثلاثين شهرا» قال: فنظرنا فمات عليه السّلام بعد ثلاثين شهرا.

و منه عن معمر بن خلاد عن أبي جعفر عليه السّلام أو عن رجل عن أبي جعفر عليه السّلام- الشكّ من أبي عليّ - قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: يا معمر اركب، قلت: إلى أين؟ قال: اركب كما يقال لك، قال: فركبت فانتهيت إلى واد - أو إلى وهدة، الشكّ من أبي عليّ - فقال لي: قف ههنا، قال: فوقفت فأتاني فقلت له: جعلت فداك أين كنت قال: دفنت أبي الساعة و كان بخراسان.

و منه عن القاسم بن عبد الرّحمن - و كان زيديّا - قال:خرجت إلى بغداد فبينا أنابها إذ رأيت الناس يتعادون و يتشرّفون و يقفون فقلت: ما هذا ما هذا؟ فقالوا ابن الرّضا

ابن الرّضا، فقلت: و اللّه لأنظرنّ إليه فطلع على بغل أو بغلة فقلت: لعن اللّه أصحاب الإمامة حيث يقولون: إنّ اللّه افترض طاعة هذا، فعدل إليّ و قال: يا قاسم ابن عبد الرّحمن«أبشرا منّا واحدا نتّبعه إنّا إذا لفي ضلال و سعر»فقلت في نفسي ساحر و اللّه فعدل إليّ فقال:«ء ألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذّاب أشر»قال:

فانصرفت و قلت بالإمامة و شهدت أنّه حجّة اللّه على خلقه و اعتقدته.

و منه عن عمران بن محمّد الأشعري قال:دخلت على أبي جعفر الثاني عليه السّلام فقضيت حوائجي فقلت: إنّ أمّ الحسن تقرئك السّلام و تسألك ثوبا من ثيابك أجعله كفنا

لها، فقال لي: قد استغنت عن ذلك، قال: فخرجت، لست أدري ما معنى ذلك، فأتاني الخبر أنّها قد ماتت قبل ذلك بثلاثة عشر يوما، أو أربعة عشر يوما.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٠٦

و منه عن دعبل بن عليّأنّه دخل على الرّضا عليه السّلام فأمر له بشيء فأخذه و لم يحمد اللّه فقال له: لم لم تحمد اللّه. قال: ثمّ دخلت بعده على أبي جعفر عليه السّلام فأمر لي بشيء، فقلت: الحمد للّه، فقال: تأدّبت.

و منه عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه قال: استأذن على أبي جعفر عليه السّلام قوم من أهل النواحي،

فأذن لهم فدخلوا فسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين مسألة فأجاب و له عشر سنين [١].

و منه عن أميّة بن عليّ القيسيّ قال:دخلت أنا و حمّاد بن عيسى على أبي جعفر عليه السّلام بالمدينة لنودّعه فقال لنا: لا تخرجا اليوم و اقيما إلى غد فلمّا خرجنا من عنده قال لي حمّاد: أنا أخرج فقد خرج ثقلي، فقلت: أما أنا فاقيم، فخرج حمّاد فجرى الوادي تلك اللّيلة فغرق فيه.

و من كتاب الرواندي عن محمّد بن ميمونأنّه كان مع الرّضا عليه السّلام بمكّة قبل خروجه إلى خراسان قال: فقلت له: إنّي أريد أن أتقدّم إلى المدينة فأكتب معي كتابا

إلى أبي جعفر عليه السّلام فتبسّم و كتب و صرت إلى المدينة و كان ذهب بصري فأخرج الخادم أبا جعفر إلينا يحمله من المهد فناولته الكتاب فقال لموفّق الخادم:

فضّه و انشره ففضّه فنشره بين يديه فنظر فيه، ثمّ قال لي: يا محمّد ما حال بصرك؟ فقلت: يا ابن رسول اللّه اعتلّت عيناي فذهب بصري كما ترى، قال: فمدّ يده فمسح بها على عيني فعاد إليّ بصري كأصحّ ما كان فقبّلت يده و رجله و انصرفت من عنده و أنا بصير.

---

[١] كذا في جميع النسخ التي عندنا و لكن في المصدر أعنى كشف الغمة ص ٢٨٨ «ثلاثين ألف» و الظاهر أن لفظة «ألف» من زيادات النساخ حيث لم يقدر أحد أن يسأل في مجلس واحد ثلاثمائة مسألة فضلا عن ثلاثين ألف و ان كان في وسع الامام عليه السّلام جوابها مهما زادت و كثرت و ان بلغت ألف ألف.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٠٧

و منه ما روي عن أبي بكر بن إسماعيل قال: قلت لأبي جعفر ابن الرّضا عليهما السّلامإنّ لي جارية تشتكي من ريح بها قال: ائتني بها فأتيته بها، فقال لها: ما تشتكين يا

جارية؟ قالت: ريحا في ركبتي فمسح يده على ركبتها من وراء الثياب فخرجت و ما اشتكت وجعا بعد ذلك.

و منه عن عليّ بن حريز قال:كنت عند أبي جعفر عليه السّلام جالسا و قد ذهبت شاة لمولاه فأخذوا بعض الجيران يجرونهم إليه يقولون: أنتم سرقتم الشاة، فقال لهم أبو جعفر عليه السّلام: ويلكم خلّوا عن جيراننا فلم يسرقوا شاتكم، الشاة في دار فلان فأخرجوها من داره فخرجوا فوجدوها في داره فأخذوا الرّجل و ضربوه و خرقوا ثيابه، و هو يحلف أنّه لم يسرق هذه الشاة إلى أن صاروا به إلى أبي جعفر عليه السّلام فقال: ويحكم ظلمتم الرّجل

فإنّ الشاة دخلت داره و هو لا يعلم، ثمّ دعاه فوهب له شيئا بدل ما خرق من ثيابه و ضربه.

و منه عن محمّد بن عمير بن واقد الرازي قال:دخلت على أبي جعفر ابن الرّضا عليهما السّلام و معي أخي و به بهر شديد [١] فشكا إليه ذلك البهر فقال: عافاك اللّه ممّا تشكوا فخرجنا من عنده فقد عوفي فما عاد إليه ذلك البهر إلى أن مات.

قال محمّد بن عميرو كان يصيبني وجع في خاصرتي في كلّ أسبوع و يشتدّ ذلك بي أيّاما، فسألته أن يدعو لي بزواله عنّي، فقال: و أنت فعافاك اللّه، فما عاد إلى هذه العاية.

و عن قاسم بن المحسن قال:كنت فيما بين مكّة و المدينة فمرّ بي أعرابيّ ضعيف الحال فسألني شيئا فرحمته و أخرجت له رغيفا فناولته إيّاه فلمّا مضى عنّي هبّت ريح شديدة زوبعة [٢] فذهبت بعمامتي من رأسي فلم أرها كيف ذهبت و أين مرّت فلمّا دخلت على أبي جعفر ابن الرّضا عليهما السّلام قال لي: يا قاسم ذهبت عمامتك في

---

[١] البهر - بالضم - الربو و ضيق النفس.

[٢] الزوبعة: هيجان الارياح و تصاعدها إلى السماء.

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٠٨

الطريق؟ قلت: نعم قال: يا غلام أخرج إليه عمامته فأخرج إليّ عمامتي بعينها قلت:

يا ابن رسول اللّه كيف صارت إليك؟ قال: تصدّقت على الأعرابيّ فشكر اللّه لك وردّ عمامتك و إنّ اللّه لا يضيع أجر المحسنين.

و منه عن إسماعيل بن عباس الهاشمي قال: جئت إلى أبي جعفر عليه السّلام يوم عيد فشكوت إليه ضيق المعاش فرفع المصلّى و أخذ من التراب سبيكة من ذهب فأعطانيها فجرجت بها إلى السوق و كان فيها ستّة عشر مثقالا من الذّهب.

و من إعلام الطبرسي عن أميّة بن عليّ قال:كنت بالمدينة و كنت أختلف إلى أبي جعفر عليه السّلام و أبو الحسن عليه السّلام بخراسان و كان أهل بيته و عمومة أبيه يأتونه و يسلّمون عليه فدعا يوما بجارية فقال لها: قولي لهم: يتهيّأون للمأتم فلمّا تفرّقوا قالوا: هلا سألنا مأتم من؟ فلمّا كان من الغد فعل مثل ذلك فقالوا: مأتم من؟ فقال: مأتم خير من على ظهرها، فأتانا خبر أبي الحسن عليه السّلام بعد ذلك بأيّام فإذا هو قد مات في ذلك اليوم.

و منه قال محمّد بن الفرج:كتب إليّ أبو جعفر عليه السّلام احملوا إليّ الخمس لست آخذ منكم سوى عامي

هذا، فقبض عليه السّلام في تلك السنة، نقله من نوادر الحكمة.

ذكر طرف من أخلاق الامام العاشر أبي الحسن الثالث على بن محمّد النقي عليهما السلام و صفاته و كراماته

قال ابن طلحة: و أمّا ألقابه فالناصح و المتوكّل و الفتّاح و النقي و المرتضى و أشهرها المتوكّل و كان يخفى ذلك و يأمر أصحابه أن يعرضوا عنه لكونه كان لقب الخليفة أمير المؤمنين المتوكّل يومئذ.

و ذكر الطبرسيّ: العالم و الفقيه و الأمين و الطيّب و النقيّ و زاد غيرهما

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٠٩

الهادي أيضا و هو الأشهر عند الشيعة.

قال: و أمّا مناقبه

فمنها ما حلّ في الآذان محلّ حلاها بأشنافها، و اكتفته شغفا به اكتناف اللّئالي الثمينة بأصدافها، و شهد لأبي الحسن عليه السّلام أنّ نفسه موصوفة بنفائس أوصافها و أنّها نازلة من الدّوحة النبويّة ذرى أشرافها و شرفات أعرافها و ذلكأنّ أبا الحسن عليه السّلام كان يوما قد خرج من سرّ من رأى إلى قرية لمهمّ عرض له، فجاء رجل من الأعراب يطلبه، فقيل له قد ذهب إلى الموضع الفلاني فقصده فلمّا

وصل إليه قال: ما حاجتك؟ قال: رجل من أعراب الكوفة المتمسّكين بولاء جدّك عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و قد ركبني دين فادح أثقلني حمله و لم أر من أقصده لقضائه سواك فقال له أبو الحسن عليه السّلام: طب نفسا و قرّ عينا، ثمّ أنزله فلمّا أصبح ذلك اليوم قال له أبو الحسن عليه السّلام: أريد منك حاجة اللّه اللّه أن تخالفني فيها فقال الأعرابيّ: لا أخالفك فكتب أبو الحسن عليه السّلام ورقة بخطّه معترفا فيها أنّ عليه للأعرابي مالا عيّنه فيها يرجح على دينه، و قال: خذ هذا الخطّ فإذا وصلت إلى سرّ من رأى أحضر إليّ و عندي جماعة فطالبني به و أغلظ القول

عليّ في ترك إيفائك إيّاه، اللّه اللّه في مخالفتي، فقال: أفعل و أخذ الخطّ فلمّا وصل أبو الحسن إلى سرّ من رأى و حضر عنده جماعة كثيرون من أصحاب الخليفة و غيرهم حضر ذلك الرّجل و أخرج الخطّ و طالبه و قال كما أوصاه، فألان أبو الحسن عليه السّلام له القول و رفقه، و جعل يعتذر إليه و وعده بوفائه و طيبة نفسه، فنقل ذلك إلى الخليفة المتوكّل فأمر أن يحمل إلى أبي الحسن ثلاثون ألف درهم فلمّا حملت إليه تركها إلى أن جاء الرّجل فقال: خذ هذا المال و اقض منه دينك و أنفق الباقي على عيالك و أهلك و أعذرنا، فقال له الأعرابي: يا ابن رسول اللّه و اللّه

أنّ أملي كان يقصر عن ثلث هذا و لكن اللّه أعلم حيث يجعل رسالاته، و أخذ المال و انصرف

قال: و هذه منقبة من سمعها حكم له بمكارم الأخلاق، و قضى له بالمنقبة المحكوم بشرفها بالاتفاق.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣١٠

و منه و أمّا كراماته عليه السّلام فكثيرة جدّا و لنكتف بذكر نبذة منها.

فمن إرشاد المفيد – رحمه اللّه – عن الوشّاء عن خيران الأسباطي قال:قدمت على أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السّلام المدينة فقال لي: ما خبر الواثق عندك؟ قلت: جعلت فداك خلّفته في عافية

و أنا من أقرب الناس عهدا به، عهدي به منذ عشرة أيّام، قال: فقال لي: إن أهل المدينة يقولون: إنّه قد مات، فقلت: أنا أقرب الناس به عهدا، قال: فقال لي: إنّ الناس يقولون: إنّه مات، فلمّا قال لي: إنّ الناس يقولون علمت أنّه يعني نفسه، ثمّ قال لي: ما فعل جعفر؟ قلت: تركته أسوأ الناس حالا في السجن، قال: فقال: أما إنّه صاحب الأمر، ثمّ قال: ما فعل ابن الزّيّات؟ قلت: الناس معه و الأمر أمره، فقال: أما إنّه ميشوم عليه، قال: ثمّ سكت، و قال لي: لابدّ أن يجري مقادير اللّه و أحكامه، يا خيران مات الواثق و قد قعد جعفر المتوكّل و قد قتل ابن الزّيّات، قلت: متى

جعلت فداك؟ قال: بعد خروجك بستّة أيّام.

و منه عن عليّ بن إبراهيم عن ابن النعيم بن محمّد الطاهريّ قال:مرض المتوكّل من خراج خرج به فأشرف منه على الموت فلم يجرء أحد أن يمسّه بحديدة فنذرت أمّه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السّلام مالا جليلا من مالها، و قال له الفتح بن خاقان: لو بعثت إلى هذا الرّجل يعني أبا الحسن عليه السّلام فسألته فإنّه ربما كان عنده صفة شيء يفرّج اللّه به عنك، فقال: ابعثوا إليه، فمضى الرّسول و رجع فقال: خذوا كسب الغنم [١] فديفوه بماء الورد، وضعوه على

الخراج فإنّه نافع بإذن اللّه إن شاء اللّه، فجعل من يحضر المتوكّل يهزء من قوله فقال لهم الفتح: و ما يضرّ من تجربة ما قال فو اللّه إنّي لأرجو الصلاح به، فأحضر الكسب و ديف بماء الورد و وضع على الخراج فانفتح و خرج ما كان فيه و بشّرت أمّ المتوكّل بعافيته فحملت إلى أبي الحسن عليه السّلام عشرة آلاف دينار تحت ختمها و استقلّ المتوكّل [٢] من

---

[١] هو عصارة الدهن، و دافه بالشيء أي خلطه.

[٢] «تحت ختمها» اى ممهورة بخاتمها. و استقل أي رفع علته.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣١١

علّته، فلمّا كان بعد أيّام سعى البطحاني بأبي الحسن عليه السّلام إلى المتوكّل و قال:

عنده أموال و سلاح و تقدّم المتوكّل إلى سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلا و يأخذ ما يجده عنده من الأموال و السلاح و يحمله إليه، قال إبراهيم بن محمّد: فقال لي سعيد الحاجب: صرت إلى دار أبي الحسن عليه السّلام باللّيل و معي سلّم فصعدت منه إلى السطح و نزلت من الدّرجة إلى بعضها في الظلمة، فلم أدر كيف أصل إلى

الدّار فناداني أبو الحسن عليه السّلام من الدّار: يا سعيد مكانك حتّى يأتوك بشمعة، فلم ألبث أن أتوني بشمعة فنزلت فوجدت عليه جبّة صوف و قلنسوة منها و سجّادته على حصير بين يديه، و هو مقبل على القبلة، فقال لي: دونك البيوت فدخلتها و فتّشتها فلم أجد فيها شيئا و وجدت البدرة مختومة بخاتم أمّ المتوكّل و كيسا مختوما معها فقال لي أبو الحسن عليه السّلام: دونك المصلّى فرفعته فوجدت سيفا في جفن ملبوس فأخذت ذلك و صرت إليه فلمّا رأى خاتم أمّه على البدرة بعث إليها فخرجت فسألها عن البدرة، فأخبرني بعض الخدم الخاصّة أنّها قالت:

كنت نذرت في علّتك إن عوفيت أن أحمل إليه من مالي عشرة آلاف دينار فحملتها إليه و هذا خاتمي على الكيس ما حرّكه، و فتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمائة دينار فأمر أن يضمّ إلى البدرة بدرة أخرى و قال لي:

احمل ذلك إلى أبي الحسن و اردد السيف و الكيس عليه بما فيه فحملت ذلك إليه فاستحييت منه فقلت: يا سيّدي عزّ عليّ دخولي دارك بغير إذنك و لكنّي مأمور و قال لي:و سيعلم الّذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون ٢٦: ٢٢٧.

و منه قال محمّد بن الفرج الرّخّجي:إنّ أبا الحسن عليه السّلام

كتب إليّ يا محمّد اجمع أمرك و خذ حذرك، فقال: أنا في جمع أمري لست أدري ما الّذي أراد بما كتب به إليّ حتّى ورد عليّ رسول فحملني من مصر مصفّدا بالحديد و ضرب على كلّ ما أملك فمكثت في السجن ثمان سنين، ثمّ ورد عليّ كتاب منه و أنا في السجن: يا محمّد لا تنزل في ناحية الجانب الغربي، فقرأت الكتاب و قلت في نفسي: يكتب أبو الحسن إليّ بهذا و أنا في السجن إنّ هذا لعجب فما مكثت إلا أيّاما يسيرة حتّى افرج عنّي و حلّت

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣١٢

قيودي و خلّي سبيلي، قال: فكتبت إليه بعد خروجي أسأله أن يسأل اللّه أن يردّ ضياعي عليّ قال: فكتب إليّ سوف تردّ عليك ضياعك و لا يضرّك أن لا تردّ عليك.

قال عليّ بن محمّد النوفليّ: فلمّا شخص محمّد بن الفرج الرّخّجي إلى العسكر كتب له بردّ ضياعه فلم يصل الكتاب حتّى مات.

و منه عن زيد بن عليّ بن الحسين بن زيد قال:مرضت فدخل الطبيب عليّ ليلا و وصف لي دواء آخذه في السحر كذا و كذا يوما فلم يمكنّي تحصيله من اللّيل و خرج الطبيب من الباب و ورد صاحب أبي الحسن عليه السّلام في الحال و معه صرّة فيها ذلك الدّواء بعينه،

فقال لي: أبو الحسن عليه السّلام يقرئك السلام و يقول: خذ هذا الدّواء كذا و كذا يوما فأخذته و شربته فبرأت، فقال محمّد بن عليّ: فقال لي زيد بن عليّ: يا محمّد أين الغلاة من هذا الحديث.

و منه عن صالح بن سعيد قال:دخلت على أبي الحسن عليه السّلام يوم وروده سرّ من رأى بأمر المتوكّل فقلت له: جعلت فداك في كلّ الأمور أرادوا إطفاء نورك و التقصر بك حتّى أنزلوك هذا الخان الأشنع، خان الصعاليك، فقال: ههنا أنت يا ابن سعيد، ثمّ أومأ بيده فإذا أنا بروضات أنقات، و أنهار جاريات، و جنّات فيها خيرات عطرات، و ولدان كأنّهنّ اللّؤلؤ

المكنون، فحار بصري و كثر تعجّبي فقال لي: حيث كنّا فهذا لنا يا ابن سعيد لسنا في خان الصعاليك.

قال المفيد – رحمه اللّه –: و أقام أبو الحسن عليه السّلام مدّة مقامه في سرّ من رأى مكرما في ظاهر الحال، يجتهد المتوكّل في إيقاع حيلة به فلا يتمكّن من ذلك، و له معه أحاديث يطول بذكرها الكتاب فيها آيات و بيّنات إن قصدنا لا يرادها خرجنا عن الغرض فيما نحن فيه.

و من دلائل الحميري عن الحسن بن عليّ الوشّاء قال: حدثتني أمّ محمّد مولاة الرّضا عليه السّلام قالت:جاء أبو الحسن عليه السّلام

حتّى جلس في حجر أمّ أبيها بنت موسى

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣١٣

عليه السّلام فقالت له: مالك؟ فقال لها: مات أبي و اللّه الساعة، فقالت له: لا تقل هذا، قال: هو و اللّه ما أقول لك، فكتبنا ذلك اليوم فجاءت وفاة أبي جعفر عليه السّلام في ذلك اليوم.

و منه عن فاطمة بنت الهيثم قالت:كنت في دار أبي الحسن عليه السّلام في الوقت الّذي ولد فيه جعفر فرأيت أهل الدّار قد سرّوا به فصرت إليه فلم أر به سرورا، فقلت: يا سيّدي ما لي أراك غير مسرور،

فقال: هون عليك فسيضلّ به خلق كثير.

و منه عن عليّ بن محمّد الحجّال قال:كتبت إلى أبي الحسن عليه السّلام أنا في خدمتك و أصابني علّة في رجلي لا أقدر على النهوض و القيام بما يجب، فإن رأيت أن تدعو اللّه أن يكشف علّتي و يعينني على القيام بما يجب عليّ و أداء الأمانة في ذلك، و يجعلني من تقصيري من غير تعمّد منّي، و تضييع مال أتعمّده من نسيان يصيبني في حلّ، و يوسّع عليّ، و تدعو لي بالثبات على دينه الّذي ارتضاه لنبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فوقّع كشف اللّه عنك و عن

أبيك، قال: و كان بأبي علّة و لم أكتب فيها فدعا له ابتداء.

و من كتاب الرّاوندي حدّث جماعة من أهل أصفهان منهم أبو العبّاس أحمد بن النضر و أبو جعفر محمّد بن علويّة قالوا:كان بأصفهان رجل يقال له: عبد الرحمن و كان شيعيّا، فقيل له: ما السبب الّذي أوجب عليك القول بإمامة عليّ النقيّ دون غيره من أهل الزّمان؟ فقال: شاهدت ما يوجب عليّ و ذلك أنّي كنت رجلا فقيرا و كان لي لسان و جرأة، فأخرجني أهل أصفهان سنة من السنين مع قوم آخرين، فجئنا إلى باب المتوكّل متظلّمين، و كنّا بباب المتوكّل يوما إذ خرج الأمر بإحضار عليّ بن محمّد بن الرّضا

عليهم السّلام فقلت لبعض من حضر: من هذا الرّجل الّذي قد أمر بإحضاره؟ فقيل: هذا رجل علويّ يقول الرّفضة بإمامته، ثمّ قيل: و نقدّر أنّ المتوكّل

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣١٤

يحضره للقتل، فقلت: لا أبرح من ههنا حتّى أنظر إلى هذا الرّجل أيّ رجل هو، قال:

فأقبل راكبا على فرس و قد قام الناس صفّين يمنة الطريق و يسرتها ينظر إليه فلمّا رأيته وقع حبّه في قلبي و جعلت أدعو له في نفسي بأن يدفع اللّه عنه شرّ المتوكّل فأقبل يسير بين الناس و هو ينظر إلى عرف دابّته لا يلتفت و أنا دائم

الدّعا له، فلمّا صار إليّ أقبل عليّ بوجهه و قال: استجاب اللّه دعاءك، و طوّل عمرك، و كثر مالك و ولدك، قال: فارتعدت و وقعت بين أصحابي فسألوني ما شأنك؟ فقلت: خير و لم أخبرهم، فانصرفنا بعد ذلك إلى أصفهان ففتح اللّه عليّ وجوها من المال حتّى أنّي اغلق بابي على ما قيمته ألف ألف درهم سوى مالي خارج داري، و رزقت عشرة من الأولاد و قد بلغت من عمري نيّفا و سبعين سنة و أنا أقول بإمامة هذا الّذي علم ما في قلبي و استجاب اللّه دعاءه لي.

و منه ما روي عن يحيى بن هرثمة قال:دعاني المتوكّل و قال: اختر

ثلاثمائة رجل ممّن تريد و اخرجوا إلى الكوفة فخلفوا أثقالكم فيها و اخرجوا على طريق البادية إلى المدينة و أحضروا عليّ بن محمّد بن الرّضا إلى عندي مكرّما معظّما مبجّلا، قال: ففعلت و خرجنا و كان في أصحابي قائد من الشراة و كان لي كاتب متشيّع و أنا على مذهب الحشويّة و كان الشاري يناظر الكاتب و كنت أستريح إلى مناظرتهما لقطع الطريق، فلمّا صرنا وسط الطريق قال الشاري للكاتب: أ ليس من قول صاحبكم عليّ بن أبي طالب: «ليس من الأرض بقعة إلا و هي قبر أو سيكون قبرا» فانظر إلى هذه البريّة العظيمة أين من يموت فيها حتّى يملأها اللّه قبورا

كما تزعمون؟ قال: فقلت للكاتب: أ هذا من قولكم؟ قال: نعم، فقلت: أين من يموت في هذه البريّة حتّى تمتلي قبورا و تضاحكنا ساعة إذا انخذل الكاتب في أيدينا و سرنا حتّى دخلنا المدينة فقصدت باب أبي الحسن عليه السّلام فدخلت إليه و قرأ كتاب المتوكّل فقال:

أنزلوا فليس من جهتي خلاف، فلمّا صرت إليه من الغد و كنّا في تموز أشدّ ما يكون من الحرّ فإذا بين يديه خيّاط و هو يقطع خفاتين [١] من ثياب غلاظ له و لغلمانه

---

[١] الخفتان ضرب من الثياب جمعه خفاتون و الكلمة من الدخيل.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣١٥

و قال للخيّاط: اجمع عليها جماعة من الخيّاطين و اعمل على الفراغ منها يومك هذا و بكّر بها إليّ في هذا الوقت، و نظر إليّ و قال: يا يحيى اقضوا وطركم من المدينة في هذا اليوم و اعمل على الرحيل غدا في هذا الوقت، فخرجت من عنده و أنا أتعجّب منه و من الخفاتين، و أقول في نفسي: نحن في تموز و حرّ الحجاز و بيننا و بين العراق عشرة أيّام فما يصنع بهذه الثياب و قلت في نفسي: هذا رجل لم يسافر و هو يقدّر أنّ كلّ سفر يحتاج إلى

هذه الثياب و أتعجّب من الرّوافض حيث يقولون بإمامة هذا مع فهمه هذا فعدت إليه في الغد في ذلك الوقت فإذا الثياب قد احضرت و قال لغلمانه:

ارحلوا و خذوا لنا معكم لبابيد و برانس، ثمّ قال: ارحل يا يحيى، فقلت في نفسي:

و هذا أعجب من الأوّل أ يخاف أن يلحقنا الشتاء في الطريق حتّى آخذ معه اللّبابيد و البرانس و خرجت و أنا استصغر فهمه، فسرنا حتّى إذا وصلنا إلى موضع المناظرة في القبور ارتفعت سحابة و اسودّت و أرعدت و أبرقت حتّى إذا صارت على رءوسنا أرسلت على رءوسنا بردا مثل الصخور و قد شدّ على

نفسه و على غلمانه الخفاتين، و لبسوا اللّبابيد و البرانس و قال لغلمانه: ادفعوا إلى يحيى لبّادة و إلى الكاتب برنسا و يجمعنا و البرد يأخذنا حتّى قتل من أصحابي ثمانين رجلا و زالت و عاد الحرّ كما كان، فقال لي: يا يحيى أنزل من بقي من أصحابك فادفن من مات منهم فهكذا يملأ اللّه البريّة قبورا، قال: فرميت بنفسي من دابّتي و عدوت إليه فقبّلت رجله و ركابه و قلت: أنا أشهد أن لا إله إلا اللّه و أنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عبده و رسوله، و أنّكم خلفاء اللّه في أرضه فقد كنت كافرا و قد أسلمت الآن على يديك يا مولاي،

قال يحيى: و تشيّعت و ألزمت خدمته إلى أن مضى.

و منه أنّ هبة اللّه بن أبي منصور الموصلي قال:كان بديار ربيعة نصرانيّ يسمّى يوسف بن يعقوب و كان بينه و بين والدي صداقة، قال: فوافانا فنزل عند والدي فقال له والدي: فيم قدمت في هذا الوقت؟ قال: دعيت إلى حضرة المتوكّل و لا أدري ما يراد منّي إلا أنّي اشتريت نفسي من اللّه بمائة دينار و قد حملتها لعليّ

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣١٦

ابن محمّد بن الرّضا عليهم السّلام معي فقال له والدي: قد وفّقت في هذا و خرج إلى حضرة المتوكّل و

جاءنا بعد أيّام قلائل فرحا مستبشرا فقال له والدي: حدّثني حديثك قال: صرت إلى سرّ من رأى و ما دخلتها قطّ فنزلت في دار و قلت: يجب أن أوصل هذه المائة دينار إلى ابن الرّضا قبل مصيري إلى باب المتوكّل و قبل أن يعرف أحد قدومي و عرفت أنّ المتوكّل قد منعه من الركوب و إنّه ملازم لداره، فقلت: كيف أصنع رجل نصرانيّ يسأل عن دار ابن الرّضا لا آمن أن ينذر بي: فيكون ذلك زيادة فيما احاذره و قال: تفكّرت ساعة في ذلك فوقّع في قلبي أن أركب حماري و أخرج في البلد فلا أمنعه حيث يذهب لعلّي أقف على معرفة داره من غير أن أسأل أحدا، فجعلت

الدّنانير في كاغذ و جعلتها في كمّي و ركبت فكان الحمار ينحرف في الشوارع و الأسواق يمرّ حيث يشاء إلى أن صرت إلى باب دار فوقف الحمار فجهدت أن يزول فلم يزل، فقلت للغلام: سل لمن هذه الدّار فسأل فقيل: دار ابن الرّضا، فقلت:

اللّه أكبر دلالة و اللّه مقنعة، قال: فإذا خادم أسود قد خرج و قال: أنت يوسف بن يعقوب قلت: نعم، قال: فأنزل فأقعدني في الدّهليز و دخل، فقلت: هذه دلالة أخرى من أين عرف اسمي و اسم أبي و ليس في البلد من يعرفني و لا دخلته قطّ، فخرج الخادم فقال: المائة دينار الّتي في كمّك في الكاغذ هاتها،

فناولته إيّاها، و قلت: هذه الثالثة، و جاء فقال: ادخل فدخلت و هو وحده، فقال: يا يوسف ما بان لك فقلت: يا مولاي قد بان لي من البرهان ما فيه كفاية لمن اكتفى، فقال: هيهات إنّك لا تسلم و لكن سيسلم ولدك فلان و هو من شيعتنا، يا يوسف إنّ أقواما يزعمون أنّ ولايتنا لا تنفع أمثالك كذبوا و اللّه إنّها لتنفع امض فيما وافيت له فإنّك سترى ما تحبّ فمضيت إلى باب المتوكّل و نلت كلّ ما أردت و انصرفت، قال هبة اللّه: فلقيت ابنه بعد هذا و هو مسلم حسن التشيّع فأخبرني أنّ أباه مات على النصرانيّة و أنّه أسلم بعد موت

أبيه، و كان يقول: أنا مؤمن ببشارة مولاي عليه السّلام.

و منه قال أبو هاشم الجعفريّ:إنّه ظهر برجل من سرّ من رأى برص المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣١٧

فتنغّص عيشه فأشار عليه أبو عليّ الفهريّ بالتعرّض لأبي الحسن عليه السّلام و أن يسأله الدّعاء فجلس له يوما فرآه فقام إليه فقال: تنحّ عافاك اللّه، و أشار إليه بيده تنحّ عافاك اللّه – ثلاث مرّات – فانخذل و لم يجسر أن يدنو منه و انصرف فلقى الفهريّ و عرّفه ما قال، قال: قد دعا لك قبل أن تسأله فاذهب إنّك ستعافي فذهب و أصبح و قد برأ [١].

و منه عن زرّافة حاجب المتوكّل قال:وقع مشعبد هنديّ يلعب بالحقّة لم ير مثله و كان المتوكّل لعّابا فأراد أن يخجل عليّا عليه السّلام فقال المتوكّل: إن أخجلته فلك ألف دينار، قال: فتقدّم أن يخبز رقاق خفاف يجعل على المائدة و أنا إلى جنبه ففعل و حضر عليّ عليه السّلام للطعام و جعل له مسورة عليها صورة أسد و جلس اللاعب إلى جنب المسورة فمدّ عليّ عليه السّلام يده إلى رقاقة فطيّرها اللاعب كذا - ثلاث مرّات - فتضاحكوا فضرب عليّ عليه السّلام يده على تلك الصورة، و قال: خذه فوثبت من المسورة و ابتلعت بالرّجل و عادت إلى المسورة فيحيّروا و

نهض عليّ بن محمّد عليهما السّلام فقال له المتوكّل: سألتك باللّه إلا جلست و رددته فقال: و اللّه لا يرى بعدها أ تسلّط أعداء اللّه على أوليائه، و خرج من عنده و لم ير الرّجل بعدها.

و منه قال أبو هاشم الجعفريّ: كان للمتوكّل بيت فيه شباك و فيه طيور مصوّتة فإذا دخل إليه أحد لم يسمع و لم يسمع فإذا دخل عليّ عليه السّلام سكتت جميعا فإذا خرج عادت إلى حالها.

و منه حديث زينب الكذّابة الّذي ذكرناه في أخبار الرّضا عليه السّلام فإنّه رواه عن الهادي عليه السّلام.

و منه روي ابن أورمة قال:خرجت إلى سرّ من رأى أيّام المتوكّل

فدخلت إلى سعيد الحاجب و دفع المتوكّل أبا الحسن عليه السّلام إليه ليقتله، فقال: تحبّ أن

---

[١] الخرائج ص ٢١٠ و فيه «فانصرف الرجل إلى بيته فبات تلك الليلة فلما أصبح لم ير على بدنه شيئا من ذلك». و لكن في كشف الغمة ص ٢٩٧ كما في المتن.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣١٨

تنظر إلى إلهك؟ فقلت: سبحان اللّه إلهي لا تدركه الأبصار، فقال: الّذي تزعمون أنّه إمامكم، قلت: ما

أكره ذلك، قال: قد أمرت بقتله و أنا فاعله غدا فإذا خرج صاحب البريد فادخل عليه، فخرج و دخلت و هو جالس و هناك قبر يحفر فسلّمت عليه و بكيت بكاء شديدا، فقال: ما يبكيك؟ قلت: ما أرى، قال: لا تبك إنّه لا يتمّ لهم ذلك و إنّه لا يلبث أكثر من يومين حتّى يسفك اللّه دمه و دم صاحبه، فو اللّه ما مضى غير يومين حتّى قتل.

و منه أنّ أبا محمّد الطبريّ قال: تمنّيت أن يكون لي خاتم من عنده عليه السّلام فجاءني نصر الخادم بدرهمين فصغتها خاتما و دخلت على قوم يشربون الخمر فتعلّقوا بي فشربت قدحا أو قدحين و كان ضيقا في أصبعي لا يمكنني إدارته

للوضوء فأصبحت و قد افتقدته فتبت إلى اللّه تعالى.

و منهأنّ المتوكّل عرض عسكره و أمر أنّ كلّ فارس يملأ مخلاة فرسه طينا و يطرحوه في موضع واحد، فصار كالجبل و اسمه تلّ المخالي، و صعد هو و أبو الحسن عليه السّلام، قال: إنّما طلبتك لتشاهد خيولي، و كانوا لبسوا التجافيف و حملوا السلاح و قد عرضوا بأحسن زينة و أتمّ عدّة و أعظم هيبة و كان غرضه كسر قلب من يخرج عليه و كان يخاف من أبي الحسن عليه السّلام أن يأمر أحدا من أهل بيته بالخروج عليه، فقال له أبو الحسن عليه السّلام: فهل أعرض عليك عسكري؟ قال: نعم، فدعا اللّه

سبحانه فإذا بين السماء و الأرض من المشرق إلى المغرب ملائكة مدجّجون فغشي على الخليفة فلمّا أفاق قال له أبو الحسن عليه السّلام: نحن لا ننافسكم في الدّنيا فإنّا مشغولون بالآخرة فلا عليك شيء ممّا تظنّ.

و منه روي عن محمّد بن الفرج قال: قال لي عليّ بن محمّد عليهما السّلامإذا أردت أن تسأل مسأله فاكتبها وضع الكتاب تحت مصلاك و دعه ساعة ثمّ أخرجه و انظر فيه، قال:

ففعلت فوجدت جواب المسألة موقّعا فيه.

و منه روى أبو سعيد سهل بن زياد قال: حدّثنا أبو العبّاس فضل بن أحمد بن

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣١٩

إسرائيل الكاتب و نحن في داره بسرّ من رأى فجرى ذكر أبي الحسن عليه السّلام فقال:يا أبا سعيد أحدّثك بشيء حدّثني به أبي قال: كنّا مع المنتصر و أبي كاتبه فدخلنا و المتوكّل على سريرة فسلّم المنتصر و وقف و وقفت خلفه، و كان إذا دخل رحّب به و أجلسه فأطال القيام و جعل يرفع رجلا و يضع أخرى و هو لا يأذن له في القعود و رأيت وجهه يتغيّر ساعة بعد ساعة و يقول للفتح بن خاقان: هذا الّذي

تقول فيه ما تقول و تردّ عليّ القول و الفتح يسكّنه و يقول: هو مكذوب عليه و هو يتلظّى و يستشيط و يقول: و اللّه لأقتلنّ هذا المرائي الزّنديق فهو الّذي يدّعي الكذب و يطعن في دولتي، ثمّ طلب أربعة من الخزر أجلافا و دفع إليهم أسيافا و أمرهم أن يقتلوا أبا الحسن عليه السّلام إذا دخل، و قال: و اللّه لاحرّقنّه بعد قتله، و أنا قائم خلف المنتصر من وراء الستر فدخل أبو الحسن عليه السّلام و شفتاه يتحرّكان و هو غير مكترث و لا جازع، فلمّا رآه المتوكّل رمى بنفسه عن السرير إليه و انكبّ عليه يقبّل بين عينيه و يديه و احتمل شقّه بيده، و هو يقول: يا سيّدي يا

ابن رسول اللّه يا خير خلق اللّه يا ابن عمّي يا مولاي يا أبا الحسن، و أبو الحسن عليه السّلام يقول: اعيذك يا أمير المؤمنين باللّه من هذا، فقال: ما جاء بك يا سيّدي في هذا الوقت؟ قال: جاءني رسولك قال: كذب ابن الفاعلة ارجع يا سيّدي، يا فتح يا عبيد اللّه يا منتصر شيّعوا سيّدكم و سيّدي، فلمّا بصر به الخزر خرّوا سجّدا، فدعاهم المتوكّل و قال: لم لم تفعلوا ما أمرتكم به قالوا:

شدّة هيبته و رأينا حوله أكثر من مائة سيف لم نقدر أن نتأمّلهم و امتلأت قلوبنا من ذلك و قال: يا فتح هذا صاحبك و ضحك في

وجهه و قال: الحمد للّه الّذي بيّض وجهه و أنار حجّته.

و من أعلام الطبرسيّ قال: أبو هاشم الجعفريّ:كنت بالمدينة حين مرّ بها بغاء أيّام الواثق في طلب الأعراب فقال أبو الحسن عليه السّلام: أخرجوا بنا حتّى ننظر إلى تعبئة هذا التركيّ فخرجنا فمرّ بنا تعبئته و مرّ بنا تركي و كلّمه أبو الحسن عليه السّلام بالتركيّة، فنزل عن فرسه و قبّل حافر دابّته، قال: فقلت

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٢٠

للتركيّ: ما قال لك؟ قال: أنبيّ هو؟ قلت: لا، قال: دعاني باسم سمّيت

به في صغري في بلاد الترك ما علمه أحدّ إلى الساعة.

و عنه قال: دخلت إلى أبي الحسن عليه السّلام فكلّمني بالهنديّة فلم أحسن أن أردّ عليه، و كان بين يديه حصى فأخذ حصاة تركها في فمه و مصّها ثلاث مصّات، فدفعها إليّ فوضعتها في فمي، فو اللّه ما برحت من عنده حتّى تكلّمت بثلاثة و سبعين لسانا أوّلها الهنديّة.

و عنه قال:خرجت معه عليه السّلام إلى ظاهر سرّ من رأى نتلقّى بعض الطالبيّين فأبطأ حرسه فطرحت له غاشية السرج، فجلس عليها و نزلت فجلست بين يديه، و هو يحدّثني فشكوت إليه قصور يدي فأهوى بيده إلى رمل كان عليه جالسا فناولني

منه أكفّا، و قال: اتّسع بهذا أبا هاشم و اكتم ما رأيت، فخبأته معي و رجعنا فأبصرته فإذا هو يتّقد كالنيران ذهبا أحمر، فدعوت صائغا إلى منزلي و قلت له:

أسبك لي هذا، فسبكه فقال: ما رأيت ذهبا أجود من هذا و هو كالرّمل، فمن أين لك هذا؟ فما رأيت أعجب منه، قلت: لنا من قديم مذخور.

و منه حدّث أبو طاهر الحسين بن عبد القاهر الطاهريّ قال: حدّثنا محمّد بن الحسين الأشتر العلويّ قال: كنت على باب المتوكّل و أنا صبيّ في جمع من الناس ما بين طالبيّ إلى عبّاسيّ إلى جنديّ و كان إذا جاء أبو الحسن عليه السّلام ترجّل الناس كلّهم حتّى

يدخل، فقال بعضهم لبعض: لم نترجّل لهذا الغلام و ما هو بأشرفنا و لا بأكبرنا سنّا و اللّه لا ترجّلنا له، فقال أبو هاشم الجعفريّ: و اللّه لتترجّلنّ له صاغرين إذا رأيتموه، فما هو إلا أن أقبل حتّى ترجّلوا أجمعين، فقال أبو هاشم:

أ ليس زعمتم أنّكم لا تترجّلون، فقالوا: و اللّه ما ملكنا أنفسنا حتّى ترجّلنا.

و منهأولم بعض أولاد الخلفاء وليمة فدعا أبا الحسن عليه السّلام، و دعا النّاس فلمّا رأوه أنصتوا إجلالا له، و جعل شابّ في المجلس لا يوقّره و يتحدّث و يضحك، فأقبل عليه فقال: يا هذا تضحك ملء فيك و

تذهل عن ذكر اللّه و أنت بعد ثلاثة أيّام

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٢١

من أهل القبور، قال: فقلنا: هذا دليل ننظر ما يكون، فأمسك الفتى و كفّ فطعمنا و خرجنا، فلمّا كان بعد يوم اعتلّ الفتى و مات في اليوم الثالث و دفن فيه.

و منه قال:سعيد اجتمعنا في وليمة لبعض أهل سرّ من رأى و أبو الحسن عليه السّلام معنا، فجعل رجل يعبث و يمزح و لا يرى له جلالة، فأقبل على جعفر و قال:

أما إنّه لا يأكل من هذا الطعام و سيرد عليه من خبر أهله ما ينغّص

عيشه فلمّا قدّمت المائدة قال جعفر: ليس بعد هذا خبر فو اللّه لقد غسل الرّجل يده و أ هوى إلى الطعام فدخل غلامه يبكي و يصرخ و قال: الحق أمّك فقد وقعت مع السّطح و هي في الموت، قال جعفر: فقلت: و اللّه لا وقفت بعد هذا فيه و قطعت عليه.

قال الطبرسيّ: و الروايات في هذا الباب كثيرة و فيما أوردناه كفاية.

ذكر طرف من أخلاق الامام الحادي عشر أبي محمد ابن على العسكري عليه السّلام و صفاته و كراماته

قال ابن طلحة إنّ المنقبة العليا، و المزيّة الكبرى، الّتي خصّه اللّه جلّ و علا بها، فقلّده فريدها، و منحه

تقليدها، و جعلها صفة دائمة له لا يبلى الدّهر جديدها، و لا تنسى الألسن تلاوتها و ترديدها، أنّ المهديّ نسله المخلوق منه، و ولده المنتسب إليه، و بضعته المنفصلة عنه. و ذكر أنّ لقبه: الخالص.

و قال الطبرسيّ: و لقبه الهاديّ و السراج و العسكريّ، قال: و كان عليه السّلام هو و أبوه و جدّه يعرف كلّ منهم في زمانه بابن الرّضا.

و روى شيخنا المفيد – رحمه اللّه – عن أبي بكر الفهفكيّ قال: كتب إليّ أبو الحسن عليه السّلام:أبو محمّد ابني أصحّ آل محمّد غريزة و أوثقهم حجّة و هو الأكبر من ولدي و هو الخلف و إليه تنتهي عرى

الإمامة و أحكامنا فما كنت تسألني عنه فاسأله عنه فعنده ما تحتاج إليه.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٢٢

و عن الحسن بن محمّد الأشعريّ، و محمّد بن يحيى، و غيرهما قالوا: كان أحمد ابن عبيد اللّه بن خاقان على الضياع و الخراج بقم، فجرى يوما في مجلسه ذكر العلويّة و مذاهبهم و كان شديد النصب و الانحراف عن أهل البيت عليهم السّلام فقال: ما رأيت و لا عرفت بسرّ من رأى رجلا من العلويّة مثل الحسن بن عليّ بن محمّد بن الرّضا في هديه و سكونه و عفافه و نبله و كبرته عند أهل بيته و بني هاشم

كافّة، و تقديمهم إيّاه على ذي السنّ منهم و الخطر، و كذلك كانت حاله عند القوّاد و الوزراء و عامّة الناس فأذكر أنّي كنت يوما قائما على رأس أبي و هو يوم مجلسه للناس إذ دخل حجّابه فقالوا: أبو محمّد ابن الرّضا بالباب، فقال بصوت عال: ائذنوا له فعجبت ممّا سمعت منهم و من جسارتهم أن يكنّوا رجلا بحضرة أبي و لم يكن يكنّى عنده إلا خليفة أو وليّ عهد، أو من أمر السلطان أن يكنّى عنده، فدخل رجل أسمر حسن القامة، جميل الوجه، جيّد البدن، حديث السنّ، له جلالة و هيئة حسنة فلمّا نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطا، و لا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم و القوّاد،

فلمّا دنا منه عانقه و قبّل وجهه و صدره، و أخذ بيده و أجلسه على مصلاه الّذي كان عليه، و جلس إلى جنبه مقبلا عليه بوجهه يكلّمه و يفديه بنفسه و أنا متعجّب ممّا أرى منه إذ دخل الحاجب فقال: الموفّق قد جاء، و كان الموفّق إذا دخل على أبي تقدّمه حجّابه و خاصّة قوّاده فقاموا بين مجلس أبي و بين باب الدّار سماطين إلى أن يدخل و يخرج، فلم يزل أبي مقبلا على أبي محمّد يحدّثه حتّى نظر إلى غلمان الخاصّة فقال حينئذ له إذا شئت جعلني اللّه فداك، ثمّ قال لحجّابه: خذوا به خلف السماطين لا يراه هذا، يعني الموفّق فقام و قام أبي و عانقه و مضى، فقلت

لحجّاب أبي و غلمانه: ويلكم من هذا الّذي كنّيتموه بحضرة أبي و فعل به أبي هذا الفعل، فقالوا: هذا علويّ يقال له: الحسن بن عليّ، يعرف بابن الرّضا فازددت تعجّبا و لم أزل يومي ذلك قلقا متفكّرا في أمره و أمر أبي و ما رأيته منه حتّى كان اللّيل، و كانت عادته أن يصلّي العتمة ثمّ يجلس فينظر ما يحتاج إليه من المؤامرات و ما يرفعه إلى السلطان، فلمّا صلّى و جلس جئت فجلست بين يديه و ليس عنده أحد فقال: يا أحمد لك حاجة؟

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٢٣

قلت: نعم يا أبه فإن أذنت لي سألتك عنها قال: قد أذنت، قلت: يا أبه من الرّجل الّذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال و الكرامة و التبجيل و فديته بنفسك و أبويك؟ قال: يا بنيّ ذلك إمام الرّافضة الحسن بن عليّ المعروف بابن الرّضا ثمّ سكت ساعة و أنا ساكت ثمّ قال: يا بنيّ لو زالت الإمامة عن خلفاء بني العبّاس ما استحقّها أحد من بني هاشم غيره، لفضله و عفافه و هديه و صيانته و زهده و عبادته و جميل أخلاقه و صلاحه و لو رأيت أباه رأيت رجلا جزلا نبيلا فاضلا، فازددت قلقا و غيظا و تفكّرا على أبي و ما سمعته منه فيه و رأيته من فعله به، فلم

يكن لي همّة بعد ذلك إلا السؤال عن خبره و البحث عن أمره، فما سألت أحدا من بني هاشم و القوّاد و الكتّاب و القضاة و الفقهاء و سائر الناس إلا وجدته عنده في غاية الإجلال و الإعظام، و المحلّ الرّفيع، و القول الجميل، و تقدّمه له على جميع أهل بيته و مشايخه، فعظم قدره عندي إذ لم أر له وليّا و لا عدوّا إلا و هو محسن القول فيه و الثناء عليه – الحديث بطوله –.

فصل و أما كراماته عليه السّلام

فمن إرشاد المفيد – رحمه اللّه– كتب أبو محمّد عليه السّلام إلى أبي القاسم إسحاق بن جعفر الزّبيري قبل موت المعتزّ بنحو من عشرين يوما ألزم بيتك حتّى يحدث

الحادث فلمّا قتل بريحة كتب إليه قد حدث الحادث فما تأمرني؟ فكتب إليه ليس هذا الحادث، الحادث الآخر، فكان من المعتزّ ما كان.

قال: و كتب إلى رجل آخر يقتل محمّد بن داود قبل قتله بعشرة أيّام، فلمّا كان في اليوم العاشر قتل.

و منه عن محمّد بن عليّ بن إبراهيم بن موسى بن جعفر قال: ضاق بنا الأمر فقال أبي: امض بنا حتّى نصير إلى هذا الرّجل يعني أبا محمّد عليه السّلام فانّه قد وصف عنه

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٢٤

سماحة، فقلت: تعرفه؟ قال: ما أعرفه و لا رأيته قطّ، قال: فقصدناه

فقال أبي و هو في طريقه: ما أحوجنا إلى أن يأمر لنا بخمسمائة درهم مائتي درهم للكسوة، و مائتي درهم للدّقيق، و مائة درهم للنفقة، و قلت في نفسي: ليته أمر لي بثلاثمائة درهم مائة أشتري بها حمارا، و مائة للنفقة، و مائة للكسوة، فأخرج إلى الجبل. قال: فلمّا وافينا الباب خرج إلينا غلامه فقال: يدخل عليّ بن إبراهيم و محمّد ابنه، فلمّا دخلنا عليه و سلّمنا قال لأبي: يا عليّ ما خلّفك عنّا إلى هذا الوقت؟ قال: يا سيّدي استحييت أن ألقاك على هذا الحال، فلمّا خرجنا من عنده جاءنا غلامه فناول أبي صرّة فيها دراهم و قال: هذه خمسمائة درهم مائتان للكسوة،

و مائتان للدّقيق و مائة للنفقة، و أعطاني صرّة و قال: هذه ثلاثمائة درهم اجعل مائة في ثمن حمار، و مائة للكسوة، و مائة للنفقة، و لا تخرج إلى الجبل و سر إلى سوراء، قال: فصار إلى سوراء و تزوّج امرأة منها فدخله اليوم ألف دينار و مع هذا يقول بالوقف، قال محمّد بن إبراهيم الكرديّ: فقلت له: ويحك أ تريد أمرا أبين من هذا؟ قال: فقال: صدقت و لكنّا على أمر قد جرينا عليه.

و منه عن أحمد بن الحارث القزويني قال:كنت مع أبي بسرّ من رأى و كان أبي يتعاطى البيطرة في مربط أبي محمّد عليه السّلام قال: و كان عند المستعين بغل لم ير

مثله حسنا و كبرا و كان يمنع ظهره اللّجام و كان قد جمع عليه الرّواض فلم يكن لهم حيلة في ركوبه، فقال له بعض ندمائه: يا أمير المؤمنين ألا تبعث إلى الحسن بن الرّضا حتّى يجيء فإمّا أن يركبه و إمّا أن يقتله، قال: فبعث إلى أبي محمّد عليه السّلام و مضى معه أبي، فلمّا دخل أبو محمّد الدّار كنت مع أبي فنظر أبو محمّد إلى البغل واقفا في صحن الدّار فعدل إليه فوضع يده على كفله، قال: فنظرت إلى البغل و قد عرق حتّى سال العرق منه ثمّ صار إلى المستعين فسلّم عليه فرحّب به و قرّبه و قال: يا أبا محمّد ألجم هذا البغل فقال أبو محمّد عليه السّلام لأبي: ألجمه يا

غلام، فقال المستعين: ألجمه أنت، فوضع أبو محمّد طيلسانه و قام و ألجمه ثمّ رجع إلى مجلسه فجلس، فقال: يا أبا محمّد أسرجه

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٢٥

فقال لأبي: يا غلام أسرجه، فقال: المستعين أسرجه أنت، فقام ثانية فأسرجه و رجع إلى المجلس، فقال له: ترى أن تركبه؟ قال أبو محمّد: نعم فركبه من غير أن يمتنع عليه ثمّ ركضه في الدّار ثمّ حمله على الهملجة [١] فمشى أحسن مشى، ثمّ رجع فنزل فقال له المستعين: كيف رأيته؟ قال: ما رأيت مثله حسنا و فراهة، فقال له المستعين:

فإنّ أمير المؤمنين قد حملك عليه، فقال أبو محمّد عليه السّلام لأبي: يا غلام خذه فأخذه أبي فقاده.

و منه عن أبي هاشم الجعفريّ قال:شكوت إلى أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السّلام الحاجة، فحكّ بسوطه الأرض فأخرج منها سبيكة نحو خمسمائة دينار، و قال: خذها أبا هاشم و أعذرنا.

و منه عن أبي عليّ المطهّريأنّه كتب إليه من القادسيّة يعلمه انصراف الناس عن المضيّ إلى الحجّ و أنّه يخاف العطش إن مضى، فكتب إليه امض فلا خوف عليكم إن شاء اللّه. فمضى من بقي سالمين لم يجدوا عطشا.

و منه عن عليّ بن الحسن بن الفضل اليمانيّ قال:نزل بالجعفرى من آل جعفر خلق كثير لا قبل له بهم فكتب إلى أبي محمّد عليه السّلام يشكو ذلك فكتب إليه تكفونهم إن شاء اللّه، قال: فخرج إليهم في نفر يسير و القوم يزيدون على عشرين ألف نفس و هو في أقلّ من ألف فاستباحهم.

و منه عن محمّد بن إسماعيل العلويّ قال: حبس أبو محمّد عليه السّلام عند عليّ بن أوتامش، و كان شديد العداوة لآل محمّد عليهم السّلام غليظا على آل أبي طالب و قيل له:

افعل به و افعل، قال: فما قام إلا يوما حتّى وضع خدّيه له و كان لا

يرفع بصره إليه إجلالا له و إعظاما و خرج من عنده و هو أحسن الناس بصيرة و أحسنهم قولا فيه.

و منه عن أبي هاشم الجعفريّ قال:شكوت إلى أبي محمّد عليه السّلام ضيق الحبس

---

[١] الهملجة مشى شبيه الهرولة.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٢٦

و كلب القيد، فكتب إليّ أنت مصلّ اليوم الظهر في منزلك فأخرجت وقت الظهر فصلّيت في منزلي كما قال، و كنت مضيّقا فأردت أن أطلب منه معونة في الكتاب الّذي

كتبته إليه فاستحييت، فلمّا صرّت إلى منزلي وجّه إليّ بمائة دينار و كتب إليّ إذا كانت لك حاجة فلا يستحي و لا تحتشم و اطلبها تأتك على ما تحبّ إن شاء اللّه.

و منه عن أبي حمزة نصير الخادم قال:سمعت أبا محمّد عليه السّلام غير مرّة يكلّم غلمانه بلغاتهم و فيهم ترك و روم و صقلابة فتعجّبت من ذلك و قلت: هذا ولد بالمدينة و لم يظهر لأحد حتّى مضى أبو الحسن عليه السّلام و لا رآه أحد فكيف هذا؟ احدّث نفسي بذلك، فأقبل عليّ و قال: إنّ اللّه جلّ اسمه أبان حجّته من سائر خلقه، و أعطاه معرفة كلّ شيء و هو يعرف اللّغات و الأسباب و الحوادث، و

لولا ذلك لم يكن بين الحجّة و المحجوج فرق.

و منه عن الحسن بن ظريف قال:اختلج في صدري مسألتان أردت الكتاب بهما إلى أبي محمّد عليه السّلام فكتبت إليه أسأله عن القائم إذا قام بم يقضي؟ و أين مجلسه الّذي يقضي فيه بين الناس؟ و أردت أن أسأله عن شيء لحمّى الرّبع فأغفلت عن ذكر الحمّى، فجاء الجواب سألت عن القائم فإذا قام قضى بين الناس بعلمه كقضاء داود لا يسأل البيّنة، و كنت أردت أن تسأل عن حمّى الرّبع و انسيت فاكتب في ورقة و علّقه على المحمومياً نار كوني بردا و سلاما

على إبراهيم ٢١: ٦٩فكتبت ذلك و علّقته على المحموم فأفاق و برأ.

و منه عن إسماعيل بن محمّد بن عليّ بن إسماعيل بن عليّ بن عبد اللّه بن العبّاس قال:قعدت لأبي محمّد عليه السّلام على ظهر الطريق فلمّا مرّ بي شكوت إليه الحاجة و حلفت أنّه ليس عندي درهم واحد فما فوقه و لا غداء و لا عشاء قال: فقال:

تحلف باللّه كاذبا؟ و قد دفنت مائتي دينار، و ليس قولي هذا دفعا لك عن العطيّة أعطه يا غلام ما معك، فأعطاني مائة دينار ثمّ أقبل عليّ فقال: إنّك تحرم الدّنانير الّتي كنت دفنتها أحوج ما تكون إليها، و

صدق عليه السّلام و ذلك أنّني أنفقت ما وصلني به

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٢٧

و اضطررت ضرورة شديدة إلى شيء أنفقه و انغلقت عليّ أبواب الرّزق فنبشت عن الدّنانير الّتي كنت دفنتها فلم أجدها فنظرت فإذا ابن لي قد عرف موضعها فأخذها و هرب فما قدرت منها على شيء.

و منه عن عليّ بن زيد بن عليّ بن الحسين قال:كان لي فرس و كنت به معجبا أكثر ذكره في المجالس و دخلت على أبي محمّد عليه السّلام يوما فقال: ما فعل فرسك؟ فقلت: ها هو على بابك الآن نزلت عنه فقال لي: استبدل به قبل المساء إن

قدرت على مشتري لا تؤخّر ذلك، و دخل علينا داخل فانقطع الكلام، فقمت مفكّرا و مضيت إلى منزلي فأخبرت أخي فقال لي: ما أدري ما أقول في هذا، و شححت به و نفّست على الناس ببيعه و أمسينا، فلمّا صلّينا العتمة جاءني السائس و قال: قد نفق فرسك الساعة، فاغتممت و علمت أنّه عنى هذا بذلك القول، ثمّ دخلت على أبي محمّد عليه السّلام بعد أيّام و أنا أقول في نفسي: ليته أخلف عليّ دابّة، فلمّا جلست قال قبل أن أحدّث بشيء: نعم نخلف عليك، يا غلام أعطه بزدوني الكميت ثمّ قال: هذا خير من فرسك و أوطأ و أطول عمرا.

و عن أحمد بن محمّد قال:كتبت إلى أبي محمّد عليه السّلام حين أخذ المهتديّ في قتل الموالي يا سيّدي الحمد للّه الّذي شغله عنك فقد بلغني أنّه يهدّدك و يقول: و اللّه لأجلينّهم عن جديد الأرض، فوقّع أبو محمّد عليه السّلام بخطّه ذاك أقصر لعمره، و عدّ من يومك هذا خمسة أيّام و يقتل في اليوم السادس بعد هوان و استخفاف بموته، و كان كما قال.

و منه قال: دخل العباسيّون على صالح بن وصيف عند ما حبس أبو محمّد عليه السّلام فقالوا له: ضيّق عليه و لا توسّع فقال لهم صالح: ما أصنع به قد وكّلت به رجلين شرّ من قدرت عليه، فقد صارا من

العبادة و الصلاة و الصيام إلى أمر عظيم ثمّ أمر بإحضار الموكّلين فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرّجل؟ فقالا: ما نقول في رجل يصوم النهار و يقوم اللّيل كلّه لا يتكلّم، و لا يتشاغل بغير العبادة؟ فإذا نظر إلينا

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٢٨

ارتعدت فرائصنا و داخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، فلمّا سمع العباسيّون ذلك انصرفوا خائبين.

و منه عن عليّ بن محمّد، عن جماعة من أصحابنا قالوا: سلّم أبو محمّد عليه السّلام إلى نحرير و كان يضيّق عليه و يؤذيه فقالت له امرأته: اتّق اللّه فإنّك لا تدري من

في منزلك و ذكرت له صلاحه و عبادته و قالت له: إنّي أخاف عليك منه، فقال: و اللّه لأرمينّه بين السباع ثمّ استأذن في ذلك فأذن له فرمى به إليها و لم يشكّوا في أكلها له فنظروا إلى الموضع ليعرفوا الحال فوجدوه عليه السّلام قائما يصلّي و هي حوله فأمر بإخراجه إلى داره.

قال المفيد – رحمه اللّه – و الرّوايات في هذا المعنى كثيرة و فيما أثبتناه كفاية فيما نحوناه إن شاء اللّه.

و من دلائل الحميريّ عن محمّد بن عبد اللّه قال:لمّا أمر سعيد بحمل أبي محمّد عليه السّلام إلى الكوفة كتب إليه أبو الهيثم: جعلت فداك

بلغنا خبر قلقنا و بلغ منّا، فكتب بعد ثلاث يأتيكم الفرج، فقتل المعتزّ يوم الثالث [١] قال: و انتهبت خزانة أبي الحسن عليه السّلام بعد ما مضى فاخبر بذلك فأمر بغلق الباب ثمّ دعا بحرمه و عياله فجعل يقول لواحد واحد: ردّ كذا و كذا، يخبره بما أخذ. فردّوا حتّى ما فقد شيئا.

و منه عن هارون بن مسلم قال:ولد لابني أحمد ابن فكتبت إلى أبي محمّد عليه السّلام و ذلك بالعسكر يوم الثاني من ولادته أسأله أن يسمّيه و يكنّيه و كان يعجبني أن اسميّه جعفرا و اكنّيه بأبي عبد اللّه فوافاني رسوله في صبيحة اليوم

السابع و معه كتاب بأن سمّه جعفرا و كنّه بأبي عبد اللّه و دعا لي.

و منه عن أبي هاشم الجعفريّ قال:كنت عند أبي محمّد عليه السّلام إذ دخل عليه

---

[۱] فى كشف الغمة زاد ههنا «قال: و فقد له غلام صغير فلم يوجد فأخبر بذلك و قال:

اطلبوه من البركة فطلب فوجد في بركة الدار ميتا».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٢٩

شابّ حسن الوجه فقلت في نفسي: من هذا فقال أبو محمّد: هذا ابن أمّ

غانم صاحبة الحصاة الّتي طبع فيها آبائي و قد جاءني أطبع فيها هات حصاتك فأخرج حصاة فيها موضع أملس و طبع فيها بخاتم معه فانطبع، و اسم اليماني مهجع بن سفيان بن علم ابن أمّ غانم اليمانيّة.

و منه عن أبي هاشم الجعفريّ قال:دخلت على أبي محمّد عليه السّلام و أنا أريد أن أسأله ما أصوغ به خاتما أتبرّك به، فجلست و انسيت ما جئت له ثمّ لمّا ودّعته و نهضت رمى إليّ بخاتم فقال لي: أردت فضة فأعطيناك خاتما ربحت الفصّ و الكراء هنّاك اللّه يا أبا هاشم.

و له عليه السّلام مع أبي هاشم و غيره مخاطبات اخر و أخبارات عمّا في أنفسهم أوردها في الدّلائل تركنا ذكرها مخافة التطويل.

و منه عن عمر بن أبي مسلم قال:كان سميع المسمعيّ يؤذيني كثيرا، و يبلغني عنه ما أكره، و كان ملاصقا لداريّ، فكتبت إلى أبي محمّد عليه السّلام أسأله الدّعاء بالفرج منه، فرجع الجواب أبشر بالفرج منه سريعا و أنت مالك داره فمات بعد شهر و اشتريت داره فوصلتها بداري ببركته.

و منه، عن محمّد بن عبد العزيز البلخي قال:أصبحت يوما فجلست في شارع الغنم فإذا أنا بأبي محمّد عليه السّلام قد أقبل من منزله يريد

دار العامّة فقلت في نفسي: ترى إن صحت أيّها الناس هذا حجّة اللّه عليكم فاعرفوه يقتلوني؟ فلمّا دنا منّي أومأ بأصبعه السبّابة على فيه أن اسكت و رأيته تلك اللّيلة يقول: إنّما هو الكتمان أو القتل و اتّق اللّه على نفسك.

و منه عن عليّ بن محمّد بن الحسن قال: وافت جماعة من الأهواز من أصحابنا و خرج السّلطان إلى صاحب البصرة، فخرجنا نريد النظر إلى أبي محمّد عليه السّلام فنظرنا إليه ماضيا معه و قد قعدنا بين الحائطين بسرّ من رأى ننتظر رجوعه فرجع فلمّا حاذانا

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٣٠

و قرب منّا، وقف و مدّ يده إلى قلنسوته و أخذها عن رأسه و أمسكها بيده و أمرّ يده الأخرى على رأسه و ضحك في وجه رجل منّا فقال الرّجل مبادرا: أشهد أنّك حجّة اللّه و خيرته، فقلنا: يا هذا ما شأنك؟ قال: كنت شاكّا فيه فقلت في نفسي:

إن رجع و أخذ القلنسوة عن رأسه قلت بإمامته.

و منه حدّث أبو القاسم كاتب راشد قال:خرج رجل من العلويّين من سرّ من رأى في أيّام أبي محمّد عليه السّلام إلى الجبل يطلب الفضل فتلقّاه رجل بحلوان فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من سرّ من رأى قال: هل تعرف درب كذا و موضع كذا؟

قال: نعم، فقال: عندك من أخبار الحسن بن عليّ شيء؟ قال: لا، قال:

فما أقدمك الجبل؟ قال: طلب الفضل، قال: فلك عندي خمسون دينارا فاقبضها و انصرف معي إلى سرّ من رأى حتّى توصلني إلى الحسن بن عليّ، فقال: نعم، فأعطاه خمسين دينارا و عاد العلويّ معه فوصلا إلى سرّ من رأى فأستأذنا على أبي محمّد عليه السّلام فأذن لهما فدخلا و أبو محمّد قاعد في صحن الدّار فلمّا نظر إلى الجبلّي قال:

أنت فلان بن فلان؟ قال: نعم قال: أوصى إليك أبوك و أوصى لنا بوصيّة فجئت تودّيها و معك أربعة

ألف دينار هاتها، فقال الرّجل: نعم فدفع إليه المال، ثمّ نظر إلى العلويّ فقال: خرجت إلى الجبل تطلب الفضل فأعطاك هذا الرّجل خمسين دينارا فرجعت معه و نحن نعطيك خمسين دينارا فأعطاه.

و من كتاب الرّاوندي عن أحمد بن محمّد، عن جعفر بن الشريف الجرجانيّ قال:حججت سنة فدخلت على أبي محمّد عليه السّلام بسرّ من رأى و قد كان أصحابنا حملوا معي شيئا من المال فأردت أن أسأله إلى من أدفعه، فقال قبل أن قلت ذلك: ادفع ما معك إلى مبارك خادمي، ففعلت و قلت: شيعتك بجرجان يقرئون عليك السّلام قال: أو لست منصرفا بعد فراغك من

الحجّ؟ قلت: بلى قال: فإنّك تصير إلى جرجان من يومك هذا إلى مائة و تسعين يوما و تدخلها يوم الجمعة لثلاث ليال

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٣١

مضين من ربيع الآخر في أوّل النهار، فأعلمهم أنّي اوافيهم في ذلك اليوم آخر النهار فامض راشدا فإنّ اللّه سيسلمك و يسلم ما معك، فتقدم على أهلك و ولدك و يولد لولدك الشريف ابن فسّمه الصّلت و سيبلغ و يكون من أوليائنا، فقلت:

يا ابن رسول اللّه إنّ إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني و هو من شيعتك كثير المعروف إلي أوليائك يخرج إليهم في السنة من ماله أكثر

من مائة ألف درهم و هو أحد المتقلّبين في نعم اللّه عزّ و جلّ، فقال: شكر اللّه لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل صنيعه إلى شيعتنا و غفر له ذنوبه و رزقه ذكرا سويّا قائلا بالحقّ فقل له: يقول لك الحسن ابن عليّ: سمّ ابنك أحمد، فانصرفت من عنده و حججت و سلّمني اللّه حتّى وافيت جرجان في يوم الجمعة أوّل النهار من شهر ربيع الآخر على ما ذكره عليه السّلام و جاءني أصحابنا يهنّئوني فأعلمتهم أنّ الإمام وعدني أن يوافيكم في آخر هذا اليوم فتأهّبوا لما تحتاجون إليه و أعدّوا مسائلكم و حوائجكم كلّها، فلمّا صلّوا الظهر و العصر اجتمعوا كلّهم في داري

فو اللّه ما شعرنا إلا و قد وافى أبو محمّد عليه السّلام فدخل و نحن مجتمعون فسلّم هو أوّلا علينا فاستقبلناه و قبّلنا يده ثمّ قال: إنّي كنت وعدت جعفر بن الشريف أن اوافيكم آخر هذا اليوم فصلّيت الظهر و العصر بسرّ من رأى و صرت إليكم لأجدّد بكم عهدا و ها أنا قد جئتكم الآن، فاجمعوا مسائلكم و حوائجكم كلّها فأوّل من انتدب المسألة النضر بن جابر فقال: يا ابن رسول اللّه إنّ ابني جابرا أصيب ببصره فادع اللّه أن يردّ عينه قال: فهاته، فجاء به فمسح على عينه فعاد بصره ثمّ تقدّم رجل فرجل يسألونه حوائجهم فأجابهم إلى كلّ ما سألوه حتّى قضى حوائج

الجميع و دعا لهم بخير و انصرف من يومه ذلك.

و منه عن عليّ بن زيد بن عليّ بن الحسين بن زيد بن عليّ قال:صحبت أبا محمّد عليه السّلام في دار العامّة إلى منزله فلمّا صار إلى داره و أردت الانصراف قال: امهل و دخل و أذن فدخلت فأعطاني مائة دينار و قال: اصرفها في ثمن جارية فإنّ جاريتك فلانة ماتت، و كنت خرجت من المنزل و عهدي بها انشط ما كانت فمضيت، فقال الغلام: ماتت جاريتك فلانة الساعة، قلت: ما حالها؟ قال: شربت ماء فشرقت

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٣٢

فماتت.

و منه عن عليّ بن زيد قال:اعتلّ ابني أحمد فكتبت إلى أبي محمّد عليه السّلام أسأله الدّعاء فخرج توقيعه: أما علم عليّ أنّ لكلّ أجل كتاب؟ فمات الابن.

و منه عن المحموديّ قال:كتبت إلى أبي محمّد عليه السّلام أسأله الدّعاء أن ارزق ولدا، فوقّع رزقك اللّه ولدا و أجرا فولد لي ابن و مات.

و منه عن محمّد بن عليّ بن إبراهيم الهمدانيّ قال:كتبت إلى أبي محمّد عليه السّلام أسأله أن يدعو اللّه أن ارزق ولدا ذكرا من ابنة عمّي، فوقّع رزقك اللّه ذكرانا فولد لي أربعة.

و منه عن عمر بن محمّد بن زياد الصيمريّ قال:دخلت على أبي محمّد أحمد بن عبد اللّه بن طاهر و بين يديه رقعة أبي محمّد عليه السّلام و فيها أنّي نازلت اللّه في هذا الطاغي يعني المستعين و هو آخذه بعد ثلاث، فلمّا كان اليوم الثالث خلع و كان من أمره ما كان.

و منه عن يحيى بن المرزبان النقيب و كان رجلا من أهل السيب سيماه الخيرو أخبرني أنّه كان له ابن عمّ ينازعه في الإمامة و القول في أبي محمّد و غيره فقلت: لا أقول به أو أرى علامة، فوردت العسكر في حاجة فأقبل أبو محمّد فقلت في نفسي:

متعنّتا إن مدّ يده إلى رأسه فكشفه ثمّ نظر إليّ وردّه قلت به، فلمّا حاذاني مدّ يده إلى رأسه فكشفه ثمّ برق عينه فيّ، ثمّ قال: يا يحيى ما فعل ابن عمّك الّذي تنازعه في الإمامة؟ فقال: خلّفته صالحا فقال: لا تنازعه و مضى.

و منه عنه أيضا [١] قال:كان لي على ابن عمّ لي عشرة آلاف درهم فكتبت إلى أبي محمّد عليه السّلام أسأله الدّعاء فكتب إليّ أنّه رادّ عليك مالك و هو ميّت بعد جمعة قال: فردّ عليّ ابن عمّي مالي فقلت له: ما بدا لك في ردّه و قد منعتنيه؟ قال: رأيت

---

[١] ظاهره كونه عن يحيى بن مرزبان لكن نقله في الكشف ص ٣٠٩ عن أبي الفرات قال: كان لي ابن عم الخ، و احتمال كون أبي الفرات كنية ليحيى بعيد و لم أجد له نصا.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٣٣

أبا محمّد عليه السّلام في المنام فقال: إنّ أجلك قد دنا فردّ على ابن عمّك ماله.

و منه عن عليّ بن الحسن بن سابور قال:قحط الناس بسرّ من رأى في زمن أبي الحسن الأخير

فأمر المتوكّل بالخروج إلى الاستسقاء فخرجوا ثلاثة أيّام يستسقون و يدعون، فما سقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرّابع إلى الصحراء و معه النصارى و الرّهبان و كان فيهم راهب فلمّا مدّ يده هطلت السماء بالمطر و خرجوا اليوم الثاني فهطلت السماء فشكّ أكثر الناس و تعجّبوا و صبوا إلى دين النّصرانيّة فأنفذ المتوكّل إلى الحسن عليه السّلام و كان محبوسا فأخرجه من حبسه و قال: الحق امّة جدّك فقد هلكت فقال: إنّني خارج من الغد و مزيل للشكّ إن شاء اللّه، فخرج الجاثليق في اليوم الثالث و معه الرّهبان و خرج الحسن عليه السّلام في نفر من أصحابه فلمّا

بصر الرّاهب و قد مدّ يده أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى و يأخذ ما بين إصبعيه ففعل و أخذ منه عظما أسود فأخذه الحسن عليه السّلام بيده و قال: استسق الآن فاستسقى و كانت السماء مغيّمة فنشفت و طلعت الشمس بيضاء فقال المتوكّل: ما هذا العظم يا أبا محمّد؟ فقال عليه السّلام: هذا الرّجل عبر بقبر نبي من أنبياء اللّه فوقع في يده هذا العظم و ما كشف عن عظم نبي إلا هطلت السماء بالمطر.

و من أعلام الطبرسي حدّث أبو هاشم داود بن القاسم قال:كنت في الحبس المعروف بحبس حسيس في الجوسق الأحمر [١] أنا و الحسين

بن محمّد العقيقي و محمّد بن إبراهيم العمري و فلان و فلان إذ دخل علينا أبو محمّد الحسن عليه السّلام و أخوه جعفر فحففنا به و كان المتولّي لحبسه صالح بن وصيف و كان معنا في الحبس رجل جمحي يقول: إنّه علويّ قال: فالتفت أبو محمّد عليه السّلام فقال: لولا أنّ فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج عنكم و أومأ إلى الجمحيّ أن يخرج فخرج فقال أبو محمّد:

هذا رجل ليس منكم فاحذروه فإنّ في ثيابه قصّة قد كتبها إلى السلطان يخبره

---

[١] المصدر ص ٣٥٤ هكذا «المعروف بحبس صالح بن وصيف الاحمر» و في كشف الغمة ص ٣١٠ كما في المتن الا أن جعل حبيس بدل حسيس نسخة.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٣٤

بما تقولون فيه، فقام بعضهم ففتّش ثيابه فوجد القصّة يذكرنا فيها بكلّ عظيمة، و كان الحسن عليه السّلام يصوم فإذا أفطر أكلنا معه من طعام كان يحمله غلامه إليه في جونة مختومة و كنت أصوم معه فلمّا كان ذات يوم ضعفت فأفطرت في بيت آخر على كعكة و ما شعر بي و اللّه أحد، ثمّ جئت فجلست معه فقال لغلامه: أطعم أبا هاشم

شيئا فإنّه مفطر، فتبسّمت فقال: ما يضحكك يا أبا هاشم إذا أردت القوّة فكل اللّحم فإن الكعك لا قوّة فيه، فقلت صدق اللّه و رسوله و أنتم، فقال لي: أفطر ثلاثا فإنّ المنّة [١] لا ترجع إذ نهكها الصوم في أقلّ من ثلاث فلمّا كان في اليوم الّذي أراد اللّه أن يفرّج عنه جاءه الغلام فقال: يا سيّدي أحمل فطورك فقال: احمل و ما أحسبنا نأكل منه فحمل الغلام الطعام الظهر و أطلق عنه عند العصر و هو صائم، فقال: كلوا هنّأكم اللّه.

ذكر طرف من أخلاق الامام الثاني عشر أبو القاسم محمّد بن الحسن المهدي عليهما السلام و صفاته و كراماته

قال ابن طلحة: إنّه عليه السّلام قد وقع من النبوّة في أكناف عناصرها، و رضع من الرّسالة أخلاف أو اصرها، و ترع من القرابة سجال معاصرها، و برع في صفات الشرف فعقدت عليه بخناصرها [٢] و اقتنى من الأنساب شرف نصابها، و اعتلى عند الانتساب شرف أحسابها، و اجتنى جنى الهداية من معادنها و أسبابها، فهو من ولد الطهر البتول المجزوم بكونها بضعة من الرّسول، و الرّسالة أصله و إنّها أشرف العناصر و الأصول، قال: و لقبه الحجّة الخلف الصالح و قيل: المنتظر.

و قال الطبرسي و يلقب عليه السّلام بالحجّة، و القائم، و المهديّ، و الخلف

---

[١] المنة – بضم الميم –: القوة.

[٢] الخناصر جمع خنصر و يقال هذا امر تعقد عليه الخناصر اى يعتبر و يحتفظ به.

و يمكن أن يكون إشارة إلى عقود الأصابع بحساب الجمل و المعنى ان صفات الشرف و المجد بلغت فيه حد النهاية.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٣٥

الصالح، و صاحب الزّمان، و الصاحب، و كانت الشيعة في غيبته الأولى تعبّر عنه و عن غيبته بالناحية المقدّسة، و كان ذلك رمزا بين الشيعة يعرفونه به، و كانوا أيضا يقولون على سبيل الرّمز: الغريم يعنونه عليه السّلام.

قال الشيخ المفيد – رحمه اللّه –: و كان سنّه عند وفاة أبيه عليهما السّلام خمس سنين، آتاه اللّه فيها الحكمة و فصل الخطاب، و جعله آية للعالمين، و آتاه الحكمة كما آتاها يحيى صبيّا و جعله إماما في حال الطفوليّة الظاهرة كما جعل عيسى ابن مريم في المهد نبيّا، و قد سبق النصّ عليه في ملّة الإسلام من نبيّ الهدى صلّى اللّه عليه و

آله و سلّم، ثمّ من أمير المؤمنين عليه السّلام، و نصّ عليه الأئمّة عليهم السّلام واحد بعد واحد إلى أبيه الحسن، و نصّ أبوه عليه عليهما السّلام عند ثقاته و خاصّته و شيعته و كان الخبر بغيبته ثابتا قبل وجوده.

و بدولته مستفيضا قبل غيبته، و أحدهما أطول من الأخرى كما جاءت بذلك الأخبار فأمّا القصريّ فمنذ وقت ولادته إلى انقطاع السفارة بينه و بين شيعته و عدم السفراء بالوفاة و أمّا الطولي فهي بعد الأولى في آخرها يقوم بالسيف قال اللّه:و نريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمّة و نجعلهم الوارثين و نمكّن لهم

في الأرض و نرى فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون ٢٨: ٦و قال جلّ اسمه:

و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون ٢١: ١٠٥و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«لن تنقضي الأيّام و اللّيالي حتّى يبعث اللّه رجلا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، يملأوها عدلا و قسطا كما ملئت ظلما و جورا».

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم«لو لم يبق من الدّنيا إلا يوم واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتّى يبعث اللّه فيه رجلا من ولدي يواطئ اسمه اسمي. يملئوها عدلا و قسطا كما ملئت ظلما و جورا».

قال: و روى المفضّل بن عمر الجعفي قال: سمعت أبا عبد اللّه جعفر بن محمّد عليهما السّلام يقول:«إذا أذن اللّه جلّ اسمه للقائم في الخروج، صعد المنبر فدعا النّاس إلى نفسه و ناشدهم اللّه و دعاهم إلى حقّه، و أن يسير فيهم بسنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و يعمل فيهم بعمله، فيبعث اللّه تعالى جبرئيل عليه السّلام حتّى يأتيه فينزل على الحطيم [١]

---

[١] الحطيم. جدار الكعبة و قيل: ما بين الزمزم و الركن و المقام.

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٣٦

يقول له: إلى أيّ شيء تدعو؟ فيخبره القائم عليه السّلام، فيقول جبرئيل عليه السّلام: أنا أوّل من يبايعك ابسط يدك فيمسح على يده و قد وافاه ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا فيبايعونه و يقيم بمكّة حتّى يتمّ أصحابه عشرة آلاف ثمّ يسير منها إلى المدينة.

و روى محمّد بن عجلان عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«إذا قام القائم عليه السّلام دعا الناس إلى الإسلام جديدا، و هداهم إلى أمر قد دثر فضلّ عنه الجمهور، فإنّما سمّي القائم مهديّا لأنّه يهدي إلى

أمر مضلول عنه و سمّي بالقائم لقيامه بالحقّ».

و روى أبو خديجة، عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«إذا قام القائم جاء بأمر جديد كما دعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في بدء الإسلام إلى أمر جديد»

و روي عن عليّ بن عقبة، عن أبيه قال:إذا قام القائم حكم بالعدل، و ارتفع في أيّامه الجور، و أمنت به السبل، و أخرجت الأرض بركاتها، و ردّ كلّ حقّ إلى أهله، و لم يبق أهل دين حتّى يظهر الإسلام و يعترفوا بالإيمان، أما سمعت اللّه عزّ و جلّ يقول:و له أسلم من في السموات و الأرض طوعا و كرها و

إليه يرجعون ٣: ٨٣و حكم في الناس بحكم داود و حكم محمّد صلّى اللّه عليهما و آلهما، فحينئذ تظهر الأرض كنوزها، و تبدي بركاتها فلا يجد الرّجل منكم يومئذ موضعا لصدقته و لا لبرّه لشمول الغناء جميع المؤمنين ثمّ قال: إنّ دولتنا آخر الدّول و لم يبق أهل بيت لهم دولة إلا و ملكوا قبلنا لئلا يقول: إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء و هو قول اللّه عزّ و جلّ:و العاقبة للمتّقين ٧: ١٢٨.

و روى المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول:«إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنوره، و استغنى العباد عن

ضوء الشمس، و ذهبت الظلمة و يعمّر الرّجل في ملكه حتّى يولد له ألف ولد ذكر لا يولد له فيهم انثى، يظهر الأرض كنوزها حتّى يريها الناس على وجهها و يطلب الرّجل منكم من يصله بما له و يأخذ منه زكاته فلا يجد أحدا يقبل ذلك منه، يستغنى النّاس بما رزقهم اللّه من فضله».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٣٧

و عن عبد الكريم الخثعميّ قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السّلام:«كم يملك القائم عليه السّلام قال: سبع سنين تطول له الأيّام و اللّياليّ حتّى يكون السّنة من سنيه مقدار عشر سنين من سنيكم فيكون سنو ملكه

كسبعين سنة من سنيكم هذه، و إذا آن قيامه [١] مطر الناس في جمادى الآخرة و عشرة أيّام من رجب مطرا لم ير الخلائق مثله فينبت اللّه به لحوم المؤمنين و أبدانهم في قبورهم فكأنّي أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب».

فصل

روى الشيخ الطبرسيّ – رحمه اللّه – عن جابر الجعفيّ عن جابر الأنصاري قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«المهديّ من ولدي اسمه اسمي، و كنيته كنيتي أشبه الناس بي خلقا و خلقا، يكون له غيبة و

حيرة تضلّ فيها الأمم، ثمّ يقبل مثل الشهاب، فيملؤها عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما».

و عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«إنّ عليّ بن أبي طالب إمام امّتي و خليفتي عليها بعدي، و من ولده القائم المنتظر الّذي يملأ اللّه به الأرض عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما، و الّذي بعثني بالحقّ بشيرا إنّ الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر، فقام إليه جابر بن عبد اللّه الأنصاريّ فقال: يا رسول اللّه و للقائم من ولدك غيبة؟ قال: أي و ربّي، و ليمحّص اللّه الّذين آمنوا و يمحق الكافرين، يا جابر إنّ هذا

أمر من أمر اللّه و سرّ من سرّ اللّه علّته مطويّة عن عباد اللّه، فإيّاك و الشكّ فإنّ الشكّ في أمر اللّه كفر».

و عن الرّضا عن آبائه، عن عليّ عليهم السّلام أنّه قال للحسين عليه السّلام:«التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحقّ، و المظهر للدّين، و الباسط للعدل، قال الحسين عليه السّلام: فقلت له: و إنّ ذلك لكائن؟ فقال عليه السّلام: و الّذي بعث محمّدا بالنبوّة و اصطفاه

---

[۱] اى قرب.

على جميع البريّة، و لكن بعد غيبة و حيرة لا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين الّذين أخذ اللّه ميثاقهم بولايتنا و كتب في قلوبهم الإيمان و أيّدهم بروح منه».

و ممّا جاء به فيهعن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السّلام لمّا صالح الحسن ابن عليّ معاوية دخل الناس عليه فلامه بعض الشيعة على بيعته [١] فقال عليه السّلام: «ويحكم ما تدرون ما عملت و اللّه الّذي عملت خير لشيعتي ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت أما تعلمون أنّي إمامكم و مفترض الطاعة عليكم و أحد سيّدي شباب أهل الجنّة بنصّ من رسول

اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليّ؟ قالوا: بلى، قال: أما علمتم أنّ الخضر عليه السّلام لمّا خرق السفينة و قتل الغلام و أقام الجدار و كان ذلك سخطا لموسى عليه السّلام إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك و كان عند اللّه حكمة و صوابا، أما علمتم أنّه ما منّا أحد إلا و يقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الّذي يصلّي روح اللّه عيسى ابن مريم خلفه فإنّ اللّه عزّ و جلّ يخفي ولادته و يغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيّدة الإماء، يطيل اللّه عمره في غيبته، ثمّ يظهره بقدرته في صورة شابّ دون أربعين سنة

ذلك ليعلم أنّ اللّه على كلّ شيء قدير».

و ممّا جاء بهعن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السّلام ما رواه الصادق عن آبائه عن الحسين عليهم السّلام قال:«في التاسع من ولدي سنّة من يوسف، و سنّة من موسى بن عمران، و هو قائمنا أهل البيت، يصلح اللّه أمره في ليلة واحدة».

و عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام قال:«في القائم منّا سنن من ستّة من الأنبياء، سنّة من نوح، و سنّة من إبراهيم، و سنّة من موسى، و سنّة من عيسى، و سنّة من أيّوب، و سنّة من محمّد صلوات اللّه عليهم فأمّا من نوح فطول

العمر، و أمّا من إبراهيم فخفاء الولادة، و اعتزال الناس، و أمّا من موسى فالخوف و الغيبة، و أمّا من عيسى فاختلاف الناس فيه، و أمّا من أيّوب فالفرج بعد البلوى، و أمّا من محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فالخروج بالسيف».

قال: و سمعته يقول:

---

[١] الصواب على صلحه لأنه عليه السّلام لم يبايع.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٣٩

«القائم منّا تخفى على الناس ولادته حتّى يقولوا: لم يولد بعد، ليخرج

حين يخرج، و ليس لأحد في عنقه بيعة».

ثمّ ذكر النصّ عليه من سائر الأئمّة عليهم السّلام حتّى انتهى إلى أبيه عليهما السّلام فقال:

عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري قال:دخلت على أبي محمّد الحسن العسكريّ عليه السّلام و أنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده فقال لي مبتدئا: «يا أحمد بن إسحاق إنّ اللّه تبارك و تعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم، و لا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجّة للّه على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، و به ينزل الغيث، و به يخرج بركات الأرض، قال: فقلت: يا ابن رسول اللّه فمن

الخليفة و الإمام بعدك؟ فنهض عليه السّلام مسرعا فدخل البيت، ثمّ خرج و على عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين، و قال: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على اللّه و على حججه ما عرضت عليك ابني هذا إنّه سميّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كنيّه الّذي يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا، يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الامّة مثل الخضر عليه السّلام و مثله مثل ذي القرنين، و اللّه ليغيبنّ غيبة لا ينجو من الهلكة فيها إلا من ثبّته اللّه تعالى على القول بإمامته و وفّقه للدّعاء بتعجيل فرجه، قال أحمد بن

إسحاق: فقلت له: يا مولاي فهل من علامة يطمئنّ إليها قلبي؟ فنطق الغلام بلسان عربيّ فصيح فقال: أنا بقيّة اللّه في أرضه و المنتقم من أعدائه فلا تطلب أثرا بعد عين يا أحمد بن إسحاق، قال أحمد: فخرجت مسرورا فرحا فلمّا كان الغد عدت إليه فقلت له: يا ابن رسول اللّه لقد عظم سروري بما مننت به عليّ فما السنّة الجارية فيه من الخضر و ذي القرنين؟ قال: طول الغيبة يا أحمد بن إسحاق، فقلت له: يا ابن رسول اللّه إنّ غيبته لتطول؟ قال: إي و ربّي حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، فلا يبقى إلا من أخذ اللّه عهده بولايتنا و كتب في قلبه الإيمان و أيّده بروح

منه، يا أحمد بن إسحاق هذا أمر من اللّه و سرّ من سرّ اللّه، و غيب من غيب اللّه، فخذ ما آتيتك و اكتمه و كن من الشّاكرين، تكن معنا غدا في علّيّين».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٤٠

فصل و من طريق العامّة

عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:«نحن ولد عبد المطّلب سادات أهل الجنّة أنا و حمزة و عليّ و جعفر و الحسن و الحسين و المهديّ».

و عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و

سلّم:«منّا الّذي يصلّي عيسى ابن مريم خلفه».

و عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«المهديّ منّي أجلى الجبهة، أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما، يملك سبع سنين» [١].

و عن حذيفة بن اليمان عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:«المهديّ من ولدي، لونه لون عربيّ، و جسمه جسم إسرائيليّ، على خدّه الأيمن خال كأنّه كوكب درّيّ يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، يرضى بخلافته أهل الأرض و أهل السماء و الطير في الجوّ».

و في رواية أبي أمامة الباهليّ«عليه عباءتان قطوانيّتان، كأنّه من رجال بني إسرائيل، يستخرج الكنوز، و يفتح مدائن الشرك».

و في رواية جابر بن عبد اللّه«يكون في آخر امّتي خليفة يحثى المال حثيا، لا يعدّه عدّا».

---

[١] و أخرجه أحمد ج ٣ ص ١٨ و ٢٦ و ٢٨ و أبو داود ج ٢ ص ٤٢٢ و أجلى الجبهة يعنى منحسرا مقدم الرأس من الشعر أو نصف الرأس و هو دون الصلع. و في النهاية: القنى في الانف: طوله و دقة ارنبته مع حدب في وسطه و قد

تقدم، و في مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٥٥٧ مثله.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٤١

و في رواية أبي سعيد «يقسم المال صحاحا، فقال رجل: ما صحاحا؟ قال:

بالسويّة بين الناس و يملأ اللّه قلوب امّة محمّد غنى و يسعهم عدله».

و في رواية أخرى«يكون عطاؤه هنيئا».

و عن أبي سعيد الخدريّ عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«يخرج رجل من أهل بيتي و يعمل بسنّتي و ينزّل اللّه له البركة

من السماء و يخرج له الأرض بركتها و تملأ به الأرض عدلا كما ملئت ظلما و جورا، و يعمل على هذه الامّة سبع سنين و ينزل بيت المقدس».

و عنه عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«تتنعّم امّتي في زمن المهديّ نعمة لم يتنعّموا مثلها قطّ يرسل اللّه السماء عليهم مدرارا و لا تدع الأرض شيئا من نباتها إلا أخرجته».

و في رواية أخرىلا خير في العيش – أو قال في الحياة – بعده».

و روى شيخنا المفيد – رحمه اللّه – في حليته عن جابر الجعفيّ قال: «سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول:«سأل عمر بن الخطّاب أمير

المؤمنين عليه السّلام فقال: أخبرني عن المهديّ ما اسمه؟ فقال: أمّا اسمه فإنّ حبيبي عليه السّلام عهد إليّ أن لا أحدّث به حتّى يبعثه اللّه، قال: فأخبرني عن صفته؟ قال: هو شابّ مربوع حسن الوجه حسن الثغر [١]، يسيل شعره على منكبه و يعلو نور وجهه سواد شعر لحيته و رأسه، بأبي ابن خيرة الإماء».

فصل

و روى الطبرسيّ عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«القائم منّا منصور بالرّعب، مؤيّد بالنصر، تطوي له الأرض، و تظهر له الكنوز، و يبلغ سلطانه

[١] فى المصدر «حسن الشعر».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٤٢

المشرق و المغرب، و يظهر به اللّه دينه على الدّين كلّه و لو كره المشركون، فلا يبقى على وجه الأرض خراب إلا عمّر، و ينزل روح اللّه عيسى ابن مريم فيصلّي خلفه، قال الراويّ: فقلت: يا ابن رسول اللّه و متى يظهر قائمكم؟ قال: إذا تشبّه الرّجال بالنساء و النساء بالرّجال و اكتفى الرّجال بالرّجال و النساء بالنساء، و تركب ذوات الفروج السروج، و قبلت

شهادات الزّور، و ردّت شهادات العدل، و استخفّ النّاس بالدماء و ارتكاب الزنى و أكل الرّبا، و اتّقى الأشرار مخافة ألسنتهم، و خرج السفياني من الشأم، و اليماني من اليمن، و خسف بالبيداء، و قتل غلام من آل محمّد بين الركن و المقام اسمه محمّد بن الحسن النفس الزكيّة، و جاءت صيحة من السماء بأنّ الحقّ معه و مع شيعته فعند ذلك خروج قائمنا فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة و اجتمع إليه ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا فأوّل ما ينطق به هذه الآية:بقيّة اللّه خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين ١١: ٨٦ثمّ يقول: أنا بقيّة اللّه و خليفته و حجّته عليكم فلا يسلّم عليه مسلّم

إلا قال: السلام عليك يا بقيّة اللّه في الأرض، فإذا اجتمع له العقد عشرة آلاف رجل فلا يبقى في الأرض معبود دون اللّه من صنم و لا وثن إلا وقعت فيه نار فاحترق و ذلك بعد غيبة طويلة ليعلم اللّه من يطيعه بالغيب و يؤمن به».

و ذكر الشيخ المفيد – رحمه اللّه – في علامات قيامه عليه السّلام خروج السفياني و قتل الحسني، و اختلاف بنيّ العبّاس في الملك، و كسوف الشمس في النصف من شعبان [١]، و خسوف القمر في آخر الشهر على خلاف العادات، و خسف بالبيداء [٢]، و خسف بالمغرب، و خسف بالمشرق، و ركود الشمس من عند الزّوال إلى

وسط أوقات العصر، و طلوعها من المغرب، و قتل نفس زكيّة بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين، و ذبح رجل هاشميّ بين الرّكن و المقام، و هدم حائط مسجد الكوفة و إقبال رايات سود من قبل خراسان، و خروج اليماني، و ظهور المغربي بمصر، و تملّكه الشامات،

---

[١] كذا في النسخ و في المصدر ص ٣٣٦: «و كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان».

[٢] هو أرض ملساء بين مكة و المدينة.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٤٣

و نزول الترك الجزيرة، و نزول الروم الرملة، و طلوع نجم بالمشرق و يضيء كما يضيء القمر، ثمّ ينعطف حتّى يكاد يلتقي طرفاه، و حمرة تظهر في السماء و تلتبس في آفاقها، و نار تظهر بالمشرق طولا و تبقى في الجوّ ثلاثة أيّام أو سبعة أيّام و خلع العرب أعنّتها، و تملّكها البلاد، و خروجها عن سلطان العجم و قتل أهل مصر أميرهم، و خراب الشأم و اختلاف ثلاث رايات فيه، و دخول رايات قيس و العرب إلى أهل مصر و رايات كنده إلى خراسان، و ورود خيل من المغرب حتّى يربط بفناء الحيرة، و إقبال

رايات سود من قبل المشرق نحوها، و ينبثق الفرات حتّى يدخل الماء أزقّة الكوفة، و خروج ستّين كذّابا كلّهم يدّعي النبوّة، و خروج اثني عشر من آل أبي طالب كلّهم يدّعي الإمامة لنفسه، و إحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولاء و خانقين، و عقد الجسر ممّا يلي الكرخ بمدينة بغداد، و ارتفاع ريح سوداء بها في أوّل النهار و زلزلة حتّى ينخسف كثير منها، و خوف يشمل أهل العراق و موت ذريع فيه و نقص من الأموال و الأنفس و الثمرات، و جراد يظهر في أوانه و غير أوانه حتّى يأتي على الزرع و الغلات، و قلّة ريع ما يزرعه الناس، و اختلاف صنفين

من العجم، و سفك دماء كثيرة فيما بينهم، و خروج العبيد عن طاعة ساداتهم، و قتلهم مواليهم، و مسخ لقوم من أهل البدع حتّى يصيروا قردة و خنازير، و غلبة العبيد على بلاد السادات، و نداء من السماء حتّى يسمعه أهل الأرض كلّهم أهل كلّ لغة بلغتهم، و وجه و صدر يظهران للنّاس في عين الشمس، و أموات ينشرون من القبور حتّى يرجعوا إلى الدّنيا فيتعارفون فيها و يتراوحون ثمّ يختم ذلك بأربعة و عشرين مطرة تتّصل فتحيي بها الأرض بعد موتها، و تعرف بركاتها و يزول بعد ذلك كلّ عاهة عن معتقدي الحقّ من شيعة المهديّ عليه السّلام فيعرفون عند ذلك

ظهوره بمكّة فيتوجّهون نحوه لنصرته كما جاءت بذلك الأخبار، قال: و من جملة هذه الأحداث محتومة و منها مشترطة و اللّه أعلم بما يكون، و إنّما ذكرناها على حسب ما ثبت في الأصول و تضمّنها الأثر المنقول و باللّه نستعين و إيّاه نسأل التوفيق.

و بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«لا يخرج القائم عليه السّلام إلا

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٤٤

في وتر من السنين سنة إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع».

و عنه عليه السّلام قال:«ينادى باسم القائم عليه السّلام في ليلة

ثلاث و عشرين و يقوم في يوم عاشوراء و هو اليوم الّذي قتل فيه الحسين عليه السّلام، لكأنّي به في يوم السبت العاشر من المحرّم قائما بين الرّكن و المقام جبرئيل عن يمينه ينادي البيعة للّه، فتصير إليه شيعته من أطراف الأرض تطوي لهم طيّا حتّى يبايعوه، فيملأ اللّه به الأرض عدلا كما ملئت جورا و ظلما».

و عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال:«كأنّي بالقائم عليه السّلام على نجف الكوفة قد سار إليها من مكّة، في خمسة آلاف من الملائكة، جبرئيل عن يمينه، و ميكائيل عن

شماله، و المؤمنون بين يديه، و هو يفرّق الجنود في البلاد».

و في رواية عمرو بن شمر، عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«ذكر المهديّ فقال يدخل الكوفة و بها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفو له و يدخل حتّى يأتي المنبر، فيخطب فلا يدري الناس ما يقول من البكاء فإذا كانت الجمعة الثانية سأله النّاس أن يصلّي بهم الجمعة فيأمر أن يخطّ لهم مسجد على الغريّ و يصلّي بهم هناك ثمّ يأمر من يحفر من ظهر مشهد الحسين عليه السّلام نهرا يجري إلى الغريين حتّى ينزل الماء إلى النجف و يعمل على فوهته القناطر و الأرحاء، فكأنّي بالعجوز على رأسها مكتل فيه برّ

تأتي تلك الأرحاء فتطحنه بلا كراء».

فصل و أمّا كراماته عليه السّلام

فمن كتاب الرّاونديّ عن حكيمة قالت:دخلت يوما على أبي محمّد عليه السّلام قال: بيّتي عندنا اللّيلة فإنّه سيظهر الخلف فيها قلت: و ممّن؟ – فلست أرى بنرجس حملا – قال: يا عمّة إنّ مثلها كمثل أمّ موسى لم يظهر حملها به إلا وقت ولادتها فبتّ أنا و هي، فلمّا انتهى اللّيل صلّيت أنا و هي صلاة اللّيل فقلت

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٤٥

في نفسي: قد قرب الفجر و لم يظهر ما قال أبو محمّد، فناداني

أبو محمّد عليه السّلام لا تعجلي فرجعت إلى البيت خجلة فاستقبلتني نرجس ترتعد فضممتها إلى صدري و قرأت عليها قل هو اللّه أحد، و إنّا أنزلناه، و آية الكرسيّ فأجابني الخلف من بطنها يقرأ كقراءتي، قالت: و أشرق نور في البيت فنظرت فإذا الخلف تحتها ساجد إلى القبلة فأخذته، فناداني أبو محمّد عليه السّلام من الحجرة هلمّي بابني إليّ يا عمّة، قالت: فأتيته به فوضع لسانه في فمه و أجلسه على فخذه فقال له: انطق يا بنيّ بإذن اللّه تعالى، فقال: أعوذ باللّه من الشيطان الرّجيم بسم اللّه الرّحمن الرّحيمو نريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم

أئمّة و نجعلهم الوارثين و نمكّن لهم في الأرض و نري فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون ٢٨: ٥ – ٦و صلّى اللّه على محمّد المصطفى و على عليّ المرتضى و فاطمة الزّهراء و الحسن و الحسين و عليّ بن الحسين و محمّد بن عليّ و جعفر بن محمّد و موسى بن جعفر و عليّ بن موسى و محمّد بن عليّ و عليّ ابن محمّد و الحسن بن عليّ أبي، قالت: و غمرتنا طيور خضر فنظر أبو محمّد عليه السّلام إلى طائر منها فدعاه فقال: خذه فاحفظه حتّى يأذن اللّه فيه فإنّ اللّه بالغ أمره، قالت حكيمة: فقلت لأبي محمّد: ما هذا الطائر و ما هذه

الطيور؟ قال: هذا جبرئيل و هذه ملائكة الرّحمة، ثمّ قال: يا عمّة ردّيه إلى أمّه كي تقرّ عينها و لا تحزن و لتعلم أنّ وعد اللّه حقّ و لكن أكثرهم لا يعلمون، فرددته إلى أمّه، و لمّا ولد كان نظيفا مفروغا منه، و على ذراعه الأيمن مكتوبجاء الحقّ و زهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا ١٧: ٨١.

و منه ما روي عن السيّاريّ قال: حدّثني نسيم و مارية قالتا:لمّا خرج صاحب الزّمان عليه السّلام من بطن أمّه سقط جاثيا على ركبتيه، رافعا بسبّابته نحو السماء، فعطس فقال: الحمد للّه ربّ العالمين و صلّى اللّه على محمّد و آله عبدا داخرا غير مستنكف و لا مستكبر،

ثمّ قال: زعمت الظلمة أنّ حجّة اللّه داحضة و لو أذن اللّه لنا في الكلام لزال الشكّ.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٤٦

و منه ما روي عن ظريف أبي نصر الخادم قال:«دخلت على صاحب الزّمان عليه السّلام و هو في المهد فقال لي: عليّ بالصندل الأحمر، فأتيته به فقال: أ تعرفني؟ قلت: نعم أنت سيّدي و ابن سيّدي فقال: ليس عن هذا سألتك، فقلت: فسّر لي، فقال: أنا خاتم الأوصياء و بي يرفع اللّه البلاء عن أهلي و شيعتي».

و منه ما روي عن أبي نعيم محمّد بن أحمد الأنصاريّ قال:وجّه قوم

من المفوّضة كامل بن إبراهيم إلى أبي محمّد عليه السّلام قال: فقلت في نفسي لمّا دخلت عليه: أسأله عن الحديث المرويّ عنه عليه السّلام «لا يدخل الجنّة إلا من عرف معرفتي» و كنت جلست إلى باب عليه ستر مرخى، فجاءت الريح فكشفت طرفه و إذا أنا بفتى كأنّه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، فقال لي: يا كامل بن إبراهيم، فاقشعررت من ذلك و الهمت أن قلت: لبيّك يا سيّدي قال: جئت إلى وليّ اللّه تسأله «لا يدخل الجنّة إلا من عرف معرفتك و قال بمقالتك»؟ قلت: إي و اللّه قال: إذن و اللّه يقلّ داخلها و اللّه إنّه ليدخلها قوم يقال لهم الحقّيّة، قلت:

و من هم؟ قال: قوم من حبّهم لعليّ عليه السّلام يحلفون بحقّه و لا يدرون ما حقّه و فضله، أي قوم يعرفون ما يجب عليهم معرفته جملة لا تفصيلا من معرفة اللّه و رسوله و الأئمّة و نحوها، ثمّ قال:

و جئت تسأل عن مقالة المفوّضة كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشيّة اللّه فإذا شاء اللّه شئنا و اللّه يقول:و ما تشاؤن إلا أن يشاء اللّه ٧٦: ٣٠فقال لي أبو محمّد عليه السّلام: ما جلوسك فقد أنبأك بحاجتك».

و منه ما روى عن رشيق حاجب المادراني قال: بعث إلينا المعتضد و أمرنا أن نركب و نحن ثلاثة نفر و نخرج مخفين على السروج و نجنب أخرى و قال:

الحقوا بسامرّاء و اكبسوا دار الحسن بن عليّ فإنّه توفّى و من رأيتم في داره فأتوني برأسه فكبسنا الدّار كما أمرنا فوجدناها دارا سريّة كأنّ الأيدي رفعت عنها في ذلك الوقت فرفعنا الستر فإذا سرداب في الدّار الأخرى فدخلناها فكان بحرا و في أقصاه حصير، و قد علمنا أنّه على الماء و فوقه رجل من أحسن الناس هيئة قائم يصلّي

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٤٧

فلم يلتفت إلينا و لا إلى شيء من أسبابنا فسبق أحمد بن عبد اللّه ليتخطّى فغرق في الماء و ما زال يضطرب حتّى مددت يدي إليه فخلّصته و أخرجته فغشي عليه و

بقي ساعة و عاد صاحبي الثاني إلى فعل ذلك فناله مثل ذلك فبقيت مبهوتا فقلت لصاحب البيت:

المعذرة إلى اللّه و إليك فو اللّه ما علمت كيف الخبر و إلى من نجيء و أنا تائب إلى اللّه فما التفت إليّ بشيء ممّا قلت، فانصرفنا إلى المعتضد فقال: اكتموه و إلا ضربت رقابكم.

و منهأنّ عليّ بن زياد الصيمريّ كتب إليه يلتمس كفنا فكتب إليه: أنّك تحتاج إليه في سنة ثمانين و بعث إليه بالكفن قبل موته.

و منه ما روي عن نسيم خادم أبي محمّد عليه السّلام قال:دخلت على صاحب الزّمان عليه السّلام بعد مولده بعشر ليال فعطست عنده

فقال: يرحمك اللّه ففرحت بذلك فقال:

ألا أبشّرك بالعطاس هو أمان من الموت ثلاثة أيّام.

و منه ما روي عن حكيمة قالت:دخلت على أبي محمّد عليه السّلام بعد أربعين يوما من ولادة نرجس فإذا مولانا الصاحب يمشي في الدّار فلم أر لغة أفصح من لغته فتبسّم أبو محمّد عليه السّلام و قال: إنّا معاشر الأئمّة ننشأ في كلّ يوم كما ينشأ غيرنا في [الشهر، و ننشأ في الشهر كما ينشأ غيرنا في] السنة قالت: ثمّ كنت بعد ذلك أسأل أبا محمّد عليه السّلام عنه فيقول: استودعناه الّذي استودعت أمّ موسى ولدها.

و منه ما روي عن أبي الحسن المسترقّ الضرير قال:كنت يوما في مجلس الحسن بن عبد اللّه بن حمدان ناصر الدّولة فتذاكرنا أمر الناحية قال: كنت أزري عليها إلى أن حضرت مجلس عمّي الحسين يوما فأخذت أتكلّم في ذلك فقال: يا بنيّ قد كنت أقول بمقالتك هذه إلى أن ندبت إلى ولاية قم حين استصعبت على السّلطان، و كان كلّ من ورد إليها من جهة السلطان يحاربه أهلها، فسلّم إليّ جيش و خرجت نحوها فلمّا خرجت إلى ناحية الطريق و خرجت إلى الصيد ففاتني

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٤٨

طريدة فأتبعتها و أوغلت في أثرها حتّى بلغت إلى نهر فسرت فيه و كلّما سرت يتّسع النهر فبينا أنا كذلك إذ طلع عليّ فارس تحته فرس شهباء و هو متعمّم بعمامة خزّ خضراء لا أرى منه سوى عينيه و في رجليه خفّان أحمران، فقال لي: يا حسين و لا أمّرني و لا كنّاني، فقلت: ما ذا تريد؟ فقال: لم تزري على الناحية؟ و لم تمنع أصحابي خمس مالك؟ و كنت رجلا وقورا لا أخاف شيئا فأرعدت و تهيّبته و قلت له:

أفعل يا سيّدي ما تأمر به، فقال: إذا مضيت إلى الموضع الّذي أنت متوجّه إليه فدخلته عفوا و كسبت ما كسبت فيه تحمل خمسه إلى

مستحقّه، فقلت: السمع و الطاعة، فقال: امض راشدا و لوّى عنان فرسه و انصرفت فلم أدر أيّ طريق سلك فطلبته يمينا و شمالا فخفي عليّ أمره فازددت رعبا فانكفأت راجعا إلى عسكري و تناسيت الحديث فلمّا بلغت قم و عندي أنّني أريد محاربة القوم خرج إليّ أهلها و قالوا: كنّا نحارب من يجيئنا لخلافهم لنا و أمّا إذا وافيت أنت فلا خلاف بيننا و بينك، ادخل البلدة فدبّرها كما ترى فأقمت فيها زمانا و كسبت أموالا زائدة على ما كنت أقدر، ثمّ وشى القوّاد بي إلى السلطان، و حسدت على طول مقامي و كثرة ما اكتسبت، فعزلت و رجعت إلى بغداد فابتدأت بدار السّلطان و سلّمت و

أقبلت منزلي، و جاءني فيمن جاءني محمّد بن عثمان العمريّ فتخطّى النّاس حتّى اتّكأ على تكأتي فاغتظت من ذلك و لم يزل قاعدا لا يبرح و الناس يدخلون و يخرجون و أنا أزداد غيظا فلمّا تصرّم المجلس دنا إليّ و قال: بيني و بينك سرّ فاسمعه، فقلت:

قل، فقال: صاحب الشهباء و النهر يقول: قد وفينا بما وعدنا، فذكرت الحديث و ارتعدت من ذلك و قلت: السمع و الطاعة، فقمت و أخذت بيده و فتحت الخزائن فلم يزل يخمّسها إلى أن خمّس شيئا كنت قد انسيته ممّا كنت قد جمعته و انصرف و لم أشكّ بعد ذلك و تحقّقت الأمر، و أنا منذ سمعت هذا

من عمّي أبي عبد اللّه زال عنّي ما كان اعترضني من الشكّ».

و منه ما روي عن أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه قال:لمّا وصلت بغداد

محجةالبيضاء ج : ٥ ص : ٣٤٩

في سنة سبع و ثلاثين للحجّ و هي السّنة الّتي ردّ القرامطة فيها الحجر إلى مكانه من البيت كان أكثر همّي من ينصب الحجر لأنّه مضى في أثناء الكتب قصّة أخذه و أنّه ينصبه في مكانه الحجّة في الزّمان كما في زمن الحجّاج وضعه زين العابدين عليه السّلام في مكانه فاستقرّ، فاعتللت علّة صعبة خفت

منها على نفسي و لم يتهيّأ لي ما قصدت له فاستنبت المعروف بابن هشام و أعطيته رقعة مختومة أسأل فيها عن مدّة عمري و هل يكون المنيّة في هذه العلّة أم لا؟ و قلت: همّي إيصال هذه الرقعة إلى واضع الحجر في مكانه و أخذ جوابه و إنّما أندبك لهذا، قال: فقال المعروف بابن هشام:

لمّا حصلت بمكّة و عزم على إعادة الحجر بذلت لسدنة البيت جملة تمكّنت معها من الكون بحيث أرى واضع الحجر في مكانه و أقمت معي منهم من يمنع عنّي ازدحام الناس فكلّما عمد إنسان لوضعه اضطرب و لم يستقم فأقبل غلام أسمر اللّون حسن الوجه فتناوله و

وضعه في مكانه، فاستقام كأنّه لم يزل عنه، و علت لذلك الأصوات و انصرف خارجا من الباب فنهضت من مكاني أتبعه و أدفع الناس عنّي يمينا و شمالا حتّى ظنّ بي الاختلاط في العقل و الناس يفرجون و عيني لا تفارقه حتّى انقطع عنّي الناس و كنت أسرع الشدّة خلفه و هو يمشي على تؤدة و لا أدركه فلمّا حصل بحيث لا يراه أحد غيري وقف و التفت إليّ و قال: هات ما معك فناولته الرّقعة فقال من غير أن ينظر فيها: قل له: لا خوف عليك في هذه العلّة و يكون لا بدّ منه بعد ثلاثين سنة، قال: فوقع عليّ الزّمع [١] حتّى لم أطق حراكا و تركني و انصرف،

قال أبو القاسم: فأعلمني بهذه الجملة فلمّا كانت سنة سبع و ستّين اعتلّ أبو القاسم فأخذ ينظر في أمره و تحصيل جهازه إلى قبره و كنت وصيّه و استعمل الجدّ في ذلك فقيل له: ما هذا الخوف و نرجو بتفضّل اللّه بالسّلامة فما عليك مخوفة، فقال: هذه السنة الّتي وعدت و خوّفت فيها فمات في علّته».

و من إرشاد المفيد عن محمّد بن إبراهيم بن مهران قال:«شككت عند مضيّ أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السّلام و اجتمع عند أبي مال فحمله و ركبت معه السّفينة

[١] الزمع: رعدة تعترى الإنسان.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٥٠

مشيّعا له فوعك وعكا شديدا فقال: يا بنيّ ردّني فهو الموت، و قال لي: اتّق اللّه في هذا المال، و أوصى إليّ و مات بعد ثلاثة أيّام، فقلت في نفسي: لم يكن أبي يوصي بشيء غير صحيح أحمل هذا المال إلى العراق و أكتري دارا على الشطّ و لا أخبر أحدا بشيء فإن وضح لي كوضوحه في أيّام أبي محمّد أنفذته و إلا أنفقته في ملاذّي و شهواتي فقدمت العراق و اكتريت دارا على الشطّ و بقيت أيّاما فإذا أنا برقعة مع رسول فيها: يا محمّد معك كذا و كذا حتّى قصّ عليّ

جميع ما معي و ذكر في جملته شيئا لم احط به علما فسلّمته إلى الرسول و بقيت أيّاما لا يرفع لي رأس فاغتممت فخرج إليّ قد أقمناك مكان أبيك فأحمد اللّه».

و منه عن محمّد بن أبي عبد اللّه السيّاري قال: «أوصلت أشياء للمرزباني الحارثي فيها سوار ذهب فقبلت و ردّ عليّ السوار فامرت بكسره فكسرته فإذا في وسطه مثاقيل حديد و نحاس و صفر فأخرجته و أنفذت الذهب بعد ذلك فقبل.

و منه عن عليّ بن محمّد قال: أوصل رجل من أهل السواد مالا فردّ عليه و قيل له: أخرج حقّ ولد عمّك منه و هو أربعمائة درهم و

كان الرّجل في يده ضيعة لولد عمّه فيها شركة قد حبسها عنهم، فنظر فإذا الّذي لولد عمّه من ذلك المال أربعمائة درهم فأخرجها و أنفد الباقي فقبل.

و منه عن القاسم بن العلاء قال: ولد لي عدّة بنين فكنت أكتب و أسأل الدّعاء لهم فلا يكتب إليّ بشيء في أمرهم فماتوا كلّهم فلمّا ولد لي الحسين ابني كتبت أسأل الدّعاء له فاجبت فبقي و الحمد للّه.

و عن محمّد بن يوسف الشاشي قال:خرج بي ناسور فأريته الأطبّاء و أنفقت عليه مالا، فلم يصنع الدّواء فيه شيئا، فكتبت رقعة أسأل الدّعاء فوقّع إليّ ألبسك اللّه العافية و جعلك معنا في الدّنيا و الآخرة،

فما أتت عليّ جمعة حتّى عوفيت و صار الموضع مثل راحتي فدعوت طبيبا من أصحابنا و أريته إيّاه فقال: ما عرفنا لهذا دواء و ما جاء بك العافية إلا من قبل اللّه بغير حساب».

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٥١

و منه عن عليّ بن الحسين اليماني قال: «كنت ببغداد فتهيّأت قافلة لليمانيّين فأردت الخروج معهم فكتبت ألتمس الإذن في ذلك. فخرج لا تخرج معهم فليس لك في الخروج معهم خيرة و أقم بالكوفة، فأقمت و خرجت القافلة فخرج عليهم بنو حنظلة فاجتاحتهم، قال: و كتبت أستأذن في ركوب الماء فلم يؤذن

لي، فسألت عن المراكب الّتي خرجت تلك السنة في البحر فعرفت أنّه لم يسلم منها مركب، خرج عليها قوم يقال لهم البوارح فقطعوا عليهم.

و منه عن أحمد بن الحسن قال: وردت الجبل و أنا لا أقول بالإمامة و لا احبّهم جملة إلى أن مات يزيد بن عبد اللّه فأوصى في علّته إليّ أن يدفع الشهري السمند و سيفه و منطقته إلى مولاه فخفت إن لم أدفع الشهري إلى إذكوتكين نالني منه استخفاف فقوّمت الدّابة و السيف و المنطقة بسبعمائة دينار في نفسي و لم أطّلع عليه أحدا و دفعت الشهريّ إلى إذكوتكين فإذا الكتاب قد ورد عليّ من العراق أن وجّه السبعمائة

دينار الّتي لنا قبلك من ثمن الشهريّ و السيف و المنطقة.

و منه عن عليّ بن محمّد قال: حدّثني بعض أصحابنا قال:ولد لي ولد فكتبت أستأذن في تطهيره يوم السابع، فورد لا تفعل فمات يوم السابع أو الثامن، ثمّ كتبت بموته فورد ستخلف غيره و غيره فسمّ الأوّل أحمد و من بعد أحمد جعفرا فجاء كما قال، قال: و تهيّأت للحجّ و ودّعت الناس و كتبت أستأذن على الخروج، فورد نحن لذلك كارهون و الأمر إليك قال: فضاق صدري و اغتممت و كتبت إنّي مقيم على السمع و الطاعة غير أنّي مغتمّ بتخلّفي عن الحجّ، فوقّع لا يضيقنّ صدرك فإنّك ستحجّ قابلا

إن شاء اللّه، قال: فلمّا كان من قابل كتبت فاستأذنت فورد الإذن، و كتبت أنّي قد عادلت محمّد بن العبّاس و أنا واثق بديانته و صيانته فورد: الأسديّ نعم العديل فإن قدم فلا تختر عليه فقدم الأسدي و عادلته.

و ذكر الشيخ المفيد – رحمه اللّه – أشياء اخر من هذا القبيل ثمّ قال: و الأحاديث في هذا المعنى كثيرة موجودة في الكتب المصنّفة فيها أخبار القائم و إن ذهبت إلى إيراد جميعها طال بذلك الكتاب و فيما أثبتّه منها مقنع و المنّة للّه.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٥٢

ذكر صفات الشيعة و أخلاقهم و آدابهم و علاماتهم و قلتهم و عزتهم و ابتلائهم

روى في الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام:شيعتنا المتباذلون في ولايتنا، المتحابّون في مودّتنا، المتزاورون في إحياء أمرنا الّذين إن غضبوا لم يظلموا، و إن رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا، سلم لمن خالطوا».

و عنه عليه السّلام قال:«صلّى أمير المؤمنين عليه السّلام بالناس الصبح بالعراق، فلمّا انصرف وعظهم فبكى و أبكاهم من خوف اللّه تعالى ثمّ قال: أما و اللّه لقد عهدت أقواما على عهد خليلي

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إنّهم ليصبحون و يمسون شعثا غبرا خمصا، بين أعينهم كركب المعزى، يبيتون لربّهم سجّدا و قياما، يراوحون بين أقدامهم و جباههم، يناجون ربّهم و يسألونه فكاك رقابهم من النار، و اللّه لقد رأيتهم مع هذا و هم خائفون مشفقون [١].

و في رواية أخرى«و اللّه لقد أدركت أقواما يبيتون لربّهم سجّدا و قياما يخالفون بين جباههم و ركبهم، كأنّ زفير النار في آذانهم إذا ذكر اللّه عندهم مادوا كما يميد الشجر كأنّما القوم باتوا غافلين، قال: ثمّ قام فما رئي ضاحكا حتّى قبض صلوات اللّه عليه».

---

[١] الشعث: تفرغ الشعر و عدم إصلاحه و مشطه و تنظيفه، و الاغبر: المتلطخ بالغبار.

و الركب ما بين اسافل أطراف الفخذ، و المعزى خلاف الضأن من الغنم. يحتمل أن يكون تلك الأحوال لشدة فقرهم و عدم قدرتهم على ازالتها فالمدح على صبرهم على الفقر.

او المعنى انهم لا يهتمون بازالتها زائدا على المستحب او يقال: اذا كان تركها لشدة الاهتمام بالعبادة و خوف الاخرة يكون ممدوحا. و المراوحة بين الاقدام و الجباه أن

يقوم على القدمين مرة و يضع الجبهة على الأرض أخرى ليوصل الراحة إلى كل منها و الخبر فى الكافي ج ٢ ص ٢٣٥ تحت رقم ٢١.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٥٣

و عنه عليه السّلام قال:«إنّما شيعة عليّ عليه السّلام الحلماء العلماء، الذّبل الشفاه تعرف الرّهبانية على وجوههم».

و عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«إنّ شيعة عليّ عليه السّلام كانوا خمص البطون، ذبل الشفاه، [١] أهل رأفة و علم و حلم، يعرفون بالرّهبانية، فأعينوا على ما أنتم عليه بالورع و الاجتهاد».

و عنه عليه السّلام قال:«شيعتنا الشاحبون الذابلون الناحلون الّذين إذا جنّهم اللّيل استقبلوه بحزن».

و عنه عليه السّلام قال:«شيعتنا أهل الهدى، و أهل التقوى، و أهل الخير، و أهل الإيمان، و أهل الفتح و الظفر».

و عنه عليه السّلام قال:«إيّاك و السفلة فإنّما شيعة عليّ عليه السّلام من عفّ بطنه و فرجه، و اشتدّ جهاده، و عمل لخالقه، و رجا ثوابه، و خاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر».

و عن مهزم الأسديّ قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام:«يا مهزم شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه [۲] و لا شحناؤه بدنه [۳] و لا

يمتدح بنا معلنا، و لا يجالس لنا عائبا، و لا يخاصم لنا قاليا، إن لقي مؤمنا أكرمه و إن لقي جاهلا هجره، قلت: جعلت فداك فكيف أصنع بهؤلاء المتشيّعة؟ [٤] قال: فيهم التمييز، و فيهم التبديل، و فيهم

---

[١] و في القاموس: الخمصة: الجوعة. و المخمصة: المجاعة.

و الذبل: اليابسة الشفه.

[٢] لخفاء صوته الدال على لين طبعه. و في بعض النسخ [لا يعلوا].

[٣] اى لا يتجاوز عداوته بدنه اى يعادى نفسه و لا يعادى غيره و في بعض نسخ المصدر [يديه] اى لا تغلب عليه عداوته بل هي بيده و اختياره. و الامتداح بمعنى التمدح كما في بعض النسخ.

[٤] المتشيعة الذين يدعون التشيع و ليس لهم معناه و علاماته.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٥٤

التمحيص تأتي عليهم سنون تفنيهم، و طاعون يقتلهم، و اختلاف يبدّدهم، شيعتنا من لا يهرّ هرير الكلب، و لا يطمع طمع الغراب، و لا يسأل عدوّنا و إن مات جوعا، قلت: جعلت فداك فأين أطلب هؤلاء؟ قال: في أطراف الأرض

أولئك الخفيض عيشهم، المنتقلة ديارهم، و إن شهدوا لم يعرفوا، و إن غابوا لم يفتقدوا، و من الموت لا يجزعون، و في القبور يتزاورون، و إن لجأ إليهم ذو حاجة منهم رحموه، لن تختلف قلوبهم و إن اختلفت بهم الدّيار، ثمّ قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنا المدينة و عليّ الباب، و كذب من زعم أنّه يدخل المدينة لا من قبل الباب، و كذب من زعم أنّه يحبّني و يبغض عليّا».

و عن أبي أسامة قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول:«عليكم بتقوى اللّه و الورع و الاجتهاد، و صدق الحديث، و أداء الأمانة، و حسن الخلق و حسن الجوار، و

كونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم، و كونوا زينا و لا تكونوا شينا، و عليكم بطول الرّكوع و السجود، فإنّ أحدكم إذا طال الرّكوع و السجود هتف إبليس من خلفه، و قال: يا ويله أطاع و عصيت، و سجد و أبيت».

و عن محمّد بن عجلان قال:كنت عند أبي عبد اللّه عليه السّلام فدخل رجل فسلّم فسأله عليه السّلام «كيف من خلّفت من إخوانك؟ قال: فأحسن الثناء و زكى و أطرى [١] فقال: كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم [٢]؟ فقال: قليلة، قال: فكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟ قال: قليلة، قال: فكيف صلاة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟ قال: إنّك

لتذكر أخلاقا قلّما هي فيمن عندنا، قال: فقال: فكيف تزعم هؤلاء أنّهم شيعة».

---

[١] اطريت فلانا مدحته باحسن مما فيه. و قال الجوهري: الاطراء مجاوزة الحد فى المدح و الكذب فيه.

[٢] المراد به حسن النظر و الالتفات إلى الفقراء.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٥٥

و عن أبي إسماعيل قال:قلت لأبي جعفر عليه السّلام: «جعلت فداك إنّ الشيعة عندنا كثير، فقال: هل

يعطف الغنيّ على الفقير، و يتجاوز المحسن عن المسيء، و يتواسون؟ قلت: لا، فقال: ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا».

و عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال لي:«يا جابر أ يكتفي من انتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت، فو اللّه ما شيعتنا إلا من اتّقى اللّه و أطاعه، و ما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع و التخشّع و الأمانة، و كثرة ذكر اللّه، و الصّوم و الصلاة، و البرّ بالوالدين، و التعهّد للجيران من الفقراء و أهل المسكنة و الغارمين و الأيتام، و صدق الحديث، و تلاوة القرآن، و كفّ الألسن عن

الناس إلا من خير، و كانوا أمناء عشائرهم في الأشياء، قال جابر: فقلت: يا ابن رسول اللّه ما نعرف اليوم أحدا بهذه الصّفة، فقال: يا جابر لا تذهبنّ بك المذاهب حسب الرّجل أن يقول:

احبّ عليّا و أتولاه ثمّ لا يكون مع ذلك فعّالا، فلو قال: إنّي أحبّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فرسول اللّه خير من عليّ ثمّ لا يتّبع سيرته، و لا يعمل بسنّته ما نفعه حبّه إيّاه شيئا، فاتّقوا اللّه و اعملوا لما عند اللّه، ليس بين اللّه و بين أحد قرابة، أحبّ العباد إلى اللّه تعالى و أكرمهم عليه أتقاهم و أعملهم بطاعته، يا جابر و اللّه ما يتقرّب إلى اللّه تعالى إلا بالطاعة،

ما معنا براءة من النّار [۱] و لا على اللّه لأحد من حجّة، من كان للّه مطيعا فهو لنا وليّ، و من كان للّه عاصيا فهو لنا عدوّ، ما تنال ولايتنا إلا بالعمل و الورع».

---

[۱] اى ليس معنا صك و حكم ببراءتنا و براءة شيعتنا من النار و ان عملوا بعمل الفجار. «و لا على اللّه لاحد من حجة» اى ليس لاحد على اللّه حجة إذا لم يغفر له بان يقول كنت من شيعة على فلم لم تغفر لي، لان اللّه تعالى لم يحتم بغفران من ادعى التشيع بلا عمل.

او المعنى ليس لنا على اللّه حجة في انقاذ من ادعى التشيع من العذاب. و يؤيده ان في المجالس «و ما لنا على اللّه حجة». «من كان للّه مطيعا» كانه جواب عما يتوهم في هذا المقام انهم عليهم السلام حكموا بان شيعتهم و أولياءهم لا يدخلون النار فاجاب عليه السّلام بان العاصي للّه ليس بولى لنا و لا تدرك ولايتنا الا بالعمل بالطاعات و الورع عن المعاصي.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٥٦

و عنه عليه السّلام قال:«يا معشر الشيعة شيعة آل محمّد كونوا النمرقة [١] الوسطى يرجع إليكم الغالي و

يلحق بكم التالي، فقال له رجل من الأنصار يقال له:

سعد: جعلت فداك ما الغالي؟ قال: قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أولئك منّا و لسنا منهم، قال: فما التالي؟ قال: المرتاد يريد الخير يبلغه الخير يوجر عليه، ثمّ أقبل علينا فقال: و اللّه ما معنا من اللّه براءة، و لا بيننا و بين اللّه قرابة، و لا لنا على اللّه حجّة، و لا نتقرّب إلى اللّه إلا بالطاعة فمن كان منكم مطيعا للّه تنفعه ولايتنا و من كان منكم عاصيا للّه لم تنفعه ولايتنا، و يحكم لا تغترّوا، و يحكم لا تغتروا».

و عن الكاظم عليه السّلام قال:«كثيرا ما كنت أسمع أبي يقول:

ليس من شيعتنا من لا يتحدّث المخدّرات بورعه في خدورهنّ و ليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم خلق للّه أورع منه».

و عن الصادق عليه السّلام قال:«لا تنظروا إلى طول ركوع الرّجل و سجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده فلو تركه استوحش لذلك و لكن انظروا إلى صدق حديثه و أداء أمانته».

و عن أبي كهمس قال:قلت لأبي عبد اللّه عليه السّلام: «عبد اللّه بن أبي يعفور يقرئك السلام قال: و عليك و عليه السّلام إذا أتيت عبد اللّه فاقرأه السلام و قل له: إنّ جعفر بن محمّد يقول لك: انظر ما

بلغ به عليّ عليه السّلام عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فألزمه فإنّ عليّا إنّما بلغ ما بلغ به عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بصدق الحديث و أداء الأمانة».

و في غير الكافي عنه عليه السّلام قال:«الشيعة ثلاثة أصناف: صنف يتزيّنون بنا، و صنف يستأكلون بنا، و صنف منّا و إلينا، يأمنون بأمننا و يخافون بخوفنا، ليسوا بالبذر المذيعين، و لا بالجفاة المرائين، إن غابوا لم يفقدوا، و إن شهدوا لم يؤبه بهم

---

[١] النمرقة الوسادة الصغيرة و التشبه باعتبار أنها محل الاعتماد.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٥٧

أولئك مصابيح الهدى».

و عن أبي أسامة قال:دخلت على أبي عبد اللّه عليه السّلام اودّعه فقال لي: «يا زيد ما لكم و للناس قد حملتم الناس عليّ، و اللّه ما وجدت أحدا يطيعني و يأخذ بقولي إلا رجل واحد - رحمه اللّه - عبد اللّه بن أبي يعفور، فإنّه أمرته بأمر و أوصيته بوصيّة فاتّبع قولي و أخذ بأمري، و اللّه إنّ الرّجل منكم ليأتيني فاحدّثه بالحديث لو أمسكه في جوفه لعزّ، و كيف لا يعزّ من عنده ما عند الناس و يحتاج الناس

إلى ما في يديه و لا يحتاج إلى ما في أيدي الناس فآمره أن يكتمه فلا يزال يذيعه حتّى يذلّ به عند الناس و يعيّر به، قلت: جعلت فداك إن رأيت كفّ هذا عن مواليك فإنّه إذا بلغهم هذا عنك شقّ عليهم، فقال: إنّي أقول و اللّه الحقّ، و إنّك تقدم غدا الكوفة فيأتيك إخوانك و معارفك فيقولون: ما حدّثك جعفر أ فما أنت قائلا؟ قال: أقول لهم ما تأمرني به لا أقصّر عنه و لا أعدوه إلى غيره. قال عليه السّلام: اقرأ من ترى أنّه يطيعني و يأخذ بقولي منهم السلام و أوصهم بتقوى اللّه، و الورع في دينهم، و الاجتهاد للّه، و صدق الحديث، و أداء الأمانة، و طول السجود، و حسن الجوار فبهذا جاء

محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و أدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها من برّ أو فاجر فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يأمر بردّ الأمانة و بردّ الخيط و المخيط [١]، صلّوا في عشائرهم و اشهدوا جنائزهم، و عودوا مرضاهم و أدّوا حقوقهم، فإنّ الرّجل منكم إذا ورع في دينه و صدق الحديث و أدّى الأمانة و حسن خلقه مع الناس قيل: هذا أدب جعفر فيسرّني ذلك أن قالوا هذا أدب جعفر، و إذا كان على غير ذلك دخل عليه بلاؤه و عاره و اللّه لقد حدّثني أبي أنّ الرّجل كان يكون في القبيلة من شيعة عليّ

---

[١] الخيط: السلك، و المخيط: الابرة.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٥٨

-رضوان اللّه عليه - فكان أقضاهم للحقوق و أدّاهم للأمانة و أصدقهم للحديث، إليه وصاياهم و ودائعهم يسأل عنه فيقال: من مثل فلان، فاتّقوا اللّه و كونوا زينا و لا تكونوا شيئا، جرّوا إلينا كلّ مودّة، و ادفعوا عنّا كلّ قبيح فإنّه ما قيل لنا فما نحن كذلك، لنا حقّ في كتاب اللّه و قرابة من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تطهير من اللّه

ولادة طيّبة لا يدّعيها أحد غيرنا إلا كذّاب، أكثروا ذكر اللّه و ذكر الموت و تلاوة القرآن و الصلاة على النبيّ و آله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإنّ الصّلاة، عليه عشر حسنات خذ بما اوصيتك به و أستودعك اللّه.

فصل

و روى في الكافي عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:قام رجل يقال له همّام و كان عابدا ناسكا مجتهدا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و هو يخطب فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا صفة المؤمن كأنّنا ننظر إليه؟ فقال: «يا همّام المؤمن هو الكيّس الفطن، بشره في وجهه، و حزنه في قلبه، أوسع شيء صدرا،

و أذلّ شيء نفسا، زاجر عن كلّ فان، حاضّ على كلّ حسن، لا حقود، و لا حسود، و لا وثّاب [١]، و لا سبّاب، و لا عيّاب و لا مغتاب، يكره الرّفعة، و يشنأ السمعة، طويل الغمّ [٢]، بعيد الهمّ، كثير الصّمت، وقور [٣] ذكور، صبور، شكور، مغموم بفكره [٤]، مسرور بفقره،

---

[١] اى لا يثب في وجوه الناس بالمنازعة و المعارضة.

[٢] لما يستقبله من سكرات الموت و أحوال القبر و أهوال الاخرة. و قوله «بعيد الهم» اما تأكيد للفقرة

السابقة لان الهم و الغم متقاربان او المراد بالهم القصد اى هو عالى الهمة لا يرضى بالدون من الدنيا الفانية.

[٣] اى ذو وقار و سكينة و رزانة لا يستعجل في الأمور و لا يبادر في العضب و لا تجره الشهوات إلى ما لا ينبغي فعله.

[٤] اى بسبب فكره في أمور الاخرة. و قوله: «مسرور بفقره» لعلمه بقلة خطره و يسر الحساب في الاخرة و قلة تكاليف اللّه فيه.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٥٩

سهل الخليقة، ليّن العريكة، رصين الوفاء [١] قليل الأذى، لا متأفّك [٢]، و لا متهتّك، إن ضحك لم

يخرق، و إن غضب لم ينزق [٣]، ضحكه تبسّم، و استفهامه تعلّم، و مراجعته تفهّم، كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرّحمة، لا يبخل، و لا يعجل، و لا يضجر، و لا يبطر [٤]، و لا يحيف في حكمه، و لا يجور في علمه [٥]، نفسه أصلب من الصلد و مكادحته أحلا من الشهد، لا جشع، و لا هلع [٦] و لا عنف، و لا صلف، و لا متكلّف و لا متعمّق [٧]، جميل المنازعة، كريم المراجعة، عدل إن غضب، رفيق إن طلب، لا يتهوّر، و لا يتهتّك، و لا يتجبّر، خالص الودّ [٨]، وثيق العهد، وفيّ العقد شفيق وصول، حليم، خمول [٩]، قليل

الفضول، راض عن اللّه تعالى، مخالف لهواه، لا يغلظ

---

[١] «سهل الخليقة» اى ليس في طبعه خشونة و غلظة. و العريكة: الطبيعة.

و الرصين - بالصاد المهملة - كامين: المحكم الثابت.

[٢] كانه مبالغة في الافك بمعنى الكذب اى لا يكذب كثيرا او المعنى لا يكذب على الناس. و قيل المتأفك من لا يبالى أن ينسب إليه الافك.

[٣] نزق: خف عند الغضب.

[٤] البطر شدة الفرح و الطغيان.

[٥] الحيف: الجور و الظلم. و قوله عليه السّلام «لا يجور في علمه» اى لا يظلم أحدا بسبب علمه. و ربما يقرء بالزاى أي لا يتجاوز عن العلم الضروري إلى غيره.

[٦] «نفسه اصلب من الصلد» اى من الحجر الصلب، كناية عن شدة تحمله للمشاق أو عن عدم عدوله عن الحق. و قوله: «مكادحته أحلى من الشهد» الكدح: السعي و يحتمل أن يكون المعنى أن سعيه في تحصيل المعيشة و الأمور الدنيوية لمساهلته فيها حسن لطيف. و الجشع محركة -: أشد الحرص و اسوؤه، او أن تأخذ نصيبك و تطمع في نصيب غيرك. و الهلوع: الجزوع.

[٧] الصلف - ككتف -: التكلم بما يكرهه صاحبك. و التمدح بما ليس عندك او مجاوزة قدر الظرف و الادعاء فوق ذلك تكبرا. و بالفارسية (لاف زدن) و المتكلف:
المتعرض لما لا يعنيه. و قوله: «و لا متعمق» اى لا يبالغ في الأمور الدنيوية.
[٨] اى لا يتكبر على الغير و لا يعد نفسه كبيرا و محبته خالصة لكل من يوده غير مخلوطة بالخديعة و النفاق و كان هذا أظهر.
[٩] فى القاموس الشفق: حرص الناصح على صلاح المنصوح و هو مشفق و شفيق و حاصله انه ناصح و مشفق على المؤمنين. و

قيل: خائف من اللّه و الأول اظهر.

و قوله:

«خمول» فى أكثر نسخ المصدر بالخاء المعجمة اى انه خامل الذكر غير مشهور بين الناس و كانه محمول على أنه لا يحب الشهرة و لا يسعى فيها و في بعض النسخ بالحاء المهملة و المراد به الحلم، تاكيدا و المراد بالحليم العاقل أو المراد أنه يتحمل مشاق المؤمنين.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٦٠

على من دونه، و لا يخوض فيما لا يعنيه، ناصر للدّين، محام عن المؤمنين، كهف للمسلمين، لا يخرق الثناء سمعه [١] و لا ينكي الطمع قلبه، و لا يصرف اللّعب حكمه، و

لا يطلع الجاهل علمه، قوّال، عالم، عمّال، حازم، لا بفحّاش، و لا بطيّاش [٢]، وصول في غير عنف، بذول في غير سرف، لا بختّال [٣]، و لا بغدّار، و لا يقتفي [٤] أثرا، و لا يحيف بشرا، رفيق بالخلق، ساع في الأرض، عون للضعيف، غوث للملهوف، لا يهتك سترا، و لا يكشف سرّا، كثير البلوى، قليل الشّكوى، إن رأى خيرا ذكره، و إن عاين شرّا ستره، يستر العيب، و يحفظ الغيب، و يقبل العثرة، و يغفر الزّلّة، لا يطّلع على نصح فيذره [٥]، و لا يدع جنح حيف فيصلحه، أمين

---

[١] عدم الخرق كناية عن عدم التأثير فيه، كانه لم يسمعه. و قوله: «لا ينكى الطمع قلبه» اى لا يؤثر في قلبه و لا يستقر فيه، و فيه اشعار بان الطمع يورث جراحة القلب جراحة لا يبرء. و قوله «لا يصرف اللعب حكمه» اى لا يلتفت إلى اللعب لحكمته. و قوله:

«عالم». قيل هو: ناظر إلى قوله: «قوال» و قوله: «حازم» ناظر إلى قوله:

«عمال» و الحزم: رعاية العواقب و في القاموس الحزم: ضبط الامر و الأخذ فيه بالثقة.

[٢] الطيش: النزق و الخفة، طاش يطيش فهو طايش و طياش، و ذهاب العقل، و الطياش من لا يقصد وجها واحدا.

[٣] فى بعض نسخ المصدر [لا بختار]. و في القاموس الختر: الغدر و الخديعة أيضا بمعناه.

[٤] اى لا يتبع عيوب الناس او لا يتبع اثر من لا يعلم حقيقته. و قوله: «لا يحيف بشرا» بالحاء المهملة و في بعض نسخ المصدر بالخاء المعجمة.

[٥] اى لا يطلع على نصح لاخيه فيتركه بل يذكره له، و الجنح في القاموس بالكسر:

الجانب و الكتف و الناحية و من الليل الطائفة منه و يضم، و

الحيف: الجور و الظلم و الحاصل انه لا يدع شيئا من الظلم يقع منه او من غيره على أحد، بل يصلحه. او لا يصدر منه شيء من الظلم فيحتاج إلى أن يصلحه. و في بعض نسخ المصدر [جنف] مكان حيف و هو محركة الميل و الجور.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٦١

رصين، تقيّ، نقيّ، زكيّ، رضيّ [١] يقبل العذر، و يجمل الذّكر، و يحسن بالنّاس الظنّ، و يتّهم على العيب نفسه، يحبّ في اللّه بفقه و علم، و يقطع في اللّه بحزم و عزم، لا يخرق به فرح، و لا يطيش به مرح [٢] مذكّر للعالم، معلّم للجاهل، لا يتوقّع له بائقة [٣]، و

لا يخاف له غائلة، كلّ سعي أخلص عنده من سعيه، و كلّ نفس أصلح عنده من نفسه، عالم بعيبه، شاغل بغمّه، لا يثق بغير ربّه، غريب، وحيد، جريد، حزين، يحبّ في اللّه، و يجاهد في اللّه ليتبّع رضاه، و لا ينتقم لنفسه بنفسه، و لا يوالي في سخط ربّه، مجالس لأهل الفقر، مصادق لأهل الصّدق، موازر لأهل الحقّ، عون للغريب، أب لليتيم، بعل للأرملة [٤] حفيّ بأهل المسكنة، مرجوّ لكلّ كريهة، مأمول لكلّ شدة، بشّاش، هشّاش [٥]، لا بعبّاس و لا بجسّاس، صليب، كظّامّ، بسّام، دقيق النظر، عظيم الحذر، [٦] لا يبخل، و إن بخل عليه صبر، عقل فاستحيى، و

قنع فاستغنى، حياؤه يعلو شهوته، و ودّه يعلو حسده، و عفوه يعلو حقده، لا ينطق بغير صواب، و لا يلبس إلا الاقتصاد، مشيه التواضع، خاضع لربّه بطاعته، راض عنه في

---

[١] «رصين» بالمهملة اى المحكم الثابت و الحفى بحاجة صاحبه و في بعض نسخ المصدر بالمعجمة و هو تصحيف و قوله: «زكى» اى طاهر من العيوب. و في بعض النسخ بالذال اى يدرك المطالب العلية من المبادئ الخفية بسهولة و قوله: «يجمل الذكر» اى يذكر بالجميل.

[٢] «لا يخرق به فرح» اى لا يصير الفرح سببا لخرقه و سفهه. و قوله: «لا يطيش به مرح» اى لا يصير شدة فرحه سببا لنزقه و خفته و ذهاب عقله او عدوله عن الحق و ميله الى الباطل.

[٣] البائقة: الداهية و الغائلة أيضا الداهية.

[٤] الارملة: المرأة التي لا زوج لها. و الحفى البر اللطيف و قوله: «مرجو لكل كريهة» أى يأمله الناس لدفع كل شدة.

[٥] الهشاشة: الارتياح و الخفة للمعروف. و البشاشة: طلاقة الوجه. و قوله:

«بعباس» أى كثير العبوس. و قوله: «بجساس» أى كثير

التجسس. و قوله: «صليب» أى متصلب شديد في أمور الدين.
[٦] فى بعض نسخ المصدر [عظيم الحظر].

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٦٢

كلّ حالاته، نيّته خالصة، أعماله ليس فيها غشّ و لا خديعة، نظره عبرة، و سكوته فكرة، و كلامه حكمة، مناصحا، متباذلا، متواخيا، ناصح في السرّ و العلانية، لا يهجر أخاه و لا يغتابه، و لا يمكر به، و لا يأسف على ما فاته، و لا يحزن على ما أصابه، و لا يرجو ما لا يجوز له الرّجاء، و لا يفشل في الشدّة، و لا يبطر في الرّخاء،

يمزج العلم بالحلم و العقل بالصبر، تراه بعيدا كسله، دائما نشاطه، قريبا أمله، قليلا زلله، متوقّعا لأجله، [١] خاشعا قلبه، ذاكرا ربّه، قانعة نفسه، منفيّا جهله، سهلا أمره، حزينا لذنبه، ميتة شهوته، كظوما غيظه، صافيا خلقه، آمنا منه جاره، ضعيفا كبره، قانعا بالّذي قدّر له، متينا صبره، محكما أمره، كثيرا ذكره، يخالط الناس ليعلم، و يصمت ليسلم، و يسأل ليفهم، و يتّجر ليغنم، لا ينصت للخبر ليفجر به، و لا يتكلّم ليتجبّر به على من سواه، نفسه منه في عناء، و الناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، فأراح الناس من نفسه، إن بغي عليه صبر، حتّى يكون اللّه الّذي ينتصر

له، بعده ممّن تباعد منه بغض و نزاهة، و دنوّه ممّن دنا منه لين و رحمة، ليس تباعده تكبّرا و لا عظمة، و لا دنوّه خديعة و لا خلابة [٢] بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير فهو إمام لمن بعده من أهل البرّ».

قال: فصاح همّام صيحة ثمّ وقع مغشيّا عليه، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: أما و اللّه لقد كنت أخافها عليه و قال: هكذا تصنع الموعظة البالغة بأهلها فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين فقال: إنّ لكلّ أجلا لا يعدوه و سببا لا يجاوزه، فمهلا لا تعد فإنّما نفث على لسانك شيطان».

و عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام:إنّ لأهل الدّين علامات يعرفون بها: صدق الحديث، و أداء الأمانة، و وفاء بالعهد، و صلة الأرحام و رحمة الضعفاء، و قلّة المراقبة للنّساء، - أو قال: قلّة المؤاتاة للنساء - [٣] و بذل المعروف،

---

[١] أى منتظرا له.

[٢] خلبه كنصره خلبا و خلابة: خدعه.

[٣] المؤاتاة: الموافقة و المطاوعة.

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٦٣

و حسن الخلق، و سعة الخلق، و اتّباع العلم، و ما يقرّب إلى اللّه تعالى زلفى، طوبى لهم، و حسن مآب، و طوبى شجرة في الجنّة أصلها في دار النبيّ محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و ليس من مؤمن إلا و في داره غصن منها لا يخطر على قلبه شهوة شيء إلا أتاه ذلك، و لو أنّ راكبا مجدّا سار في ظلّها مائة عام ما خرج منه، و لو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتّى يسقط هرما [١] ألا ففي هذا فارغبوا، إنّ المؤمن من نفسه في شغل، و الناس منه في راحة، إذا جنّ عليه اللّيل افترش

وجهه و سجد للّه تعالى بمكارم بدنه يناجي الّذي خلقه في فكاك رقبته ألا فهكذا فكونوا».

و عن أحدهما عليهما السّلام قال:مرّ أمير المؤمنين عليه السّلام بمجلس من قريش فإذا هو بقوم بيض ثيابهم [٢] صافية ألوانهم، كثير ضحكهم، يشيرون بأصابعهم إلى من يمرّ بهم، [٣] ثمّ مرّ بمجلس للأوس و الخزرج فإذا قوم بليت منهم الأبدان و دقّت منهم الرّقاب و اصفرّت منهم الألوان و قد تواضعوا بالكلام فتعجّب عليّ صلوات اللّه عليه من ذلك، و دخل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: بأبي أنت و أمّي إنّي مررت بمجلس لآل فلان ثمّ

وصفهم و مررت بمجلس للأوس و الخرزج فوصفهم ثمّ قال: و جميع مؤمنون فأخبرني يا رسول اللّه بصفة المؤمن فنكس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ رفع رأسه فقال:

عشرون خصلة في المؤمن فإن لم يكن فيه لم يكمل إيمانه إنّ من أخلاق المؤمنين - يا عليّ - الحاضرون الصّلاة، و المسارعون إلى الزكاة و المطعمون المسكين، الماسحون رأس اليتيم، المطهّرون أطمارهم [٤] المتّزرون على أوساطهم [٥] الّذين إن حدّثوا لم

[١] انما خص الغراب بالذكر لأنه اطول الطيور عمرا.

[٢] بيض - بالكسر - جمع أبيض و يحتمل فيه و في نظائره الجر و الرفع.

[٣] «يشيرون باصابعهم» استهزاء و إشارة إلى عيوبهم.

[٤] أى ثيابهم البالية بالغسل أو بالتشمير.

[٥] أى يشدون المئزر على وسطهم احتياطا لستر العورة فانهم كانوا لا يلبسون السراويل أو المراد شد الوسط بالازرار كالمنطقة ليجمع الثياب. و قيل: هو كناية عن الاهتمام في العبادة.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٦٤

يكذبوا، و إذا وعدوا لم يخلفوا، و إن ائتمنوا لم يخونوا، و إن تكلّموا صدقوا، رهبان باللّيل، اسد بالنّهار، [۱] صائمون النّهار، قائمون اللّيل، [۲] لا يؤذون جارا و لا يتأذّى بهم جار، الّذين مشيهم على الأرض هون، و خطاهم إلى بيوت الأرامل و على أثر الجنائز، جعلنا اللّه و إيّاكم من المتّقين».

و عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«سئل النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن خيار العباد [۳] فقال:

الّذين إذا أحسنوا استبشروا، و إذا أساءوا استغفروا و إذا أعطوا شكروا، و إذا ابتلوا صبروا، و إذا غضبوا غفروا».

و عنه عليه السّلام قال: «قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ خياركم أولو النّهى، قيل:
يا رسول اللّه و من أولو النهى؟
قال: هم أولو الأخلاق الحسنة و الأحلام الرزينة [٤] و صلة الأرحام و البررة بالامّهات و الآباء و المتعاهدون للفقراء و الجيران و اليتامى، و يطعمون الطعام، و يفشون السّلام في العالم، و يصلّون و الناس نيام غافلون».
و عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:من عرف اللّه و عظّمه منع فاه من الكلام، و بطنه من الطعام. و عفى نفسه بالصّيام و القيام، قالوا: بآبائنا و امّهاتنا يا

رسول اللّه هؤلاء أولياء اللّه، قال: إنّ أولياء اللّه سكتوا فكان سكوتهم ذكرا، و نظروا فكان نظرهم عبرة، و نطقوا فكان نطقهم حكمة، و مشوا فكان مشيهم بين

---

[۱] الرهبان يكون واحدا و جمعا و فسر الرهبانية في قوله تعالى:و رهبانية ابتدعوها ۵۷: ۲۷بصلاة الليل. و «اسد بالنهار» أى شجعان في الجهاد.

[۲] «قائمون الليل» الفرق بينه و بين «رهبان بالليل» ان الرهبان إشارة الى التضرع و الرهبة أو

التخلي و الترهب و قيام الليل للصلاة لا يستلزم شيئا من ذلك.

[٣] فى بعض نسخ المصدر [خير العباد].

[٤] الأحلام: جمع حلم بمعنى العقل أو الإناءة و عدم التسرع إلى الانتقام و هو هنا اظهر. و الرزين: الثقيل و ترزن في الشيء: توقر.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٦٥

الناس بركة، لولا الآجال الّتي قد كتبت عليهم لم تقرّ أرواحهم [١] في أجسادهم خوفا من العذاب و شوقا إلى الثواب».

و عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام قال:«المؤمن يصمت ليسلم، و ينطق ليغنم لا يحدّث أمانته

الأصدقاء، و لا يكتم شهادته من البعداء، و لا يعمل شيئا من الخير رياء و لا يتركه حياء، إن زكّي خاف مما يقولون، و يستغفر اللّه لما لا يعلمون، لا يغرّه قول من جهله، و يخاف إحصاء ما عمله».

و عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«إنّما المؤمن الّذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم و لا باطل، و إذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحقّ، و الّذي إذا قدر لم يخرجه قدرته إلى التعدّي إلى ما ليس له بحقّ».

و عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«المؤمن له قوّة في دين، و حزم في لين، و إيمان في يقين، و حرص في فقه، و نشاط في هدى،

و برّ في استقامة، و علم في حلم، و كيس في رفق، و سخاء في حقّ، و قصد في غنى، و تجمّل في فاقة، و عفو في قدرة، و طاعة للّه في نصيحة، و انتهاء في شهوة، و ورع في رغبة، و حرص في اجتهاد، و صلاة في شغل، و صبر في شدّة، و في الهزاهز وقور، و في المكاره صبور، و في الرّخاء شكور، و لا يغتاب، و لا يتكبّر، و لا يقطع الرّحم، و ليس بواهن، و لا فظّ و لا غليظ، و لا يسبقه بصره، و لا يفضحه بطنه، و لا يغلبه فرجه، و لا يحسد الناس، يعيّر و لا يعيّر، و لا يسرف، ينصر المظلوم، و يرحم المسكين، نفسه منه في عناء، و الناس منه في راحة، لا

يرغب في عزّ الدّنيا، و لا يجزع من ذلّها، للناس همّ قد أقبلوا عليه، و له همّ قد شغله، لا يرى في حكمه نقص، و لا في رأيه وهن، و لا في دينه ضياع [٢]، يرشد من استشاره،

---

[١] فى بعض نسخ المصدر [لم تستقر].

[٢] أى دينه متين لا يضيع بالشكوك و الشبهات و لا بارتكاب المعاصي.

و يساعد من ساعده، و يكيع عن الخنا و الجهل» [١].

و عن الرضا عليه السّلام قال:«لا يكون المؤمن مؤمنا حتّى يكون فيه ثلاث خصال سنّة من ربّه، و سنّة من نبيّه، و سنّة من وليّه، فأمّا السنّة من ربّه فكتمان سرّه قال اللّه تعالى:عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا. إلا من ارتضى من رسول ٧٢: ٢٦ – ٢٧و أمّا السنّة من نبيّه فمداراة الناس، فإنّ اللّه تعالى أمر نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بمداراة الناس، فقال:خذ العفو و أمر بالعرف ٧: ١٩٩،و أمّا السنّة من وليّه فالصبر في البأساء و الضرّاء».

فصل

و في الكافي عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«إنّ هذه الدّنيا يعطيها

اللّه البرّ و الفاجر، و لا يعطي الإيمان إلا صفوته من خلقه».

و عنه عليه السّلام«الناس كلّهم بهائم – ثلاثا – إلا قليل من المؤمنين، و المؤمن عزيز – ثلاث مرّات –».

و عن أبي عبد اللّه عليه السّلام«المؤمنة أعزّ من المؤمن، و المؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر» [٢].

و عن سدير الصيرفي قال:«دخلت على أبي عبد اللّه عليه السّلام، فقلت له: و اللّه ما يسعك القعود، فقال: و لم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك و شيعتك و أنصارك،

---

[١] يكيع - كيبيع بالياء المثناة التحتانية - و في القاموس، كعت عنه أكيع و أكاع عنه كيعا و كيعوعة إذا هبته و جبنت عنه. و في النهاية الخنا: الفحش في القول و الجهل مقابل العلم أو السفاهة. و الخبر في الكافي ج ٢ ص ٢٣١.

[٢] المصدر ج ٢ ص ٢٤٢ و الكبريت الاحمر هو الجوهر الذي طلبه أصحاب الكيمياء و هو الاكسير. و قوله «المؤمنة أعز» يعنى أن المؤمنة أقل وجودا من المؤمن و ذلك لان المرأة الصالحة في غاية الندرة.

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٦٧

و اللّه لو كان لأمير المؤمنين عليه السّلام ما لك من الشيعة و الأنصار و الموالي ما طمع فيه تيم و لا عديّ، فقال: يا سدير و كم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف، قال: مائة ألف؟ قلت: نعم و مائتي ألف، قال: و مائتي ألف؟ قلت: نعم و نصف الدّنيا، قال: فسكت عنّي، ثمّ قال: يخفّ عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع [١] قلت: نعم، فأمر بحمار و بغل أن يسرجا فبادرت فركبت الحمار، فقال: يا سدير أ ترى أن تؤثرني بالحمار؟ قلت: البغل أزين و أنبل [٢] قال: الحمار أرفق بي، فنزلت فركب الحمار و

ركبت البغل، فمضينا فحانت الصّلاة، فقال: يا سدير انزل بنا نصلّي، ثمّ قال: هذه أرض سبخة [٣] لا تجوز الصّلاة فيها، فسرنا حتّى صرنا إلى أرض حمراء و نظر إلى غلام يرعى جداء [٤] فقال: و اللّه يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود، و نزلنا و صلّينا، فلمّا فرغنا من الصّلاة عطفت إلى الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر» [٥].

و عن حمران بن أعين قال:«قلت لأبي جعفر عليه السّلام: جعلت فداك ما أقلّنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: ألا أحدّثك بأعجب من ذلك، المهاجرون و الأنصار ذهبوا إلا - و أشار بيده

– ثلاثة، قال حمران: فقلت: جعلت فداك ما حال عمّار؟ قال: رحم اللّه عمّارا أبا اليقظان، بايع و قتل شهيدا، فقلت في نفسي: ما من شيء أفضل من الشهادة، فنظر إليّ فقال: لعلّك ترى أنّه مثل الثلاثة أيهات أيهات» [٦].

و عن أبي الحسن عليه السّلام قال:«ليس كلّ من قال بولايتنا مؤمنا و لكن جعلوا

---

[١] «يخف عليك» – بكسر الخاء – أى يسهل و لا يثقل، و في القاموس خف القوم:

ارتحلوا مسرعين. و ينبع – كينصر –: حصن له عيون و نخيل و زروع بطريق حاج مصر.

[٢] فى القاموس النبل – بالضم – الذكاء و النجابة.

[٣] أى أرض ذات نزو ملح.

[٤] الجدى من أولاد المعز و هو ما بلغ ستة أشهر أو سبعة و الجمع جداء.

[٥] المراد تحقق سبعة عشر من المخلصين مع ما ذكر من عدد المتشيعة لا مطلقا.

و الخبر في الكافي ج ٢ ص ٢٤٢.

[٦] المراد بالثلاثة سلمان و أبو ذر و مقداد كما روى الكشي في رجاله ص ٨ و قوله:

أيهات لغة في هيهات أي بعد عن الحق رأيك.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٦٨

انسا للمؤمنين».

و عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:قال اللّه تبارك و تعالى:

لو لم يكن في الأرض إلا مؤمن واحد لاستغنيت به عن جميع خلقي، و لجعلت له من إيمانه انسا لا يحتاج إلى أحد».

و عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«إنّ اللّه ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء».

و عنه عليه السّلام قال:«لا يصيب قرية عذاب و فيها سبعة من المؤمنين».

و في الكافي عن عبد الواحد بن المختار الأنصاري قال: قال أبو جعفر عليه السّلام:«يا عبد الواحد ما يضرّ رجلا - إذا كان على ذا الرأي - ما قال الناس له - و لو قالوا:

مجنون - و ما يضرّه لو كان على رأس جبل يعبد اللّه حتّى يجيئه الموت».

و عن فضيل بن يسار قال:دخلت على أبي عبد اللّه عليه السّلام في مرضة مرضها لم يبق منه إلا رأسه [١] فقال: «يا فضيل إنّني كثيرا ما أقول: ما على رجل عرّفه اللّه هذا

الأمر لو كان في رأس جبل حتّى يأتيه الموت، يا فضيل بن يسار إنّ الناس أخذوا يمينا و شمالا و إنّا و شيعتنا هدينا الصّراط المستقيم، يا فضيل بن يسار إنّ الناس المؤمن لو أصبح له ما بين المشرق و المغرب كان ذلك خيرا له، و لو أصبح مقطّعا أعضاؤه كان ذلك خيرا له، يا فضيل بن يسار إنّ اللّه لا يفعل بالمؤمن إلا ما هو خير له، يا فضيل بن يسار لو عدلت الدّنيا عند اللّه عزّ و جلّ جناح بعوضة ما سقى عدّوه منها شربة ماء، يا فضيل بن يسار إنّه من كان همّه همّا واحدا كفاه اللّه همّه، و من كان همّه في كلّ واد لم يبال اللّه بأيّ واد هلك» [٢].

---

[١] كناية عن نحافة الشريف عليه السّلام و الخبر في الكافي ج ٢ ص ٢٤٦.

[٢] اى في اى واد من أودية الضلالة و الجهالة. قوله: «لم يبال اللّه باى واد هلك» اى صرف اللّه لطفه و توفيقه عنه و تركه مع نفسه و أهوائها حتى يهلك باختيار واحد من الاديان الباطلة، او كل واد من أودية الدنيا و كل شعبة من شعب أهواء النفس الامارة بالسوء من حب المال و الجاه و الشرف و العلو و لذة المطاعم و المشارب و الملابس و المناكح و غير ذلك من الأمور

الباطلة الفانية، و الحاصل ان من اتبع الشهوات النفسانية او الاراء الباطلة و لم يصرف نفسه عن مقتضاها إلى دين الحق و طاعة اللّه و ما يوجب قربه لم يمدده اللّه بنصره و توفيقه و لم يكن له عند اللّه قدر و منزلة و لم يبال باى طريق سلك و لا في اى واد هلك (المرآة) و الخبر في الكافي ج ٢ ص ٢٤٦.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٦٩

و عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«أربع لا يخلو منهنّ المؤمن أو واحدة منهنّ:

مؤمن يحسده و هو أشدّهنّ عليه، و منافق يقفو أثره، أو عدوّ يجاهده، أو شيطان يغويه».

و عنه عليه السّلام قال:«ما أفلت المؤمن من واحدة من ثلاث و لربما اجتمعت الثلاث عليه، إمّا بعض من يكون معه في الدّار يغلق عليه بابه يؤذيه، أو جار يؤذيه أو من في طريقه إلى حوائجه يؤذيه، و لو أنّ مؤمنا على قلّة جبل لبعث اللّه تعالى إليه شيطانا يؤذيه، و يجعل اللّه له من إيمانه انسا لا يستوحش معه إلى أحد» [۱].

و عنه عليه السّلام قال:ما كان و لا يكون و ليس بكائن مؤمن إلا و له جار يؤذيه، و لو أنّ مؤمنا في

جزيرة من جزائر البحر لابتعث اللّه له من يؤذيه».

و عنه عليه السّلام«إنّه ذكر عنده البلاء و ما يخصّ اللّه به المؤمن، فقال: سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من أشدّ الناس بلاء في الدّنيا؟ فقال: النبيّون ثمّ الأمثل فالأمثل، و يبتلي المؤمن بعد على قدر إيمانه و حسن أعماله، فمن صحّ إيمانه و حسن عمله

---

[١] المصدر ج ٢ ص ٢٤٩ و ذكروا لتسليط الشياطين و الكفرة على المؤمنين وجوها من الحكمة: الأول انه كفارة لذنوبه، الثاني انه

لاختيار صبره و ادراجه في الصابرين، الثالث انه لتزهيده في الدنيا لئلا يفتن بها و يطمئن إليها فيشق عليه الخروج منها الرابع توسله إلى الحق سبحانه في الضراء و سلوكه مسلك الدعاء لدفع ما يصيبه من البلايا فيرتفع بذلك درجته، الخامس وحشته عن المخلوقين و انسه برب العالمين راجع مرآة العقول ج ٢ ص ٢٢٢.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٧٠

اشتدّ بلاؤه، و من سخف إيمانه و ضعف عمله قلّ بلاؤه» [١].

و عنه عليه السّلام قال: «إنّ المؤمن من اللّه لبأفضل مكان - ثلاثا - إنّه ليبتليه بالبلاء ثمّ ينزع

نفسه عضوا عضوا من جسده و هو يحمد اللّه على ذلك [٢].

ذكر كلام جامع ضابط في تحقيق معنى الامام و معنى الشيعة و معنى المخالف و تقسيم الناس بهذا الاعتبار

اعلم أنّ من اصطفاه اللّه تعالى من عباده و اختصّه من بينهم لنفسه، و أدّبه فأحسن تأديبه، و أكمل قوّتيه النّظريّة و العمليّة إلى أقصى كمالهما الممكن، ثمّ علّمه من لدنه علما و اطّلعه على أسراره و أحكامه و شرائعه، ثمّ وهب له مع كماله الّذي أعطاه قدرة على تكميل غيره من بني نوعه، بحيث يكون آخذا من اللّه سبحانه معطيا إلى خلقه، و يأتي كلا من الناس بما

يصلح لعقله من غير أن يشغله الجنبة العالية من الجهة السافلة و لا العكس فهو إمام الناس و خليفة اللّه في أرضه على خلقه و حجّته على عباده، و العالم الربّاني و السابق المقرّب، نبيّا كان أو غير نبيّ إذ ربّ نبيّ ليس بإمام و ربّ إمام ليس بنبيّ، و الإمامة فوق النبوّة و قد يجمعهما اللّه لواحد كما جمعهما اللّه تعالى لنبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لإبراهيم صلوات اللّه عليه حيث قال:إنّي جاعلك للناس إماما ٢: ١٢٤.

روى في الكافي عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام:«الأنبياء و المرسلون على أربع طبقات: فنبيّ منبّأ في نفسه لا

يعدو غيرها، و نبيّ يرى في النوم، و يسمع الصوت و لا يعاينه في اليقظة، و لم يبعث إلى أحد، و عليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط عليهما السّلام، و نبيّ يرى في منامه، و يسمع الصّوت و يعاين الملك، و قد أرسل إلى طائفة قلّوا أو كثروا كيونس قال اللّه ليونس:

---

[١] الكافي ج ٢ ص ٢٥٢ تحت رقم ٢، و السخف: الخفة في العقل و غيره، و الفعل ككرم (النهاية).

[٢] المصدر ج ٢ ص ٢٥٤ تحت رقم ١٣. و قوله: «ثلاثا» أى قالها ثلاث مرات.

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٧١

و أرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ٣٧: ١٤٧قال: يزيدون ثلاثين ألفا و عليه إمام، و الّذي يرى في نومه، و يسمع الصوت، و يعاين في اليقظة، و هو إمام مثل أولى العزم و قد كان إبراهيم عليه السّلام نبيّا و ليس بإمام حتّى قال اللّه له:إنّي جاعلك للناس إماما قال و من ذرِّيّتي ٢: ١٢٤(فقال اللّه)لا ينال عهدي الظالمين ٢: ١٢٤من عبد صنما أو وثنا لا يكون إماما».

و عن زرارة قال:«سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه تعالى:و كان رسولا نبيّا ١٩: ٥١ما الرّسول و ما النبيّ؟ قال: النبيّ الّذي يرى

في منامه، و يسمع الصوت، و لا يعاين الملك، و الرّسول الّذي يسمع الصوت، و يرى في المنام، و يعاين الملك، قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت، و لا يرى و لا يعاين الملك، ثمّ تلا هذه الآية و ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبيّ (و لا محدَّث) ٢٢: ٥٢ [١].

و من وفّقه اللّه لمحبّة صاحب هذا المقام و موالاته و الاقتداء به و الاهتداء بهداه و الاقتفاء لأثره و التشييع له على طريقته و منهاجه في حركاته و سكناته و أفعاله و أحواله و الوقوف على أسراره و علومه بقدر طاقته و على حسب وسعه و يكون كلّما أخطأ أناب فأصاب و كلّما أذنب ذنبا رجع و

تاب و كلّما زلّ قدمه استقام و آب و تبرّأ من الطّرق الباطلة و الأهواء الزّايغة و أهليها، و زهد في فضول الدّنيا و امتاز من بينها فهو الشّيعي و الخاصّي و السعيد و الناجي و المتعلّم على سبيل النّجاة، و المؤمن الممتحن و المتّقي و المقتصد، و صاحب الميمنة، و أهل اليمين، و من هو في مقابل هذا الشخص بأن يكون عدوّا للإمام غير مقتد به و لا مهتد بهداه و لا مقتفي أثره و لا واقف على أسراره بل مخالفا له في طريقته جاحدا أمره، متّبعا هواه مقبلا على دنياه فهو المخالف و العامّيّ و الشّقيّ و الهالك و المشرك و الضّال و الظالم و صاحب المشأمة و أهل الشمال،

فهذه الثلاث حقائق من أفراد بني آدم متميّز بعضها من بعض، هي بمنزلة الأصول لأصناف الناس، ثمّ الأولى هي الأصل بالإضافة إلى الأخيرتين

---

[١] المصدر ج ١ ص ١٧٦. «و لا محدث» انما هو في قراءة أهل البيت عليهم السلام و هو - بفتح الدال المشددة - كما قاله المؤلف في الوافي.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٧٢

إذ بها تتشآن و تتميّزان، قال اللّه تعالى:كان الناس امّة واحدة فبعث

اللّه النبيّين مبشّرين و منذرين ٢: ٢١٣فاختلفوا و أكثر آيات القرآن بل جميعها إنّما وردت في هذه الفرق الثلاث و أحوالهم و أفعالهم و أقوالهم و مبدئهم و معادهم و منشأهم و مآلهم، و كذلك الأخبار و الآثار عن الأئمّة الأطهار سلام اللّه عليهم، و إليهم الإشارة بقوله عزّ و جلّ:و كنتم أزواجا ثلاثة. فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة. و أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة. و السّابقون السابقون. أولئك المقرَّبون ٥٦: ٧ - ١١.

و عن أبي جعفر عليه السّلامفي قوله عزّ و جلّ:هل يستوي الّذين

يعلمون و الّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر أولو الألباب ٣٩: ٩قال: نحن الّذين يعلمون، و عدوّنا الّذين لا يعلمون، و شيعتنا أولو الألباب».

و إلى الأخيرتين الإشارة بما ورد في حديث سؤال القبر و الرّجعة إنّما يسئل في قبره من محض الإيمان محضا أو محض الكفر محضا و إنّما يرجع إلى الدّنيا عند قيام القائم من محض الإيمان محضا أو من محض الكفر محضا، و أمّا سائر النّاس ممّن سوى هذه الفرق الثلاث فبهائم و سباع و همج رعاع و مقلّدة و أتباع و غثاء من أهل النقل المجرّد و محض السّماع لا يعبؤ بهم و لا يعتني بشأنهم و إن كانوا

من المنسوبين إلى العلم، إذا كان علمه مقصورا على العلوم الرّسميّة الظاهرة فإن كان فيهم من يحبّ السّعداء و يبغض الأشقياء و يهتمّ بالدّين و يعمل بطرف من سنن المرسلين فهو الموالي و المحبّ و الناجي فينجو و يحشر مع من يتولاه فإنّ المرء يحشر مع من أحبّ. و ربما يطلق الشيعة على هذا أيضا من باب التغليب أو من جهة مشايعته لظاهر الإمام و على شريعته و إن لم يشايعه لباطنه و على حقيقته و هذا كما أنّ المؤمن قد يخصّ بالممتحن و قد يطلق على ما يشمل الغير الممتحن أيضا كماقال الصّادق عليه السّلام:«المؤمن مؤمنان: فمؤمن

صدق بعهد اللّه و وفا بشرطه و ذلك قول اللّه تعالى:رجال

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٧٣

صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه ٣٣: ٢٣فذلك الّذي لا تصيبه أهوال الدّنيا و لا أهوال الآخرة، و ذلك ممّا يشفع و لا يشفع له، و مؤمن كخامة الزرع [١] تعوّج أحيانا و تقوم أحيانا فذلك ممّن تصيبه أهوال الدّنيا و أهوال الآخرة، و ذلك ممّن يشفع و لا يشفع»

و كذلك الهمج و الغثاء قد يخصّ بمن سوى فرق الثلاث، و قد يطلق على يشمل الفرقة الأخيرة منهم أيضا كماقال أمير المؤمنين عليه

السّلام:«الناس ثلاثة إمّا عالم ربّاني أو متعلّم على سبيل النجاة أو همج رعاع، أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، و لم يلجأوا إلى ركن وثيق».

و عن الصادق عليه السّلام«يغدو الناس على ثلاثة أصناف: عالم و متعلّم و غثاء، فنحن العلماء، و شيعتنا المتعلّمون، و سائر الناس غثاء».

و عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«لا خير في العيش إلا لرجلين: عالم مطاع أو مستمع واع».

و عن الصادق عليه السّلام«اغد عالما أو متعلّما أو أحبّ أهل العلم و لا تكن رابعا فتهلك ببغضهم».

و فيما بين الإمام و الشيعة و الموالي مراتب و درجات متفاوتة في القرب من السعادة الحقيقية و البعد عنه، فربّ شيعيّ له حظّ من الإمامة و ربّ موال له حظّ من التشيّع و إنّما يعرف ذلك بوجود الصفات و العلامات الّتي ذكرناها فيهم أكثرها أو أقلّها على حسب مراتبهم، و من جمعت له مع التشيّع العلامات الاثنتا عشر الّتي

---

[١] الخامة من الزرع اول ما ينبت على ساق أو اللطافة الغضة منه أو الشجرة الغضة منه.

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٧٤

ذكرناها في الباب السادس من كتاب العلم من ربع العبادات عند ذكر علماء الآخرة فله حظّ من الإمامة و إرشاد الناس و هو نائب عن إمام الأصل عند غيبته عليه السّلام.

فصل

من أحبّ أحدا لاعتقاد الخير فيه أو أبغض أحدا لاعتقاده الشرّ فيه يوجر على حبّه و بغضه و إن أخطأ في اعتقاده، يدلّ على ذلك ما رواهفي الكافي عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«لو أنّ رجلا أحبّ رجلا للّه لأثابه اللّه على حبّه إيّاه و إن كان المحبوب في علم اللّه من أهل

النّار، و لو أنّ رجلا أبغض رجلا للّه لأثابه اللّه على بغضه إيّاه و إن كان المبغض في علم اللّه من أهل الجنّة».

و عنه عليه السّلام:«إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيرا فانظر إلى قلبك فإن كان يحبّ أهل طاعة اللّه و يبغض أهل معصيته ففيك خير و اللّه يحبّك، و إذا كان يبغض أهل طاعة اللّه و يحبّ أهل معصيته فليس فيك خيرّ و اللّه يبغضك و المرء مع من أحبّ».

و عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال:«إنّ الرّجل ليحبّكم و ما يعرف ما أنتم عليه فيدخله اللّه الجنّة بحبّكم، و إنّ الرّجل ليبغضكم و ما

يعرف ما أنتم عليه فيدخله اللّه ببغضكم النّار».

أقول: و ذلك لأنّ أصحابه عليه السّلام كانوا أهل طاعة و تقوى في الظاهر فمن أحبّهم أو أبغضهم مع عدم العلم بمذهبهم فإنّما أحبّ أو أبغض أهل طاعة اللّه، فمفادّ هذا الحديث بعينه مفادّ الحديث الأوّل، و لا يخفى أنّ الحبّ و البغض من هذه الجهة أعني جهة طاعة اللّه و معصيته يرجع في الحقيقة إلى محبّة المقام و الحقيقة دون الشخص الجزئي خصوصا إذا لم ير المحبّ و المبغض محبوبه و مبغوضه و إنّما سمع بصفاته و أخلاقه و يدلّ على ذلك صريحا مارواه الصدوق – رحمه اللّه – في

كتاب علل الشرايع بإسناده عن المفضّل بن عمر قال: قلت لأبي عبد اللّه جعفر بن محمّد

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٧٥

الصادق عليه السّلام:لم صار عليّ بن أبي طالب عليه السّلام قسيم الجنّة و النّار؟ قال: لأنّ حبّه إيمان و بغضه كفر، و إنّما خلقت الجنّة لأهل الإيمان و خلقت النّار لأهل الكفر فهو عليه السّلام قسيم الجنّة و النّار لهذه العلّة و الجنّة لا يدخلها إلا أهل محبّته و النّار لا يدخلها إلا أهل بغضه، قال المفضّل: يا ابن رسول اللّه فالأنبياء و الأوصياء هل كانوا يحبّونه و

أعداؤهم يبغضونه؟ فقال: نعم، قلت: فكيف ذلك؟ قال: أما علمت أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال يوم خيبر: لأعطينّ الرّاية غدا رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله، ما يرجع حتّى يفتح اللّه على يده؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا أوتي بالطّائر المشويّ قال: اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطّائر و عنى به عليّا عليه السّلام؟ قلت: بلى، قال:

يجوز أن لا يحبّ أنبياء اللّه و رسله و أوصياؤهم عليهم السّلام رجلا يحبّه اللّه و رسوله و يحبّ اللّه و رسوله؟ فقلت: لا، قال: فهل يجوز

أن يكون المؤمن من أممهم لا يحبّون حبيب اللّه و حبيب رسوله و أنبيائه عليهم السّلام؟ قلت: لا، قال: فقد ثبت أنّ جميع أنبياء اللّه و رسله و جميع المؤمنين كانوا لعليّ بن أبي طالب محبّين، و ثبت أنّ المخالفين لهم كانوا لهم و لجميع أهل محبّتهم مبغضين، قلت: نعم، قال: فلا يدخل الجنّة إلا من أحبّه من الأوّلين و الآخرين فهو إذن قسيم الجنّة و النّار، قال المفضّل ابن عمر: فقلت له: يا ابن رسول اللّه فرّجت عنّي فرّج اللّه عنك – فزدني ممّا علّمك اللّه، فقال: سل يا مفضّل، فقلت: أسأل يا ابن رسول اللّه فعليّ بن أبي طالب يدخل محبّه الجنّة و مبغضه النّار، أو

رضوان و مالك؟ فقال: يا مفضّل أما علمت أنّ اللّه تبارك و تعالى بعث رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو روح إلى الأنبياء عليهم السّلام و هم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أنّه دعاهم إلى توحيد اللّه و طاعته، و اتّباع أمره و وعدهم الجنّة على ذلك، و أوعد من خالف ما أجابوا إليه و أنكره النّار؟ قلت: بلى، قال: أ فليس النبيّ ضامن لما وعد و أوعد عن ربّه عزّ و جلّ؟ قلت: بلى، قال: أو ليس عليّ بن أبي طالب خليفته و إمام أمّته؟ قلت: بلى، قال: أو ليس رضوان و مالك من جملة الملائكة و المستغفرين لشيعته الناجين بمحبّته؟

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٧٦

قلت: بلى، قال: فعليّ بن أبي طالب إذن قسيم الجنّة و النّار عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و رضوان و مالك صادر ان عن أمره بأمر اللّه تبارك و تعالى، يا مفضّل خذ هذا فإنّه من مخزون العلم و مكنونه لا تخرجه إلا إلى أهله».

قال بعض علمائنا – رحمهم اللّه –: إنّ هذا الحديث الشريف جوهرة نفيسة، و درّة ثمينة قد أفاد مولانا الصادق عليه السّلام و فيه فوائد جمّة لا يذهب على أولى النهي:

منها أنّ المراد بمحبّة أمير المؤمنين عليه السّلام ما يورث المعرفة

بمقامه عليه السّلام إذ هو الّذي يساوق الإيمان و إن ليس المراد بها محبّة شخصه الموجود في الدّنيا مدّة المحسوس بالحواسّ الجزئيّة، بل المراد محبّة حقيقة الإلهيّة و مقامه العقلي الكلّيّ الّذي كان قبل أن يخلق الخلق، و أنّ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أرسل إلى سائر الأنبياء و أوصيائهم عليهم السّلام في مقامه العقليّ الكلّيّ، و بشّرهم و أنذرهم و هم يومئذ مكلّفون بطاعته و امتثال أمره و اجتناب معصيته، تصديقا لقوله سبحانه:«هذا نذير من النذر الاولى،و إنّه الضامن على اللّه ما وعد به أهل الاستجابة و الطاعة و ما توعّد به أهل التكذيب و

المعصية و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام خليقته على ذلك كلّه في سائر أمّته من الأوّلين و الآخرين سواء الأنبياء و الأمم، و إنّ حكمه جار على سدنة الجنان و على خزنة النّيران، يصدرون عن أمره و نهيه، و إنّ الملائكة متعبّدون بالاستغفار لشيعته كتعبّدهم بالتوحيد و النبوّة و الولاية، قال اللّه تعالى:الّذين يحملون العرش و من حوله يسبّحون بحمد ربّهم و يستغفرون للّذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ شيء رحمة و علما فاغفر للّذين تابوا و اتّبعوا سبيلك و قهم عذاب الجحيم ٤٠: ٧انتهى كلامه.

و ليكن هذا آخر الكلام في كتاب أخلاق الإمامة و آداب الشيعة و

بتمامه تمّ ربع العادات من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء و يتلوه إن شاء اللّه في ربع المهلكات كتاب عجائب القلب و الحمد للّه أوّلا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٧٧

فهرست ما في هذا المجلد

رقم الصفحة الموضوع

كتاب العزلة

٣ نقل المذاهب في العزلة و المخالطة.

٦ حجج المائلين إلى المخالطة و وجه ضعفها.

٨ حجج المائلين إلى تفضيل العزلة.

١١ في فوائد العزلة و غوائلها و كشف الحقّ في فضائلها.
١١ الفائدة الأولى – الفراغ للعبادة و الفكر
١٤ الفائدة الثانية – التخلّص عن المعاصي الناشئة عن المخالطة هي الغيبة.
١٤ السكوت عند المعروف و المنكر.
١٥ الرياء و هو الداء العضال.
١٦ مسارقة الطبع لما يشاهد من الأخلاق الرديّة.
١٩ الفائدة الثالثة – الخلاص من الفتن و الخصومات.
٢١ الفائدة الرابعة – الخلاص من شرّ الناس.

٢٣ الفائدة الخامسة – انقطاع الطمع.
٢٥ الفائدة السادسة – الخلاص من مشاهدة الثقلاء.
٢٥ آفات العزلة
٢٥ فوائد المخالطة و هي سبعة.
٢٥ ١ – التعليم و التعلّم.
٢٩ ٢ – النفع و الانتفاع.
٢٩ ٣ – التأديب و التأدّب.
٣٠ ٤ – الاستيناس و الايناس.
٣١ ٥ – نيل الثواب و إنالته.
٣٢ ٦ – التواضع و هو أفضل المقامات.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٧٨

رقم الصفحة الموضوع

٣٤ ٧ – التجارب.

٣٦ فصل في ما هو المذموم من العزلة و ما هو الممدوح منها.
٣٧ فصل في آداب العزلة.
كتاب آداب السفر
و هو مشتمل على ثلاثة أبواب
٤١ الباب الأول في فوائد السفر و فضله، و أقسامه الأربعة.
٤١ القسم الأوّل السفر في طلب العلم.
٤٥ القسم الثاني السفر للجهاد، أو الحجّ.
٥١ القسم الثالث السفر للهرب من مشوّش للدّين.
٥٢ القسم الرابع السفر هربا مما يقدح للبدن أو المال.
٥٦ الباب الثاني في آداب المسافر و هي اثنى عشر أدبا.

٤٦ ١ – أن يبرء ذمّته و يأخذ لزاده الحلال.

٥٨ ٢ – أن يختار رفيقا.

٦١ ٣ – أن يودّع الرفقاء.

٦٢ ٤ – أن يصلّي قبل السفر صلاة الاستخارة.

٦٢ ٥ – الدعاء عند حصوله على باب الدار.

٦٥ ٦ – أن يرحل من المنازل بكرة.

٦٧ ٧ – أن لا ينزل حتّى يحمى النهار.

٦٨ ٨ – أن لا يمشي خارج القافلة.

٧٠ ٩ – أن يرفق بالدّابة.

٧٢ ١٠ – أن يستصحب ستّة أشياء.

٧٤ ١١ – أن يكون مستشبيرا حسن المعاشرة.
٧٥ ١٢ – في آداب الرجوع من السفر.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٧٩

رقم الصفحة الموضوع

٧٧ فصل للآداب الباطنة في السفر.
٧٨ الباب الثالث في ما لا بدّ للمسافر من تعلّمه.
٧٩ اعتراض المؤلّف على أبي حامد و ذكر بعض البدع و ذكر بعض المطالب.
٨١ المطلب الأوّل في شرائط القصر و الفطر.

٨٢ المطلب الثاني في الصلاة على الراحلة و ماشيا و في السفينة.
٨٥ المطلب الثالث في معرفة القبلة.
٨٧ المطلب الرابع في زيارة قبور الأئمّة عليهم السّلام.
كتاب الامر بالمعروف و النهى عن المنكر
٩٦ الباب الأول في وجوبهما.
١٠٢ فصل و من طريق الخاصّة.
١٠٦ الباب الثاني في أركانهما.
١١١ الباب الثالث في المنكرات المألوفة.
١١٢ الباب الرابع في أمر الأمراء بالمعروف و نهيهم عن المنكر.
كتاب أخلاق النبوة و آداب المعيشة

١١٩ بيان تأديب اللّه حبيبه محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالقرآن.
١٢٣ محاسن أخلاقه.
١٢٨ جملة الفضول من آدابه و أخلاقه ممّا رواه أبو البختري.
١٣٢ بيان كلامه و ضحكه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.
١٣٥ أخلاقه و آدابه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في الطعام.
١٤٠ أخلاقه و آدابه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في اللباس.
١٤٥ عفوه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مع القدرة.
١٤٨ إغضائه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عمّا يكره.

١٤٩ سخاوته وجوده صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

١٥٠ شجاعته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

المحجة

البيضاء ج : ٤ ص : ٣٨٠

رقم الصفحة الموضوع

١٥١ تواضعه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

١٥٣ صورته و خلقته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

١٥٨ خلقه و خلقه و سيرته مع جلسائه برواية الحسنين عليهما السّلام.

١٦٢ معجزاته و آياته.

كتاب أخلاق الأئمة و آداب الشيعة

١٧٤ مرتبة الإمام و خصائصه.
١٨٢ فصل في معنى «أطيعوا اللّه – الآية –».
١٨٣ فصل في أنّ طاعة الأئمّة فرض.
١٨٧ أمير المؤمنين عليه السّلام و خصائصه.
١٨٩ فصل منقول من مناقب الخوارزمي و غيره.
١٩٢ فصل عن كشف الغمّة و غيره في شجاعته.
١٩٥ فصل في كراماته.
٢٠٣ فصل في ما روي عن الصدوق و غيره في فضائله.
٢٠٦ فصل في خلقته عليه السّلام.
٢٠٧ أخلاق فاطمة عليها السّلام و صفاتها و كراماتها.

٢١٥ الإمام الثاني الحسن بن عليّ عليهما السّلام و صفاته.
٢١٩ فصل في كراماته عليه السّلام.
٢٢١ فصل في خلقته عليه السّلام.
٢٢٢ الإمام الثالث الحسين بن عليّ عليهما السّلام و صفاته و كراماته.
٢٢٦ فصل في فضائله عليه السّلام.
٢٢٩ فصل في كراماته عليه السّلام.
٢٣١ الإمام الرابع زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام و صفاته و كراماته.
٢٣٤ فصل في فضائله عليه السّلام.

٢٣٧ فصل في كراماته عليه السّلام.

المحجة البيضاء ج : ٤ ص : ٣٨١

رقم الصفحة الموضوع

٢٤٢ الإمام الخامس محمّد بن عليّ الباقر عليهما السّلام و صفاته.
٢٤٥ فصل في كراماته عليه السّلام.
٢٥٢ الإمام السادس جعفر بن محمّد الصادق عليهما السّلام و صفاته.
٢٥٧ فصل كراماته عليه السّلام.
٢٦٦ أخلاق الإمام السابع موسى بن جعفر الكاظم عليه السّلام و صفاته.

٢٦٨ فصل في كراماته عليه السّلام.
٢٨٠ الإمام الثامن عليّ بن موسى الرضا عليهما السّلام و صفاته.
٢٨٤ فصل في كراماته عليه السّلام.
٢٩٥ أخلاق الإمام التاسع محمّد بن عليّ التقيّ عليهما السّلام و صفاته.
٣٠١ فصل في كراماته عليه السّلام.
٣٠٨ أخلاق الامام العاشر علي بن محمّد النقي عليهما السّلام و صفاته.
٣٢١ الامام الحادي عشر أبي محمّد العسكري عليه السّلام و صفاته.

٣٢٣ فصل في كراماته عليه السّلام.
٣٣٤ الإمام الثاني عشر أبو القاسم الحجّة بن الحسن عليهما السّلام و صفاته.
٣٣٧ فصل في إثبات غيبته عليه السّلام من طريق الخاصّة.
٣٤٠ فصل في إثبات غيبته عليه السّلام من طريق العامّة.
٣٤١ فصل في صفاته و علاماته عليه السّلام.
٣٤٤ فصل في كراماته عليه السّلام.
٣٥٢ ذكر صفات الشيعة و أخلاقهم و آدابهم و علاماتهم و قلّتهم.

٣٥٨ فصل في خطبة أمير المؤمنين عليه السّلام في صفة المؤمن.
٣٦٦ فصل في قلّة عدد المؤمنين.
٣٦٩ ضابطة لمعرفة الإمام و الشيعة و المخالف.
٣٧٠ إنّ اللّه يؤاجر على النيّة.